
الفيصل
مجلة ثقافية شهرية - العدد (٢٢٨) - جمادى الآخرة ١٤١٦هـ - أكتوبر/ نوفمبر ١٩٩٥م
ALFAISAL MAGAZINE ISSUE (228) OCT. / NOV. 1995
Mngool.com
مفهوم الانتماء
في شعر خالد الفيصل
العرب
والتحديات
الإعلامية
المثقفون
والبعد الغائب
لغة المكان: الصمت البليغ
قلعة الحصن
موقع وانتصار
www.ahlaltareekh.com

عجائب الآثار في التراجم والأخبار

تأليف

عبدالرحمن بن حسن بن إبراهيم الجبرتي

(المتوفى سنة ١٢٣٧هـ - ١٨٢٢م).

يُعَدُّ علم التاريخ من العلوم المتميزة عند المسلمين، وقد اهتموا به اهتمامًا بالغًا، فألفوا فيه المؤلفات الكثيرة، ومنها هذا الكتاب الذي نرى نموذجًا مصورًا منه.

والمؤلف يقدم لكتابه بمقدمة في علم التاريخ: موضوعه، والغرض منه وفائدته، وأهم الكتب المؤلفة فيه.

وهذا الكتاب يبحث في تاريخ مصر منذ أواخر القرن الثاني عشر حتى أوائل القرن الثالث عشر الهجريين، وهو يدون الحوادث اليومية التي وقعت في تلك الفترة من الزمن ثم يذكر الوفيات، وتحدث قبل ذلك عن الدول التي حكمت مصر منذ الفتح الإسلامي.

ويبين المؤلف مصادره في هذا الكتاب؛ فهو يدون معلوماته من أقوال المشايخ، أو الصكوك والوثائق الرسمية، أو مما كُتب على شواهد القبور من أسماء الموتى وتواريخ وفياتهم، أو من الأحداث التي عاصرها وشاهدها.

ويعد هذا الكتاب مرجعًا رئيسًا لتاريخ مصر في القرنين الثاني عشر والثالث عشر الهجريين، نتبين من خلاله بعض النظم السياسية والعادات الاجتماعية واللهجات العامية التي كانت سائدة في تلك الفترة.

تقع المخطوطة في مئتين وخمسين ورقة وقد كتبت سنة ١٢٩٥هـ.

والمخطوطة من مقتنيات مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية بالرياض برقم ٥٩٩٩.

إعداد: إبراهيم باجس عبد المجيد

في العدد القادم:

- واقعنا الثقافي والانهزام الداخلي
- صراع الفكر والفن في الرواية التاريخية
- جحا في أدب الأطفال: رؤية تربوية



ملف
عن أبي حيان التوحيدي

في مقال «وقفة مع القبح الجميل» المنشور في العدد (٢٢٤) من «الفيصل» توقف د. محمد عبدالرحيم الزيني طويلاً عند أبي حيان التوحيدي؛ الذي مرّت الذكرى الألفية الأولى لوفاته - رحمه الله -، ولم يحتفل العرب والمسلمون بهذا العالم الموسوعي الفذّ الذي جمع في كتبه ثقافة عصره في القرن الرابع الهجري، قرن الازدهار الأدبي والعلمي.

ونحن في حلب احتفلنا بذكرى التوحيدي؛ فقد نظمت جمعية «العاديات» أمسية خاصة للاحتفال بذكرى أبي حيان، شارك فيها الأستاذ محمود فاخوري المدرس في كلية الآداب، و د. حسين الصديق الذي أفرد في كتابه الجديد «مقدمة في نظرية الأدب العربي الإسلامي»، فصلاً عن علم الجمال عند التوحيدي، و د. مصطفى جطل عميد كلية الآداب بجامعة حلب.

وما أتمناه من مجلة «الفيصل» أن تفرد في أعدادها القادمة ملفًا خاصًا عن التوحيدي الأديب والناثر والفيلسوف والمتكلم؛ بحيث يتعرف الجيل الجديد من القراء إلى هذا الرجل الذي يستحق أن نحتفل به وبأفكاره في ذكراه الألفية الأولى.

محمود بن تركي الداؤد
كلية الآداب - جامعة حلب - سورية

وقفات
مع الإطلالة والجاسر وابن عقيل

أُقدر في الشيخ أبي عبدالرحمن بن عقيل الظاهري علمه وأدبه وأسلوب تحليله للموضوعات، وأود أن أسأله: لماذا توقف برنامجه الإذاعي المفيد «تفسير التفاسير»؟ حبذا لو نشر موضوعات البرنامج في كتاب، إذ كم سيكون ذلك مفيدًا.

أما جهود الشيخ حمد الجاسر وكتاباته التي تعرفنا بتراثنا الخالد فلا يحيط بها الثناء، فجزاه الله خيرًا وأعانه ووفقه لخدمة الثقافة الإسلامية.

وأما إطلالة رئيس التحرير د. زيد الحسين فتبعث على الأمل، وتزيد الثقة في قدرات أمتنا الإسلامية؛ إذ يعجبني في الإطلالة تعويل د. زيد المستمر على التراث والدعوة إلى دراسته وهضمه وتمثله في كل مجال وبخاصة مجالي التربية والتعليم.. وفقكم الله جميعًا.

اسبيسي عبداللطيف بن عبيد
بلدية أولاد برحيل - عمالة تارودانت - المملكة المغربية.

مزيدًا من العون الثقافي

نشكركم على دوركم المشرف في نشر الثقافة الإسلامية الخالصة، ونسأل الله أن يكون هذا العمل الخيِّر في ميزان حسناتكم وحسنات طيب الذكر الملك فيصل - رحمه الله -. فنحن في دولة غانا، نثمِّن الرسالة التي تنهضون بها في مجلة الفيصل، ونطلب منكم مزيدًا من العون الثقافي بأن تمدونا بمطبوعات ثقافية إسلامية.

السيد محمد يعقوب
رئيس جمعية أهل تلاوة القرآن الكريم
اهنسان - كوماسي - غانا

مقترحات

أقترح أن تقوم «الفيصل» بجمع المقالات العلمية المصورة التي نشرت في الأعداد السابقة، وإصدارها في موسوعة علمية.

محمد شحات أحمد إبراهيم
أرمنت - قنا - جمهورية مصر العربية.

لماذا لا تقوم دار الفيصل الثقافية بإصدار موسوعة علمية تحت مسمى «موسوعة الفيصل» تجمع فيها أسئلة مسابقة مجلتنا الاثيرة «الفيصل» وأجوبتها، منذ العدد الأول، مرتبة وفق الموضوعات. من المؤكد أن هذا العمل سيكون إضافة جديدة للخدمات الجليلة التي تقدمها الفيصل لقرائها.

صبحي أحمد إبراهيم
حلب - ص.ب ٩٢١٥ - سورية
أحمد بن عبدالله الرقيبة
مكة المكرمة - ص.ب ٢٥٠٨

الجانب الفني لمجلة «الفيصل» في تحسن مستمر، فالإخراج أصبح ممتازًا؛ بل متميزًا، وكذلك الطباعة. ولكن لدي ملاحظة، وهي: أن بعض الأعداد تتفكك أوراقها وتنفرط، وهذا يعرضها للضياع، فأرجو أن تنبهوا القائمين على أمر الطباعة بضرورة تجويد ضغط كعب المجلة وتثبيت الملازم. ذلك لأن مجلة «الفيصل» ليست كغيرها من المجلات الأخرى التي ينتهي مفعول موضوعاتها عقب القراءة الأولى، فالفيصل بموضوعاتها المحكمة تعد مصدرًا مهمًا للمعلومات، بل مرجعًا يعتمد عليه، ويحرص كل قارئ متابع على حفظ أعدادها للرجوع إلى الموضوعات المختلفة من وقت لآخر.

محمد غادري
الخرطوم - ص.ب ٦٨١٧ - السودان

يهود الدونمة .. من هم ؟

المقالات التي يكتبها د. حسن ظاظا عن اليهود متميزة، وتنطوي على زاد ثقافي، ومعرفي.. ولكن مخازي اليهود كثيرة، فهم لهم اليد الطولى في كثير من مشكلات العالم، ومآسي الإنسان. أرجو أن يعرج بنا د. ظاظا على أشهر الطوائف اليهودية ليزداد قراء «الفيصل» معرفة بخفاياها، كما أرجو أن يفرد بعض المقالات عن يهود الدونمة بخاصة، وتأثير هذه الفئة في الماضي والحاضر.

حمدون أبو كبير
الشارقة - دولة الإمارات العربية المتحدة.

«البريد» زاوية تستقبل فيها المجلة رسائل القراء، ويمكن أن ترد على بعضها، وتترك الردّ على البعض الآخر للقراء
يمكن أن تقوم المجلة بتحرير بعض الرسائل من أجل مساحة الصفحة، أو لزيادة الإيضاح
فقط الرسائل التي ترد بعناوين وأسماء ترسل باسم المحرر (زاوية بريد المجلة) ص.ب(٣) الرياض ١١٤١١

إطلالة

المثقف



على الرغم من أن الاختلاف الكبير حول تعريف مصطلح الثقافة قد ألقى بظلاله على تعريف المثقف، فإن في الإمكان الوقوف على بعض الخصائص التي يتصف بها، وذلك بإمعان النظر في التعريفات المختلفة له، التي تحمل قواسم مشتركة تنبئ عن هذه الخصائص والصفات، وتفصح عن الأدوار والمسؤوليات التي ينبغي أن يضطلع بها.

ولعل الوعي بالذات وبالمجتمع أهم ما يميز المثقف، مما يؤهله ليكون تصورًا شموليًا عن مجتمعه والمؤثرات التي يتعرض لها، ومن ثم يختلف ـ مثلاً ـ عن العالم الذي تقتصر معرفته على مجال تخصصه، دون أن يكون له حظ من الثقافة يعينه على إدراك الأفكار والتصورات التي يعج بها المجتمع.

ويخول هذا الوعي بالذات والمجتمع للمثقف التعبير عن قضايا عصره ومشكلات مجتمعه بصدق وفعالية، حتى يمكن تصويره بالمرآة التي تنعكس عليها صورة مجتمعه بكل ما فيه من سلبيات وإيجابيات. كما يتيح له إدراكه تقديم تصور للمستقبل في ضوء استقراء معطيات الواقع، والقراءة العميقة لنتاج الماضي وعبره. وهو حين ينفذ بفكره إلى آفاق المستقبل يأخذ في الحسبان شبكة العلاقات التي تربط بين فئات مجتمعه وتلك التي تصل مجتمعه بالمجتمعات الأخرى. وهكذا فإن على المثقف أن يتصف بعمق الفكر وثقابة الرأي، مما يهيئ له القدرة على تحليل الأفكار والأحداث وتفسيرها، وإبداع أفكار جديدة تستلهم ثوابت قيمه ومعتقداته، وتفيد من المشترك الإنساني العام في الثقافات الأخرى. ولا يتسنى ذلك للمثقف ما لم يرتبط بمجتمعه ارتباطًا وثيقًا، ييسر له النفاذ إلى أعماق قضاياه ومشكلاته، وترتيبها حسب الأوليات، ومن ثم يكون قادرًا على النقد الموضوعي للماضي والحاضر، الأمر الذي يترتب عليه طرح تصورات واضحة للمستقبل، وكل ذلك يعني وجود تفاعل حيوي دائم بين المثقف ومجتمعه، وتواصل إيجابي لاينقطع بينهما.

هذا التصور المبسط لدور المثقف في المجتمع يقودنا إلى محاولة النظر إلى واقع المثقف في عالمنا العربي والإسلامي لعلنا نقف على بعض الأسباب والمعوقات التي تحول دون اضطلاعه بالدور المنوط به على الوجه المأمول.

يكشف الواقع عن قلة تأثير المثقف العربي في مجتمعه، وتقلص دوره حتى يكاد يبدو هامشيا، وذلك نتيجة لجملة من الأسباب، منها ما يتعلق بالمثقفين أنفسهم، ومنها ما يتعلق بالمجتمع وأحواله وظروفه التي يعايشها. أما فيما يتعلق بالمثقفين فإن أكثر ما يسترعي الانتباه؛ هو ذلك الميل الواضح في كثير من الأحيان إلى إثارة قضايا لاتتصل بالواقع بأواصر قوية تسوغ وجودها على بساط النقاش والتداول؛ لأنها إما أن تكون غير ضرورية وملحة؛ بل قد تكون منعدمة الصلة أساسا بالواقع، وإما أن تكون غريبة المنبت لا قيمة للنقاش والحوار حولها في واقعنا العربي والإسلامي، لأنها تهم مجتمعات أخرى لم تتوان في تداولها في حينها، حتى وصلت فيها إلى نتائج وقناعات راسخة، ومن ثم فإن إحياءها في مجتمع لا يعايش الظروف والأحوال التي كانت أساسا لوجودها، ومسوغًا لتناولها، يعد مضيعة للوقت وإهدارًا للجهود والطاقات التي يمكن توظيفها في إثراء الحوار حول قضايا حيوية أكثر إلحاحًا تتعلق بواقع المجتمع وتطلعاته.

ومن مظاهر هذا الخلل كذلك أن القضايا الحيوية حين تجد طريقها إلى الطرح يتم التركيز فيها على الفروع بدلاً من الأصول، الأمر الذي يؤدي إلى الإغراق في التنظير الذي لا طائل من ورائه، وافتعال مواقف للخلاف، يغلب عليها الانفعال، مما يطمس ملامح القضية الرئيسة، ويحيد بها عن المسار الطبيعي الذي كان ينبغي أن تسير فيه، ومن ثم تكون النتيجة مزيدًا من الخلاف بين المثقفين، في حين تظل القضية الرئيسة دون معالجة حقيقية. ويزيد من حدة الخلاف بين المثقفين أن الجدل بينهم حول القضايا الرئيسة للمجتمع يتم عبر منابر مختلفة لا صلة بينها، كما لو كانت جزرًا منفصلة، فلا يسمع كل فريق إلا رجع صداه، فيتحول الحوار بذلك إلى نوع من ممارسة الترف الفكري، بدلاً من أن يكون أسلوبًا لتبادل وجهات النظر في إطار من الاحترام المتبادل، ووسيلة لإغناء الفكر وإثراء الساحة الثقافية بالجديد والمفيد من الأفكار والطروحات، دون أن يكون اختلاف الرأي مدخلاً للخصومة والعداء بين المثقفين. وقد نجم عن افتقار الحوار بين المثقفين إلى الموضوعية إلى وقوف قطاعات المجتمع الأخرى موقف المتفرج من الطروحات التي لاتستجيب لاحتياجاتها، ولاتجيب عن تساؤلاتها، ولاتعبر عن معاناتها وهمومها، مما يقودها إلى السلبية، والتشكيك في كل ما يُطرح. ويؤدي بالمثقف إلى الانغلاق على الذات، والاكتفاء بالتنظير في إطار الفئة التي ينتمي إليها، وتجاهل الآراء المخالفة له، حتى تفضي به هذه العزلة إلى التوهم بأنه صاحب الرأي الأصوب دائمًا، مصادرًا بذلك كل رأي لايصادف هوى في نفسه.

ومما يعمق اغتراب المثقف عن مجتمعه استخدامه لغة لا تتواءم وثقافة الجمهور المستهدف من الرسالة التي يريد إبلاغها، فهذه اللغة قد تتسم بالمباشرة فتتخذ صيغة جافة للتوجيه والإرشاد توحي بالقسر وفرض الرأي، مما يحمل هذا الجمهور على النفور وتجاهل مضمون الرسالة مهما كانت قيمتها، كما أن لغة الخطاب الثقافي قد تميل إلى استعمال مفردات ومصطلحات يتطلب استيعابها مستوى ثقافيًا لايتوافر للجمهور العام المقصود بذلك الخطاب. ومن جهة أخرى فقد يعمد المثقف إلى تبسيط آرائه وأفكاره حتى يعيها من هم دونه في الثقافة والفكر، فيأتي التبسيط بصورة مخلة لاتؤدي إلا إلى مزيد من الإرباك وسوء الفهم، لأنه قد يخلط المفاهيم ويشوه الأفكار، بحيث تذوب الفوارق بينها، فتفقد بذلك معانيها ومدلولاتها. وتكتسب قضية إيجاد اللغة المناسبة للخطاب الثقافي أهميتها بسبب ما عند الجمهور العام من تصور مسبق عن عدم قدرته على الارتفاع إلى مستوى لغة المثقفين، ومن ثم إقباله على طروحات قليلة القيمة الثقافية متدنية اللغة. ولعل استخدام المثقف للألفاظ والتراكيب الموغلة في الغرابة يعمق العزلة بينه وبين من يقصدهم برسالته. ويعني ذلك كله أن على المثقف أن يتحرى الدقة في اختيار اللغة المناسبة للتخاطب مع من يقصدهم بالرسالة التي يوجهها، حتى تحقق الهدف المتوخى منها، ولكي يكون جسر التواصل ممدودًا بينه وبين مجتمعه أخذًا وعطاءً.

فإذا كان على المثقف أن يدقق في اختيار اللغة التي تحمل رسالته الثقافية، فإن من الأوجب أن

ورسالته الغائبة

يتطابق أسلوب حياته مع طرحه النظري، حتى يكتسب المصداقية لدى المتلقي، لأن أي تناقض بين التنظير والتطبيق، يفرغ الرسالة الثقافية من مضمونها، ويجعل أثرها عكسيًا.

وقد يكون ذلك مرد رواج بعض المقولات السلبية عن واقعنا، مثل مقولة: «إن الإسلام محجوب بالمسلمين»، على الرغم مما لدينا من قيم وتجربة فذة عكست ضمير الأمة ووجدانها، وأسهمت في عملية بناء العقل والمعرفة. وهذا المثال الذي ساقه مالك بن نبي في كتابه «مشكلة الثقافة» يجسد الواقع الذي نحياه، فهو يقول: «فمن الملاحظ أن طالب الطب المسلم الذي يذهب لتلقي علومه في إحدى العواصم الأوربية يحصل على (الدبلوم نفسه) الذي يحصل عليه زميله الإنجليزي مثلاً. بل إنه كثيرًا ما يتفوق عليه إذا كان أكثر استعدادًا وذكاءً، لكنه لايحصل غالبًا على فاعليته، أعني طريقة سلوكه وتصرفه أمام مشكلات الحياة الاجتماعية. وليس لدينا سوى وجه واحد لتفسير الاختلال، هو أن الفاعلية الاجتماعية لاعلاقة لها بمنهج الكلية، وإنما تعتمد بصفة عامة على أسلوب الحياة في مجتمع معين، وعلى السلوك الذي ينتجه الفرد كيما ينسجم مع هذا الأسلوب، فإذا ما مضينا لمواجهة مشكلة الثقافة، وجدنا أنفسنا نواجه ضمنا مشكلة أسلوب الحياة، ومشكلة السلوك الذي ينسجم معها».

وهذا المثال يؤكد أنه لايمكن الحديث عن مشكلة الثقافة دون التطرق إلى أسلوب الحياة والسلوك، وفي هذا الإطار لابد من الإشارة إلى بعض التحديات التي تواجه المثقف العربي، وتعوقه عن أداء رسالته، والتي تنبع أساسا من ظروف المجتمع.

ومن هذه التحديات ضآلة فرص النشر في ظل ارتفاع تكاليف الطباعة، وقلة المؤسسات الثقافية التي تتبنى نشر الكتب الجادة في مجالات المعرفة المختلفة، مع غياب المعايير الموضوعية للانتقاء والاختيار التي تضع حدودًا واضحة بين الغث والسمين، وعزوف الناشرين عن المجازفة بنشر الكتب القيمة التي قل الإقبال عليها كثيرًا مع انتشار أجهزة الإعلام المرئية التي يغلب عليها طابع الترفيه والتسلية، وبخاصة إذا أخذنا في الحسبان ارتفاع نسبة الأمية في عالمنا العربي والإسلامي، مما يحول دون التواصل الفاعل بين المثقف وقطاعات كبيرة من المجتمع؛ لأن المادة المقروءة تمثل الجسر الرئيس للثقافة الجادة، ولاشك أن تزايد أعداد الأميين يفقد هذا الجسر فاعليته، ويجعلهم في الوقت نفسه أسرى لما يعرف بالثقافة الإعلامية أو ثقافة المسابقات التي تقدمها أجهزة الإعلام المرئية والتي تتسم بالسطحية وعدم الترابط. ولايعني ذلك خلو هذه الأجهزة من برامج ثقافية هادفة، ولكن المشكلة الأساسية في أنها لاتسلم من التشويه والسطحية؛ لأنها في الغالب تُقَدَّمُ بين خضم من الإعلانات التجارية المكرسة لثقافة الاستهلاك، التي تزيل أي أثر قد تتركه هذه البرامج، لما تتميز به تلك الإعلانات - التي تدعمها وكالات إعلانية عالمية ضخمة - من فنيات إبهار عالية تشتت ذهن المتلقي، وتصرفه عن الرسالة الثقافية المقدمة، وترغمه على التركيز على الرسالة الإعلانية التي تبدو - في هذه الحالة - كما لو كانت المادة الرئيسة، بينما تبدو الرسالة الثقافية فقط كإطار لها.

ويزيد من مأزق المثقف العربي في تعامله مع أجهزة الإعلام أن نسبة ٤٠ - ٦٠٪ من مواد هذه الأجهزة تستورد من خارج الحدود، وهي بالطبع تعبر عن ثقافة مغايرة، وتُقَدَّمُ في شكل فني جذاب، فيقتضي التعامل معها وجود وعي وإدراك كبيرين عند المتلقي، ومن البدهي أنهما لايتوافران له في ظل الأمية السائدة، مما يعني تقبله لما يقدم له، واقتناعه السريع به، لتفقد بذلك الجهود الثقافية للمجتمع أي أثر لها، ولتكون النتيجة سيطرة قيم تتناقض وقيم المجتمع، ومن ثم تتعمق أزمة المثقف والمجتمع معًا.

ويدفع هذا الاتجاه المرسخ لثقافة الاستهلاك على حساب الثقافة الجادة الهادفة المثقف العربي إلى عدم التفرغ للعمل الثقافي والفكري، ويضطر في كثير من الأحيان إلى العمل في مجالات تبعد كثيرًا من ساحته، مما يهدر كثيرًا من وقته وجهده، ويعوقه عن متابعة مايستجد في هذه الساحة من أفكار ومذاهب وفلسفات وقضايا، فيقف تحصيله الثقافي عند نقطة معينة يكون التطور الذي يطرأ في المجالات الثقافية كافة في كل لحظة من لحظات حياتنا قد تجاوزها، وهذا ما عناه د. زكي نجيب محمود في كتابه «هموم المثقفين» بقوله: «فالأمية ماتزال ثابتة الجذور في أرضنا، تقف حائلاً دون سرعة التطور مع تطور العالم السريع، وهي عندنا على درجات، بادئة من أمية القراءة والكتابة على مستوى الألف باء، وصاعدة إلى أمية بين المتعلمين لاتتيح لهم أن يتابعوا الفكر الجديد».

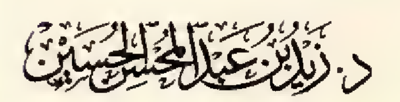
إن استقراء مكونات واقعنا ومفرداته يشير إلى أنه يخلو من بواعث استفزاز المثقف، وتحريضه لكسر الرتابة التي تتحكم في جوانب حياتنا كلها، فأسلوب حياة المجتمع يؤثر كثيرًا في نمط تفكير المثقف الذي ينتمي إليه. فلا تتملك المثقف روح المحاكاة والتقليد إلا في مجتمع راكد، يرضى بتداول أفكار غيره من المجتمعات، ويقبل بلا أدنى تفكير الحلول الجاهزة التي تفتقت عنها أذهان الآخرين، والتي ترسخ الركود وتكرسه.

وتحريك هذا الركود لايكون إلا بسريان روح نقدية واعية في المجتمع، تحفز إلى تقليب الأمور على أوجهها المختلفة، والنظر بعمق إلى الأفكار والطروحات، ومن ثم تنبذ المعوج منها، وتحرض على إبداع أفكار وطروحات بديلة تتسم بالجدة والفاعلية، وتدفع بالمجتمع إلى آفاق جديدة.

ولاتتدعم هذه الروح النقدية ولاتسري إلى دواخل النفوس والعقول إلا بحركة علمية نشطة تستوعب معطيات العصر وتفاعلات الأفكار والتصورات في الأصعدة كافة، وتدفع إلى إعمال العقل بأقصى طاقاته، حتى يستطيع أن يبدع الجديد في مجال الفكر والعمل. فالعلم يجدد شباب الفكر، ويفتح للعقل دُنى أبكارًا، يقتحمها الإنسان ويطوعها لتحقيق ما يصبو إليه من تطور وتقدم. كما أن الفكر يمنح العلم إطاره الذي يعمل فيه، ومن ثم يتكامل الاثنان حتى لايمكن تخيل وجود أحدهما في غياب الآخر. وهكذا فإن عالمنا العربي والإسلامي في مسيس الحاجة إلى عمق في الفكر واستتباب حركة علمية دؤوب تتابع بوعي كل ما يستجد في مجالات العلوم والمعارف.

وهما - أي العلم والفكر - يقتضيان تواصلاً مستنيرًا مع الماضي بكل ما يزخر به من نتاج في مجالات الفكر والعلم والعمل، ومجاراة مستمرة بعيون مفتوحة وعقول واعية وواثقة لكل ما يطرأ من تطور في حقول الإبداع الفكري والعلمي والتطبيق العملي عند الآخرين.

إذن، فإن الوعي بالذات وبالمجتمع وبالعالم من حولنا يعد الأساس الذي يرتكز إليه المثقف حتى يقوم بدوره المنوط به كما ينبغي، وكما يأمل كل مجتمع يتطلع إلى أن يعيش عصره بكل زخمه وإبداعه.



مفهوم جديد للفقر والغنى

ثمة رؤية جديدة لتصنيف العالم من حيث الثراء والفقر، فإذا كان المفهوم السائد حاليًا لتصنيف الدول يعتمد على تقويم الموارد الاقتصادية؛ فإن قطاعًا كبيرا من الخبراء والمحللين يرى أن المستقبل أصبح مقسمًا بين (الأغنياء بالمعلومات والفقراء فيها)، وذلك في ضوء ما يشهده العالم حاليا من تحول فائق السرعة إلى مجتمع عصر المعلومات. عددنان عضيمة تناول دور الحاسوب الشخصي في الانفجار المعلوماتي الذي بدأ يعيد تشكيل المجتمعات وصياغتها وفق أسس جديدة.

(طالع ص١٣)

لغة المكان: الصمت البليغ



يبتكر الإنسان خلال مسعاه لتوكيد كينونته وطبيعته الاجتماعية أدوات ورموزًا ترمي إلى إزالة ما قد يبدو تناقضًا بين الفردية والجماعية. وتختلف هذه الأدوات والرموز باختلاف الحضارات، وتبعا لنوعية الثقافة التي تحكم الممارسات وتؤطر سلوك الفرد واستجاباته، وتعبيره عن إحساسه بفرديته وانتمائه الاجتماعي. وفي هذا الإطار يتميز المكان ببعد خاص تندرج فيه مجموعة من الإشارات التي تشكل لغة خاصة صامتة، ومعبرة ـ في الوقت نفسه ـ عن معان عميقة في دواخل الإنسان، مما أدى إلى انبثاق علم خاص يمكن تسميته بـ «علم المكان» PROXEMIE.

د. محمد المصطفى ناقش أبعاد لغة المكان وانعكاساتها على علاقات الفرد والجماعة.

(طالع ص ٤٠)

التاريخ رأي العين



مثلما أن التاريخ يُقرَأ مكتوبًا في بطون المجلدات، فهو أيضا يُشاهَد في المواقع التي شكلت محاور رئيسة في مجريات الأحداث، وحددت مساراتها ووجهتها. فالمواقع الأثرية شواهد حية نابضة تفصح عن أسرار مكنونة وتفاصيل دقيقة، وعندها تتدافع إلى الذاكرة شخوص التاريخ ووقائعه.

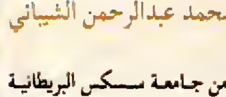
د. رفاه محمد كامل استعرضت ـ من خلال المعطيات السابقة ـ تاريخ «قلعة الحصن» في سورية

(طالع ص٨٤)

رئيس التحرير

د. زيد بن عبدالمحسن الحسين

من كتاب العدد



د. خضر محمد عبدالرحمن الشيباني

- من مواليد المدينة المنورة ١٣٦٦هـ.
- حاصل على الدكتوراه في الفيزياء من جامعة سسكس البريطانية ١٣٩٧هـ.
- عمل محاضراً بجامعة الملك سعود (١٣٩١هـ)، ثم عضواً بهيئة التدريس بالجامعة (١٣٩٧هـ)، فرئيساً لقسم الفيزياء (١٤٠٣-١٤٠٤هـ)، ثم نائبًا للملحق التعليمي ببريطانيا، فملحقًا تعليميًا للشؤون الأكاديمية ببريطانيا (١٤٠٤-١٤٠٧هـ). وهو الآن عضو هيئة التدريس في جامعة الملك سعود بالرياض.
- عضو اللجنة التأسيسية لأكاديمية الملك فهد في لندن.
- له مقالات عديدة منشورة في الصحافة المحلية، وصدر له كتاب بعنوان «الضمير الذي اغتالوه»، كما أن له عدة بحوث ومؤلفات في مجال تخصصه.



د. محمد المصطفى

- من مواليد دمشق، سورية ١٩٤٨م.
- حاصل على دبلوم في الترجمة، ودبلوم في علم الألسنيات (اللغويات)، ونال الدكتوراه في الجيوفيزياء التطبيقية، ويحضر حاليًا لنيل درجة الدكتوراه في علم الألسنيات وموضوعها «دراسة المحادثة في القرآن الكريم».
- عمل جيوفيزيائيًا في وزارة الري السورية، ثم معيداً في قسم اللغة الفرنسية بجامعة دمشق، وأستاذاً في قسم اللغة العربية بجامعة بوردو الفرنسية. ويعمل حاليًا مدرسًا في المعهد الأوربي للعلوم الإنسانية بفرنسا.
- شارك في العديد من المؤتمرات العلمية، مثل: مؤتمر تعريب المصطلحات العلمية، جامعة دمشق ١٩٨٠م، المؤتمر السابع لاتحاد الجمعيات الجيولوجية الأوربية، فرنسا ١٩٩٣م، مؤتمر عن الطفولة، بوردو ١٩٩٤م، ثم مؤتمر عن تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها، فرنسا ١٩٩٤م.
- عضو في الجمعية الجيولوجية الفرنسية، والجمعية الأوربية للجيوفيزيائيين.
- من مؤلفاته ودراساته: «السوابق واللواحق في اللغة الفرنسية ومقابلاتها باللغة العربية» «دراسة لغوية للقصة القصيرة: غي دو موباسان مثالاً»، «دراسة تعابير الرحلة في الأدب الجاهلي».



عبدالعزيز بن محمد السالم

- من مواليد السعودية ١٣٨٦هـ.
- حاصل على درجة البكالوريوس في اللغة العربية وآدابها، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ١٤٠٩هـ، ويعد لنيل درجة الماجستير في قسم البلاغة والنقد ومنهج الأدب الإسلامي بالكلية نفسها.
- عمل في التعليم بوزارة المعارف، ويعمل حاليًا معيداً في القسم نفسه.
- عضو الجمعية السعودية للعلوم التربوية والنفسية، وعضو النادي الأدبي بالرياض.
- له مقالات أدبية ونقدية منشورة في الصحافة السعودية.



م. علي جمعة الخويلد



- من مواليد حلب، سورية ١٩٦٥م.
- نال الإجازة في الهندسة المدنية من جامعة حلب، وحصل على دبلوم دراسات عليا في علم الآثار من معهد التراث العلمي العربي بجامعة حلب.
- يعمل مهندسًا في وزارة المواصلات السورية.
- عضو الجمعية السورية لتاريخ العلوم.
- له مقالات منشورة في الصحف والمجلات السورية والعربية.

تلسكوب الفضاء
هابل
ورصد جديد للكواكب القريبة

م. سليمان القرطاس

يُعَدُّ تلسكوب الفضاء هابل من أكبر المشروعات الفضائية؛ إذ تولت مسؤوليته وكالة الفضاء والطيران الأمريكية (ناسا) بمشاركة وكالة الفضاء الأوروبية، وكان هدف المشروع إطلاق مركبة عبارة عن تلسكوب كبير لرصد النجوم والكواكب تدور حول الأرض في مدار.

وعانت الصور الأولى للتلسكوب من التشوه نتيجة زيغ المرآة المقعرة الرئيسة للتلسكوب، الأمر الذي دعا ناسا لإطلاق مكوك الفضاء في مهمة لتصحيح النظام البصري فيه (طالع العدد ٢١٠ من «الفيصل» ص٨٦).

وبعد هذه العملية واصلت الجهات العلمية الاستفادة منه.

ومن الأهداف المهمة التي تم تحقيقها أخيرا مراقبة الكواكب السيارة في المجموعة الشمسية.

المريخ

أربع سنوات (أو سنتان مريخيتان) من الرصد القيم لتلسكوب الفضاء هابل للكوكب الأحمر أشارت إلى معلومات مغايرة لما كان معروفًا سابقًا.

فالمعلومات المتوافرة سابقا استندت إلى ما أرسلته المركبة (فايكنج) في منتصف السبعينيات، وأشارت إلى أن كوكب المريخ كوكب غير مستقر تسرح فيه العواصف الرملية كيف تشاء، ويبقى فيه الغبار لفترة غير عادية، وهذا الغبار من النوع الدقيق، وهو بحجم دقائق الدخان.

إلا أن الأرصاد التي تم تسجيلها بوساطة التلسكوب هابل أشارت إلى انخفاض شامل لدرجات الحرارة على الكوكب موازنة بالتسجيلات السابقة، كما أن جوه أصبح أكثر صفاءً من ذي قبل.

ويفسر أحد المختصين ذلك من خلال كون القياسات التي أرسلتها المركبة فايكنج بجزئيها ـ الذي اتخذ مداراً حول الكوكب والمسبار الذي هبط على سطحه ـ تمت خلال ظروف غير اعتيادية، بينما يؤكد الكثيرون الحاجة إلى الرصد المستمر للمريخ بوساطة هابل لأن المركبات العابرة تعطي نظرة أقرب، لكن من الصعوبة جعلها تعمل لمدة طويلة، لذلك فهي لا تحقق الرصد المستمر.

ومما زاد في تثبيت الافتراض المستند إلى معلومات فايكنج قلة المعلومات التي يمكن الحصول عليها عن مناخ الكوكب من المراصد الأرضية؛ فالمراصد الأرضية غير قادرة على المراقبة إلا في حالة كون المسافة بين الأرض والمريخ أقرب ماتكون، وهذا يحدث مرة كل عامين، بينما ما تم من خلال هابل ـ بالرغم من تعدد الاستخدامات له ـ يعادل رصداً أرضياً لمدة ١٥ عامًا. كما تُمكِّن معلومات هابل من مراقبة الفصول أيضا، أما

صورة لكوكب المريخ (٢٥ فبراير ١٩٩٥م) يظهر فيها القطب الشمالي للكوكب المغطى دائماً بجليد ثاني أكسيد الكربون والماء (المصدر NASA)

عندما يكون المريخ قريبًا من الأرض فإن دقة الصور الملتقطة من هابل تكون أقرب إلى صور القمر الصناعي للأرصاد الجوية عند التقاطه صوراً للأرض.

المريخ وثقب الأوزون

ومن خلال هابل درس الباحثون ما إذا كان المريخ يعاني من انخفاض تركيز الأوزون في غلافه الجوي مما يشابه ظاهرة ما يسمى بثقب الأوزون في الغلاف الجوي للأرض (الأوزون غاز تتكون جزيئاته من ثلاث ذرات أكسجين، يتشكل نتيجة تأثير الأشعة فوق البنفسجية الواردة من الشمس في أكسجين الغلاف الجوي)، وأشارت الدراسة إلى عدم وجود نقص في الأوزون؛ بل إن هناك فيضاً في الأوزون فوق القطب الشمالي للمريخ موازنة بما سجلته المركبة مارينر عام ١٩٧١م (لايمكن الاستدلال من هذه الظاهرة والاستنتاج منها لما يحدث على الأرض للاختلاف الكبير بين العمليات الكيماوية المؤثرة في تكوين الأوزون وانحلاله في المريخ والأرض).

ومن خلال أجهزة التلسكوب وميزاتها في تسجيل الأطياف في مدى الأشعة فوق البنفسجية، فإنها تعد مثالية لقياس نسبة الأوزون في الغلاف الجوي للمريخ، وتعطي هذه النسبة دلالة أخرى على تحول الماء في الكوكب إلى حالة التجمد لكون بخار الماء من العوامل المؤدية إلى انحلال الأوزون.

ومن خلال الصور الملتقطة بجهاز تصوير الأجرام الباهتة المحمول في هابل اتضح أن هناك امتداداً للغاز إلى مناطق أبعد من القطب الشمالي للكوكب، إلى خطوط عرض قريبة من خط استواء الكوكب.

ومع ذلك، فإن الغلاف الجوي الرقيق للكوكب يجعل نسبة الأوزون هذه غير كافية لحجب الإشعاعات الضارة عن الكائنات الحية، وتجعل بيئة الكوكب غير مشجعة على بناء مستعمرات بشرية فيه بالإضافة إلى درجة الحرارة المنخفضة على سطحه.

ويعد كوكب المريخ من أكثر الكواكب السيارة التي تخضع للفحص من قبل الباحثين لشبهه بالأرض. فالمريخ ينحرف عن محوره بمقدار مقارب للأرض، وتظهر عليه تغيرات الفصول، لكن الغلاف الجوي للمريخ أرق كثيراً من الأرض، لذلك فهو حساس للتغيرات البسيطة في مقدار الحرارة أو الضوء القادم من الشمس، ويزداد ذلك وضوحاً بسبب المدار الأكثر بيضية من مدار الأرض حول الشمس.

وقد انخفضت درجة الحرارة على كوكب المريخ بمعدل ٢٠ درجة مطلقة (٣٦ درجة فهرنهايت)، حيث سُجِّلَت أعلى درجة حرارة من قبل المركبة فايكنج في أشد أيام الصيف بـ (- ١٤) درجة مئوية، بينما بلغت في الشتاء (- ١٢٠) درجة مئوية، وهذا يجعل بخار الماء في الطبقات الدنيا للكوكب عبارة عن سحب من بلورات ثلجية تُرى بوضوح من صور المقراب هابل.

لكن هذه السحب لم تنل اهتمام أحد عندما ظهرت في الصور التي التقطتها المركبة فايكنج، لكونها قليلة في ذلك الحين، لكن يعتقد الآن أنها تؤدي دوراً مهمّاً في نقل الماء بين القطبين الشمالي والجنوبي خلال السنة.

كما يعتقد - على نطاق واسع - أن الرياح الفصلية تؤدي دوراً مهمّاً في نقل الغبار عبر سطح الكوكب، وتسبب تغيراً سريعاً لمظاهر المواقع المختلفة على الكوكب، وهذا ما جعل المختصين في علم الفلك يظنون - حتى وقت قريب - أن التغير في لون سطح الكوكب ناتج من ظاهرة نباتية خلال دورة الفصول.

وكما يظهر من صورة هابل ، فإن عواصف النصف الجنوبي للكوكب قد نظفت سطح الجزء الجنوبي للكوكب من الغبار الناعم ونقلته إلى الشمال، وجعلت الجزء الجنوبي أكثر تعرية وأقل عكساً لأشعة الشمس.

الزهرة: لا أثر لانفجارات بركانية جديدة

أعطت الصور الأخيرة الملتقطة

بوساطة التلسكوب هابل وبجهاز جودارد عالي الوضوح فرصة جديدة لالتقاط أي مظهر من مظاهر الفعالية البركانية على سطح الكوكب.

فالصور الرادارية التي أرسلتها المركبة ماجلان لسطح كوكب الزهرة أظهرت عدداً كبيراً من البراكين، لكنها لم تجد أي دليل قاطع على وجود بركان فعال منها.

ومن خلال صور هابل يمكن الحصول على معلومات عن التغيرات التي قد تكون ناشئة من فعالية بركانية، فملاحظة وجود ثاني أكسيد الكبريت في جو الكوكب قد يكون إشارة إلى وجود فعالية بركانية.

ومن خلال المركبة «بايونير فينوس» التي أرسلت مسباراً إلى داخل الغلاف الجوي للكوكب تم استشعار هذا الغاز، وهذه النسبة مستمرة في الانخفاض من خلال الرحلات اللاحقة، مما يدعو بعض الباحثين إلى استنتاج عدم حدوث ثورات بركانية كبيرة خلال السنوات القليلة الماضية.

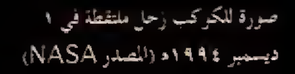
وهذا الغاز من خلال اندفاعه لأعلى في جو الزهرة المكفهر يتحلل من خلال أشعة الشمس ليتحول إلى أمطار حمضية من حامض الكبريتيك.

الكويكبات: تفاصيل عن الطبقات الصخرية

تم أخيرا التقاط صورة للكويكب «فيستا» من قبل التلسكوب هابل، وهو أحد أكبر الكويكبات التي تشغل موقعًا مداريا بين المريخ والمشتري، وكان يعتقد أن هذه الكتل الصخرية عبارة عن كوكب واحد تحطم خلال العصور الغابرة.

وصور الكويكب فيستا التي التقطها تلسكوب الفضاء هابل هي أفضل صور تلتقط لهذا الكويكب حتى الآن، وهذا الكويكب صغير موازنة بأي كوكب من كواكب المجموعة الشمسية؛ إلا أنه أكبر من الكويكبات الأخرى، مثل أيدا وجاسبارا التي صورها المسبار جاليلو في رحلته إلى كوكب المشتري، فهذا الكويكب يمتاز بسطحه المعقد ذي التفاصيل المتنوعة.

صورة لكوكب المشتري بعد سقوط الكتلة الكبيرة، وتظهر فيها كنقطة سوداء تحيط بها دائرة سوداء (المصدر NASA)



صورة للكوكب زحل ملتقطة في ١ ديسمبر ١٩٩٤م (المصدر NASA)

والنتيجة الأكثر أهمية لهذه الصور، هي أنها كشفت بوضوح أن هذا الكويكب الذي قطره ٥٢٥ كيلو مترا يمتلك قشرة صخرية بقطر حوالى ٥٠ كيلو متراً، تليها مادة صخرية أكثر كثافة مكونة من حمم متجمدة مشابهة لتلك المكونة لباطن الأرض، الأمر الذي يضعف الافتراض السابق القائل أن هذه الصخور ناتجة من تحطم كوكب نتيجة اصطدامه بجرم آخر في أزمنة سحيقة.

إلا أن هذا الكشف لايعني أن جميع الكويكبات تمتلك هذه الخاصية، فبعض الكويكبات الأصغر حجما مثل أيدا وجاسبارا عبارة عن كتل صخرية متحطمة من كويكبات أكبر حجما.

كوكب المشتري: اصطدام مذنب شوميكر ليفي

تم من خلال صور التلسكوب هابل التي التقطت في نهاية العام الماضي تمييز ٢٠ جسماً يتألف منها مذنب شوميكر ليفي - ٩، تجعله يظهر كسلسلة من اللآلئ. ويتراوح قطر أكبر القطع بين (٢-٤) كيلو مترات محاطة بغازات وغبار بعد أن اقتنصته جاذبية المشتري الهائلة، وتوقع الباحثون أن يؤدي اصطدام المذنب بجو المشتري إلى انفجار يعادل ١٠٠ مليون طن من الديناميت، وليس عشرة أضعاف ذلك كما يظهر من الصور الأرضية، لذلك يتوقع عدم تأثر الأرض بذلك.

وقد أشارت الدراسات إلى أن هذا المذنب قد اقتُنصَ من قِبَل جاذبية المشتري عندما اقترب إلى مسافة حوالي ١٫٤ من قطر كوكب المشتري في ٨ يوليو ١٩٩٢م، ونتج من هذا الاقتناص تحطم المذنب إلى قطع، بسبب جاذبية المشتري الهائلة التي تعادل ٣١٨ مرة جاذبية الأرض. وهو يدور بسرعة كبيرة في مدار ينخفض باستمرار، وينتهي باصطدامه بالغلاف الجوي للمشتري، وتدخل الكتل الصخرية الغلاف الجوي خلال مدة سبعة أيام بسرعة (٦٠) كيلو متراً في الثانية معلنة بداية ظاهرة فلكية فريدة.

وكانت آخر صورة للمذنب قد أشارت إلى أن قطع المذنب قد أصبحت ٢١ قطعة بعد تحطم إحداها إلى جزءين، أما المصدر الحقيقي للمذنب فهو غير مؤكد حتى الآن.

ثلاث صور ملتقطة للكوكب نبتون (١٠، ١٨ أكتوبر و ٢ نوفمبر ١٩٩٤م) تظهر التغير السريع في جو الكوكب (المصدر NASA)

وأظهرت الصور الملتقطة من قبل تلسكوب الفضاء هابل الانفجارات التي أحدثتها كتل المذنب المختلفة، فقد ولَّد دخول الكتلة العاشرة يوم ١٧ يوليو ١٩٩٤م أكبر الانفجارات وأكثرها أثراً في سطح الكوكب، حيث صوَّرَ التلكسوب نقطة سوداء بقطر ٢٥٠٠ كيلو متر تحيط بها حلقة من المادة الداكنة بقطر ١٢٠٠٠ كيلو متر ناتجة من انفجار الكتلة.

تلسكوب هابل يلتقط صورة دقيقة للكوكب زحل

كما حقق تلسكوب الفضاء هابل صورا دقيقة التفاصيل للكوكب ذي الحلقات (زحل)، تظهر فيها صورة للإعصار على سطح الكوكب بشكل رأس سهم أبيض بالقرب من خط الاستواء للكوكب ناشئة من هواء أسخن متدفق إلى أعلى مشابه للسحب الركامية الأرضية.

وهذه الصورة تم التقاطها بوساطة جهاز التصوير ذي الزاوية الواسعة في ١ ديسمبر ١٩٩٤م، عندما كان زحل على بعد ٩٠٤ ملايين ميل من الأرض، وتم تشكيل الصورة من عدة صور بمرشحات ضوئية مختلفة استغرقت ٦ دقائق، وتم استخدام الحاسوب لتعويض الفرق بين الصور ودوران الكوكب.



صورة لكوكب الزهرة بالأشعة فوق البنفسجية (٢٤ يناير ١٩٩٤م) تظهر فيها سحب من حمض الكبريتيك (المصدر NASA)

والصورة واضحة بما يكفي لتظهر الريح السائدة في الكوكب على شكل إسفين محشور في الجهة اليسرى للسحابة، ومن خلال القياسات، فقد أظهرت صور هابل أن سرعة الريح السائدة هنا هي ١٠٠٠ ميل في الساعة، وهي مقاربة لما سجلته المركبة فويجر بين عامي ١٩٨٠ و ١٩٨١م.

والسحب الركامية التي يحملها الإعصار مكونة من بلورات ثلجية من النشادر ناشئة من صعود الغاز إلى طبقات جوية عالية باردة.

وسبق للتلسكوب هابل تصوير إعصار مشابه أكبر حجمًا على كوكب زحل في سبتمبر من العام الماضي.

الفيصل العدد (٢٢٨) ص ١٢

ويسجل ظهور بقعة جديدة على كوكب نبتون

يدهش الكوكب الأزرق المخضر البعيد الملبد بالغيوم «نبتون» الباحثين مرة أخرى بظهور بقعة كبيرة في الجزء الشمالي منه، وهذا الاكتشاف يتم بوساطة تلسكوب الفضاء هابل.

فقد سجل هابل - قبل عام - تقريبا اختفاء البقعة الداكنة في نصف الكرة الجنوبي للكوكب التي سجلتها المركبة فويجر - ٢ أثناء مرورها قرب الكوكب عام ١٩٨٩م.

والبقعة الجديدة، قد تكون في موقع معاكس تمامًا لموقع البقعة السابقة، التي صورتها فويجر، والصورة الجديدة التي التقطها هابل أظهرت غيومًا ذات ارتفاع كبير حول البقعة، مكونة من غازات متدفقة حولها، وتتكون من غيوم من بلورات جليد الميثان.

يقول أحد الباحثين: «كوكب نبتون كوكب شديد التغير والفاعلية، ونحن نلاحظ ذلك منذ إطلاق تلسكوب الفضاء هابل، ويبدو أنه يتغير تغيرا شاملاً خلال بضعة أسابيع».

ويعتقد الباحث نفسه أن البقعة هي فجوة في غيوم الميثان التي تغطي الكوكب، وتجعل رؤية الطبقات المنخفضة من جو الكوكب ممكنة.

ويؤكد ذلك الرياح المتدفقة في جو الكوكب موازنة ببقعة المشتري الحمراء الكبيرة، التي تشابه بقعة نبتون في الحجم، لكن بقعة المشتري ما تزال مستقرة في المشاهدة منذ أن صنع جاليلو المقراب ونظر فيه إلى السماء وراقب المشتري وتوابعه الكبيرة.

ويشير المسؤول عن هذه الدراسة إلى أن دراسة الفعالية في جو كوكب نبتون قد تساعد في فهم أفضل لجو الأرض، بقوله: «إن السلوك غير المعتاد من نبتون قد يساعد في وضع نموذج للتيارات الجوية وهو أمر قد يظهر أحد الأمور الخافية».

فالطاقة من الشمس هي المحددة لنظام التغيرات الجوية الأرضية، لكن الأمر مختلف في نبتون؛ فهذا الكوكب يشع من الطاقة ما يساوي حوالى مرتين ونصف الطاقة الباهتة الواردة من الشمس.

أحد الافتراضات لتفسير هذه التغيرات في الكوكب أن ذلك ناتج من أن الغيوم تسخن من الأسفل من ذلك المصدر الحراري القوي، وأن تغيرا بسيطا في الفرق بين درجة الحرارة في أعلى الغيوم وأسفلها قد يؤدي إلى تغير كبير وسريع في تيارات الغلاف الجوي.

ومنذ مرور فويجر قرب الكوكب في عام ١٩٨٩م، لم يستطع الباحثون مراقبة الغلاف الجوي للكوكب والتغيرات التي تطرأ عليه من المراصد الأرضية عمليًا بسبب قلة وضوح الأشكال الداكنة.

وليس للباحثين أي جواب عن احتمال استمرار هذه التغيرات، أو إلى متى، إلا أنهم يأملون متابعة المراقبة من خلال التلسكوب هابل.

أورانوس

والصورة الأخيرة ملتقطة للكوكب أورانوس في نهاية عام ١٩٩٤م تظهر فيها التوابع التي تدور حول الكوكب الذي يبعد ٢٫٨ مليار كيلو متر عن الأرض في ذلك التاريخ، ومن خلال الصورة تم الحصول على تفاصيل لم يسبق الحصول عليها إلا من خلال المركبة فويجر - ٢ عام ١٩٨٦م ومنها الحلقات المضيئة المحيطة بالكوكب.

وتدور هذه التوابع بسرعة كبيرة حول الكوكب تفوق بكثير سرعة دوران القمر حول الأرض، ونتيجة لكون الصورة مكونة من ثلاث صور تفصل بينها ست دقائق، فإنها تظهر التوابع كثلاث نقاط متقاربة، وهي معلومات مشابهة لمعلومات فويجر.

المصادر:

مجموعة من النشرات العلمية صادرة عن SPACE TELESCOPE SCIENCE INSTITUTE بتواريخ متعددة بين عامي ١٩٩٤م و ١٩٩٥م.

دور الحاسوب الشخصي في صياغة مجتمع عصر المعلومات

عدنان عضيمة

أصبحت ثورة المعلومات التي تعزى إلى الحاسوب أعمق أثرًا من الثورة الصناعية، حتى إنَّ تأثيرات الحاسوب في تغيير الأسس الاجتماعية والحضارية غدت بادية الوضوح في مجالات حياتنا كافة: في المؤسسات الحكومية والمكاتب وقطاعات النقل والتجارة والزراعة والتصميم الهندسي والثقافة والعلوم وفي حياتنا الشخصية نفسها. ولم يعد بإمكان أحد أن يتراجع عن هذه الثورة لأن في ذلك نزوعًا إلى إعادة الزمن إلى الوراء، وضربًا من ضروب العبث. وعلينا جميعًا أن نتدارك مافاتنا من زخمها، وأن نسعى إلى التحكم في عناصرها إذا كنا ننشد أن يكون لنا موضع قدم في مسيرة التطور الحضاري المتسارعة.

عندما حل عهد الثورة الصناعية في العصور الوسطى، فإنها شقت طريقها بسرعة نسبية. ففي خلال أقل من قرن من الزمان تبدل المجتمع البشري تبدلا جذريًا. وكانت الحياة بين عامي ١٨٩٠و١٩٢٠م تتسم بشعور البهجة ببداية عهد استخدام الكهرباء والهاتف والمذياع والسيارة والطائرة. وكما هو الحال بالنسبة للثورة الصناعية؛ فإن ثورة الحاسوب تقود المجتمعات البشرية كافة في هذه الآونة نحو تغيرات جوهرية في طريقة الحياة ولربما في أسلوب التفكير. وهذه الثورة تشق طريقها وتعمق آثارها الاجتماعية على نحو من السرعة يفوق بكثير ذلك الذي رافق الثورة الصناعية.

فهل هي ثورة في بداية الطريق أم أنها أشرفت على الانتهاء؟

يرى معظم المحللين أن ثورة الحاسوب لاتعرف لها نهاية، ولا يشكُّون في أنها ستستمر خلال القرن القادم على الأقل.

نشوء مجتمع عصر المعلومات

إن الحاسوب ليس صرعة أو (موضة) يتقبلها الناس لفترة محدودة ثم يتناسونها، بل هو جهاز تجاوز مرحلة الاختبار والقبول، إنه الجهاز الذي يعيد تشكيل المجتمعات وفق أسس جديدة ومتينة.. أسس راسخة من النوع الذي لايُعتقد أن الزمن سيؤثر فيها على المدى القريب.

ووفقًا للمفاهيم الاقتصادية التقليدية، يقال إن أحجار الزاوية في الاقتصاد ثلاثة: الأرض والعمل ورأس المال. وهذه المفاهيم تعرضت الآن للكثير من التحدي والتغير بعد أن أصبحت للاقتصاد أربعة أسس: الأرض والعمل ورأس المال والمعلومات. والمجتمع العالمي يتحوَّل في هذه الآونة بسرعة فائقة من المجتمع الصناعي إلى مجتمع المعلومات. بل قل إنه في مرحلة انتقال من عصر العمل الجسدي إلى عصر العمل الذهني، من عصر استغلال القوة العضلية إلى عصر استغلال القوة العقلية. وهذا يحاكي ماحدث عندما انتقل الناس من المزارع إلى المصانع في مستهل عصر الثورة الصناعية.

الحاسوب من أجلك

إن الحاسوب الشخصي، الذي يدعى أيضًا الحاسوب المصغَّرMicrocomputer، هو من الصغر بحيث يمكن وضعه على الطاولة. ولقد شُبِّه الحاسوب الشخصي بمجموعة ضخمة من الموسوعات التي تغني المنزل أو المكتب بالمعلومات، ولايتعدى ثمنها بضع مئات من الدولارات، ولقد قيل أيضًا: «لقد أصبح

في مقدورك أن تساعد طفلك على بناء مستقبله بما يعادل ثمن دراجة!.

ولعل النجاح الهائل والمتزايد الذي تسجله أسواق الحواسيب الشخصية باطّراد يعكس بصدق أهميتها في حياتنا. ففي البيت، لم يعد الحاسوب مجرد أداة للتسلية؛ بل تعدى ذلك إلى ضبط الحسابات المصرفية وكتابة التقارير والرسائل، وتعليم الرياضيات والعلوم العامة واللغات الأجنبية وتصميم الأشغال الفنية والتعريف بحالة الطقس ودرجة الحرارة والرطوبة، والتذكير بالمواعيد والأعياد والمناسبات. والعديد من الناس أصبحوا يستخدمون الحواسيب أيضًا في أداء أعمالهم، سواء كانوا موظفين يجلسون على المقاعد من الساعة التاسعة إلى الساعة الخامسة، أو كانوا يديرون المزارع. والحواسيب الشخصية ذات فائدة هائلة في مجال كتابة الرسائل والتقارير والتنبؤ بالتغيرات الطارئة في الأسواق المالية والاقتصادية، وإنشاء الملفات وتصنيفها وحفظها، ورسم الخرائط والمخططات وكتابة الأخبار السياسية والثقافية والعلمية وتبويبها. وبشكل عام، لابد أن يرتبط مستوى أدائك لوظيفتك الراهنة أو المستقبلية - مهما كان نوعها - بمدى اعتمادك على الحاسوب الشخصي في أدائها، وبمقدار براعتك في استخدامه والاستفادة منه. ولعله من الواضح أن مستخدم الحاسوب الشخصي ليس من الضروري أن يكون من حملة «الدكتوراه»، ذلك أنه أصبح بمقدورنا جميعًا استخدامه.

ولكن هل نحن جميعا سعداء حقًا بهذا الجهاز المعقد؟

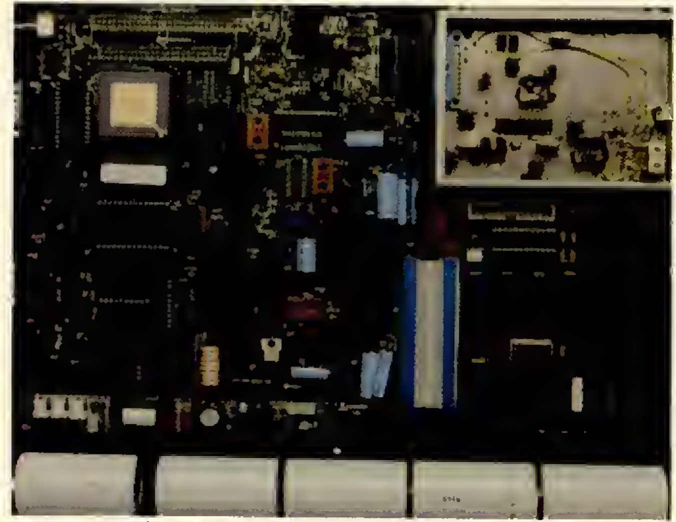
لا تقلق من الحاسوب!

لقد برزت إلى الوجود - مؤخرا - بعض المصطلحات الجديدة التي أفرزها انتشار الحواسيب الشخصية في المجتمع مثل (الرُّهاب الحاسوبي) Computer Phobia أو الخوف من الحاسوب [عكسه حبّ الحاسوب Computer Phylia، ومن أنواع الرُّهاب الأخرى رُهاب الماء Hydro phobia]. فالناس عادة مايخافون الأشياء التي يجهلونها، ويتوانون ويتقاعسون بفطرتهم عن فهمها والتلاؤم معها. حتى الناس المنخرطون في صلب مجتمع الأعمال المهتمون بالحواسيب في أداء أعمالهم اليومية يشعرون بنوع من المرض النفسي يدعى (الرُّهاب التنظيمي) Cyberphobia الذي يمكن تبسيط مفهومه بكل دقة بالقول بأنه يعني (الخوف من الحاسوب). وبعض موظفي المكاتب لايتوانون عن التعبير عن استيائهم من الحواسيب. وفي الحالات الأكثر خطورة لهذا المرض يمكن تمييز المصابين بالرُّهاب التنظيمي من غيرهم تمامًا من خلال أعراض المرض الشبيهة بأعراض «دوّار البحر» و«ارتفاع ضغط الدم»!.

فما الذي يخافه هؤلاء؟ إن بعضهم يصاب بالقلق والعُصاب من الوقْع الرياضي لكلمة «حاسوب»، ويبدو لهؤلاء أن إجادة استخدامه لايمكن إلا أن تكون مقصورة على أولئك الأشخاص القلائل الذين يكتنزون المهارات التحليلية في العلوم الحسابية والرياضية. وفي الحقيقة - كما نشاهد عمليًا من حولنا - فإن استخدام الحواسيب وتشغيلها يزداد سهولة ويسرًا مع الزمن؛ مما جعلها متاحة أمام أعداد متزايدة من الناس.

ولقد أثبتت الإحصاءات الحديثة أن عدد الذين يعانون من مرض الرهاب الحاسوبي آخذ في التناقص بسبب التبسيط المستمر لأساليب استخدام الحواسيب الشخصية وانتشارها المتزايد نتيجة الانخفاض التدريجي المسجل في أسعارها. ولعل الأهم من ذلك كله هو الإشارة إلى ظهور أجيال جديدة ومتزايدة من الأطفال الذين نشأوا على حب استخدامها دون عقد.

وعلى كل إنسان أن يعلم أنه لم يعد من السهل عليه أن يخوض معركة الحياة العملية وهو لايعرف أي شيء عن الحواسيب. ذلك أن الاطلاع على أسرار الحاسوب وتأثيراته في التغيرات الاقتصادية والاجتماعية من شأنه أن يكون دافعًا قويًا لكل إنسان للولوج في



لوحة الدارات CIRCUIT BOARD في حاسوب شخصي متطور





غرفة التحكم في مصنع لرقائق الألنيوم في أمريكا تم إدارته التامة بواسطة الحواسيب الشخصية حتى اشتهر باسم: (مصنع بلا ورق!)

عالمها وتعلم تشغيلها واستخدامها، دون أن يطلب أحد منه أن يصبح خبيرًا بها. وهذا يحاكي الفرق بين أن يقرأ كتابًا عن مبدأ عمل السيارة وبين أن يصبح ميكانيكيًا.

ويرى خبراء الحاسوب والمحللون الاجتماعيون وحتى السياسيون بأن المستقبل أصبح مقسمًا بين الأغنياء بالمعلومات والفقراء فيها. لأن الحاسوب هو مصدر هذه المعلومات ومخزنها. ونحن نقترب بخطى متسارعة من العصر الذي سيصبح فيه الناس الذين لادراية لهم بتقنيات تشغيل الحواسيب في مرتبة أولئك الأميين الذين لا يعرفون القراءة والكتابة اليوم. وهناك فجوة تزداد اتساعًا بين الأغنياء بالمعلومات والفقراء فيها. والأطفال الذين ينشأون في مجتمع غني بالمعلومات يصبحون أكثر قدرة وعزمًا على دخول عالم الحواسيب والاستفادة منها. وهؤلاء الأطفال عادة مايرتادون مدارس تملك الإمكانات اللازمة لشراء الحواسيب والتدرّب عليها. وبالإضافة إلى ذلك، سوف يكون بمقدور الأطفال في الدول ذات الدخل الفردي المرتفع أن يملكوا أجهزة الحواسيب في بيوتهم، مما يسهل عليهم الإلمام بطرق استخدامها في المدارس. وأما الأطفال الذين يعيشون في الدول الأكثر فقرًا فإنهم لن يفوزوا بحظ تسخير الحواسيب في عمليتهم التعليمية. ولهذا فإن فجوة اجتماعية أخرى تزداد اتساعًا بدأت بتقسيم شعوب العالم وفقًا لقدرتها على نشر علوم الحاسوب في مدارسها ومعاهدها وامتلاكها لنواصي القدرة على الاستفادة من تقنية المعلومات والتحكم فيها.

واقترح بعض السياسيين في الولايات المتحدة مشروعًا طموحًا يرمي إلى تحقيق التجانس الاجتماعي فيما يتعلق بالمساواة في حقوق التلاميذ كافة في الاستفادة من الحواسيب والتدرّب على تشغيلها. وكان من المفترض أن يتم تمويل المدارس والمعاهد كافة لشراء الحواسيب لطلابها، ولم يوضع هذا المشروع موضع التنفيذ الفعلي حتى الآن بسبب الفاتورة المالية الضخمة التي يتطلبها تنفيذه.

والمبتدئين في تعلم الحاسوب يشعرون بصعوبة المهمة في بداية الأمر؛ بل إن بعضهم يشعر بالصدمة والإحباط لأنهم عادة مايقعون على دروس ومعلومات لم يكونوا يتوقعونها قبل بداية دروسهم، حيث كانوا يظنون أن الأمر لايعدو أن يكون أكثر من مجموعة من جولات اللعب والمرح الشبيهة بألعاب «الفيديو». وهم عادة مايفاجأون باللغة الخاصة المستعملة في تعليم دروس الحواسيب، التي تختلف أيما اختلاف عما اعتادوا أن يسمعوه في دروس الفيزياء أو الجغرافيا. لكن الكثيرين ممن امتلكوا نواصي العزيمة والإرادة نجحوا في هذه المهمة كل النجاح، فلماذا لا تكون أنت واحدًا منهم؟

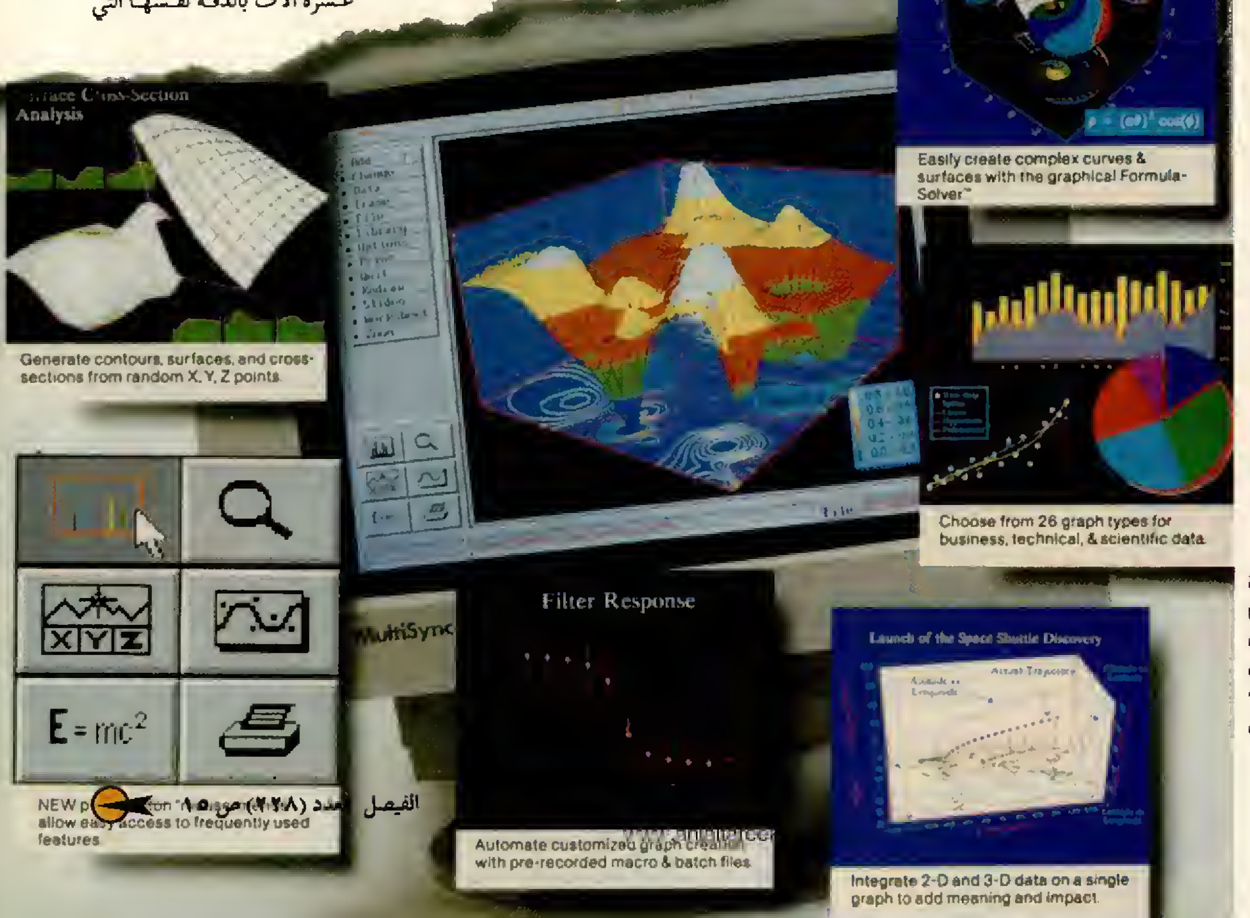
0 51111 12513 7

الشفرة العالمية: UNIVERSAL PRODUCT CODE للمتوج خطوط سوداء متوازية تطبع على العلب والقطع المعروضة للبيع ويمكن للمسبار الحاسوبي في الأسواق الكبرى أن يقرأها ويحدد سعرها وتاريخ إنتاجها.

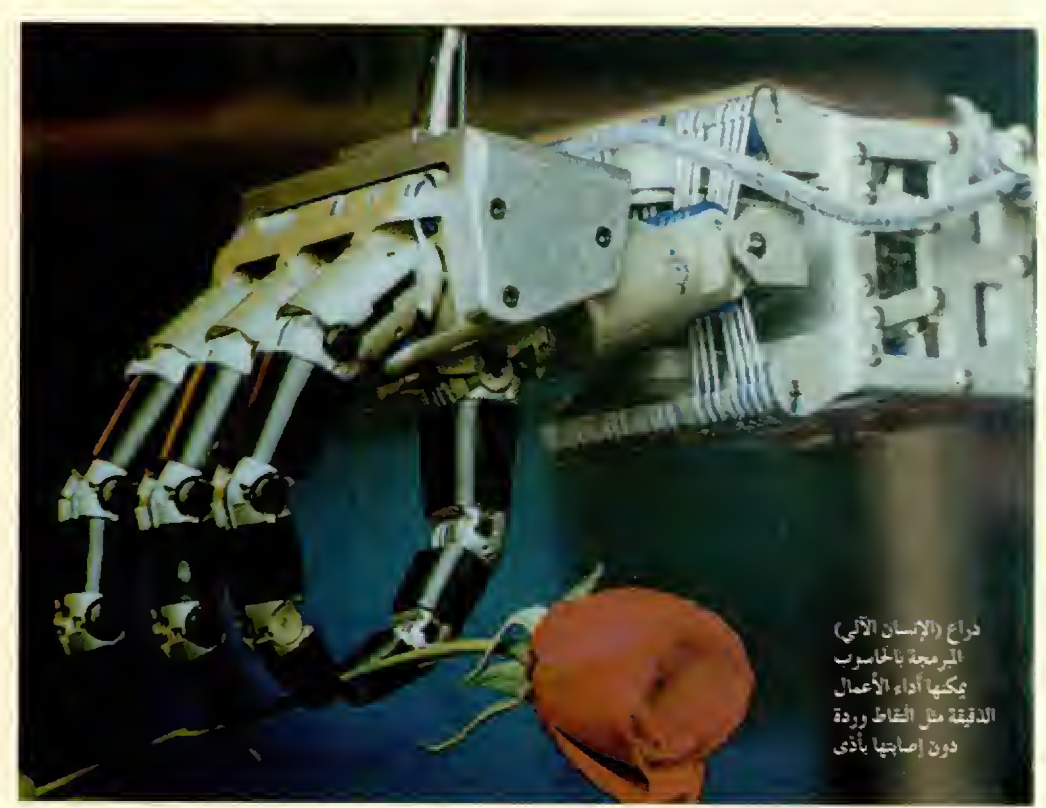
طبيعة الحواسيب وميزاتها

أصبحت الحواسيب الشخصية شائعة في كل مكان هذه الأيام، في المخازن والسيارات والمنازل والمكاتب والمستشفيات والبنوك. فما الذي يجعلها مفيدة إلى هذا الحد؟

إن الحاسوب «حصان عمل» بمقدوره العمل لمدة ٢٤ ساعة في اليوم دون أن يطلب زيادة في الأجر أو وجبة الإفطار! وهو يقوم بإنجاز العملية رقم عشرة آلاف بالدقة نفسها التي



أصبحت البرامج التطبيقية الجاهزة من أهم الأدوات المساعدة في تطوير البحث العلمي بوساطة الحاسوب الشخصي



ذراع (الإنسان الآلي) المبرمجة بالحاسوب يمكنها أداء الأعمال الدقيقة مثل التقاط وردة دون إصابتها بأذى

أنجز فيها العملية الأولى دون تذمر أو شعور بالتعب والإرهاق.

وهناك ثلاثة أسباب أساسية جعلت من الحواسيب أجهزة لا غنى عنها في حياتنا:

السرعة: لقد أصبحنا نعيش في عصر لايمكن الركون فيه إلى الأداء البطيء للأعمال. وأصبح الحاسوب يساير حاجة الإنسان إلى الأداء السريع لأعماله. ومن ثم، فإنه لولا سرعة الأداء التي يتميز بها الحاسوب لما أمكن تلبية الحاجات المتزايدة للناس لصرف الصكوك البنكية وحجز تذاكر السفر على الطائرات ودفع فواتير الهاتف والكهرباء، بالإضافة إلى العديد من الحاجات الأخرى. كما أن سرعة الحاسوب جعلت منه جهازاً مثالياً لمعالجة المقادير الهائلة من البيانات التي أصبحت تتدفق إلى مراكز الإحصاء ومختبرات البحوث العلمية.

المصداقية: تتميز الحواسيب بمصداقيتها العالية. وبالطبع ليس من المنهجية في شيء الوقوف عند ما دأبت بعض الصحف على نشره حول مايسمى بـ«أخطاء الحواسيب». ومما يؤسف له أنه مامن واحدة من هذه الصحف كلفت نفسها وسع الإشارة إلى أن مثل هذه الأخطاء إنما هي من فعل الإنسان وليست من فعل الحواسيب نفسها. ولكن من الحق أن يقال بأن الحواسيب تخطئ أحياناً، ولكن معظم أخطائها يعود إلى الناس الذين يبرمجونها أو يشغلونها.

القدرة على التخزين: إن في مقدور أنظمة الحاسوب أن تختزن مقادير هائلة من المعلومات والبيانات. وهذه البيانات المخزونة يمكن استرجاعها بسرعة وفعالية هائلتين. وتكتسب قدرة الحواسيب على التخزين أهمية خاصة في مجال السعي نحو النجاح في دخول عصر المعلومات.

وهذه الأسباب الثلاثة: السرعة والمصداقية والقدرة على التخزين، تعد من الميزات الأساسية للحواسيب، ولكن هناك فوائد أخرى للحواسيب لاتقل عنها أهمية سنتطرق إليها في بقية حديثنا هذا.

استخدامات الحواسيب

إن الأعمال التي يمكن للحواسيب إنجازها هي من الكثرة بحيث لايمكن أن يتسع لها خيالنا. وإليك قائمة بأهمها:

التخطيط والتمثيل البياني: لعله لايوجد مجال تتضح فيه أهمية الحاسوب بمثل ماتتضح في مجال التخطيط والتمثيل البياني. وبالطبع، لا يسعنا في هذه العجالة أن نقوم بمجرد تعداد فوائد استخدام الحواسيب في هذا المجال، ونكتفي بالتطرق لنماذج عامة وشائعة لهذه الفوائد. فلقد أصبح «الحاسوب الفنّان» معروفاً في الطب؛ حيث يقوم المسبار Scanner الموصول إلى الحاسوب بإنتاج صورة مجسمة وملونة للدماغ للمساعدة على تشخيص المرض (انظر: «أحدث التقنيات الطبية»، مجلة الفيصل، العدد ٢٢٦ لشهر ربيع الآخر ١٤١٦هـ - سبتمبر ١٩٩٥م). ويستعمل الكيميائيون الحيويون الحواسيب لتفحّص تركيب الجزيئات والمورِّثات في الأبعاد الثلاثة. كما يستعمل المهندسون المعماريون الحواسيب لإنشاء مخططات مجسمة للمباني التي يقومون بتصميمها، حتى أصبح بمقدورهم استظهار غرفها وردهاتها على شاشة الحاسوب والتجول فيها من الداخل قبل أن يشرعوا في بناء حائط واحد منها، كما أصبح بإمكانهم تصور الأضرار المتوقعة التي يمكن أن تنجم عن الهزات الزلزالية الافتراضية من مجرد تحميل الحاسوب بالبيانات التقنية المتعلقة بتسليح البيتون وأبعاد الأعمدة والبلاطات السقفية. ولقد أصبح البرنامج الحاسوبي المعروف باسم (التصميم بمساعدة الحاسوب Computer aided design) ذا أثر هائل في التطور المتسارع الذي يشهده قطاع التصميم والإنتاج الصناعي (انظر: «الحاسوب والتطور الجديد في تكنولوجيا التصميم والإنتاج»، مجلة الفيصل، العدد ٢٢٣ لشهر محرم ١٤١٦هـ - يونيو ١٩٩٥م).

التجارة: لقد أصبحت معظم المنتوجات المعلبة، كشرائح وعلب اللحوم المحفوظة والأدوات.. إلخ، تحمل على أغلفتها سمات خاصة مطبوعة تدعى الشفرة العالمية للمنتوج Universal Product Code، وهي خطوط سوداء متوازية مختلفة السمك يمكن لمسبار الحاسوب في الأسواق الكبرى أن يقرأها ليحدد من طريقها سعر القطعة. وهذه الشفرة باتت واحدة من أهم الاستعمالات المنظورة للحواسيب في التجارة وأكثرها شيوعاً بالرغم من وجود الكثير غيرها. واليوم، أصبح الحاسوب يؤدي دوراً لا غنى عنه في تنظيم توزع القطع والأدوات والآلات والمواد على رفوف المخازن والمستودعات العصرية الضخمة.

النقل: تعال نتخيل معًا حال إحدى شركات تأجير حاويات النقل البحري دون الاعتماد على الحاسوب. فكيف ستتعقب حركة آلاف الحاويات المتنقلة بين موانئ العالم؟ وكيف ستحدد في كل لحظة ما يمكنها تأجيره منها في ميناء محدد؟ لاشك أن مثل هذه الشركات تصبح عاجزة تمامًا عن تسيير أعمالها من دون الحاسوب. وهذا أيضًا هو حال مؤسسات نقل المسافرين؛ كشركات الطيران والنقل بالقطارات والحافلات، حيث سهّل الحاسوب كثيرًا من إجراءات الحجز وضبط مواعيد المغادرة والتوقف والوصول. كما أنه أصبح من الضرورات الأمنية؛ لأنه يقوم بضبط الحركة على الممرات الجوية والأرضية بحيث تتحاشى هذه الوسائل الاصطدام ببعضها.

الأعمال الورقية: ليس هناك أدنى شك في أن مجتمعنا أصبح يسير على الورق. وعندما ابتكر مبرمجو الحواسيب تقنية معالجة النصوص بالحاسوب Word Processing لم تجد شركات صناعة الآلات الكاتبة التقليدية بدًا من إيقاف آلاتها وصرف مستخدميها. وهذا يعود للإمكانات الهائلة التي يتميز بها الحاسوب عندما يُستخدم كآلة كاتبة جبارة. فهو يكتب النصوص بلغات مختلفة في آن واحد وبخطوط مختلفة الأشكال والحجوم ويخزنها ويصححها ويعيدها عند الحاجة، ويبدل مواضع الفقرات وترتيب الأفكار بكل سهولة وفقًا للأوامر التي يتلقاها من مستعمله. وأصبحت للحاسوب استخدامات هائلة في عالم الصحافة ونشر الكتب، بعد أن بات وسيلة ممتازة للتنضيد الضوئي والإخراج والتحكم المرن في الكتل المكتوبة وتصميم عناوين المقالات وأغلفة الكتب. ويمكنك أن تتخيل مقدار التطور الذي نجم مؤخرًا عن المزاوجة التقنية بين الحاسوب وخط الهاتف والفاكس؛ حيث أمكن إضافة خط الهاتف إلى الحاسوب ليقوم بمهمة استقبال وطباعة الرسائل المرسلة بالفاكس أو إرسال الرسائل الفاكسية. وتجدر الإشارة إلى أن الاستفادة من مثل هذه الخدمات الحاسوبية لم تعد حكرًا على الدول المتطورة وحدها؛ بل تجاوزتها حتى إلى أكثر بلدان العالم تخلفًا. وهذا يؤكد الصفة العالمية لتأثيرات الحاسوب في المجتمعات.

أعمال المال والبنوك: لقد أحدث استخدام الحواسيب ثورة حقيقية في الطرق التي تحكم حركة الأموال. ففي وقت من الأوقات كانت عملية سحب مبلغ من الرصيد الدائن في البنك تتطلب الانتظار لعدة أيام، فبعد أن تتم كتابة الشيك يودع في القسم المختص بالسحب ليبقى هناك عدة أيام ريثما يتم الكشف عن قيمة الرصيد من بين عشرات الآلاف من السجلات الورقية التي تمثل خلاصات أرصدة الزبائن. وعندما احتل الحاسوب مكانته المرموقة في عالم تنظيم أعمال البنوك فإنه جاء ليقضي أولاً على هذا الركام الهائل من الأوراق، وليجعل عملية الكشف عن الرصيد لاتستغرق أكثر من بضع ثوان. وهو يتولى أيضًا حساب الفوائد آليًا، وكان إنجاز هذا العمل فيما مضى يتطلب الجهود الهائلة نظرًا لما ينطوي عليه من تعقيدات حسابية بالغة.

الزراعة: إن الزراعة، هي قبل كل شيء، عمل يحتاج إلى الكثير من التقنين والتنظيم. والحاسوب الشخصي الصغير، الذي هو أرخص بكثير من الجرّار، يمكن أن يساعد على تنظيم ميزانية المزرعة ومتابعة تكاليف الإنتاج، وتغيرات أسعار المواد الزراعية والاطلاع على الوضعية الغذائية في العالم، واختيار المحاصيل المناسبة للزراعة، وتنظيم مواعيد رش المبيدات، وتوزيع الأسمدة، والوقوف على أعداد رؤوس الماشية، ومدى توافر العلف، بما يضمن للمزرعة النجاح الأكيد. ولقد أصبحت المزارع الحديثة - التي لم تكن تمثل فيما سبق أكثر من حقول لإنتاج الغلال - مراكز حقيقية للبحوث الزراعية بفضل استخدام الحواسيب.

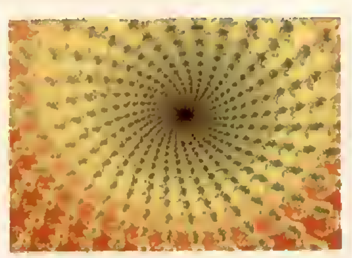
الأعمال الحكومية: تعد الدوائر الحكومية في الدول المتطورة من أكثر المؤسسات الاجتماعية استيعابًا لخدمات الحاسوب. ففي مؤسسات التأمينات

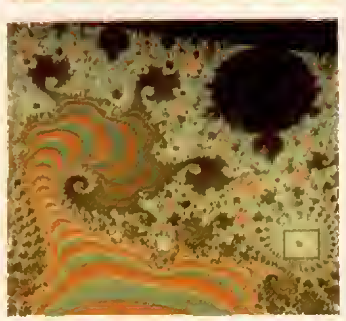


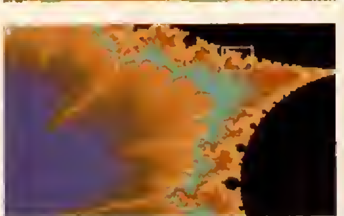
الحاسوب اللاسلكي: يستخدم سائقو الشاحنات نظاما جديدا للاتصال بشركات النقل بواسطة الحواسيب الجوّالة وعبر الأقمار الصناعية.



نظام متطور يدعى (NESC) لتشغيل شبكات الاتصالات العالمية وصيانتها بمساعدة الحاسوب







الحاسوب الفنان: هذه اللوحات الفنية الرائعة ابتدعها الحاسوب باستخدام أحد البرامج التطبيقية المتخصصة التي ترمي إلى تصور العديد من الظواهر الطبيعية والكونية وتفسيرها.



الصحية والتأمين ضد البطالة، يتطلب الأمر التعامل بمقادير هائلة من البيانات والمعلومات التي لم يعد بالإمكان إنجازها من دون استخدام الحواسيب.

والشيء نفسه ينطبق على الدوائر والمؤسسات المكلفة بالأمن الوطني وتعقب المجرمين والفارين والخارجين عن القانون، حيث تتطلب عملية تنظيم ملفاتهم كمًّا هائلاً من البيانات والمعلومات. وليست هذه إلا بعض الأمثلة القليلة عن الأعمال الحكومية العديدة التي لم يعد بالإمكان إنجازها دون الاعتماد على الحواسيب.

التعليم والتدريب: لقد دخلت الحواسيب الفصول التعليمية في المدارس الابتدائية والإعدادية والكليات في العديد من الدول المتطورة. وأصبح المدرسون، جنبًا إلى جنب مع أولياء أمور التلاميذ، على قناعة بأن الحواسيب أضحت من الأدوات الأساسية التي لايمكن الاستغناء عنها في أداء العملية التعليمية. وأصبح الآباء يتلهفون للتأكد من أن أبناءهم لم يتخلفوا عن اللحاق بقطار عصر الحاسوب.

ولقد قامت شركة «كونترول داتا كوربوريشن» CDC الأمريكية - مؤخرًا - بابتكار نظام تعليمي متكامل بوساطة الحاسوب الشخصي أطلق عليه اسم (بلاتو) PLATO. ويتألف هذا النظام من حاسوب تحكم مزود بنظام لنقل المعلومات العلمية إلى مجموعة أنظمة تحتية تتضمن «أقراص الفيديو» وأجهزة الإدخال والاسترجاع والمعالجة باللمس. ويحقق هذا النظام فائدة تعليم فصول دراسية يصل عدد طلاب الفصل الواحد منها إلى ٤٠ طالبًا بوساطة الحاسوب. ويمكن لأي طالب أن يتناقش مع أقرانه في موضوع الدرس أثناء وجوده في بيته. ولقد أصبح (نظام التعليم بمساعدة الحاسوب) CAI يقوم بتأمين الحاجات الملحّة لقطاعات الصناعة والتجارة والمهن في الدول المتطورة. فالإنفاق على التدريب الصناعي عالي التكلفة، قُدِّر بمائة مليار دولار سنويًا في الولايات المتحدة أواخر عقد السبعينيات، ولهذا فإن هذا النظام ينطوي على إمكانات هائلة لأن من شأنه تخفيض ميزانية الإنفاق على نحو مثير، بل أصبح يمثل الآن الخيار الوحيد لتحقيق مهمات تدريب العاملين في المجالات العملية كافة.

وفي الولايات المتحدة أيضًا كانت جامعة «كارنيجي - ميلون» Carnegie-Mellon أول جامعة تقرر جعل الحاسوب الشخصي الأداة الأساسية لطلابها منذ عام ١٩٨٢م. وعمدت الجامعة إلى بناء شبكة من الحواسيب الشخصية. وعندما بدأ الاستخدام الفعلي لهذه الشبكة عام ١٩٨٦م، بادر الطلاب إلى شراء حواسيبهم مثلما كانوا يشترون كتبهم فيما مضى. وأصبح الطلاب على اتصال مع فصولهم الدراسية من أي مكان يتواجدون فيه. وبهذا حقق هذا النظام فوائد عظيمة، من أهمها شعور الطالب باستمرارية العملية التعليمية بالنسبة إليه أينما كان.

لكن العقبة الأساسية التي ما تزال تحول دون تعميم نظام التعليم بمساعدة الحاسوب هي الحاجة إلى نشر الخبرة في استخدامه على أوسع نطاق بين الطلاب. وقد لايتحقق ذلك إلا بتدعيم قدرة الأجيال الجديدة من الشباب على البراعة التقنية واستخدام الحواسيب.

كما أن باقي قطاعات الحياة؛ كالصحة والطب، والتنظيم المنزلي، والتحكم في عملية التصنيع، وتنظيم المهن والحرف، وتطوير قطاعات البحث العلمي، وترقية عالم الاتصالات لا تستغني عن استعمال الحاسوب في نشاطاتها كافة.

وخلاصة الأمر أن الحواسيب أضحت أجهزة العصر التي لايمكن أن يستغني عن خدماتها إلا أولئك الذين آثروا الهروب إلى الوراء، والاستسلام لشبح التخلف المخيف، ولاشك أنك لا تحب أن تكون واحدا من هؤلاء.

المسيح المنتظر جرثومة الصهيونية



د. حسن ظاظا

لم يَرِدْ في التوراة التي بين أيدي اليهود - والنصارى أيضا - أي ذكر أو أية بشارة عن (المسيح المنتظر). وكل ماهنالك أن موسى عليه السلام قد جهز مزيجا عطريا أساسه زيت الزيتون، مضافا إليه عدة خلاصات من العطور والتوابل، عندما قرر أن يعيّن أخاه الأكبر «هارون» كاهنا مسؤولا عن الشؤون الدينية لبني إسرائيل وَهُم في التيه. فكان هذا الطقس حفلة تولية لمنصب «الكاهن الأعظم».

وانقضى عهد التوراة، ومات موسى وهارون من غير أن يصلا ببني إسرائيل إلى فلسطين - أو «أرض الميعاد» - كما تقول التوراة. ويعلق صحفي فرنسي - غير يهودي - بقوله ساخرا: إن وعد الرب لموسى لم ينفذ، ووعد بلفور لحاييم وايزمان هو الذي نفذ! وقد أشرت في مقالي السابق إلى أن «عقيدة المسيح المنتظر» لم تظهر عند اليهود إلا مع النكبة، أو مع النكبات المتتابعة منذ القرن السابع قبل الميلاد، عندما زحف جيش الإمبراطور الآشوري «سنخاريب» من نينوى بشمال العراق إلى العاصمة الشمالية لمملكة (إسرائيل) في فلسطين، وهي المملكة المتمردة على مملكة يهوذا الجنوبية التي توارثها سليمان ثم أبناؤه وأحفاده، إلى أن اجتاحتها جيوش «بختنصَّر» الكلداني المنطلقة من بابل في وسط العراق في القرن الخامس قبل الميلاد، فاقتحمت العاصمة «أورشليم/القدس» ودمرتها وساقت ملك اليهود ورعاياه أسرى إلى العراق، حول موضع يسمى «تل أبيب» أعطي اسمه لأول مستوطنة صهيونية كبيرة في فلسطين هي تل أبيب الحالية، التي ترجع إلى حوالي عام ١٩٢٩م من هذا القرن، عندما خططها المهندس الصهيوني «ديزنجوف». وهي تحمل هذا الاسم تحذيرا وتذكيرا بما كان من مصير اليهود قديما بأخذهم أسرى عند «الكفار» بسبب تفريطهم في التمسك بالأرض، والاستماتة في الدفاع عنها إلى آخر رمق من حياتهم. أما الأرض التي بُنيت عليها «تل أبيب» الصهيونية المجاورة لمدينة يافا الإسلامية المغتصبة بقوة السلاح؛ فقد كانت قطعة من الأرض المتاخمة للبحر المتوسط، تغطيها الحَلْفَاء، ويقوم فيها «المعزل الصحي» الذي يُحتجز فيه المسافرون ممن يحملون أمراضا وبائية عندما يصلون إلى ميناء «يافا». وتلك الحرب التي شنها بختنصر في ذلك الزمان البعيد بقيت خميرة حسرة وحقد وتربص للثأر ونقمة على كل شعوب الأرض حتى الآن، لأن البابليين دمّروا هيكل سليمان في القدس، وقتلوا ملك اليهود الأسير وأولاده، بعد فنون من التعذيب والتنكيل كتبها اليهود وحدهم في كتبهم الدينية، ولم تسطرها وثائق أخرى (محايدة) في أي بلد من العالم، بحيث يبقى علم ذلك عند الله. ثم توالت النكبات: احتلال الفرس لفلسطين، وتحويلها إلى ميدان قتال ضد المصريين، ثم زحف الإسكندر اليوناني على اليهود القلائل الذين عادوا من الشتات، وبنوا الهيكل من جديد، فاستيلاء الرومان قبيل العصر المسيحي على منطقة الشرق الأوسط كلها، وتدمير هيكل اليهود في فلسطين، إلى أن قام عليهم ملك مغتصب للعرش - أدومي لا إسرائيلي - وهو هيرودس الكبير، وكان متواطئا مع الرومان ليأمن شرهم، فأعاد بناء الهيكل مرة أخرى، إلى أن دمره الجيش الروماني على إثر ثورة قام بها اليهود. وحائط (المبكى) الذي يحج إليه اليهود حتى الآن ليس من جدران هيكل سليمان، ولا الهيكل الذي سمح الفرس ببنائه للنبي «نحميا»؛ ولكنه بقية من جدران هيكل هيرودس الذي رممه المسلمون الأتراك عندما حكموا فلسطين، في عهد السلطان التركي سليمان القانوني أو الأفخم، كما كانوا يسمونه.

وكان الشتات الروماني على يد الامبراطور فسباسيان وابنه تيتوس عام ٧٠م، ثم على يد الإمبراطور الروماني «تراجان»، وأخيرا - عام ١٢٥م تقريبا - أتم الإمبراطور الروماني هدويان الشتات اليهودي النهائي من فلسطين لتعود إليها هجرات الصهيونية منذ أواسط القرن الماضي. ثم نشطت الصهيونية بتأثير صحوة القوميات الصغيرة في أوربا، وظهور حركات اللاسامية المتطرفة فيها، واشتعال العداوة الصليبية ضد الإمبراطورية العثمانية التركية التي كانت تتزعم دول الإسلام، وتتزلق بسرعة نحو الضعف والفساد.

جمع شراذم الحالمين

في هذا الوقت ظهر «تيودور هرتسل» اليهودي الهنغاري ليجمع شراذم الحالمين بالمسيح المنتظر، ويرجون أن يظهر في زمانهم، وأن تحنو له رقاب البشر جميعا عندما يأخذ منهم البيعة على جبل

صهيون؛ حيث (يمسح) الكاهن الأعظم رأسه بالدهن المقدس لتتويجه (خليفة) لداود، وملكا لجميع اليهود. فكلمة (المسيح) أصبحت في خيال عوام اليهود مرادفة لمعنى (ملك اليهود). ولحسن حظنا أن المؤتمر الصهيوني الأول الذي اجتمع في قاعة اجتماعات أحد الفنادق الكبيرة بمدينة (بال) السويسرية من ٢٩ إلى ٣١ أغسطس/آب عام ١٨٩٧م كان يضم بين أعضائه الصحفي والأديب اليهودي البريطاني (إسرائيل زانجويل)؛ الذي اجتمعت له دقة ملاحظة الصحفي، وحماسة اليهودي الصهيوني، ونصاعة الأسلوب باللغة الإنجليزية التي نشر بها عدة مجلدات في وصف حارات اليهود في الشرق والغرب، جذبت القارئ البريطاني، حتى من غير اليهود. وقد كتب زانجويل مقالات ضافية في وصف وقائع المؤتمر الصهيوني الأول، ولم يفته في ذلك شيء، حتى وصف دهان الحائط في قاعة الاجتماعات، وأسماء مشاهير المؤتمرين، ونبذة عن نشاطهم في التضامن مع بني جلدتهم، وما كان من أثريائهم من مساعدة للمنظمات الصهيونية. ثم أعطى وصفا دقيقا لشكل «هرتسل» وملابسه وصوته في خطبته الافتتاحية، وكيف كانت إشراقته على المنصة، واستقبال الجمهور له. والمهم في هذا كله هو أن أحد اليهود الشرقيين ـ عراقي اسمه «بنْعَمِّي» ـ هتف عندما ظهر هرتسل على المنصة: «يعيش الملك» وقالها بالعبرية، وهو هتاف المبايعة والتتويج بعد «مَسْح» هذا العاهل بالدهن المقدس! وواضح أن «بنْعَمِّي» هذا كان يرى في هرتسل (المسيح المنتظر)!

نشأة الحلم

ومسايرة «المسيح المنتظر» عبر تاريخ الخسران والإحباط اليهودي على مدى ألفين وخمسمئة عام، عمل طويل، وشاق، ومعقد، بشرط أن نترك التوراة التي لا تقول في ذلك شيئا، ونتلمس بعض ظلال المسيح المنتظر في ماكتبه أنبياء اليهود في أزمان الاضطهاد، والانحلال الديني والخلقي، والهزائم الساحقة الماحقة. ويأتي في مقدمة هؤلاء النبي إشعياء، كان من أبلغ من نطقوا بالعبرية، ومن أوسعهم خيالا، بل يمكننا أن نقول إن خياله كان بلا حدود، وبلا ضوابط، وبلا تردد أو تلعثم أمام أغرب الصور وأشدها هولا وأكثرها عجائب وغرائب، وربما لم تعرف لغة في العالم مانسميه الآن (قصيدة النثر) مثلما عرفت العبرية في خطب إشعياء، حتى أصبح فنه نمطا قائما بذاته، ومدرسة الجيل من الحالمين المعاصرين له أو اللاحقين، أضافوا إلى مجموع نبوءاته أجزاء أخرى بحيث أصبح نقّاد الكتاب اليهودي من يهود ومسيحيين يقولون بلا تردد: إشعيا(١) أو (٢) أو (٣) أو (٤)! وكان في تهويماته يواسي قومه بمجيء ملك مؤمن ومستقيم وقوي وصانع معجزات، يتحكم في كل شيء حتى في الحياة والموت، والظواهر الطبيعية الكونية، وغير اليهود من أمم العالم. وألهم إشعياء الكثير من الحالمين بمجد بني إسرائيل، منذ زمانه إلى يومنا هذا. فمثلا ورد ذكر (المسيح المنتظر) في التلمود أكثر من خمسين مرة، عدا ما جاء في التفاسير القديمة (المدراش) وفي تأملات الصوفية اليهود (الحسيدية) وعند المشتغلين بعلوم الباطن أو بالسحر والعرافة والتنجيم. وبالطبع وجد أحبار التلمود في (شطحات) إشعياء مرتعا خصبا لأساطيرهم وثمار قرائحهم في التحليل والتأويل والتعليل. أما في

زعم التلمود أن ظهور «المسيح المنتظر» سيغطي بأهميته على بعثة موسى عليه السلام وانتصاره على فرعون!

العصر الحديث فإن الكاتب اليهودي الأمريكي الصهيوني (شُولم آش) أصدر في هذا الموضوع كتابا يعد من أجمل روائعه، عنوانه «إشعياء ـ نبي في إسرائيل» تُرجم عند ظهوره إلى عدد من اللغات الأخرى منها الفرنسية، ونُشر في باريس عام ١٩٥٣م. واشتهر هذا الأديب الصهيوني بترجمة حياة «موسى» قبل صدور كتابه عن إشعياء، ولقي الاقبال نفسه من القراء. والرجل في كلا الكتابين لم يكن مؤرخا بالمعنى الذي يقتضي علم التاريخ؛ بل كان أديبا مؤثرًا يحسن إعطاء صورة الشخص الذي يسرد قصة حياته في هيئتها «المثالية» التي تنتزع حماسة القارئ بما يبثه في ثناياها من روحانية وشاعرية، خصوصا في كتابه عن «إشعياء». وهنا نشعر أن اختياره كان ذكيا جدا؛ فإشعياء هو أهم من تنبأ في جحيم المحنة اليهودية بظهور (بطل) منقذ يفرض على العالم كله هيبة اليهود، ويثأر لهم من أعدائهم، ويكون عرشه وملكه على جبل (صهيون) في أورشليم/القدس! ولما كان المسيحيون قد وجدوا ـ من جانبهم ـ في نبوءات إشعياء ما يشعرهم بأن هذا (المنتظر) ليس إلا عيسى بن مريم عليه السلام، فقد انتشر كتاب شولم آش عن إشعياء انتشارا واسعا بين المسيحيين أيضا. مع أن أحبار التلمود قد اعترفوا صراحة بقتل عيسى (الذي شُبِّهَ لهم كما أوضحه القرآن الكريم)، إذ جاء في التلمود البابلي:

ماالسبب في الحزن الذي تشير إليه نبوءة زكريا في العهد القديم؟ حيث نقرأ: ويكون في ذلك اليوم أني التمس تدمير جميع الأمم الزاحفة على أورشليم، وأفيض على سلالة داود وعلى سكان أورشليم روح الرضا والدعاء، فينظرون إليّ أنا الذي طعنوه، وينوحون عليه كما يناح على الابن الوحيد! ويتفجعون عليه كالمتفجع على الابن البكر! (زكريا ١٢، ١٣).

ويجيب التلمود بقوله: إن التلمودي «دوسا» لايتفق مع غيره من الأحبار حول هذه النقطة، فيقول: السبب في ذلك أن المسيح بن يوسف (يعني عيسى عليه السلام) يُقتل!! وأما الأحبار الآخرون فيعللون ذلك بأن روح الشر ستمحى. أما تعليل الشيخ الأول فمعقول جدا، لأن زكريا قال في سفره قبل هذا ماأراده من أن يفيض على سلالة داود وسكان أورشليم روح الرضا، إلخ... فإذا جمعنا رأيه إلى رأي الآخرين تبين ماأوضحه الشيخ التلمودي (إيلائي) الذي قال: سيأتي يوم يأخذ القدوس جل ثناؤه بروح الشر فيقطع رأسه، على مرأى من الأبرار والفجار. أما الأبرار فيرونه في ضخامة جبل شامخ، فيتساءلون وهم يبكون: كيف تغلبنا على هذا الجبل الشاهق؟ وأما الفجار فيرونه مثل الشعرة فيقولون وهم يبكون: كيف عجزنا عن مقاومة هذه الشعرة؟ (التلمود البابلي ـ باب عيد الظلل ـ ٥١ب). والمدهش لنا هو بقاء اعتراف اليهود الصريح في هذا النص بجريمة (قتل المسيح بن يوسف)، فأين كان الفاتيكان النصراني عندما وافق على تبرئة اليهود من قتل المسيح، في مجمعه المسكوني الأخير باقتراح من الكردينال بيا؟!.

عقيدة تتغلغل على مر الأزمان

تضخمت عقيدة المسيح المنتظر منذ «تمنّاها» إشعياء، ولم يظهر له هذا المسيح، وجاءت أجيال

المسيح المنتظر
جرثومة الصهيونية

وأجيال من بعده أطلقت لخيالها العنان: ماإسمه، ماصفاته، متى يأتي زمانه؟ وكثر في ذلك كله القيل والقال، خصوصا في التلمود وثرثرة المتصوفين اليهود. أما اسمه فقد بقي سرا مجهولا إلى يومنا هذا! جاء في التلمود: سبعة أشياء خلقها الله قبل خلق العالم: ١- التوارة. ٢- التوبة. ٣- الجنة. ٤- جهنم. ٥- عرشه عز وجل ٦- هيكل سليمان ٧- اسم المسيح المنتظر (التلمود البابلي - باب عيد الفصح ٥٣).

ومنزلة هذا المسيح المنتظر الذي لا يعرفون اسمه، لها في التلمود موقع الصدارة. فهذا أحد شيوخهم يعلق على مقولة جاءت في العهد القديم نصها: وأنت يابيت لحم/ إفراتة إنك صغيرة، في ألوف يهوذا، ولكن منك يخرج إليَّ من يكون متسلطا على إسرائيل! ومخارجه منذ القدم، منذ الزمان الأزلي. لذلك يتركهم إلى أن تلد الوالدة، فيرجع سائر إخوانه إلى بني إسرائيل. ويقف، ويرتمي، بعزة الرب، وبجلال اسم الرب إلهه، فيظلون هادئين، لأنه إذ ذاك يتعاظم إلى أقاصي الأرض، فيكون السلام! وإذا أتى آشور أرضنا، ووطئ قصورنا، أقمنا عليه سبعة رعاة، وثمانية أمراء قوم. فيرعون أرض آشور بالسيف، وأرض نمرود بمداخلها، وإذا أتى آشور أرضنا، وداس تخومنا أنقذنا، وتكون سلالة يعقوب بين أمم كثيرة، كالندى من عند الرب، وكالطل على العشب الذي لا ينتظر بني آدم، ولايرجو البشر. وتكون سلالة يعقوب بين الأمم وفي وسط شعوب كثيرة، كالأسد بين بهائم الغاب، وكالشبل بين قطعان الغنم، يقتحم فيدوس ويفترس ولا منقذ، وترتفع يدك على خصومك، فكل أعدائك ينقرضون! (ميخا ٥:٢-٩) وقال اليهود إن هذا «الأسد» ليس المسيح بن مريم لأنه كان مسالما، مستسلما، وكاد اليهود أن ينقرضوا على يد الرومان، ولم يرفع يده مرة واحدة على الأعداء.

وزعم التلمود أن الرعاة السبعة المذكورين هم: داود (في الوسط) وآدم، وشيث، ومتو شالح (عن اليمين) وإبراهيم، ويعقوب، وموسى (عن اليسار)! أما الأمراء الثمانية فهم: يسّى (والد داود)، وشاؤول (أول ملك لليهود) وصمويل، وعاموس، وصُفُنيا (أنبياء يهود) وحزقياهو (ملك يهودي) وإلياس (نبي) والمسيح المنتظر (التلمود البابلي - باب عيد المظلة). هذا هو التحالف (العائلي) اليهودي للضربة القاضية! أما متى يتم هذا العمل الهائل فهو يغطي كل الأزل والأبد، منذ آدم وشيث إلى ظهور المسيح المنتظر، وكما يقول جرير للفرزدق إذ هدد بقتل مربع، راوية شعر جرير:

زعم الفرزدق أنْ سيقتل مَرْبَعًا
أبشر بطول سلامة يامربع

ومع ذلك فقد راح أحبار التلمود يعصرون قرائحهم، لعلهم يظفرون فيها بالوقت الذي يظهر فيه المسيح، وكثر اللغط والغلط في ذلك، حتى اشتهر هذا الإشكال بينهم باسم «الزمان المسيحاني»، كما صارت العقيدة في ظهور تلك الأعجوبة تسمى في مصطلحهم الديني «المسيحانية»، وغاص كل هذا الرجم بالغيب في ظلمات الخيال المشوش؛ فلا اسمه معروف، ولامكان ظهوره، ولازمانه لكن المؤكد - فيما عدا بعض الحالات الشاذة النادرة - أنه سيكون يهوديا، ومن سلالة داود، وأنه رجل وليس امرأة، أما ملابسات ظهوره وظروفها فهي بدورها مرتع واسع - لانهائي - لخيال شيوخ اليهود.

مسيح مزعوم يظهر يوميا!

شغل (الزمان المسيحاني) أذهان اليهود، دون أن يصلوا من ذلك إلى نتيجة، ومن الطرائف التي يحكيها التلمود في هذا الصدد لبيان أن ظهور المسيح المنتظر سيغطي بأهميته بعثة موسى عليه السلام وانتصاره على فرعون. قال الراوي التلمودي إن الربى (بن صُوتا) كان يعلم ذلك لتلاميذه، مستشهدا بما جاء في سفر إشعياء، إذ يقول: لاتتذكروا مامضى، ولاتفكروا في ما كان قديما، فإنني آت بالجديد الذي سيحدث الآن (إشعياء ٤٣:١٨، ١٩)، وكان يفسر ذلك بأن مامضى هو بعثة موسى وانتصاره على فرعون، وماكان قديما هو وقوع حرب يأجوج ومأجوج، أما الجديد الأهم فهو ظهور المسيح المنتظر! (التلمود البابلي - قسم العبادات). وطرفة تلمودية أخرى تقول: كان الربى هيا مدعوا هو وولداه يهودا وحزقيا إلى وليمة للترحيب برئيس اليهود في بيت المقدس الذي كان يلقب برتبته «ناسئ». وجلس الولدان ساكتين منكمشين. فأشار «الناسئ» إلى بعض الخدم ليسكب بعض الخمر في كؤوسهما، حتى يتشجعا ويشاركا في الحديث. وعملت الخمر عملها في الشابين، وبدءا يتحدثان بغزارة وثرثرة، وكان محور الحديث (الزمان المسيحاني).

فتلا الفتيان قول النبي إشعيا: قدِّسوا رب الجنود، وليكن هو مصدر فزعكم ومخافتكم، فيكون لكم قدسا ولكنه يكون صخرة هدم، وحجر عثرة لبني إسرائيل، وفخا وأُحْبولة لساكني أورشليم (إشعيا ١٣:٨، ١٤). ولما كان الناسئ أميرا على يهود أورشليم، فقد صاح بهما: لماذا تلقيان هذه الأشواك في عيني؟ وأجاب الاثنان: هوِّن عليك ياسيدي فالأمر لا يخرج عن (سرٍّ في الخمر). وأطال الشيخ التفكير فوجد أن الاسم العبري للخمر (يَين) يساوي في حساب الحروف سبعين: ياء=١٠، وباء=١٠، ونون=٥٠ فيكون المجموع ٧٠، ووجد أن كلمة سر بالعبرية (سُودْ) تساوي سبعين أيضا: سين=٦٠، واو=٦، ودال=٤، فيكون المجموع ٧٠ كذلك، وتأكد الشيوخ أن الصبيين لم يكونا قد سكرا، وأنهما عبَّرا عن أن (الزمان المسيحاني) سر مكنون (التلمود البابلي - قسم السنهدرين أي نظام القضاء).

وشد انتباهي أن هذا القسم من التلمود من أكثر أقسامه حديثا عن المسيح المنتظر، ورجح عندي أن مرجع ذلك إلى تعدد الحكم بصلب كل يهودي يدَّعي - زوراً - أنه المسيح المنتظر، وكان هذا الحكم يصدر من «السنهدرين الأعلى» إذا كانت كل أطراف القضية من اليهود، أما إن كان فيها شخص واحد غير يهودي أحيلت إلى المحكمة المدنية (اليونانية منذ فتح الاسكندر لفلسطين، ثم الرومانية مع الحكم القيصري)، وفي حالة الحكم بالموت يجب أن يصدق الوالي على ذلك حتى يصبح الحكم قابلا للتنفيذ، وقد أصدر السنهدرين الحكم بصلب المسيح عليه السلام، وحاول الوالي الروماني (بيلاطُس) أن يوجد إشكالا في التنفيذ لكن دون جدوى لشدة تعنت السنهدرين، وبخاصة في تعبئة رأي العامة من اليهود لأجل صلب المسيح، حتى احتاج الأمر إلى معجزة من الله لإنقاذه. ويذكر يوسيفوس المؤرخ اليهودي المعاصر لتلك الأحداث والمقيم إذ ذاك في فلسطين، أن ظهور (مسيح منتظر كذاب) بين اليهود كاد أن يكون يوميا. وأن إنزال مقتول من الخشبة التي

صُلب عليها عند غروب شمس اليوم الذي قُتل فيه كان أمرا عاديا لايثير اهتماما. لكن حكم السنهدرين على المسيح عيسى بن مريم أثار ضجة كبيرة، اضطر معها كُتّاب شرائع (السنهدرين) في التلمود إلى التوسع في الحوادث والقصص التي تؤكد أن (المسيح المنتظر) من المستحيل معرفة اسمه أو بلده أو عصره أو صفاته، ماعدا أنه من سلالة داود - مع قليل من الشواذ أحيانا مثل «قورش» الفارسي - وإن كان السنهدرين زعم عن بعض رواته أنه سليل داود لكن من طريق أمه روث لا مريم، وكان زوجها أدومبا من الأردن، لا يهوديا من فلسطين! كل هذا لإبعاد عيسى بن مريم من الميدان، بعد أن قال وكرر إن دينه (للناس كافة) وليس لليهود وحدهم، وأن أساسه الاعتقاد الراسخ في القلب والظاهر في الأخلاق وليس في مظاهر النفاق التي يفرضها كهنة اليهود على أنفسهم وعلى أبناء دينهم. وزعم بعض رواة السنهدرين أن جميع الحسابات الفلكية الممكنة لتحديد تاريخ ظهور المسيح المنتظر قد فاتت كلها ولم يظهر؛ لأن ظهوره من أسرار الغيب، بعد أن تكلم عن محاولة من هذا النوع في (العهد القديم - سفر النبي حبقوق). واستمر هذا التخبط في التلمود، وفي قسم السنهدرين على الخصوص، إذ قال واحد منهم إنه سيظهر في عهد الإمبراطور الإيراني «سابور». وربط بعض شيوخهم مجيء المسيح المنتظر بشيء أكثر منه غموضا يسمى عند المتأخرين من أنبياء بني إسرائيل (يوم الرب) وهو يوم رهيب: يوم انتقام الله من أعدائه - وأعداء اليهود أيضا -. ولأن التوراة لم تتحدث قط عن الآخرة فقد قال مفسرو كتب الأنبياء إن (يوم الرب) هو (يوم الحساب) أو (يوم القيامة) وسيأتي المسيح المنتظر قبله بقليل! وفي آخر قسم من التلمود البابلي وعنوانه (المقاييس والموازين) يقول بعض الأحبار إن قيثارة داود التي كان يعزف عليها مع تسابيحه (المزامير) كانت ذات سبعة أوتار، أما قيثارة المسيح المنتظر فذات ثمانية أوتار! وكأن الوتر الزائد شهادة تفضيل للمسيح المنتظر على سلفه داود!

ولايكتفي التلمود بالأشياء السبعة التي خلقها الله قبل خلق السماوات والأرض؛ بل يزيد بعض كهنتهم فيقول إن هناك عشرة أشياء خلقها الله قبل اليوم السابع من بدء الخليقة، وهو أول يوم سبت في الكون كله! والأشياء العشرة هي: ١- بئر مريم أخت موسى وهارون، قال الراوي إنها تفجرت عندما عطشت مريم، ثم سارت البئر مع الخارجين مع موسى مدة الأربعين عامًا التي قضوها في التيه! وإلا فمن أين كانوا يشربون؟ ٢- المن الذي كان جاهزا من أول يوم جمعة لخلق العالم في انتظار بني إسرائيل لينزل عليهم كالمطر وهم في سينا! ٣- قوس قزح ٤- الحروف الأبجدية ٥- القلم ٦- ألواح الشريعة ٧- قبر موسى (غير معروف) ٨- المغارة التي التقى فيها موسى بإلياس في منطقة طور سيناء (بين موسى وإلياس أكثر من ستمئة سنة!) ٩- فك الحمارة التي تكلمت بقدرة الله، وهي آتان بلعام بن باعوراء الذي لم يتكلم! ١٠- الأخدود الذي انشق في الأرض ليبتلع الفاسقين. وأضاف الربي نحميا رواية عن أبيه: ١١- النار (لأن إيقادها ممنوع على اليهود طيلة السبت) ١٢- البغل (دون إبداء الأسباب). وزاد الربي ياشيا عن أبيه: ١٣- كبش الفداء لابن إبراهيم ١٤- الماس ودودة الصخر (في الأساطير التلمودية). وأضاف الربي يهوذا: ١٥- الكماشة التي تستعمل في قلع المسامير! قال: لأن صانعها يحتاج في صنعها إلى كماشة فلابد أن تكون الكماشة الأولى من صنع الله قبل السبت الكوني الأول (والحمد لله أن الربي يهوذا عاش قبل عصر السيارات والطائرات ورحلات الفضاء)، (وكل هذا جرى ذكره في التلمود البابلي، في القسم الخاص بعيد (الفصح) وهو عيد الخروج من مصر مع موسى).

نصوص متناقضة
وأوهام تعشش في العقول!

ويطول بنا الحديث إذا استرسلنا في تفاصيل (الزمان المسيحاني) لأن ظهوره ليس مرتبطا بتعميق الإيمان بالله فحسب، ولا بالخلاص من غضبه تعالى على اليهود؛ بل بأن يتجمعوا كلهم على جبل صهيون في أورشليم، وتأتي أمم العالم خاضعة لهم بعد انتصار هذا المسيح المنتظر، ويستشهد أحبار التلمود بقول إشعياء: فلذلك، في آفاق النور، مجدوا الرب في جزائر البحر! مجدوا اسم الرب إله إسرائيل! من أطراف الأرض سمعنا أناشيد تمجيد للصدّيق: فقلت: تبًا لي تبًا لي! ويل لي! الناهبون يَنْهبون! هاهم الناهبون ينهبون! الرعب والهوة والأحبولة عليك ياساكن الأرض! فالهارب من طنين الرعب يسقط في الهوة، والصاعد من الهوة يؤخذ في الأحبولة، لأن نوافذ الأعالي قد تفتحت، وقواعد الأرض قد تزلزلت! انصدعت الأرض صدعا، حطمت الأرض حطما، رجت الأرض رجا! ترنحت كما يترنح السكران، ومادت كأرجوحة النائم! أثقلتها خطيئتها فسقطت إلى غير نهوض! وفي ذلك اليوم يحاسب الرب جند السماء في الأعالي، وملوك الأرض على الأرض، فيجتمعون كما يجمع الأسرى في المطبق، ويغلق عليهم السجن! وبعد أيام كثيرة يحاسبون، فيخجل القمر، وتخزى الشمس، إذ يملك رب الجنود في جبل صهيون وفي أورشليم، ويكون له المجد أمام الكبار! (سفر إشعياء ٢٤:١٥-٢٣). وبعد هذه الأهوال يقرأ أحبار التلمود في سفر إشعياء نفسه نبوءة عن الشمس والقمر تناقض ماجاء في النص السابق، تقول: ويكون على كل جبل شامخ وكل أكمة عالية سواق، وجداول مياه، يوم القتل العظيم، يوم تنهار الأبراج ويصير نور القمر كنور الشمس! ونور الشمس يتضاعف سبع مرات مثل نور سبعة أيام! ويجبر الرب كسر شعبه، ويشفى

استثمر شعراء الصهيونية حكايات المسيح المنتظر لحشو أذهان الأجيال الجديدة بالخرافات والخزعبلات!

جرح ضربته. إنه اسم الرب يأتي من بعيد، غضبه مضطرم، وناره حامية، وشفتاه ممتلئتان سخطا، ولسانه كشعلة محرقة، وروحه كسيل جارف! (إشعياء ٣:٢٥). وأجاب التلمود بأنه لاتناقض بين النصين في وصف الشمس والقمر، ففي المرة الأولى يكون مفهوم الحديث متصلا بالقيامة، وفي المرة الثانية يتناول (الزمن المسيحاني فقط). وإذا كان اليهودي لم يفهم، فما عليه إلا أن يصدق دون أن يفهم، وإلا...

والعجب من قوم فهموا الأسلحة الذرية وصنعوها، وفهموا عقد السياسة الحديثة، ومشكلات الاقتصاد العالمي، وخلقوا لهم كيانا قوميا مزوقا من العدم، كيف يؤمنون بهذه الأوهام؟ الشاعر الصهيوني المعاصر «زَلْمان شنيؤر» له قصيدة مشهورة في الأدب العبري الحديث

المسيح المنتظر

جرثومة الصهيونية

عنوانهـا: من أجل المسيح المنتظر، تنطوي على دعاية سياحية لإسرائيل يقابل أثناءها عددا من الصناع ويخاطبهم، فيقول له الحداد مثلا إنها صناعة مباركة لأنه سيصنع بها حدوة لحافر الفرس الذي يأتي عليه المسيح المنتظر، وعامل النسيج يصنع على أنواله البردة الفاخرة التي سيظهر بها ذلك المسيح للناس.. وهكذا. وأمير شعراء الصهيونية له كتاب كبير - من النثر لا الشعر - اسمه «قصص إسرائيل» يقع في ستة مجلدات مشحونة بحكايات (المسيح المنتظر)، والكتاب مصدر لكتب أخرى مبسطة أو ملخصة، أو محولة إلى حوار مسرحي ليقرأها الأطفال والأحداث، للأثر الناجح الذي تتركه هذه الأساطير حول الصهيونية، وأنها المقدمة الأكيدة الوطيدة لظهور هذا المسيح المخلص. وهم الآن قد (تخلصوا) من كل شيء من دون هذا المسيح، تخلصوا من «هتلر» والنازية، والاضطهاد الديني العنصري، وتخلصوا من اللاسامية، وتخلصوا - أو من شاء منهم - من الشتات والبقاء في بلاد الأمم الأخرى. وإسرائيل تشكو من أن الذين لبوا دعوة (الخلاص) الصهيونية لايزيدون على خُمس يهود العالم، بعد الجهود المبذولة في الدعوة والإقناع، وتغطية نفقات الهجرة إلى إسرائيل من المال العام لغير القادرين، وحل جميل المشاكل التي تواجههم من إسكان وعمل وترويج وتعليم ومساعدة على تهريب الأموال والممتلكات من بلاد الأمم الأخرى، وضمان الدفاع المسلح عن هذه الجموع إذا واجهت مقاومة من الجيران أو من أية قوة لاتسلم بمطامع إسرائيل. وكان المنطقي أن تصدر دولة إسرائيل مرسوما بإحالة (المسيح المخلص) إلى التقاعد، لعدم الاحتياج إلى خدماته، ولكن من يجرؤ على أن يقول هذا؟ والكل يعلم أن من قاله فقد كفر! ثم إنه يمثل في الفكر اليهودي تطعيما يحصّنه ضد اليأس، مهما ضاقت الأمور، واستحكمت الأزمات. وحتى إذا ظهر المسيح المنتظر فإن زمانه (الزمان المسيحاني) ينسحب على سنين طويلة، وقد سئل الشيخ التلمودي (ربا) عن التحميدات والابتهالات الثماني عشرة التي يتلونها مع الحاخام في صالة الجماعة، لماذ يرد فيها الدعاء من أجل (الخلاص) في السابعة منها، فأجاب بأن الخلاص لن يحدث إلا في السنة السابعة من حكم المسيح المخلص - تقريبا -! (التلمود - قسم قصة إستير) وإذا كان هناك إجماع على استحالة التعرف إلى اسم هذا المخلص، ولا صفته، ولابلده، ولا أسرته التي نشأ فيها، ولاموعد ظهوره، ولاحتى إن كان قد ظهر وانتهى أمره، أم لم يظهر بعد، فمن أين أتى هذا الشيخ التلمودي بأنه آت، وسيحكم سبع سنين - تقريبا - قبل أن تتم على يديه معجزة الخلاص؟ لكن كل نقاش في ذلك محظور على أولي الألباب، المهم أن توجد عقيدة راسخة في نفس كل يهودي أن هذا المسيح المخلص:

١- يهودي، من سلالة الملك داود.

٢- أنه آت مافي ذلك شك.

٣- أنه أقوى من موسى وهارون وأن معجزاته وعجائبه أعظم.

٤- أنه فارس بطل، ومحارب لايُقهر.

٥- أن زمانه - مع ذلك - ستتخلله أهوال رهيبة.

شخصية يحيط بها الغموض!

وفي هذه القصة الأخيرة جاء في التلمود البابلي رواية عن الربي «يهُو شُوع» إنه عندما يقترب المسيح المنتظر تخيب الآمال، ويضطهد الكبراء الفقراء، وتجود الكروم بعنبها ومع ذلك يصبح النبيذ نادرا، ويتجه المسؤولون والقادة إلى البدع والإلحاد، ولا يحمون الضعفاء، وقاعات العلم تصبح قاعات للتهتك والفجور، وتصبح منطقة (الجليل) - شمال فلسطين خرابا، وتصير الأرض القريبة منها قفرا، ويتشرد أهل هذه الأرض من بلد إلى بلد ولا معين لهم، وتفقد الحكمة طعمها، ويصبح من يخاف المعصية منبوذا، ويقسو الكبار على الصغار، والصغار يسبون المسنين، ويحتقر الابن أباه، وتعق البنت أمها، والكنة حماتها، ويكون رب الأسرة مكروها في بيته، ويكون الجيل كله أشبه بالكلاب، ولا يستحي الابن من أبيه، ويكون أمر من لا يعجبه هذا إلى الله في سمائه (التلمود - قسم المرأة المتهمة بالبغاء). ومن الطريف أن أتذكر أنني قرأت هذا النص على صديق حاخام في باريس فهز رأسه قائلا: إذ ذهبت اليوم إلى تل أبيب فسوف تظن أن المسيح المخلص قد قارب وصوله جدا، إلا إذا سبقه يوم القيامة! وفي مواضع كثيرة من التلمود نقرأ العكس من شمول السعادة والبهجة والرضا والسلام مع اقتراب خطى المسيح المخلص، وأن بينه وبين يوم القيامة قرونا وأجيالا كثيرة. واليهودي المتدين لا يدري إلى أي حاخام يتجه، ولا بأي ولي من الصالحين يتوسل، ولكنه يصدق دائما مايسمعه من الخزعبلات، ولذلك تحرص الحكومة الصهيونية، من أي لون سياسي كانت، على بقاء هذه الفئة من (العلماء)، وزادت على ذلك أنها لا تضرب على يد أي يهودي يدعي أنه (المسيح المنتظر) لأنه غالبا مايكون مسالما، شاذا في زيه وهيئته هو ومن حوله من المريدين (والحواريين)، وقد تكون معه أمه أو زوجته أو حماته بحيث يكون لوحة غريبة طريفة مسلية جاذبة للأنظار ومنشطة للسياحة. خصوصا إذا قام بجولته التفقدية اليومية راكبا على حمار حتى يجذب إليه السائحين من المسيحيين الذين يتخيلون أن عيسى عليه السلام ماكان يستعمل في مواصلاته إلا هذا الحيوان الوديع، الذكي رغم أنف الجميع.

وهذا الغموض التام الذي أحاط به التلمود شخصية المسيح المخلص المنتظر فتح الباب على مصراعيه لكل المجانين والمجاذيب والمشعوذين والدجالين لكي يفاجئوا الناس في كل مكان في العالم بمسيح منتظر، ربما كان في الأصل لصا أو قاطع طريق أو قوادا، أو مدمنا للمخدرات، بل قد لا يكون يهوديا على الاطلاق. وبعض هؤلاء - بل كثير منهم - نجح في إحداث ضجة في عصره؛ بل إن حكومات لها هيبتها ومكانتها اضطرت إلى الوقوف موقف الدفاع في وجه أفّاق من أولئك «المسحاء» الكذابين، وسأخصهم - إن شاء الله - بدراسة أقدمها لأصدقائنا قراء هذه المجلة العزيزة علينا جميعا، فأدعياء «المسيحانية» لهم من الكثرة العددية، والأهمية السياسية والعقدية، والقدرة على الإحراج والإزعاج ما يسوغ هذه الدراسة.

وكل هذا يصب في النهاية إلى خزان الصهيونية التي تدين لخرافة المسيح المخلص المنتظر بأكثر مما تدين به لموسى وهارون، أو لداود وسليمان.

عالم خالد الفيصل الشعري بين الواقعية

محمود رداوي

مدخل:

قلت، بمناسبة تكريمي في اثنينية الأديب عبدالمقصود خوجة:

وبمناسبة التأثر والتأثير، أورد شيئا له علاقة بنفسي وطبيعتي وفطرتي، هو الشعر الشعبي ـ النبطي، إذ كان بيننا ـ ومايزال ـ شاعر من العشيرة (الخرشانية) يدعى (عمر الفرا). لقد أثر شعره في نفسي، فحصلت على بعض دواوينه، وقصائده المسجلة بصوته، فكانت دافعا قويا للكتابة عن شعره، وشخصيته الجذابة، التي سحر بها الجماهير الغفيرة من الطبقات المثقفة والعامة على السواء، وبخاصة طريقة إلقائه الرائعة التي يقرب بها الشعر الشعبي من مسامع المستمعين ومشاعرهم ويلاصق وجدانهم، ويعيد مذكرات الآفاق الواسعة لبيئتي البدوية والقروية، فيظل ملامساً لطبيعتي وفطرتي.

وقد وجدت شاعرية ابن بلدي في شخصية شاعر شعبي، نبطي، سعودي، هو الأمير خالد الفيصل، الذي أثارني شعره، بروحه الأصيلة التي تجعله قريبا من الشعر الفصيح، واستطاع به أن يرفع من مستوى مستمعيه وقارئيه، وبخاصة العامة، إلى عالمه الشعري الزاخر بالرؤى والصور التراثية الأصيلة المشفوعة بالقيم الفنية والثقافية المعاصرة.

مهما انعدمت الحدود الفاصلة بين الشعر الفصيح والشعر الشعبي أو كادت تنعدم عند شاعر شعبي قديم أو معاصر.. فعلى دارس أدب ذلك الشاعر الشعبي أن يضع في ذهنه وتصوره شيئا من تاريخ موروثاتنا الشعبية، وكل ما له صلة بالأدب الشعبي مما ينير لنا جوانب عديدة للعالم الشعري لمن نتصدى لدراسة شعره.

ومما يجب أن يوضع في الحسبان قضية الآراء أو المدارس التي قيلت في الأدب الشعبي، وبخاصة ذاك الذي لم يدون، وتوارثته الأجيال، سواء أكان مسموعاً أم مخطوطاً، وكان حصيلة إبداعات فردية أو جماعية، اختُزن في الذاكرة الشعبية، وتجلّى في مظاهر (فولكلورية)، انعكست على ثقافتنا المعاصرة.

والفنان الشعبي، وبخاصة الشاعر، يستطيع أن ينقل ويشيع، بلغته العامية البسيطة، مصطلحاً لغوياً تقبله قطاعات شعبية واسعة، فيكون بذلك قد اخترق مناطق اللهجات وفتح بعضها على بعض، ولاسيما إن صحب تلك اللغة الشعرية حركات إيقاعية، وغنائية شائقة، لأن ثمة علاقة حميمة بين الشعر والغناء.

ولقد رأى صاحب (المثل السائر) أن الفنون المذكورة عند الناس سبعة، هي: (الشعر، والموشح، والدوبيت، والمواليات، والزجل، والكان كان، والقوما)، ثلاثة منها شعر لا لحن فيها، وهي (الشعر والموشح والدوبيت)، وثلاثة منها ملحونة، هي (الزجل والكان كان والقوما)، ومنها ما يحتمل الإعراب واللحن وهو (المواليات).

كما رأى صاحب كتاب (ملح الزجالين) أن تلك المقتطفات من الآثار العامية في الفنون السبعة، لم تدون لذاتها، ولم تسجل على اعتبار أنها مظهر من المظاهر المتعددة للوجدان الإنساني، وإنما سجلت ودونت ـ في الغالب ـ لاعتبارات شخصية، وهذه الاعتبارات ترجع



والمثالية (١)

إلى أن الذي أبدع تلك الآثار كان من شعراء عصره المرموقين، وأن هذا الشاعر نظم الأزجال والمواليا وما إليها، وكانت له صلة برجال السلطان، وهم الرجال الذين يتألف منهم التاريخ في عرف المؤرخين القدامى.

والشعر الشعبي الأصيل في المملكة العربية السعودية لم ينظمه ويسجله شعراء العصر المرموقين فحسب، وإنما الرجال الذين صنعوا تاريخها المعاصر المشرق، فكان شعرهم مظهراً من مظاهر الوجدان الوطني والإنساني. وعلى رأسهم الملك الشهيد فيصل بن عبدالعزيز، وابناه عبدالله، وخالد، اللذان أبدعا شعراً فصيحاً وما يشبه الفصيح، دوّناه في مجموعاتهما الشعرية المعروفة. وأدى بعض المغنين جزءاً منه.

وقصة الغناء الشعبي عند العرب تداولها المؤرخون، وكانت وجهات نظرهم مختلفة(١)، وإن ارتباط ألوان الغناء الشعبي بأحداث سياسية معينة أوجد لون (المواليات)، وبعض الحكايات المتداولة أوجدت لون (العتابا)، وبعض المناسبات الدينية أوجدت لون (القوما). ولقد حوت هذه الأغنية الشعبية التاريخ الحقيقي للوطن، لتكون تراثه المنظور عبر الأجيال.. وهي تقاليده في موسيقاه، إنها روحه، وخصائصه، ونظرته إلى الأشياء.

وها هو ذا شعر الأمير خالد الفيصل يعيد للأذهان قصة الغناء الشعري عند العرب: فصيحاً، وشعبياً.

وإذا كان الشاعر الشعبي مُلمّاً بثقافة العصر وروحه وفكره وحضارته؛ فإن شعره الشعبي يترجم تلك الثقافة.. ومن ثم يحسن بفنه أن يوصل رؤاه الثقافية والفكرية والاجتماعية والوطنية إلى روح جمهوره العريض؛ وفي النهاية يكون قد أثر - على نحو ما - في نفوس قطاع واسع كبير، وأدخل في جوارحهم قيماً ومبادئ ومواقف لايقوى على زرعها فيهم أدب آخر أو وسائل إعلامية أخرى معاصرة.

ولهذا فشعر الأمير خالد الفيصل بكل مضامينه وأساليبه الفنية، قد استطاع أن يحوز إعجاب الجماهير المثقفة والشعبية، ويلج أغوارهم وينيرها بذلك الشعر، وتلك الطاقة الإبداعية. كما استطاع ذلك الشعر الشعبي أن يحقق غرضه في اتصاله بالمتلقي اتصالاً مباشراً وبتأثير قوي.

وكان الخطاب الشعري للشاعر خالد الفيصل، بمختلف مواقف وأغراض الإعجاب والفخار والدهشة والانبهار والحب والغزل وغيرها من فنون، يلقى تجاوباً في نفس السامع والقارئ حال صدوره، لأنه كلام عامي فني، نجده في الواقع بمفرداته ونكهته، ولاسيما إن كان المتلقي ممن لا تميل نفسه إلى الفصحى المستغلقة، وإنما تميل إلى الدارجة المنفتحة.

والشاعر الفنان خالد الفيصل يمتلك حسّاً أدبياً وفنياً فائقاً، لأن إحساسه بالأشياء والمعاني والقيم هو إحساس الإنسان المرهف المشاعر والأحاسيس، العميق الأفكار والرؤى. ويظل ذلك الحس يفصح عن رؤية ذاتية صادقة حيناً، وعامة عميقة حيناً آخر. ويترجمه شعره إلى عالم يتراوح بين الواقعية والمثالية.. ذاك الشعر الذي يجمع اللغة الفصحى والعامية في آن. وحتى العامية فأغلبها ذات مرجعية فصحى.

كما أنه شعر يجمع الثقافة العامة والخاصة بمختلف مناحيها الوجدانية والاجتماعية والوطنية والإنسانية. ولهذا - كما ذكرنا - يتعاطف ويتجاوب معه سامعوه وقارئوه، بمختلف درجات ثقافاتهم؛ لأنهم جميعاً يجدون ماينشدونه.. يجدون المحسوس الذي يقترب من مشاعر العامة وأحاسيسهم، والمعنوي الذي يسعى إليه خاصة المثقفين.

ولأن خالد الفيصل شاعر أمير، فإمارته نسباً وأصالة وهوية.. تتجلى بأروع صوره الفخرية والوطنية.. فيفتخر من منطلق النسب بجده وأبيه وأعمامه وإخوته.. كما يفتخر بوطنه وأرضه من منطلق الانتماء الوطني، والحب القومي والديني. وكل ذلك يبلور فضائل مؤسس المملكة وبُناتها الحقيقيين.

والشاعر خالد الفيصل يجول في عالم شعري ينطلق بالأسرة السعودية، والوطن السعودي، ويفصح عن تجاربه الذاتية والثقافية والوجدانية والاجتماعية والدينية والإنسانية.

وإن استقراء بعض قصائده، سيحدد لنا ذلك العالم الشعري الذي نحن بصدد تبيانه وتوضيحه، سواء أكان من شعره في ديوانيه: «قصائد نبطية»، و«الديوان الثاني» أم فيما

نظمه للغناء والإنشاد.. نجده مثلاً في «أوبريت التوحيد» الذي غناه وأنشده مجموعة من كبار المغنين السعوديين ـ وعلى رأسهم طلال مداح ومحمد عبده ـ يفوح بأريج الحب: حب الله، وحب الوطن، وحب من يعمل في سبيل الله، وفي سبيل الوطن. ويجسد هذا الحب (الملك عبدالعزيز)؛ لأنه ينهج منهج التوحيد. لذلك فإن صورة الوطن ماثلة في الذهن والوجدان، وفي الحس والشعور، والفكر والعاطفة.

ولهذا وجدناه، دومًا، يطوف بفكره وخياله في أنحاء هذا الوطن الرحب.. وينقلنا عبر لوحات فنية عديدة إلى نجد، والأحساء، وإلى الجنوب النجراني، والغرب الحجازي، وإلى الشمال من تبوك. وعبر وقفات ذاتية ووطنية عند الكثير من مدن هذا الوطن العريض الواسع ومناطقه، كالرياض والقصيم، وحايل وعسير ونجران وجيزان، ومكة وطيبة والطائف وجدة، وتبوك والجوف وعرعر.. وغيرها من أماكن وديار تمثل له ذلك الحب الوطني الذي لايخلو من روح الفخر والفخار، ويترجم ذلك بلغة الجماعة القومية، أو الذاتية الفردية، كأن يقول في بداية لوحته الأولى من ملحمة التوحيد التي تجمع الرمز الوطني والديني في آن واحد:

عبدالعزيز! يامنية الأبطال في اليوم العظيم
عبدالعزيز! يادعوة المظلوم في الليل البهيم
يا باعث الأمل البعيد! يا طلعة الفجر الجديد
يامسترد الملك والمجد التليد
من يوم التوحيد الأول
أعلنتها دعوة صلاه
من يوم التكوين الأمثل
أعلنتها مبدأ حياه
لا إله إلا الله محمد رسول الله
رايتنا.. دعوتنا
غاية منهج أمتنا
لبيناها.. ردّدناها
ونشرنا في الدنيا صداها

وتتبدى صورة الفخر لديه بذاتية ناطقة بلسان كل سعودي في الوطن الكبير ولاسيما في اللوحات الأخرى المتتالية، كأن يقول في مطلع لوحته الثانية عن (نجد):

نجد أنا.. والفخر.. والمجد أنا
ما ابي غير من راسه عزيز
دوني الموت والسيف وقنا
ما ابي إلا انت يا عبدالعزيز

والكلام باللسان الجماعي نشيد مدوٍّ مفصح عن البناء الحضاري الذي شهدته المملكة العربية السعودية، فيستحيل الفخر لدى الشاعر إلى تأكيد معاني الازدهار الوطني، حيث توالى العزف على إيقاع العمل والبناء بسواعد قوية مخلصة لتشييد بنيان الوطن الكبير، وإعلاء قدره وشأنه، بالعلوم والصناعة.. والمحافظة على القيم العربية الأصيلة، والتراث المشع، والإبداع المستمر، والتوكل على الله:

نبني المعهد.. نبني المصنع.. نبني الإنسان
واحتفظنا بالقيم
واشتهرنا بالشيم
واكتسبنا من علوم العصر نوعيّةْ وكَمّْ
ما تبهرنا لمعة برق
ولا قلّدنا غرب وشرق
المبدأ ثابت إسلامي
والمنهج واضح قدامي
واصبحنا مصدر إشعاع
بالموروث والإبداع
يا ملاذ الخايف يابلادي
يافخار اجدادي وأحفادي
خير ونعمه
ورفعة وسمعه
وعلى الله توكلنا
ولله توجهنا
والمانع الله والمعطي الله

ويتوالى النشيد بأداء صوتي جميل، وموسيقى موحية.. ليتناغم الكلام الشعري بالأداء الغنائي. وإن ذلك الإيقاع الموسيقي الداخلي المتنوع في شعر الأمير خالد الفيصل، هو الذي ساعد المنشدين والمغنين على ترجمة الجمل الشعرية إلى أنغام موسيقية، لتتأكد مقولة تلاحم الشعر بالغناء التي ذكرناها.

ويتخذ الفخر والافتخار لدى الشاعر خالد الفيصل شكلاً آخر؛ إذ يبرز ـ على نحو ما ـ في مناسبات وأغراض شعرية، متعددة، ولاسيما في الرثاء والمديح. ففي قصيدتيه: (لا هنْتْ، وسلام يا فيصل) اللتين يرثي فيهما والده الملك فيصل، يؤكد على مكانة أبيه السامية في الداخل والخارج، وعلى اتباع منهجه وسيرته، عملاً وعقيدة.

وإذا كان الرثاء وجلل المصاب يحتمان على الشاعر الابن أجواء من القهر والحزن والألم.. إلا أنه يتعالى على ذلك كله ليمنحنا أروع صورة للراحل، فيقول في الأولى:

سكنت دار المجد ياشيخ واسكنت
شعبك معك في منزل العز ممنون
صُنت العهد ياوافي العهد ماخنت
علمتهم وشْلُون الأشراف يوفون

وفي القصيدة الثانية يقول في تأكيد اقتفاء مواقف الراحل الوطنية والمسيرة الإسلامية:

الرّاية اللّي رفرفرت فوق يمناك
ابشْرك ياشيخ ماطالها خصوم
إن كان قصد عداك تعطيك ممشاك
حقكَ علينا ما نوقّف ولا يوم
نسير في دربك وناخذ سجاياك
ونرد من هو ضد الإسلام ملطوم
نم هاني العينين حنّا تبعناك
والدار فيها لابة ما لهم نوم
ان قاله الله مانضيّع لك مناكْ
نسجد لرب البيت في القدس ونصوم

وإذا كان افتخار الشاعر خالد الفيصل في أوبريت التوحيد ـ كما رأينا ـ قد بدأ بعبدالعزيز وأمجاده وانتهى بالمملكة وازدهارها، فإن افتخاره في قصائده الأخرى يبدأ بزغاريد وطنية وأهازيج شعبية بقيادة عبدالعزيز، ولكنه ينتهي بالأغاريد الوطنية التي يقودها الملك فهد. وإن مظاهر تلك المباهج والأفراح لمشاعر الافتخار، مردها صنيع أفذاذ المملكة العربية السعودية الوطنية والإسلامية ومواقفهم بدءاً بعبد العزيز وانتهاءً بفهد.

ففي قصيدته (ياوطن) فخر وطني عن ملحمة عبدالعزيز حين فتح الرياض، يبدأ بنشيد غنائي ينسجم مع بهجة الأمجاد، وقيادات الفرسان:

غنيت لحنك ياوطن
في عرضة المجد العظيم
كل البيارق غطرفت.. عبدالعزيز يقودها(٢)

ويختمها بقوله:



عالم خالد الفيصل الشعري

بين الواقعية والمثالية (١)

يا ماضي الذكر الحسن
ترى الكريم ابن الكريم
أقصد ولد عبدالعزيز.. فهد يقود فهودها

وفي قصيدته (ياهل التوحيد)، نرى الشاعر خالد الفيصل يشارك بشعره في معركة تحرير الكويت، ليبرز قمة التفاخر الجماعي، بلسان المتكلمين، وبروح حماسية تدعو للجهاد والاستشهاد، وموعد اللقاء في الجنة:

ياهل التوحيد هبوا للجهاد
مرخصين الروح والجنة وعد
ما يدوس الباغي حدود البلاد
والنشامى باقي منهم ولد

ثم يجسد البطولة والشجاعة المتأصلتين في النفوس منذ القدم، من عصر الجياد إلى عصر الصواريخ، فضلاً عن أنه لاينسى قيادة فهد:

ما نهاب الموت من عصر الجياد
لين جا عصر الصواريخ الجدد
نارهم قدّامنا تصبح رماد
الجنود فهود والقايد فهد

ونرى الشاعر خالد الفيصل، في قصيدته (ياخادم البيتين)، يخاطب خادم الحرمين، فيؤصل مزاياه ومواقفه الوطنية والعربية والإسلامية، بالموازنة مع غيره من الحكام الأشرار، ثم يتعالى صوت فخاره بقومه الذين:

تسابقوا للمجد والموت شجعان
تباشروا من ريح جنّة عدنها

وفي قصيدة (رافع الراس) نراه متفاخراً بالجندي السعودي يوم الخفجي، وتستحيل القصيدة إلى نشيد وطني يصدح بالحماسة والإباء:

رافع الراس.. وامشي طول مجدي
وارفع الصوت.. أنا جندي سعودي
من تكلم سمع بالفعل ردي
جاه صوتي على الخفجي رعود
ما نهاب المنايا والتحدي
نسبق الموت ونذود الحدود

وقد تتبدّى لنا صورة فخاره أحياناً بحسه الوطني والخليجي والعربي، الذي يفيض من أعماق وجدانه حبًا لشعب عربي معين، من خلال مديحه له، وتعاطفه معه، شعبًا وقادة، وكأن ثمة وحدة عربية أو خليجية أو وطنية متلاحمة في قلبه وعقله، فتتجلى لنا مشاعره بنقاء فطري، وأصالة عربية. ينقل لنا ـ مثلاً ـ في قصيدته (البحرين) حبه العربي والخليجي إلى البحرين:

منّي لكم ياهل البحرين تسليمه
فيها صبا نجد وفيها غيمة السُّوده
لي في هواكم مع الأشواق تهويمه
يسري بها الود لاهل الود موعوده
من عند أبو فيصل نباشر تعاليمه
مفتوح القلب والذرعان ممدوده
للشيخ عيسى معالم العز والقيمه
ننقل تحايا مليك العرب وعضوده

ولقد وجدنا في مغناة (أوبريت) التوحيد مشاعره الوطنية تتماوج حبًا لسائر مناطق المملكة، بينما في قصيدته (الساحل الشرقي)، نرى أن تلك المشاعر الوطنية تصحبه إلى المنطقة الشرقية، ليستعير من ساحلها الدرر والموج ليعبر بهما عن حبه للمنطقة.

وقد يصير هذا الحس أو الحب الوطني عشقًا لثرى الوطن وخزاماه، فلا يعبر عنه إلا بنشيد الفطرة، الذي نشتمّ منه روائح الخزامي والثرى اللذين يذوب فيهما ويلتحم بهما هيامًا وعشقًا، كما في قصيدته (لا تسألوني) التي يقول فيها:

لا تسألوني ليه أنا
عاشق خزامى مستهام
اذا عرفتوني أنا
تدرون وش سر الغرام
أصلي أنا بيتي شعر
والبر هو ديرة هلي
فرشي ثرى وسقفي سما
وترابها غالي علي

ولأن الأمير خالد الفيصل شاعر ورسام، فإنه يوظف شاعريته وفنه في تحبيب العباد إلى مصايف وطنه، ولاسيما المنطقة التي يتسنّم إمارتها. وقد بدأ بنفسه محدداً الغاية من السفر والرحيل، ملاصقًا الحس والشعور، ناطقًا الشعر الفني التصويري، والرومانسي الذاتي:

قالوا تسافر، قلت ملّيت الاسفار
لاهل السفر غاية وانا غايتي غير
قالوا تصيّف، قلت في دار الأخيار
مصيفي ابها منزل العز والخير
أهيم مع رقصة سحابة إلى ثار
وان هبّت النسمة وغرّد لها طير

ونعود لنقول: إن شعر الافتخار لدى الشاعر خالد الفيصل يبرز لنا في كثير من المناسبات الخاصة، ولاسيما في مديح أسرته السعودية من أهله وأعمامه وإخوته.

ولقد وجدنا في قصيدة (الواجب أكبر) شيئا من ذلك المديح، والممدوح هو عمه الأمير سلطان بن عبدالعزيز (أبو خالد)، من يتوق إلى امتصاص هموم الآخرين:

لى جاك شكّاي الهموم الحزينا
تشيل عنه الهم ويروح ناسيه

وفي مدحه للأفذاذ من آل سعود تشرق دومًا مآثرهم في وجدانه.

ولهذا نرى عمه الأمير سلطان في قصيدة (زايل الشر)(٣) قد منح الشاعر الصفة التي يتحلى بها الأصفياء الأخيار، وهي التعاطف مع الآخرين في معاناتهم الإنسانية.. كما مدحه ونعته بتسنم إمارة الشعر:

زايل الشر سالم يا قوىّ العزائم
يارفيق السعد ياشايل همّ غيره
علّ قلبك سليم يسعد الناس دايم
بالوفا والمحبة خالد في مسيره
يا أمير الشعر ياللي بك الشعرُ قايم
ماجرى لك من المولى عسى فيه خيره

وهكذا يظل الشاعر خالد الفيصل يدور في فلك الافتخار بنسب أهله: بدءاً بجده، ومروراً بأبيه وأعمامه، وانتهاءً بإخوته.

على أن ذلك الحب والتفاخر ينتهي بأصدقائه وعشيرته ووطنه ودينه. ولكن حبه لعمه سلطان يفاخر به ويجاهر من حين لآخر، ويتجاوز أي لوم على ذلك الحب. وقد بين أسبابه بقصيدته (عند الموادع)، ومما ذكره قوله:



عالم خالد الفيصل الشعري
بين الواقعية والمثالية (١)

أحب يمنى عمي اللي حشمني
ومن لامني في حب سلطان غلطان
شيخ بالإخلاق الكريمة ملكني
بالمرجلة فارس، وبالرحمة إنسان
أفاخر بعمي على الناس واثني
ويستاهل البيضا سلايل كحيلان

وللشاعر عبدالله الفيصل أثر كبير في نفس شاعرنا ووجدانه وشخصيته، ومهما وصف ذلك الأثر فإنه لايفيه حقه من الحب والوصف، يقول في قصيدته (فارس الأشعار) التي نلمح فيها روح التصوير الشعري والفن التشكيلي:

يافارس الأشعار مني تحية
مع ريشتي حاولت اصوِّر معانيك
مزجتها بالوان روحي هدية
ياليتي آخذ باقي العمر واهديك
ياما خذينا من حنانك عطية
وش عندنا في مثل ذا اليوم نعطيك

كما يقول أيضا من قصيدته (وزن الحكي) معبرًا عن ذلك الحب الأخوي، ومعترفًا بفضل أخيه الكبير على شخصيته وشعره:

ياسيِّدي ياخوي يا استاذ عمري
علمتني وزن الحكي قبل الأشعار
إن جاز لك يا سيد الشعر شعري
تراه من فضلة معانيك تذكار

ويمضي في تعداد الدروس التي تلقاها على يده في مدرسة الحياة منذ الصغر.

ومن وجوه الافتخار في شعر الأمير خالد الفيصل: الذاتية، تلك التي يفتخر فيها بشاعريته، وفاعليته الأدبية والفنية، فنجده في قصيدته (يموت الشجر) يرمز لموت الشجر وبقاء ظله.. بموت الإنسان وخلود أثره:

«يموت الشجر واقف» وظل الشجر ما مات
رياح الدهر تصرخ وهي تجرح جنوبه
لك الله شجر للموت ماترخي الهامات
بقت وقفتك يارافع الراس مهيوبه
شموخ الشجر عبره لمن يفهم الشارات
عيون النظر مع نظرة الفكر مصحوبة
وانا يعتريني ضعف الانسان والهفوات
أروم العزايم يوم وايام مسلوبه
ابا ظهر عن الدنيا مع حالم النظرات
واسافر عن العالم على غايم دروبه
وابا رسم على غيمة دروب الهوى بسمات
وابا نثر كلام الحب طرب ومطروبه
واغنّي بها سامر واقوّم بها عرضات
وابا ترك ثرى الدنيا لمن كان مطلوبه

ومن ذاتيته في الافتخار تحديد معالم شخصيته، وأبعاد صورته المتميزة.. وذلك ببلوغ قمة المثل العليا مهما صادفته الصعاب؛ فما هي مُثله التي يبحث عنها؟!

ادور المنزل العالي
ازايم الحمل وارقى به
ما احب انا المركز التالي
الاول اموت واحيا به
وش عاد لو الثمن غالي
روحي على العز وثابه
ما همني جمع الاموالي
زهّاد بالمال واصحابه

وكثيرا مايفصح الشاعر خالد الفيصل عن شخصيته الوجدانية والشعرية التي تدل على رهافة في الحس والشعور، تتأتى من خلال التصور الرومانسي، المتمثل في حس الطبيعة الذي يسري في شرايينه، ولكنه لايتجرد عن حسه الإنساني:

وانا نديم الوجد في ليل الأشجان
اجاذب نجوم الليالي غزلها
ياما جرحت بونّتي ليل الاحزان
ياما سمع منّي وياما حملها
ويا ما رقص مع نغمة الحب نشوان
ينفض عن النجمات وحشة مللها
قصيدتي رعشة خفوق ووجدان
صوّت بها السّاري وردد مثلها
قصيدتي غنيتها روح الانسان
اللي معانيها بروحه صقلها

وإن مما يفصح عن ذاتية الشاعر التعبير عن تجربته مع الغربة والاغتراب.. حيث يعيش المرء معاناة متميزة بالمفارقات العجيبة مع البشر، تختلط أوراق الأعداء بأوراق الأصدقاء، وتتصارع في النفس روح الشباب المتحفز ووقار الشيوخ المتعقل.. فيقود الصراع إلى حالة نفسية قلقة من الأرق والسهاد والسهر.. كما تقود الغربة في الوقت نفسه إلى صعوبات جمة تواجه الغريب.

ومن ثم تتمخض التجربة عن تعبير فني تصويري، يكشف مكنون النفس الإنسانية بكل شفافية وصدق. وأكبر دليل على ما نحن بصدده قصيدة (ركب الاغتراب)، وقصيدة (غربة الروح)، وغيرهما مما نجده في ديوانه الثاني.

(البقية في العدد القادم)

الهوامش:

(١) وقد أوردت دائرة المعارف الموسيقية الفرنسية بعض ذلك الخلاف نقلاً عن مؤرخين عرب. ففي كتاب (كمال الدين بن فاضل، جعفر بن طالب)، نجد المؤلف يقول: إن الله علّم الملائكة الغناء، فكانت الملائكة تسبح بحمده على أنغام رقيقة لطيفة. فلما هبط هاروت الأرض تصدى له إبليس وأغراه بتعليم الناس الغناء، ليضلهم ويغويهم.

أما المؤرخ العربي الآخر (عبدالقادر) فيقول: إن الله تعالى خلق الروح وأودعها جسد آدم، حياها الصوت والوزن، فانطلقت تردد التراتيل السماوية تمجد بها الله وتقدسه. وثمة آراء أخرى لعدد من المؤرخين العرب تتكلم عن أصل الغناء نَحَتْ هذا المنحى.

ولم تلتق وجهة نظر بعض المؤرخين العرب في أصل تاريخ الغناء لدى الشعوب القديمة بوجهة نظر المؤرخين القائلين بأن الفن الغنائي إلهي المصدر قدسي الينبوع، ديني الأصل عند هذه الناحية فحسب، بل التقت أيضا بوجهة نظر القائلين: إن الغناء والشعر يؤلفان، في المبدأ الأول، وحدة كاملة.. بحيث إن مفهوم الغيبين التاريخي كان مفهوما واحدًا لاتنفصم عراه، ولاتنبتّ أواصره.

وكما يقول نسيب الاختيار في كتابه (الفولكلور الغنائي عندالعرب): إن العرب اشتركوا مع الشعوب القديمة في مفهومين لتاريخ الغناء: الأصل الغيبي الغنائي، والوحدة المطلقة في نشأة الشعر الغنائي. فقد كان العرب، سواء أكان ذلك في العصر الجاهلي أم العصر الأموي، يطلقون لقب المغني على الشاعر، وذلك لتلاحم الشعر بالغناء.

وقد تأثر العرب بالإغريق في الجانب الفكري من الغناء أكثر من الجانب الموسيقي، وعكس ذلك نجد تأثرهم بالفرس، حيث تأثروا بالجانب الموسيقي أكثر من الفكري.

على أن وراء الأثر الإغريقي والفارسي في الفن الغنائي عند العرب يكمن أثر عميق الجذور في التاريخ.. يرجع إلى شعوب قديمة من الأشوريين والمصريين وغيرهم من شعوب الشرق الأوسط.

(٢) للشاعر قصيدة بعنوان «اليوم عرضة»، يُسمعنا فيها قرع الطبول، ونشوة السيوف والخيول من خلال معاني الشجاعة والفروسية، وحركات وإيقاعات (رجاجيل) تلك العرضة.

(٣) هذه القصيدة تكرم وأرسلها صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبدالعزيز، بمناسبة دخول الشاعر مستشفى الملك فيصل التخصصي، وقد ردّ الشاعر عليها بقصيدة «عاش للمجد».

المثقّفون العرب والبُعد الغائب!

د. خضر الشيباني

يقبع (المثقّف العربي) في قفص الاتّهام لدى العديد من المهتمين والمتابعين للحركة الثقافية في العالم العربي، فهم يرون أن إسهامه في تطوير الواقع العربي يكاد يكون هامشيًا، ولايتجاوز تأثيره - إن وُجد - مجتمعًا ضيقًا من زمرة الملتصقين به، مما يجعل التفاعل محدودًا في كمّه، وقاصرًا في نوعه. ويتساءل كثير من الناس عن دور المثقف العربي في تشكيل الفكر السائد وبلورة الوعي العام، ويستفسرون عن عطاءاته في تحديد المنارات وتنمية السلوكيات وتعميق الممارسات، وينقّبون عن إنجازاته في الإبداع الفاعل فكريًا واجتماعيًا، ثم يرتدّ إليهم البصر خاسئًا وهو حسير، ويتمخّض ذلك التمحيص والبحث والتنقيب عن حسرات حرّى وأسف عميق على ما لحق المثقفين من ضمور فكري وما اعتراهم من خمول اجتماعي. ولا ينفصل هذا الجانب - بطبيعة الحال - عما أطلق عليه البعض اسم: أزمة العقل العربي؛ إذ تتجلّى في أبعاد هذه الأزمة مجموعة كبيرة ومتداخلة من التناقضات والاضطرابات عند قيام المثقفين بعمليات التحليل واتّخاذهم المواقف وصُنْعهم القرار.

ويلجأ بعض المهتمين بدراسة هذه الظاهرة إلى الغوص في أعماق الوجدان العربي والبحث في اللاوعي ولَوْم المؤثرات الاجتماعية والسياسية والفكرية والاقتصادية وغيرها، التي تكون في مجموعها الوسط الذي يتفاعل مع العقل المتأزّم، فيكون بذلك مؤثرًا ومتأثرًا بالسلب والإيجاب.

وفريق آخر وجد حلاً أسهل، فراح يورد الحقائق والوقائع ليثبت أن هناك شططًا بالغًا لدى الناقدين في طلب المثالية والإصرار على الكمال، وأن الخيار الوحيد للتخلّص من هذه الأزمة يكمن في الاستسلام للواقع بكل معطياته وشروطه والتأقلم معه، وهم بذلك يرسون أساس ما يُعرف باسم المدرسة التبريرية، التي أصبحت تُلقي بظلالها على كثير من الملامح الفكرية المعاصرة في عالم السياسة ودنيا التفاعلات الاجتماعية. إن أصحاب هذه المدرسة يجدون في سياق مسوّغاتهم وحيثياتهم انفتاحًا فكريًا يتخلّص من تلك الإشكالية؛ لأنه لا يضع شروطًا مسبقة، ولايلتزم مواقف ثابتة، مما يجعله - في رأيهم - قادرًا على إنقاذ المثقّف العربي من ورطته؛ إذ يقضي على كلّ ما يعتمل داخل عقله وفكره ووجدانه من تناقضات وتقلبات، وكأنهم بذلك يصفون للداء الفكري علاجًا مماثلاً لعلاج الداء الاقتصادي؛ ففي كلتا الحالتين تتمّ الاستعانة بفكرة الانفتاح التي تتخذ عند التطبيق واقعًا يعتمد على الاستيراد والاستهلاك، ثم إلقاء ما تمّ استهلاكه والاستعاضة بالجديد المستورد، وهلم جرًا، وهم - في كلّ الحالات - جادّون في توفير غطاء عقلاني لتوجيهاتهم التسويغيّة.

ولاشك أن كلّ المحاولات والاهتمامات - أيًا كانت طبيعتها أو وصفها - جهود مشكورة ومحبذة في عملية الحوار اللازمة للخروج بالعقل العربي من محنته الراهنة، والانطلاق بالمثقف العربي من أسر التناقض والهامشية.

وحريٌ بنا ونحن نشمّر عن السواعد بحثًا وتنقيبًا عن إشكاليات القضية ومظاهرها أن نتوقف مليًا عند أمرين؛ أولهما: الثقافة في عمومها وتأصيلها، وثانيهما: المعنيُ بالأمر في هذه القضية؛ ألا وهو المثقف العربي.

بين الثقافة والمثقف

تتعدد تعريفات الثقافة وتتنوّع تفسيراتها، وتتباين عناصرها، إذ يُعد هذا المصطلح جديدًا في الفكر العربي، وفي الوقت نفسه تنحو المدارس الفكرية المهتمة بمعاني الثقافة مناحي عدّة، وليس أحد همومنا في هذا المقام التطرّق بالتفصيل إلى فلسفة الثقافة، ومداخلاتها وتعرف مدارسها ومنابتها، ولكن يهمنا أن نتعارف على أرضية مشتركة نبني عليها فرضياتنا واستنتاجاتنا، فنقول إن الثقافة - بمفهومها العام - تُمثّل قيم المجتمع وأعرافه ومفاهيمه السائدة التي يتأثّر بها أفراد المجتمع بمختلف فئاتهم - المتعلم فيهم والجاهل.. الكهل والطفل.. المرأة والرجل - بدرجات متفاوتة وفْق استيعاب كلٍّ منهم وحسب اتساع مداركه. ومثل هذه القيم والأعراف والأفكار في أي مجتمع لاتنمو بين يوم وليلة، ولكنها حصيلة تراكم خبرات وتجارب ومؤثرات تفعل فعلها على فترة طويلة من الزمن فتتجذّر بذلك في النفوس، وتتأصّل في اللاوعي، وتحتل أغوار العقل، فيرضع الإنسان فكرها

صغيراً، ويترعرع على توجّهاتها، ويتأثر بفلسفتها، ويحتكم إلى قواعدها وأطرها. ويصف مالك بن نبي هذا الوضع في كتابه «شروط النهضة»، فيقول: «الثقافة ليست علماً يتعلّمه الإنسان؛ بل هي محيط يحيط به، وإطار يتحرك داخله، يغذّي الحضارة في أحشائه، فهي الوسط الذي تتكون فيه جميع خصائص المجتمع المتحضر». ولعلّ مثلاً يابانيًا يوجز قضية تعريف مصطلح «الثقافة» إذ يقول: «الثقافة هي كلُّ ما يبقى للإنسان عندما ينسى كلَّ شيء»؛ فالثقافة إذن هي الفكر الشائع بين جميع الأفراد المنتمين لمجتمع ما يطبع حياتهم بسلوك معين.

ولكن هل يمكننا أن نعدّ كلّ منتم لمجتمع ما متأثر بثقافته مثقفًا؟ يقودنا هذا السؤال إلى الشقّ الثاني في القضية؛ ألا وهو تعريف ماهية المثقف وتحديد خصائصه.

إنه لايمكن بحال أن تصف أفراد المجتمع طرًا بأنهم مثقفون، لمجرد انتمائهم لثقافة معينة، فهناك شروط وضوابط تحدّد ما إذا كان الشخص ينتمي إلى هذه النخبة من الناس. ولقد جرت العادة على أن يُعد المثقف مختلفا عن المتعلم لكون الأول قد ألمّ من كل علم بطرف، بينما يكون الثاني قد حصر اهتمامه في علم واحد أو تخصص دقيق. ولابدّ أن نذهب إلى أبعد من ذلك في التمييز بين العلم والثقافة؛ فنجد أن العلم عام شامل يستوي فيه الأفراد المتعلمون من مختلف البيئات والخلفيات العقدية والعرقية، بينما تكون الثقافة أمرًا خاصًا بالبيئة، فيختلف المثقفون وتتباين مواقفهم باختلاف بيئاتهم وانتماءاتهم وأفكارهم. ويرى أحد التعريفات السائدة أن المثقف هو القادر على النقد البنّاء والتوفيق بين القديم والحديث وعدم الانسياق وراء الأحكام المسبقة أو الانقياد إلى عادات الحسّ المشترك، وتطوير قابلية للاستدلال، ورغبة في التفاعل مع المعطيات الجديدة.

وأيًا كان اختيارنا لتعريف المثقف وتحديد ماهيته، فإن المثقف العربي المفروض علينا في الساحة، هو الذي يزعم أنه قادر على الإسهام في التفاعلات الفكرية، ويُبرز اهتمامًا واضحًا بالحركة الاجتماعية في بيئته.. فهو محاور وناقد وكاتب ومحلّل ومتابع. ويهمّنا - في هذا المقام - أن نستعرض السّمات العامة لهذا المثقف العربي، وتتلمس ملامح تكوينه الفكري واهتماماته الاجتماعية.

الخصائص العامة للمثقف العربي

لايختلف المثقف العربي كثيرًا - في المظهر العام - عن رفاقه من مثقفي العالم - شرقه وغربه -؛ إذ يتوافر فيه بُعْدان لازمان، وهما شرطان ضروريان ولكنهما غير كافيين لإثبات الانتماء إلى فئة النخبة المثقفة. وهذان البُعْدان هما:

البُعْد المعلوماتي: لاشكّ أن المثقف العربي يتمتع بقسط وافر من المعلومات المتاحة في عالم انفجار المعلومات؛ فنجد أنّه قد تمكّن - عبر التفاعل المفتوح مع أرجاء العالم بأسره وانتشار وسائل الإعلام والتعليم - من الإلمام بجوانب عديدة من المعلومات، سواء كان ذلك فيما يخص بيئته ومجتمعه، أو فيما يتعلّق بجوانب الاقتصاد أو السياسة أو الاجتماع. ولكننا نلحظ - بطبيعة الحال - قصورًا ملموسًا في الثقافة العلمية لدى مثقفنا العربي، ولذلك أسباب محلية وتاريخية، وسلبيات هذه الفجوة العلمية بارزة في التكوين الفكري والنفسي للمثقف العربي، كما سنرى في مقام لاحق من هذا المقال.

البُعْد البياني: يتمثّل هذا الجانب في القدرة على الصياغة اللغوية والكفاءة التعبيرية، ويتجلّى بوضوح في رصيد وافر من الكلمات المنمقة والمصطلحات الموروث منها والمستورد.

ولأن الثقافة العربية ثقافة أدبية تمتدّ جذورها عبر قرون من التميّز البلاغي والتمكّن اللغوي، فإن المثقف العربي - بالضرورة - عميق التأثر بهذا الجانب من تراثه، وتُهيمن البلاغة والأدبيات الجمالية والطروحات الإنشائية على مُجمل أعماله ونتاجه الفكري، وتبرز هذه الحقيقة أكثر ما تبرز في عصور الانحطاط والتخلف؛ فنجد أن المثقف العربي يهتم بالديباجة والمظهر أكثر مما يهتم بالمضمون والجوهر.

وقد يبدو لأوّل وهلة أن هذين البُعْدين يجعلان المثقف العربي ممتلكًا معظم أدواته العصرية، متسلحًا بجلّ متطلبات وظيفته الاجتماعية؛ إلاّ أن النظرة الفاحصة تكشف عن افتقاره إلى البُعد الثالث؛ وهو البُعد الأهم في التركيبة الثقافية، ألا وهو البُعد السلوكي. فشتّان بين الفكر الذي يطرحه المثقف - أيًا كان انتماؤه - والممارسة اليومية والتفاعل الحيوي. إن المعضلة الأساسية التي تجابه المثقف العربي هي انعدام العلاقة الوظيفية بين الفكر والحياة، وحالة الانفصام القائمة بين التنظير والتطبيق، وهذه المعضلة هي التي تكمن - أيضا - في صُلْب أسباب المعاناة التي تتقلّب في أتونها المجتمعات العربية بشكل عام.

إن ذلك الانفصام يجعل من الحياة الفكرية للمثقف العربي بيتًا واهنًا من بيوت العنكبوت، وكيانًا هشًا محاطًا بالزّيف والأوهام، وكلّ هذا يفرض على حياة المثقف العربي قدْرًا كبيرًا من التناقضات والقلق والسطحية؛ مما يجعلها تتداعى تحت وطأة البُعْد الرابع، وهو البُعْد (الزمكاني) المرتبط بتداخل الزمان والمكان في تصوّرات المثقف العربي. إن اهتزاز المعايير وتضارب الرؤى وتداخل كلّ من عنصر الزمان - غابره وحاضره -، وعنصر المكان باختزال المسافات بين مختلف الثقافات الإنسانية، فإذا العالم قرية صغيرة ؛ كلّ ذلك تفاعل داخل عقل المثقف العربي وشعوره، وضغطت مقوّماته المتباينة ومكوّناته المتضادة على روحه وفكره؛ فبرز على الساحة الثقافية ما شاع ذكره باسم إشكالية الأصالة والمعاصرة؛ لتصبح إضافة أخرى إلى هموم المثقف العربي، وعبئًا ثقيلاً على محاولاته لتشكيل قناعاته، وبلورة شخصيته، وإبراز استقلاليته. ولايهمنا - في هذا المقام - التصوّرات المتباينة والطروحات المختلفة للمثقفين العرب حول أزمة العقل العربي أو إشكالية الأصالة والمعاصرة، بقدرْ ما يهمنا غياب البُعْد الثالث الذي يتمثل في انقطاع الصلة بين الأفكار والممارسات؛ فمثقف اليوم في العالم العربي لايتجاوز دوره دور المستودع الذي تتجمّع فيه الأفكار، وتُخزن المعلومات، وتتراكم النظريات، ولكنها لاتستطيع أن تنقل إلى معمعة الحياة لتنفع الناس وتختلط بحيواتهم وتتفاعل مع أوضاعهم. إن المثقف العربي يفتقر إلى ذلك العُمق الذي يتجلّى في القفزة من مرحلة التنظير والتكديس إلى مرحلة التطبيق والتأثير، ولعلّ شاعرنا العربي كان يتصوّر هذه الحال عندما أنشد يقول:

أعيذها نظرات منك صادقة
أن تحسبَ الشَّحمَ فيمن شحمه ورم

إننا لانبالغ إذا قلنا إن معظم ممارسات المثقفين واستعراضهم لأفكارهم وتنظيرهم لمختلف القضايا والمسائل - بغضّ النظر عن انتماءاتهم وتوجّهاتهم الفكرية - لايتعدى كونه ترفًا ذهنيًا تُزجي به هذه الفئة

طغى الفكر الأدبي على نهج المثقف العربي في التعامل فأصبح خطابه يخضع للانفعالات والعواطف والمبالغات!

المثقّفون العرب والبعد الغائب!

وقتها ضمن برامج الخدمات المتبادلة بين أفرادها في مثابرة وحرص، لتلميع الأسماء، وتسليط الأضواء عبر الوسائل الإعلامية المتاحة. لقد غاب البُعد الثالث عن حياة المثقف العربي فأصبح يعيش على مستطيل مسطَّح ذي بُعْدين: الطول والعرض، ولكنه يفتقد العُمق الذي يهب الأشياء شكلها ويجسِّد حقيقتها ويمنحها حيويتها. وهكذا أصبح المثقف أشبه بقطعة ديكور تتحلّى به الصحف، وواجهة اجتماعية تُبرزه المحافل والندوات التي يرتادها بعض النفر، ولكنها لاتكاد تلتصق بهموم المجتمع وقضاياه الملحّة إلاّ فيما ندر. ويصف مالك بن نبي في كتابه «مشكلة الثقافة» بعض الآثار السلبية للاتصال السطحي بين الفكر والسلوك مستشهداً بحديث المصطفى صلّى الله عليه وسلم حين قال: «مثل ما بعثني الله عزّ وجلّ به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير، أصاب أرضا فكانت منها بقعة قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير، وكانت منها بقعة أمسكت الماء فنفع الله عزّ وجلّ بها الناس، فشربوا منها وسقوا وزرعوا، وكانت منها طائفة قيعان لاتُمسك ماء ولاتُنبت كلأً». إي وربي.. هذا هو حال المثقف العربي اليوم لا يُمسك ماء، ولايُنبت كلأ!. لقد انحصر اهتمام المثقف العربي في ثقافة البيان والمعلومات وأهمل ثقافة السلوك والممارسة، وهذه الأخيرة هي الجانب الأهم في مقوّمات المثقف المتوازن الأبعاد لتصبح ثقافته ذات عُمْق وديناميكية وحياة.

سلبيات البُعد البياني في التكوين الثقافي

إن خطاب المثقف العربي - في مُجْمله - خطاب يعتمد على الجماليات اللغوية والزخارف اللفظية والحماسات العاطفية؛ فتتقلّص في خطابه مساحة الفكر، وتتضاءل قيمة المعاني؛ لأنّ المفردات أصبحت فضفاضة تحتمل الشيء ونقيضه، وصارت الكلمات جوفاء، تلوكها الألسن ولاتؤكدها الأفعال، وأضحت الجُمل - بسبب التكرار والمبالغة والإفراط في الاستخدام - باهتة خاوية الوفاض مما أحدث أزمة ثقة لدى المتلقّي لذلك الخطاب. وبشكل عام أصبح المثقف العربي - مع بعض الاستثناء هنا وهناك - يجيِّر بلاغته في الصياغة وقدرته على تطويع الكلمات لأحد ثلاثة أمور:

- فهو إما مُكرر دومًا لما يحفظه دون إعمال للفكر أو اهتمام بالتحليل، فكأنه بذلك مثال حيّ لوصف ابن خلدون في مقدّمته الشهيرة، إذ يقول: «ثم لم يأت من بعد هؤلاء إلاّ مقلّد وبليد الطبع أو متبلّد، ينسج على ذلك المنوال، ويحتذي منه بالمثال، ويذهل عما أحالته الأيام من الأحوال، واستبدلت به من عوائد الأمم والأجيال».

- أو هو مجرّد ناقل ومترجم لأفكار الآخرين، ومستهلك لعطاءاتهم، فيبدو نسخة مسخ لمثقفي تلك الأمم.

- أو هو أداة طيّعة لأغراض غيره - سلطة كانت أو جماعة -، وهو يقوم بذلك الدور بكلّ حماسة لأنه دور يحقّق له مصالح معينة ويُضفي عليه بعض البريق.

وفي كلّ تلك الأحوال فإن دور المثقف العربي - في معظم الحالات - لايتعدّى مهمة النفق الأجوف تمرّ عبره البيانات والمعلومات والتعليمات دون أن يتمثّلها أو يهضمها، وهو - في كلّ تلك الحالات - يفقد دوره الأساس في أن يكون منبرًا للنقد المتّزن والفكر الناضج والحرص على الحقيقة أينما كانت وكيفما كانت. إن الإبداع والإنتاج والتأثير ليسوا إلاّ معطيات طبيعية لتلاحم أمين بين المثقف وواقعه، وتفاعل صادق مع ظروف مجتمعه، وتطبيق حيّ لما يطرحه من مبادئ وآراء، وهذا - في نهاية المطاف - هو الفرق بين الشيء وظلّه؛ فالشيء هو الذي يحتلّ حيّزًا ويترك أثرًا، أمّا الظلّ فليس إلا مساحة معتمة خالية من الجسم والحجم.

الفكر العلمي ودوره في تشكيل العقل العربي المعاصر

لقد قلنا إن الفكر الأدبي طغى على فكر المثقف العربي ونهجه في التعامل مع القضايا؛ فأصبح خطابه يخضع لما تتميّز به الأدبيات من انفعالات وعواطف ومبالغات، وتوارت في الظلّ العناصر الفكرية ذات المعنى والتأثير، وأصبح هامشها محدودًا. أمّا في الحالات التي تتوافر فيها بعض المقوّمات الفكرية، وتتعاضد مع البُعْد المعلوماتي الذي يتمتّع به المثقّف، فإنّها تحتاج إلى روح العصر ومنهجيته؛ فالفكر المهيمن اليوم بعطاءاته وامتداداته وتأثيراته هو الفكر العلمي - الطبيعي، وهذا النوع من الفكر، وما يتمخض عنه من ثقافة علمية، يكاد يكون مفقودًا في البيئات العربية. لذا فإن المثقف العربي في عزلة عن الحركة المهيمنة على عصره، غير متأثر بمنهجها ونمطها المتميّز، فتجده في أحكامه وقراراته ومرئياته رهينة لانفعالات آنية وأحاسيس متقلّبة ومزاج خاص، أمّا النقد الملتزم معايير دقيقة، والطرح المتدثّر بمنهجية موضوعية فإنهما - في أغلب الأحوال - غائبان عن الساحة لأسباب متفرقة، ليس أهونها غياب الفكر العلمي وضآلة تأثيره في الفئة المحسوبة على الثقافة.


مالك بن نبي

إن شرخًا كبيرًا يعتري التكوين الفكري للمثقف العربي بسبب افتقاره لعنصر أساس في تركيبة الحياة المعاصرة، ألا وهو الثقافة العلمية، وهذا يؤدّي - بطبيعة الحال - إلى قصور ملموس في استيعابه لمعطيات العصر وتياراته، ويُبرز سلبيات جمة يتمثّل معظمها في عدم الانضباط عند التعامل مع القضايا وفقدان التزام معايير محدّدة في التحليل والتصنيف. ولعلّ من الأمثلة الحيّة التي تُجسِّد هذا العجز الفكري لدى المثقفين العرب، هو ما كشفته أزمة الخليج واحتلال دولة الكويت؛ إذ فضحت تلك الأزمة زيف دعاوى كثير منهم، وبطلان انتمائهم للفكر الموضوعي عندما هبّوا يطبّلون ويزمّرون للاحتلال تاركين الحكم لمصالحهم وأهوائهم ونزعاتهم بمنأى من تحكيم الموضوعية والمنطق ومعايير الحق الأبلج. ولم تبخل تلك الفئة من المثقفين على مزاعمها وتبريكاتها للاحتلال بلباس فضفاض من البلاغة الأدبية والحماسات اللغوية والحقائق المبتورة، فوظفوا بذلك أسماءهم وثقافتهم لخدمة مانزعت إليه مصالحهم الذاتية، وكان مرهونًا بالظرف والمكان والزمان بغضّ النظر عن المُطلق والمنطق.

الزّيف الفكري وظاهرة التثاقف

يعتري الحياة الثقافية في العالم العربي قدرٌ كبير من الرياء والزّيف والتكلّف، ومن أهمّ مظاهر الزّيف الفكري ما نلمسه من ظاهرة النفاق الاجتماعي التي لايكاد يستهجنها أحد من حملة الرايات الثقافية؛ فما تسمعه من المثقفين في جلساتهم الخاصة هو النقيض لكل ما يتسابقون إلى طرحه في المحافل والندوات، وما يستعرضون به عضلاتهم اللغوية وإمكاناتهم الإنشائية عبر شتى المنافذ الإعلامية والقنوات العامة. وما هو أكثر دلالة على التصدّع في التكوين الفكري أنهم قادرون - في كلّ الحالات - على تسويغ سلوكهم بحيثيات ومسوّغات لاتفعل شيئًا أكثر من أنها تتضح واقعًا مزدوجًا، وحالة عصيبة من القلق النفسي والاضطراب الفكري؛ فقد غابت في التكوين الثقافي المقاصد العليا والرؤية الشاملة، وأصبح أولئك المثقفون

أسرى لحالة الانكفاء على الذات والاهتمام بالجزئيات والصراع على الفتات.

ويمكننا أن نرصد بسهولة مظهرًا آخر من مظاهر التكلّف والزيف يتمثل فيما يمكن أن نسميّه ظاهرة التثاقف، إذ يتسابق القوم في عملية استعراض لبضاعتهم - بغضّ النظر عن المضمون والهدف والنتيجة -؛ فتصبح الثقافة بذلك مجرّد لافتة تُرفع لجذب البريق واستقطاب الاهتمام، وتعجّ الساحة بأصنام ثقافية تشيّدها الشللية، وترعاها المحسوبية، وتصونها المجاملات.

ومظهر آخر من مظاهر الزّيف الفكري أن آخرين شطّوا في أمرهم فانغمسوا في ثقافات الآخرين، واستعاروا نماذجهم ومفاهيمهم، ولكنهم - بطبيعة تكوينهم التاريخي وتركيبتهم النفسية وجذورهم الاجتماعية - لم يستطيعوا أن يعيشوا عُمق تلك الثقافات أو يتمثلوا أسس فكرها، أو يسبروا أغوارها، فأصبحوا بذلك من المذبذبين لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء؛ فلا هم حافظوا على مشيتهم التقليدية، ولا هم تمكنوا من الخطى المستوردة فانتهى بهم الأمر إلى صورة مسخ تستثير العطف والشفقة.

ومن مظاهر الزيف الفكري أن المثقف العربي - في غالب الحال - غير مستعدّ لأن يجاهد من أجل أية فكرة يعتنقها، أو يتقيّد بأي منهج يتبنّاه، أو يتصدى بالحوار والحجة لأيّ فكر معارض مادامت مصالحه الشخصية - صغيرها أو كبيرها - في خطر. ولعلّ مثقفنا تسللت إليه عبر التاريخ ثقافة ذلك الأعرابي الذي سألوه إن كان من أتباع معاوية بن أبي سفيان أو علي بن أبي طالب - رضي الله عنهما -، فأجاب: «الأكل على مائدة معاوية أدسم، والصلاة وراء علي أعظم، والوقوف على الجبل أسلم». أو كأن مثقفنا اليوم يتمثل في سلوكه وفعله وفكره الشاعر العربي القديم الذي كان يكيل المديح دون حدود، ويبالغ في الهجاء دون قيود، وفقًا لمصالحه وغاياته؛ فهو يحمل بضاعته اللغوية ليبيعها لمن يدفع أكثر، فكأنه طيّب الذّكر أبو الطيّب المتنبي يمدح كافورًا ويُفرط في المديح، ثم يهجوه ويُبالغ في الهجاء، وهو - في كلتا الحالتين - خاضع لظروفه الخاصة ومزاجه الشخصي وطموحاته الذاتية. ولاشكّ أن ذلك المثقف المدجّن يحتاج إلى بوصلة أخلاقية لكي يتخلص من حالة العقم والاستكانة، ويخرج من حالة التأملات والكلاميات إلى حالة الفعل والممارسة والأداء. ولكن هل تنعدم هذه البوصلة الأخلاقية في موجودات المثقف العربي؟ إن الموروث الإسلامي، الذي يُهيمن على ثقافة العالم العربي، يحمل في ثناياه وطيّاته قيمًا ثابتة وأخلاقًا واضحة ومعايير محددة، لذا فإن المراقب المحايد يعجب لغياب العلاقة الوظيفية بين الموروث الفكري والواقع العملي؛ إذ نجد أن تأثّر المثقف العربي بذلك الموروث - سلوكًا وعملاً - لايرقى إلى مستوى الانتفاع والأداء. إن تربة الموروث الإسلامي خصبة إلا أن مثقفنا يمرّ عليها كعابر سبيل يتسابق إلى سراب بعيد، مخلّفًا وراءه أرضًا يانعة وإمكانات فائقة للزرع والحصاد والإبداع. ومرّة أخرى تبدو المعضلة من جديد، وتتمثّل في النقلة اللازمة من مستوى التنظير إلى مستوى التطبيق، ومن الواضح أن هذه هي نقطة الضعف الأساسية في الثقافة العربية المعاصرة.

ونسأل: هل تنبع ازدواجية المثقف العربي وانفصام شخصيته من واقع تتنازعه مفارقات عدّة، وتُهيمن عليه نزعات متباينة؟. هل تعكس ظاهرة الزيف الفكري حالة عدم توازن في حياة المجتمع وأوضاعه؟. إننا إذا قلنا إن المثقف هو نتاج بيئته والمحصّلة النهائية لواقعه، فإننا بذلك لانستطيع أن نُلقي عليه اللوم، وإذا قلنا إن واقع الحالة الثقافية الراكد يرجع إلى ضمور إسهام الطبقة القادرة على التأثير والتغيير، فإننا نبرّئ ساحة الواقع من أية مسؤولية، وهكذا ندخل في دائرة مفرغة من الجدل العقيم فلا نجد مخرجًا من هذا المأزق الثقافي، إذ يسوغ الواقع وجود المثقف المدجّن، وتسوغ حالة المثقف الواقع المعيش، وهذا أمر شبيه بالسؤال العتيق: أيهما كان في البداية: البيضة أم الدجاجة؟.

آن الأوان لكي ينظر المثقف إلى إمكاناته الفكرية على أنها قيمة ومسؤولية، وليست بضاعة للمباهاة والتثاقف.

هل المثقف هو نقطة البداية؟

في ظلّ الحوار الدائري السابق حول أيهما يتحمّل مسؤولية الحالة الثقافية السائدة: المثقف أمْ بيئته؟ نجد أن توجّهًا يرى أنه حريّ بالمثقف أن يكون رأس الحربة التي تخترق الحدود، وتتجاوز الواقع، وتُرسي المعايير، وتبني الجسور لإعادة التوازن في حياتها الفكرية، وبثّ الحيوية في واقعها الاجتماعي، هذا على الأقل هو رأي د. زكي نجيب محمود في كتابه هموم المثقفين إذ يقول: «لا رجاء لنا في إعادة تشكيل الحياة من جذورها وفي صميمها، إلاّ أن يكون ذلك على أيدي المثقفين الذين لا يعنون بالأمور السابحة على الأسطح عنايتهم بالحركة الكامنة في دخائل النفوس»، ويقول - أيضًا - في تعريف المثقف: «أن يكون رجلاً بضاعته أفكار، يريد بها أن يغير وجه الحياة إلى ما هو أفضل». ومن المهم أن نتوقّف هنا ونسأل: هل يستطيع هذا المثقف أن يشمّر عن ساعديه، ويبدأ مهمته التاريخية، ويغيّر وجه الحياة، وفْق تعبير زكي نجيب محمود، قبل أن يغيّر دخائل نفسه وبواعث فكره وأنماط سلوكه؟. إنه من الواضح أن القيمة الثقافية لأية فكرة لا تتحقق وتؤتي أُكلها إلاّ إذا استطاع المثقف أن يخرج بها من حيّز مسطّح إلى بُعْد ثالث يُكسبها العُمْق والفاعلية، ولن يتأتى هذا إلاّ إذا خرج صاحبنا من دائرة اهتماماته الضيقة وشرَك تطلعاته الذاتية، وتحرّر من الغوص في الأنا، وانطلق إلى عالم أكثر رحابة واتساعًا يشمل مصالح مجتمعه ومقاصده العليا. وقبل أن تمتد إلينا أصابع بعض المثقفين بتهم التحامل عليهم والتحيّز ضدّهم والتقليل من شأنهم ودورهم الريادي، فإننا نقول لهم - أولاً - إن الاختلاف في الرأي لا يُفسد للودّ قضية، ونسأل - ثانيًا - هل نحن بالفعل نقسو هنا على المثقّف العربي؟ هل تجاوزنا - فيما ذكرناه - نطاق الحالة الراهنة والأمر القائم في الحياة الثقافية المعاصرة؟ ونجيب، فنقول إنه من غير الممكن أن نقسو على المثقف العربي، لأننا بذلك نقسو على أنفسنا وبيئتنا وواقعنا؛ فالمثقف ليس إلا انعكاسًا للواقع العربي، وجزءًا لايتجزأ من الكينونة العربية، فإن ظلمناه فإننا نجحد بذلك حقًا لأنفسنا ومجتمعنا قبل أيّ اعتبار آخر. لقد استطاع المثقّف العربي - بشكل عام - أن يحقّق قدرًا لا بأس به من الامتيازات، وأصبح محطًا للأنظار ومركزًا للحفاوة، ولايُضيره وجهة نظر هنا أو مقال هناك يكون أكثر بخلاً في إسباغ الأوصاف الحميدة جميعها وكيل المديح بأنواعه. ولعلّ السعي إلى تعرية الواقع الثقافي وتلمّس سلبياته أصبح أمرًا أكثر إلحاحًا من ذي قبل تحت وطأة الإحباطات والصدمات التي جابهت الكيان العربي في الثلث الأخير من هذا القرن. وبالرغم من ذلك كله، فإن هذا لايمنع وجود فئة قليلة رائدة من المثقفين كانت

المثقّفون العرب والبعد الغائب!

أكثر تماسكًا في فكرها وممارستها، وأشدّ حرصًا على التزام النقد المنهجي الصحيح والطرح الفكري الناضج والرؤية العلمية النزيهة، وإن كان - من المؤسف - أن نشهد تقلّص هذه الفئة وازدياد الأعداد التي تلوذ بالصمت وتلجأ إلى العزلة، هروبًا من ضغوط الشللية والمجاملات والزّيف تاركة الساحة والمهرجان لمن هم أكثر كفاءة وقدرة في تلك المضامير.

عناصر الإشكالية

عندما نطرح هذه الهموم ونحاول تعرية الحالة الثقافية المعاصرة، فإننا لانفعل ذلك من قبيل التسلية أو تزجية الوقت، ولكن يدفعنا حرص على تلمّس مكامن الداء وتعرّف طبيعة الدواء، ويبدو لي أن للمشكلة شقّين:

الشقُّ التربوي: لابّدَّ من النظر بمنظار تربوي محض إلى الفجوة القائمة بين شخصية المثقف وطبيعة ثقافته؛ فالتكوين الثقافي السليم عملية ذات أبعاد تربوية، فينبغي أن يبدأ المثقف بنفسه قبل أن ينطلق إلى مجتمعه ناصحًا ومهذّبًا وموجّهًا وناقدًا، فكيف يتوقّع مثقفنا أن يُقنع الآخرين بخطابه وهو نفسه في حاجة إلى أن يقتنع بما يطرحه، وذلك في حالة غياب البُعد الثالث، ألا وهو بُعْد الممارسة والمراجعة الأمينة والدائمة للمواقف ووجهات النظر. إننا لانطالب مثقفنا بأن يتحوّل إلى ملاك، وأن يكون قدوة كاملة للآخرين، فهذا مطلب عسير ومركب صعب، ولكننا نقول بضرورة التزام حدود دنيا من المعقولية والمنطقية، فلا يصبح فكره مطّاطًا إلى درجة يتغيّر بها وجه العملة، حسب ما يميله المزاج وتبدّل الأحوال وتغيّر مناطق النفوذ، ولاتكون مواقفه مرنة إلى درجة تتعارض فيها الطروحات مع ممارسات تؤذي الحسّ العادي، وتصطدم بالذّوق السليم. إن القيمة الثقافية لكلّ الرموز والأفكار والقضايا التي يتناولها المثقفون تخضع - في نهاية المطاف - لعُمْق صلتهم الشخصية بها، وهذا هو الجانب التربوي المفقود.

والسؤال إذن هو: كيف نوجد هذه العلاقة العضوية؟، وكيف نبعث فيها الحياة؟. إننا نرجو ألا نحتاج إلى تربية أجيال جديدة لكي يتحقق ذلك المطلب، وحتى إذا صبرنا على الانتظار إلى أن تخرج تلك الأجيال من رحم الزمان فإن السؤال يصبح: من يربّي تلك الأجيال؟ وأين تجد تلك الأجيال قدوتها الحيّة ومُثُلها البارزة للعيان؟ وتبرز هنا أهمية التربية الذاتية التي ينبغي أن تحتّل مكانًا خاصًا في التركيبة الثقافية المعاصرة، وأن تتجلّى في اهتمام المثقف وحرصه على تعميق الصلة بينه وبين فكره، ممارسة وتحليلاً وتطبيقًا ودراسة. لقد آن الأوان لأن ينظر المثقف إلى ثقافته وإمكاناته الفكرية على أساس أنها قيمة ومسؤولية وأمانة، وليست بضاعة مُزجاة في ساحات المباهاة والتثاقف والظهور، أو يعدها مجرد أداة يطوّعها لخدمة أغراض خاصة ومصالح ذاتية.

إنه إذا التصقت معاني المسؤولية والنزاهة بالتكوين الثقافي، وتسرّبت إلى النسيج الفكري، فإن المثقف العربي يضع خطابه على الطريق الصحيح نحو إبداع حقيقي وتأثير ملموس وحضور مؤثّر، ويُباشر بذلك مهمة التوظيف الفعّال للأفكار والطروحات في خدمة المعضلات الحياتية والأمور اليومية والقضايا المصيرية. وتبقى في كيان الأمة مساحات شاسعة وقنوات عديدة لإعداد المثقف وتأهيله وتنمية فكره وممارساته، وينبغي أن تُفسح المجالات للقادرين على القيام بالعملية التربوية والتطوير الفكري بغضّ النظر عن الشلل والمحسوبيات والمنافع المتبادلة. فالهدف الرئيس هو أن تتخذ الحياة الثقافية بُعْدًا أعمق ورؤية أنضج، وأن ينسجم المثقف مع ذاته وفكره، ليتمكّن بذلك من احتلال موقعه المناسب في تحريك المجتمع وتطوير إمكاناته. ويبرز - في هذا المقام - الدور الحتمي للناقدين والمحللين ولو قَسَتْ أساليبهم، إلاّ أنهم أفضل بكثير ممن اعتادوا كيل المديح ومجاراة التيار وركوب الموجة، فصديقك من صدَقك لا من صدَّقك.

ومن المهم أن نوضّح هنا أن العملية التربوية المطلوبة لاترمي إلى إسباغ لباس واحد على المثقفين كافة، فتتحد آراؤهم وتنسجم مواقفهم وتتناغم ممارساتهم، فهذا بطبيعة الحال مطلب مستحيل، لأنه يُعطّل مسيرة الحياة، ويوقف حركة ديناميكية التغيّر، ويُخالف سنّة الله في خلقه، ولن تجد لسنّة الله تبديلاً.

د. زكي نجيب محمود

إن تباين المواقف واختلاف الطروحات ليس مشكلة في حدّ ذاته؛ بل هو ضرورة لازمة لاستمرار الحياة وتطوّرها، وإنما تكمن المشكلة في عدم قدرة المثقفين على تمثّل واقعهم والغوص في أحشاء بيئتهم، وتلمّس إمكانات موروثهم، ثم عدم قدرتهم على الحوار المنضبط والطرح الموضوعي والنقد الملتزم والممارسة الأمينة، وتتضح المشكلة - أكبر ما تتضح - في العجز الصارخ في إجراء النقلة من عالم الأفكار إلى عالم الأفعال، وإيجاد صيغة تفاعل دائم بين العمل والفكر والبواعث والحوافز، مما يمنح المجتمع ثراءه وملامحه ويُكسبه العُمق والحيوية.

الشق العلمي: لقد ذكرنا أن الفكر الأدبي يُهيمن على خطاب المثقف العربي؛ فنجده يميل إلى التعميم والتفخيم والتضخيم مُبرزًا مهاراته اللغوية في كلّ آن، ومُقحمًا قدراته اللفظية وانفعالاته الآنية في كل مكان، فكان من سلبيات هذا الأمر أن كانت الضحية هي الأفكار والقيم والمعايير، وأضحت الكلمات باهتة دون معنى أو مصداقية.

ولاشكّ أن المخرج الوحيد من هذه الأزمة الفكرية هو في الاهتمام بالفكر العلمي واستيعاب أصوله ومنهجيته، والحرص على نشر الثقافة العلمية لينجم عن ذلك تعوّد على الدقة والانضباط واحترام المعاني وتعريف المصطلحات وتصنيف المفاهيم واستخدام أساليب الاستقراء والتحليل العلمي وفهْم طبيعة العصر وطرائقه، ويتمخّض عن ذلك حرص على النقد الذاتي، وتمحيص موضوعي لعناصر الخطاب الثقافي المطروح على الساحة العربية. ومن الواضح أن هذا مدخل رئيس في عملية التربية الذاتية التي أشرنا إليها آنفا، وعنصر ضروري لتدريب العقل وتعليمه وتنمية مداركه.

لقد آن للمثقفين أن يُدركوا أن المسؤولية تقع على عاتقهم في إصلاح أوضاعهم وتطوير منهجهم لكي يتمكّنوا من التأثير في بيئتهم والقيام بمهمتهم في التوجيه والتطوير والإبداع. إن الوعي العام في المجتمعات العربية قد تجاوز تلك المراحل التي كان فيها التلاعب بالكلمات والمصطلحات، والعزف على أوتار العواطف والانفعالات هما القاعدة والعُرْف. وانطلاقًا من الطبيعة العلمية للعصر الحديث ومعطيات التجربة العربية المعاصرة أصبح لزامًا على المثقف العربي أن يستوعب تلك الحقائق، ويلتزم في حواراته ونقولاته وطروحاته وممارساته أصالة وعُمقًا ونزاهة، متجاوزًا بذلك ظاهرة التثاقف، أو البحث عن الأضواء، أو استرضاء الأمزجة، والاهتمام بتحقيق المكاسب السريعة ذات الصِّبغة الخاصة.

لله تكبيري

(اعترافات جندي من سراييفو)

شعر: سعيد فخرو



مـــادامت الأرضُ تدورُ دائمًـــا بلا ارتيـــاحْ
وتشـرقُ الشـمسُ من المشـرق في كلّ صبـاحْ
ولاتــكلُّ، أو تملُّ، أو تــهـــــزُّها الريـاحْ
ســوف أظلُّ مــسلمًــا رغم الدمـارِ والجـراحْ
مــوحّــدًا، مُــصلّيًــا، مــؤذنًا ـ على الفـلاحْ...

* * *

أنا من «الهـــرسك والبـــوسنَ» أُمًّـــا وأبا...
لا أشــربُ الخَــمــر ولاأبني لربي نُصُــبــا
أصــوم شــهــري، وأصلّي، وأحبُّ العــربا
وجـــمـــرةُ الإيمان في كـــفّي ثلوجٌ وصَـبَـا
من أمَّـــةِ القـــرآن أهلي، وكــفـــاني نســبـا

* * *

أحــملُ في حــقــيــبـتي الأنجمَ قــمــحًا ونخــيلْ
وبضعَ تمْراتٍ بهـــا أُفطر في الشـــهـــر الفــضــيلْ
ألبسُ في العــيـــد عـــبــاءةً بهــا الشــمسُ تميلْ
خــيــوطُهـــا منســوجـــةٌ على مناسج الخليلْ
واسْمُ أبي «سـعْـدٌ»، وأمّي «خولةٌ» واسْـمي «جـمـيلْ»

* * *

ســبــعــون عــامًــا و أنا أرسفُ في القــيــد الحــديدْ
صـــبـــرتُ حـــتى ملّني الصبــرُ وعــافني وحــيــدْ
يمسكـنـي الإيمان من أن أتَرَدَّى في الصـــــديدْ
حــتى إذا مــا كــبَّـر الداعي انْـتـصـبتُ من جـديدْ
لله تكبـــيـــري، وإســلامي هو السـيـفُ الوحــيــدْ

من أدب الرحلات

مع الموسوي المكي في رحلته (٦)

نزهة الجليس ومنية الأديب الأنيس

«٦»



حلقات يكتبها :
الشيخ حمد الجاسر

سيلاحظ القارئ الفرق بين هذا الثناء الذي أضفاه الموسوي على الشريف زيد وبين ماذكر عنه ابن بشر من أنه في سنة ١٠٥٧هـ حين سار إلى نجد ونزل روضة سُدَيْر، قتل رئيسها محمد بن ماضي بن ثاري، وفعل مافعل، من القبح والفساد، وولّى فيها رميزان بن غشام(١). فكيف يوفق القارئ بين ماذكر هذان المؤرخان من مدح وقدح؟ ومثل مدح الموسوي قال دحلان في «خلاصة الكلام»(٢): «وكان مولد الشريف زيد سنة ١٠١٦ بأرض بيشة، وكانت أيام ولايته مواسم لأهل الفضائل، تُجبى إليه ثمرات العلوم والآداب من كل طائل، ويقابل بالبشر والنائل، ويباحث العلماء في دقيق المسائل».

أما مسير الشريف زيد إلى نجد، فقد أشار إليه العصامي(٣) في كلامه على سنة ١٠٥٧ بما ملخصه: «وكان الشريف سنتها قد توجه إلى جهة الشرق، فأبعد حتى وصل قريبًا من الخرج، وكان القائم مقامه لحفظ مكة السيد إبراهيم بن محمد بن الشريف عبدالله بن حسن».

وأما دحلان(٤) فقال: «لما جاء الحج خرج الشريف زيد من مكة، وتوغل في بلاد الشرق، حتى وصل إلى محل بينه وبين البصرة خمسة أيام، وأنه عاد من سفره في ذي القعدة». فلعل ماحدث ببلدة (الروضة) كان منه في هذه الرحلة.

وابن بشر- رحمه الله - لايذكر مصادر الحوادث التاريخية، التي يوردها، ولعل أوضح مثل له في ذالك، أنه عَوَّل على كتاب «روضة الأفكار والأفهام» للشيخ حسين بن غنام، فنقل مافيه من الحوادث والوقعات، ولم ينسبها، بل لما ذكر وفاته لم يذكر ذالك الكتاب من مؤلفاته.

أطلت الوقفة في الكلام على ترجمة الشريف زيد لما ذكر عنه ابن بشر، مما لم أرَ غيره ذكره من مؤرخي الحجاز، الذين اطلعت على كتاباتهم كالعِصَامي ودحلان وغيرهما. ولتكن العودة إلى الموضوع:

والموسوي المكي قد يقسو في النيل من بعض سكان البلاد التي يمرُّ بها، كأن يقول عن (الحُدَيْدَة) التي مَرَّ بها في شهر ربيع الأول

عام أربعين ومئة وألف: بندر صغير على ساحل البحر، تُجّارُهُ شياطين لئام، وسكانه أفقر الآنام(٥).

وقد أورد ترجمة مطولة للشيخ أحمد بن موسى بن علي بن عُجيْل، مرَّ ببلدته (بيت الفقيه)(٦) وعلَّل تسمية (العُجيْل) بأنه أراد يومًا أن يسقيَ دوابّه فلم يمكنه لكون الدلو لغيره، فذبح عجْلاً وفَرَى جلده دَلْوًا وسقى دوابه، فكان قومه يقولون: صاحب العُجيل، فلما كثر ذلك وعُرِف به حذفوا المضاف وأقاموا المضافَ إليه مقامه، وقالوا: عُمر عُجيْل، واستمر ذالك في ذريته.

وذكر أنه اجتمع في بيت الفقيه بسلطان مكة المشرفة الشريف مبارك بن أحمد، وامتدحه بقصيدة أوردها، وسار من (الحُديدة) في البحر مارًا بجزيرة (كَمَران) واصفًا ماقاساه من المشقة والخطر من اشتداد الريح وقوة الأمواج، ووصف جزيرة (كَمَران) بأنها جزيرة مقابلة لبرِّ الصُّلَيْف، وهي ذات مياه عذبة، وأزهار طيبة، وهواء لطيف، وترجم أحد المشايخ المنسوبين إليها، وهو: محمد بن الحسن بن عَبْدَوَيْهِ العراقي، من تلاميذ أبي إسحاق الشيرازي، ودخل اليمن، وسكن مدينة زَبِيْدَ مُدَّةً في عهد ملوك الصُّلَيْحِيِّيْنَ، ثم انتقل إلى جزيرة (كَمَران) واشترى هناك (جلاَّبًا)(٧)، وكان يرسل عبيده إلى الهند وغيرها من البلاد، فاستفاد أموالاً، وقصده الناس واشتغلوا عليه بالعلم، وتوفي سنة خمس وعشرين وخمس مئة، ودفن إلى جنب مسجده في الجزيرة المذكورة.

ثم ذكر مروره ببندر (اللُّحَيَّة) و(جازان)، وأنه لم يدخلهما، ولكنه دخل بندر (القنفذة) وأقام فيه ثلاثة أيام.

وصوله إلى جدة

ثم سار من القُنفُذة إلى جُدَّة فبلغها غرة جمادى الأولى بعد أن مكث أربعين يومًا في البحر، وأقام في (جدة) أربعة أيام، وقال في وصفها: جُدَّةُ على ساحل بندر مكة، وبها تفيض المكوس من التجار الواردين من (الهند) و(اليمن) و(البصرة) و(عُمَان) و(الصين) وغير ذالك، وبها الأسواق الواسعة، والدور العامرة، والحوانيت المملوءة، والخانات العظيمة، وعليها سور محكم، وبها قلعة محكمة على البحر، وبها البرج اليماني على البحر، وبها مِدْفع عظيم جدًا، وبها ضريح الشيخ المظلوم، وبها ضريح السيد أبي بكر العلوي، وخارجها قبر حواء عليها السلام، إلاَّ أن ماءها قليل، وخارجها صهاريج تُملأ من المطر، وإذا قَلَّ المطر يأتون إليها بالماء من جبال خليل (؟) والمسافة نصف ليلة، وهي بلد متْجرٍ ومكسب، وهي بين مكة المشرفة وباشا جدة، وبها نائب من قبل الشريف(٨). انتهى.

ويقصد أن المكوس ومايجبى في جدة يُقسم بين واليها التركي وبين شريف مكة. وذكر أنه سافر إلى المدينة فسار ثلاث مراحل في خبت أقفر، وبلغ في الرحلة الرابعة بلدة (رابغ) وصفها بقوله(٩): «وهي قرية صغيرة، ذات نخيل وآبار»، ومرَّ بقرية (مستورة) التي وصفها بالصغر، وأن ماء بئرها غير جيِّد، وأن بها ضريحًا سماه (الولي الشيخ المهدلي)، ثم ذكر المرور بخبت البزوة (البزواء) وهو برٌ أقفر، ثم الوصول إلى بلدة بدر.

وصف بلدة بدر

قال: «وهي قرية لطيفة على وادٍ عظيم، فيها النخيل الباسقة، والمياه المتدفقة، والأشجار المؤتلقة، وبها الموز اللطيف، والليمون والأُترج، وغير ذلك. وبعض أهلها كرام أخيار، والبعض لئام أشرار، وبها مسجد الغمامة، وبها قبور الشهداء».

وذكر أنه كتب بخطه في محراب مسجد الغمامة:

لقد وافيتُ بدرًا بالسلامة
ونال القلب ياصحبي مرامه
وزرت مصارع الشهداء فيها
وأهل الفضل حقًا والكرامه
وسرت مؤملاً من فضل ربي
زيارة من أظلته الغمامة

ومع أنه وصف أهل بدر بتلك الصفة، فقد ذكر بأنه أقام في هذه البلدة ستة أيام قائلاً: «ونحن في عز وإكرام»، ولكن كما قيل: (ومازالت الأخيار تُهْجَى وتُمْدَحُ).

بعد ذلك سار إلى (الصفراء) وقال: وهو واد لطيف أنيس، شريف، مياهه غزيرة، ونخيله باسقة كثيرة، مخضرُّ الجوانب، الفرح والسرور حَفَّ به من كل جانب:

رعى الله جيراني ببدر وبالصفرا
وجاد عليهم صوب غادية تترى
عسى من قضى بالبعد بيني وبينهم
سيجمعنا في حيهم مرة أخرى

وأغلب أهل (الصفراء) زيدية ينادون في أذانهم بـ (حيَّ على خير العمل)، ثم وصف (الخيف) بأنه: وادٍ عظيم، نخيله كثيرة ومياهه غزيرة، ولكنه نال من سكانه، ومرّ بعد (الخيف) بـ (النازية) و(الفُريش) ووصفهما بأنهما أرضان جرداوان قفراوان.

وبلغ مدينة المصطفى عليه الصلاة والسلام في الثاني والعشرين من جمادى الأولى سنة أربعين ومئة وألف، ولم يتحدث بتفصيل عن وصف ماشاهده.

إلى الطائف

وفي عصر سادس شوال عام أربعين ومئة وألف سار من مكة إلى بلدة الطائف، فبلغ في نصف الليل (قهوة الكسَّار) موضع بعرفة، وكان المبيت به إلى الفجر، ثم رحل مارًا بأرض (نعمان) أرض أنيسة، نزيهة نفيسة، وبها مزارع وآبار، وتمثل قائلاً:

عليكم سلام الله ياأهل نعمان
فذكركم يَحْيى به المغرم العاني

وعند الزوال بلغ (شدَّادًا) وهو موضع به مزارع ومقاه، وريح السموم فيه عظيمة، فنزل فيه إلى العصر، ثم سار فأتى (الكُرَّ) بعد المغرب، و(الكُرُّ) هذا أسفل جبل (كَرَا)، به ماء ومقاه، ويجلب منه العسل اللطيف، فكان المبيت إلى الفجر.

وبعد صلاة الصبح صعد جبل (كرا) وهو جبل عظيم، قيل إنه متصل إلى (صنعاء) - كذا قال -، مضيفًا: فلم نزل في نزول وصعود، وقيام وقعود، إلى قريب الضحى، فصعدنا إلى أعلاه.

وصف الهدا (هدة)

بعد أن ذكر أنه ذهبت كل قواه في صعود جبل (كرا) قال: ثم سرنا فأتينا (الهدا) وطالع الفرح والسرور علينا بدا، وهي أرض يقصر عن وصف محاسنها اللسان، كأنها من رياض الجنان، بها الأشجار والأزهار، والمياه العذبة، وصنوف الأطيار، والفواكه المختلفة الألوان، والبدور الساطعة الحسان، وأهلها أصحاب كرم وسخاء، خيرهم مبذول في الشدة والرخاء:

لقد زاد شوقي ياأخِلاَّي لـ (لهدا)
بلاد بها الإحسان والجود والهُدى
حكتْ جنة الفردوس في الحسن والبها
حماها إله العرش من طارق العِدا
بها الأنس والأفراح والسعد والهنا
بها طالع الإقبال والعزّ قد بدا
فواكهها جلّتْ عن الحصر يافتى
وفي روضها المنثور أضحى مُنضَّدا
وأطيارها غنّتْ لنا وترنمت
كذا بلبل الأسحار في الروض غرَّدا
وشحرورها ياصاح قد صاح وانتشى
يجاوبه القَمْرِيُّ في الدوح منشدا
وأقمارها قد أسفرت وتبلجت
محاسنها والسعد فينا تجددا
وسكانها الأجواد للّه دَرُّهم
بهم يُقْتدى في القول والفعل والندا
عليهم سلام الله ماهبَّت الصَّبا
وماناح طير في الغصون ورددا

فَقَيَّلْنا في (الهدا) إلى العصر ورحلنا، فلم نزل نسير بين المياه والبساتين، والزهور والرياحين، على شمالنا واليمين، فلما كان ثامن شوال عند الغروب، وردنا أرض الطائف المحفوفة باللطائف. انتهى.

واسم (هدا) هنا على ماضبط ياقوت منقول من الفعل الماضي من هدا يهْدِي، إذا أرشد، وأضاف: موضع من نواحي (الطائف). وقد أعاد الاسم مرة أخرى في مادة (الهدأة) قال: الهدأة كما ذكر البخاري في قتل عاصم موضع بين (عُسْفان) و(مكة) وكذا ضبطه أبو عُبيْد البكري الأندلسي، وقال أبو حاتم: يقال لموضع بين (مكة) و(الطائف): (الهدة) بغير ألف، وهو غير الأول، ذكر معه لنفي الوهم.

ونقل الزمخشري عن الشريف عُلَيٍّ وهو من علماء مكة وخبير بتحديد المواضع: (الهدة مُخففة ويقال لها هُدَةُ زُلَيْفة من بطون هذيل). وفي «معجم مااستعجم» للبكري: الهدة منزل بين مكة والطائف نسبوا إليه هدوي، وقال أبوحاتم: سألت أهل هدة من ثقيف: لِم سميت هدة فقالوا: إن المطر يصيبهم بعد هدأة من الليل.

وقد قوي عمران (الهدة) وانتشر في عهدنا حتى اتصل فيما بينها وبين الطائف، وشيدت فيها القصور والفنادق العظيمة والدارات الجميلة، وأصبحت من أشهر متنزهات المملكة إن لم تكن أشهرها، وبينها وبين (الطائف) خمسة عشر كيلاً.

أما (الهدأة) الثانية وهي بهمزة بين الدال وهاء التأنيث، فللوادي الذي ورد فيه خبر سرية عاصم بن ثابت، والقصة مفصلة في كتب السيرة، وهذه تعرف باسم (هدة الشام) لوقوعها شمال مكة، وهي في وادٍ بهذا الاسم يسير موازيًا لوادي مَرّ الظهران شماله تفصل بينهما حَرَّة، وكانت هذه (الهدأة) ذات عيون وزراعة قوية، إلاّ أنها ضعفت في الأزمنة الأخيرة، وينطق الاسم بدون همزة، وكانت من بلاد هذيل.

الحواشي:

١- «عنوان المجد في تاريخ نجد» لابن بشر (قسم السوابق).
٢- «خلاصة الكلام» ص٧.
٣- «سمط النجوم العوالي» ج٤ ص٤٦٤.
٤- «خلاصة الكلام» ص٧٦.
٥- ج٢ ص٣١٩.
٦- ج٢ ص٣١٩ إلى ص٣٢٢.
٧- الجلاب: جمع جلبة وهي نوع من السفن.
٨- ج٢ ص٣٢٧.
٩- المصدر نفسه.



زينة الحياة الدنيا

د. محمود جبر الربداوي

قال فَضالة بن زيد العَدْواني:

وما العيش إلا المال، فاحفظ فُضوله(١) ... ولاتُهلكنْه في الضلال فتندمِ
فإني وجدتُ المال عزًّا إذا التقتْ ... عليك ظلال الحرب تُرهم(٢) بالدم
إذا جلّ خطبٌ صُلتَ بالمال حيثما ... توجّهتَ من أرضَيْ فصيحٍ وأعجمِ
وهابك أقوامٌ وإنْ لم تُصبهُمُ ... بنفعٍ، ومن يستغنِ يُحمدْ ويكرمِ
وتعطي الذي يبغي وإن كان باخلاً ... بما في يديه من متاعٍ ودرهمِ
وفي الفقر ذلٌّ للرقاب، وقلَّ ما ... رأيت فقيرًا غير نِكسٍ (٣) مذمّمِ
يُلامُ وإن كان الصواب بكفه ... ويُحمد آلاء البخيل المدَرْهمِ
كذلك هذا الدهر، يرفع ذا الغنى ... بلا كرمٍ منه ولابتحلّمِ
ولكن بما حازت يداه من الغنى ... يصير أميرًا للئيم الملطّمِ

﴿المال والبنون زينة الحياة الدنيا﴾ (الكهف:٤٦) قول من حكيم عليم، وحكمةٌ بالغة، وفكرةٌ في الحياة خالدة؛ لأنها صدىً لغريزة حب المال الذي هو قوام الحياة. كان في الماضي قوامها، وسيظل في المستقبل قوامها. ولأنه عنصر مهمٌ من عناصر الحياة واستمرارها كَثُر حديث القرآن عن المال، فقد ذُكر مصرّحا به في ست وثمانين آية، وقد ذكر مكنّى عنه في آيات كثيرة، كما ذكر مقترنا بالبنين والأولاد في اثنتين وعشرين آية، ومقترنا بالنفس في إحدى عشرة آية، ومقترنًا بالجهاد وتارة أخرى بالقوة وتارات بالفتنة واللهو والانشغال وغيرها. تناولت هذه الآيات جوانب مختلفة من فكرة المال وعلاقتها بالحياة والإنسان. فحبُّ الإنسان للمال غريزة لمسها القرآن في النفس البشرية؛ لأنها نزعة فطرية وغريزة أزلية، وعبَّر عنها حين قال: ﴿وتحبون المال حبًا جمًّا﴾ (الفجر:٢٠)، وأشار مرة أخرى إلى هذا الحب الجم حين قال: ﴿وآتى المال على حبه﴾ (البقرة:١٧٧) أي على الرغم من حبه. وهذا الحب الجم دفع بالإنسان إلى التكاثر من هذا المحبوب حتى ألهاه عن الغاية الأساسية التي خُلقَ من أجلها؛ لذا جاء في سورة سماها القرآن (التكاثر) قوله تعالى: ﴿ألهاكم التكاثر. حتى زرتم المقابر﴾ (التكاثر: ١-٢). وحب التكاثر في المال جعل الناس يفتخر بعضهم على بعض بكثرة المال. وقد التقط القرآن جملة من حوار بين رجلين آتاهما الله من زينة الحياة الدنيا ماآتاهما. فقال أحدهما للآخر ـ متعاظمًا ـ: ﴿أنا أكثر منك مالاً﴾ (الكهف:٣٤). وفي السُّنة الشريفة إشارات كثيرة لغريزة الإنسان لحب المال والتكاثر منه تكاثراً يتجاوز فيه الحد، فقد روى أنس عن النبي (صلى الله عليه وسلم) أنه قال: «لو كان لابن آدم واديان من مال لابتغى واديًا ثالثاً» (صحيح مسلم:٣/٩٩). ومأروع البلاغة النبوية في تعبيرها عن خشيتها من الاندفاع وراء مثل هذا الطمع بالمال والّلهاث وراء مُتَع الدنيا وزُخرفها عندما قال: «إن مما أخاف عليكم بعدي مايُفتح عليكم من زهرة الدنيا وزينتها» (صحيح مسلم: ٣/١٠٢). ولكن القرآن الذي وضع يده على هذه الغريزة أحبَّ أن يعلم البشر أن هذا المال الذي يسعون إليه ماهو إلا واحدٌ من (متاع الغرور) الذي تحفل به دنياهم، فقال: ﴿اعلموا أنما الحياةُ الدنيا لعبٌ ولهوٌ وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال﴾ (الحديد:٢٠). غير أن هذه الفكرة لاتتعارض مع فكرة أن المال قوام الحياة يجب أن يسعى إليه الإنسان ويمتلكه، ولكن يعلّمه القرآن أنه في سعيه هذا يجب ألاتدفعه غريزة امتلاك المال للطغيان والتعدي على الآخرين؛ لذلك حذّرهم من هذا الطغيان القائم على امتلاك القوة التابعة من امتلاك المال، فقال: ﴿كلا إن الإنسان ليطغى. أن رآه استغنى﴾ (العلق: ٦-٧)، فلانظنن أن الله يأمر الناس بالكسل في طلب الرزق الذي يفضي بهم إلى التواكل الذي يودي بهم إلى الفقر، وإنما يخشى أن يتحول الغنى ـ وهو مصدر من مصادر القوة ـ إلى استخدام هذه القوة في الطغيان على الآخرين وإذلالهم واستعبادهم، وينسى الطاغي أن الخلق كلهم عيال الله، وأحبهم

إلى الله أنفعهم لعياله، كما يخشى القرآن أن ينشغل الإنسان بالبحث عن المال ـ وهو وسيلة ـ إلى نسيان تأدية رسالته الإنسانية ـ وهي غاية ـ، فتلهيه الوسيلة عن تحقيق الغاية، ويتحول المال من كونه قوام الحياة والمعوان على استمرارها إلى فتنه، فقال لهم في سورة الأنفال: ﴿واعلموا أنما أموالكم وأولادكم فتنة﴾ (الأنفال:٢٨). وكرر هذا المعنى في سورة التغابن (الآية:١٥).

قلت هذا الكلام في معرض حديثي عن موقف القرآن من المال وتصويره له وتعبيره عن حب الإنسان له وامتلاكه. ولكن ليست غاية هذه الحلقة من زاوية (قصة قصيدة) أن نتحدث عن موقف القرآن من المال والغنى، فقد تحدثت عن ذلك بكثير من التفصيل في موضع آخر، ولكن جئت بهذا الكلام تمهيدا للحديث عن رأي شاعر تحدَّث عن المال حديثًا جادًا، وقلما وجدت في الشعر القديم جاهليّه وإسلاميه حديثًا عن المال كحديث هذا الشاعر، أطلعنا بقصيدته هذه على رأيه، ورأيه يمثّل رأي قطاع كبير من الناس الذين عاصروه وماأكثرهم، أو رأي مجتمعه الذي عاش فيه، وماأوسعه، فمن هم الناس الذين عاصروه؟ .. إنهم قومٌ من الجاهلية، وقوم من رجال عصر صدر الإسلام، وقوم من رجال العصر الأموي. أقول هذا القول ودليلي عليه أن قائل الأبيات التي أثبتُّها لك قبل قليل رجل معمَّر، ولد في العصر الجاهلي، وعاصر انبعاث النبوة، وامتدت به الحياة إلى زمن معاوية بن أبي سفيان في العصر الأموي. ذلكم هو فضالة بن زيد العدواني الذي ذكر السجستاني أنه عاش عشرين ومئة سنة(٤)، وأورد له هذا المؤلّف حوارًا طريفًا مع معاوية بن أبي سفيان. ومعاوية خليفة ذكي داهية مثقف، يعرف كيف يدير الحوار مع محدّثه، يسأل كل كبير قوم، وكل رئيس وفد يفد عليه أسئلة قد تكون سياسية أو فكرية أو اقتصادية أو أدبية، ولكنها تتناسب مع مايريده معاوية من محاوره. غير أن حواره مع فضالة كان حديثًا حرًا بعيدًا من السياسة، قريبًا مما يصلح لمجالس السمر والأدب والشعر؛ لأن محدثه شاعر معمَّر حكيم طريف. ابتدأه معاوية فسأله السؤال التقليدي القديم الحديث الذي يتملّح به الرجال في مجالس تزْجية الوقت، قال معاوية: «كيف أنت والنساء يافضالة؟» فأجابه هذا الرجل الشاعر ابن المئة والعشرين عامًا:

وفيم تصابي الشيخ والدهر دائبٌ
بمبراته يلحو عروقًا وأعظُما
رمتني صروف الدهر حين تركنني
أجبَّ السنام بعد ماكنت أبْهما
كذلك ريب الدهر يترك سهمه
أخا العزّ والأدُّ الذليل المذمّما

ويُسمعه من هذه القصيدة التي تصف حاله مع النساء في شبابه وشيخوخته أبياتًا طوالا، يجيب الشاعرُ الخليفةَ، بشعر فيه فخر واعتراف، ولكنه شعر بلهجة مؤدّبة تليق بمجالس الخلفاء، وكأني بمعاوية الخليفة الوقور تفترُّ شفتاه لهذا الحديث، ولكنه يحوّل الحوار إلى موضوع أكثر جديّة، فيقول له: «فأي الأشياء منذ كنتَ بها أسرّ، وأي شيء كنت بوقوعه أشدُّ اكتئابا؟» فيردّ الرجل: «ياأمير المؤمنين لم يقطع الظهر قطع الولد شيء، ولادفع البلاء والمصائب مثل إفادة المال، والله -ياأمير المؤمنين- إن المال ليقع من القلب موقعًا مايقعه شيء، وإن الولد الصالح لبمثل منزلة المال، ولكن للمال فضيلة عليه، وإن كان طلب المال إنما يجمعه لولده، فإنه آثر عنده منه، وإن كان يثمره له، فهو أحلى متاع الدنيا عند أهل الدنيا». كلمة فضاله هذه تضعنا في صميم مانحن بصدد الحديث عنه، وهو حديث المال والولد، وهما العنصران اللذان وردا في القرآن بصيغة: ﴿المال والبنون﴾ ووصفهما القرآن بأنهما ﴿زينة الحياة الدنيا﴾ ـ كما مر ـ ووصفهما فضالة بأنهما موطن السرور واللذة؛ أمّا لذة المال فهي اللذه الوحيدة التي بقيت لرجل بعمر فضالة. ولذائذ الحياة الأخرى وشهواتها انقضت كلها وذهبت بها تجارب العمر المديد. والرجل -أيّ رجل- عندما يكبر يودّع الرغبات والشهوات إلا شهوة جمع المال، إذ تظل هذه الشهوة تذكره بأنها عماد أسباب الحياة؛ لأن المال معوان على تحقيق أسباب الحياة. وأما الولد فإن المجتمع البدوي آنذاك يقيم وزنًا كبيراً للولد، وخاصة الذكر، وبالأخص لرجل مثل فضالة أخذ يسير بخطى وئيدة نحو أرذل العمر. يقره معاوية على حديثه عن الولد، ويدلي معاوية برأيه في الولد فيقول: «الولد حبة القلب، ووتد النفس، وقُطبة العيش، ولاخير في المال لمن لاولد له». أما المال فلمعاوية رأي آخر فيه يخالف رأي فضالة، فيقول له: «ليس كل أحد على رأيك في المال»، فيلتفت إليه فضالة ويشرع في إنشاد قصيدته الميمية الآنفة الذكر، فيقول:

ومالعيش إلا المال، فاحفظ فضوله
ولاتهلكنه في الضلال فتندم

وكأني بمعاوية يطرب لهذه الأبيات، ولايختلف مع صاحبها في فكرته عن المال؛ بدليل أنّ ذاكرته أسعفته بإيراد أبيات لشاعر من بني (أُسيّد) يقول فيها(٥):

بني أم ذي المال الكثير يرونه
وإن كان عبداً سيّدَ الأمر جحفلا
وهُمْ لمقلّ المال أولاد علّة
وإن كان محْضًا في العمومة مُخْولا

وخلاصة الأمر أن المرء الذي يُنعم النظر في الآيات المتعلقة بالمال، وفي أبيات فضالة هذه، وفي أحوال البشر وعلاقتهم بالمال وممارساتهم لاكتسابه وإنفاقه ينتهي إلى تصنيف البشر إلى ثلاثة أنماط: نمط يجد لذته في جمع المال وتكديسه، ونمط يجد لذته في إنفاق المال وتبذيره، ونمط وسط: ﴿والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما﴾ (الفرقان:٦٧)، وهذا الصنف الأخير هو الصنف المحمود، فإذا قُدِّرَ لك أن تكون مسؤولا عن إدارة مجموعة صغيرة كالأسرة، أو مجموعة كبيرة كالمجتمع، فقصارى جهدك أن تحملهم على الدأب في كسب المال من طرقه المشروعة وعلى ترشيدهم إلى إنفاقه في الطرق المشروعة أيضًا. وحسبك أن تقيم بينهم هذه المعادلة الصعبة التي لايوفّق إلى إقامة توازنها إلا كل ذي حظ عظيم.

الحواشي:

(١) فضول المال: مازاد على الحاجة، أو مايأتيك من غلته ومرافقه.
(٢) تُرهم: تمطر مطرًا خفيفًا، والمقصود هنا تدفق الدم من القتلى في الحرب.
(٣) النكس: الضعيف أو الرذل المقصر عن غاية النجدة والكرم. ج: أنكاس.
(٤) المعمرون والوصايا لأبي حاتم السجستاني، ص١٠٤.
(٥) نفسه، ص١٠٥.

لغة المكان

د. محمد المصطفى

يحتوي كيان الإنسان على خطوط مزدوجة عديدة كالحب والكره، والسلم والعداوة، وإحساس الفرد بفرديته، وإحساسه بالميل إلى الاجتماع مع الآخرين.

ويحاول كل مجتمع، وتحاول كل فلسفة، بطريقة أو بأخرى، التوفيق بين كل خطين من هذه الخطوط. وهما خطان قد يبدوان متناقضَين؛ إلا أنهما في الحقيقة يعبران عن الطبيعة المزدوجة في الكائن البشري. فهي طبيعة متناقضة إذا ما نُظر إليها من السطح، لكنها في عمق الكيان الإنساني مترابطة تؤدي مهمتها من طريق التناقض والترابط معا.

ومن الأمور الحيويّة التي تظهر فيها هذه الطبيعة: موقف الإنسان من المكان. فعلاقة الإنسان بالمكان علاقة وطيدة وقديمة قدم الإنسانية، واستخدام الإنسان للمكان هو استخدام يومي ومستمرٌ، ويشكل جزءا من نشاطه الحيوي، سواء بقصد العمل وكسب العيش، أو بقصد التواصل مع الآخرين، أو بقصد الترويح عن النفس. هذا الاستخدام اليومي للمكان يُكسب هذا الأخير أهمية خاصة؛ لأنه يؤدي دورا يُسهم مع عناصر أخرى، كالشخصية والبيئة الاجتماعية-الثقافية، في تكوين السلوك الإنساني. فالطفل يذهب سعيدا نحو غرفته، لأنه يعدها "مملكته"، وحيوان مثل الكلب يحتمي بـ"مأواه" حين يشعر بخطر يداهمه.

وهكذا فإن كل فرد يكوّن-إرادياً أو عفوياً- للمكان الذي يستخدمه حرماً يتميز من أحرام الآخرين، معبرا بذلك عن إحساسه بفرديته. ويتعلق تحديد هذا الحرم بطبيعة المشاعر التي يبديها هذا الفرد نحو الآخرين؛ وكأن المكان يتمتع ببعد خاص تندرج فيه مجموعة من الإشارات التي تشكل "لغة" خاصة صامتة. وتؤلف دراسة استخدامات المكان من قبَل الإنسان والمعاني التي تنبثق عنها علماً خاصاً يمكن أن نسميه علم المكان Proxemie.

مفاهيم المسافات لدى الحيوان

درس علماء السلالات البشرية مع بعض علماء النفس الحيواني أهمية المسافة في الاستخدامات اليومية للمكان، فأبرزوا أربعة مفاهيم للمسافة عند الحيوان:

مسافة الهروب: يحدد كل نوع من أنواع الحيوانات لنفسه مسافة معينة حول مأواه، فإذا شعر بخطر يقترب منه متجاوزا هذه المسافة فإنه يلوذ بالفرار. فالظبي مثلاً ينجو بنفسه إذا اقترب منه الإنسان مسافة أقل من خمسة أمتار، والعظاية مسافة أقل من مترين.

المسافة الحرجة: إذا شعر الحيوان بخطر يقترب منه متجاوزا مسافة الهروب، دون أن يستطيع الفرار فإنه يحدد لنفسه مسافة معينة حرجة، إذا شعر أن الخطر الذي يواجهه قد تجاوزَها فإنه يغيّر سلوكه من الهروب الى الهجوم أو الدفاع أو غير ذلك. تقاس هذه المسافة بالسنتيمتر قرب مكان وقوف كل نوع من أنواع الحيوانات.

المسافة الشخصية: هي المسافة التي تحكم العلاقات الشخصية المتبادلة ضمن الجماعة الواحدة؛ كالمسافة التي يتخذها رهط من كلاب الصيد إزاء ذئب يافع، وتلك التي يتخذها الرهط نفسه إزاء ذئب كبير.

المسافة الاجتماعية: هي المسافة التي يحافظ عليها أفراد المجموعة الواحدة نفسها من نوع ما إزاء أفراد مجموعة من نوع آخر؛ فالكلاب لا تقترب كثيرا من القطط، لأنها تعرف بغريزتها أن عليها أن تحمي عينيها من مخالبها.

مسافات إنسانية

من خلال دراسة الموضوع نفسه في عالم الإنسان يبدو أن سلوك الكائن البشري إزاء المكان الذي يستخدمه في أمور حياته اليومية يوحي بوجود أربع مسافات يأخذها الإنسان بعين الاعتبار-إرادياً أو عفوياً-لدى وجوده مع الآخرين في مكان ما، وهي:

المسافة الحميمة: وهي مسافة لا تتجاوز ٤٥ سم، وتمثل حد التماسٍ الجسمي مع الآخرين، ومقداره عادة مطال الذراع. ضمن هذه المسافة يمكن أن يدور أو يستمر حديث أو نقاش بين طرفين.

المسافة الشخصية: وهي مسافة لا تتجاوز ١٢٠ سم، ومثلها مثل المسافة الحميمة.

المسافة الاجتماعية: وهي مسافة لا تتجاوز ٢٢٠ سم، وتميز العلاقات القائمة على المعاملة التجارية أو



لغة المكان في الحضارة العربية «لغة حميمة» تحترم الملكية الشخصية

التبادلية أو ذات الطابع المصلحي التي لا تُشرك المرء في العلاقة إشراكاً شخصياً، مثل المسافة التي يحافظ عليها المرء لدى وجوده في محل تجاري بقصد إلقاء نظرة على المعروضات، أو في متحف بقصد مشاهدة الآثار أو اللوحات المعروضة. فإذا زادت هذه المسافة على ذلك الحد فإنها تعني أن الذي يحرص على مسافات مع الآخرين بهذه الصورة يقصد أن تبقى علاقاته معهم أكثر احتراما للشكل وتمسكا به، ويحصل التواصل حينئذ من طريق النظر غالبا.

المسافة العامة: وهي مسافة ترتبط بحدود المكان التابع لكل شخص، أو بحدود مجال حديثه، فإذا تجاوزت هذه المسافة تلك الحدود فإنه لا يشعر أنه معنيّ بالأمر. فالموظف الذي يعمل في مكتب بابه مفتوح لا يجد نفسه معنيًا بحديث شخصين يقفان خارج المكتب، ولو كان هذا الحديث مسموعا ومفهوما. ولكي يتم تبليغ الرسالة الكلامية في مسافة كهذه، فإن ذلك يقتضي القيام بإشارات تعبيرية ذات معنى ومبالغ فيها بعض الشيء. فالتلاميذ الذين يستمعون إلى أستاذهم في قاعة الفصل الدراسي يجب أن يفهموا إشاراته وحركاته من بعيد، وكذلك الجمهور المحتشد في قاعة كبيرة ينبغي أن يفهم إشارات رجل الدولة الذي يخطب أمامه.

تأثير الثقافة

إن مفهوم المكان عند الفرد هو ثمرة الثقافة التي ينتسب إليها؛ فكل حضارة لها قواعدها وعاداتها في موضوع المكان الشخصي الذي يعدّه كل فرد مُلكا معنويا له، يشعر بفقدانه بمجرد أن يأتي أحد الأشخاص ويطأه. هذه الأهمية التي يوليها الإنسان للمكان الذي يستخدمه في حياته اليومية، يمكن أن تلحظ في أدق تفاصيل الحياة اليومية. لنأخذ على سبيل المثال حالة رجل جالس وحده خلف إحدى (الطاولات) على رصيف مقهى من المقاهي يستمتع باحتساء بعض القهوة في أشعة شمس ربيعية دافئة؛ يدخل المقهى عدة زبائن ويفتشون عن مكان للجلوس، يأتي مسؤول المقهى ويُجلس شخصين مع هذا الرجل بعد أن يطلب منه شكليا إذنا سريعا دون أن ينتظر الجواب. يشعر هذا الرجل أنه مكبوت، وأن مسؤول المقهى قد "غزاه في داره" أو "جرده من مكانه".

الشعور نفسه ينتاب المسافر في قطار مزدحم، حين يجلس وحيدا على مقعد في عربة مقاعدها غير محجوزة، ويضع فوق المقعد الشاغر بجانبه بعض أمتعته. وفي إحدى المحطات التالية يصعد بعض المسافرين، ويأتي أحدهم مفتشا عن مقعد خال يجلس عليه، فيسأل المسافرَ الجالس عما إذا كان المقعد الذي بجانبه شاغرا، فلا يملك هذا الأخير إلا أن يجيب بالإيجاب وهو يرفع أمتعته، شاعراً أن القادم الجديد قد "شاركه ملكيته" للمكان، ويتمنى لو أن هذا القادم قد وجد مكانا آخر بعيدا منه.

وحين "يمتلك" المرء مكاناً من هذا النوع فإنه يعبّر بإشارات مختلفة عن "امتلاكه" له، هي بمثابة لغة "يدافع" بها عن هذا المكان ضد "تعدّي" الآخرين، ويتوقع من خلالها أن الآخرين سيضبطون سلوكهم لدى تلقيهم المعلومة التي تحكيها هذه اللغة. مثلُ هذا التعبير يتبدى في سلوك الإنسان دون أن يعي ذلك إلا عندما يتعرض هذا المكان "للتهديد" بصورة أو بأخرى.

من هنا نستطيع القول إن تقلص أو توسع المكان الشخصي يمكن أن يولّد صراعات داخلية. فالطفل الذي لا يملك زاوية خاصة به في البيت يقوم بعمله في الفصل المدرسي بصورة سيئة غالبا؛ والفتى الذي لا يجد لنفسه "مملكة" إلا الشارع أو الساحة العامة يواجه غالبا صعوبة في الانخراط ضمن النسيج الاجتماعي.

يمكن أن تصاغ هذه اللغة بواحد من المظاهر الثلاثة التالية:

مظهر مركزي: يوضع ضمن حدود المكان الذي يراد الدفاع عنه، كوضع نظارات شمسية على مقعد طويل، أو وضع معطف على مقعد يتسع لأكثر من شخص في مطعم ما، أو أكثر من ذلك، وضع إشارة (محجوز) على مقعد أو مكان إيقاف السيارة،...

مظهر راسم للحدود: يجسّد الحدود التي تفصل بين مكانين متجاورين. مثل الحاجز الذي يفصل مشتريات زبونين متتاليين لدى وصولهما إلى صندوق الدفع في مخزن تجاري كبير، وكذلك المرفق الموجود بين مقعدين متجاورين في قاعة محاضرات أو قاعة عرض.

ويلاحظ استعمال مثل هذه الوسيلة عند بعض الحيوانات التي تعيش في الطبيعة، فهي ترسم حدود الأرض التي اختارتها لنفسها بواسطة بضع قطرات من بولها.

مظهر دالّ: وهو مؤشر إذا وضع في مكان ما دلّ على أن هذا المكان يعود الى ملكية الشخص الذي قام بوضعه، مثل زرع شجرات في طرف مزرعة، أو وضع علامة خاصة على عربات حمل الحقائب في مطار أو في محطة قطار، أو وضع إشارة على بعض الأدوات، كالأغطية والصحون، التي تعود الى مؤسسة فندقية ما، إلخ...

لغة المكان والحضارات

تختلف المسافة المكانية التي يتركها المتحادثون فيما بينهم باختلاف الحضارات التي ينتمون إليها؛ فيلاحظ أن المسافة التي يتركها المتحادثان بينهما في



لغة المكان

البلدان ذات الثقافة اللاتينية هي نسبياً صغيرة إذا ماوُزنت بمثيلتها في البلدان ذات الثقافة الأمريكية.

ففي البلدان اللاتينية لا يشعر الناس بالراحة في المحادثة إلا عندما يتقاربون في المسافة المكانية. ويُفسر مثل هذا التقارب بالعدوانية أو يُفسر تفسيرا جنسيا في الولايات المتحدة. وهكذا نلاحظ أن الأمريكيين الشماليين يُبدون ميلاً الى التراجع قليلاً أثناء الحديث، ويجدون في مستمعيهم من الأوروبيين أبناء الثقافة اللاتينية نوعا من الجرأة والجسارة عندما يتقاربون في المسافة أثناء الحديث؛ بل وأكثر من ذلك فإنهم يتهمونهم بإزعاجهم برائحة أفواههم أو بخروج رذاذ من لعابهم أثناء الكلام.

وبالمقابل فإن أبناء الثقافة اللاتينية يجدون



حديث بين شخصين يدور في نطاق «المسافة الشخصية» بينهما

الأمريكيين وسكان أمريكا الشمالية باردين، منحفظين، قليلي التواصل.

وإذا كان أبناء الحضارة العربية الإسلامية يفضلون العيش متقاربين بعضهم من بعض داخل بيوتهم حتى ولو كانت فسيحة، فإن أبواب الحجرات في البيت الواحد في ألمانيا تبقى مغلقة بصورة دائمة، تعزل من فيها بعضهم عن بعض.

لغة المكان في الحضارة العربية الإسلامية

هي لغة مبنية على أساس احترام فطرة الإنسان، ومن ثم احترام ازدواج كينونته وجعل خطّيها متساندَين. فهي تنظر إلى الإنسان على أنه فرد أصيل الفردية، وعضو داخل الجماعة، أصيل في الميل إليها.

يتمثل خط الفردية في لغة المكان بنقطتين بارزتين، هما:

أولاً: احترام "ملكية" كل فرد للمكان الذي يجلس فيه: «لا يُقيمَنَّ أحدكم رجلاً من مجلسه ثم يجلس فيه، ولكن توسَّعوا وتفسَّحوا» (متفق عليه).

ثانياً: ضمان هذه "الملكية" مادام المجلس منعقداً: «إذا قام أحدكم من مجلس ثم رجع إليه فهو أحق به» (رواه مسلم). بل وأكثر من ذلك، يمكن للرجل- كما ذكر الشيخ محمد الطاهر بن عاشور في «تفسير التحرير والتنوير»- أن يرسل إلى المسجد بساطه أو طنفسته أو سجادته، لتُبسَط له في مكان من المسجد حتى يأتي فيجلس عليها، فإن ذلك حوز لذلك المكان في ذلك الوقت.

من خلال هاتين النقطتين تبدو فردية الإنسان مستقلة، وذات أبعاد متميِّزة من غيرها. بيد أن هذا الاحترام العميق للفرد لا يتلاشى عند هذا الحد، بل يؤدي بصورة تلقائية إلى بث الروح الجماعية في قلب الإنسان.

وعلى هذا الأساس ترتبط هذه الفردية المستقلة مع الجماعة برابطٍ حي هو الحب الذي يشد كل لبنة مستقلة إلى البناء كله، حتى لا يكاد يحس المرء أين يبتدئ كيان هذه اللبنة وأين ينتهي كيان الأخرى.

في مثل هذا البناء، الفردُ له قيمة الأمة، والأمة لها قيمة الأفراد، الذين نشؤوا على أسس مثل: ﴿وتَعَاوَنُوا على البِرِّ والتَّقْوى﴾ (المائدة:٢)، ﴿رُحَمَاءُ بينهم﴾ (الفتح:٢٩)، ﴿فأَصْبَحتُم بنعمته إخوانا..﴾ (آل عمران:١٠٣)، ﴿والمؤمنونَ والمؤمناتُ بعضُهم أولياءُ بعض﴾ (التوبة:٧١)، ﴿ويُؤْثِرُونَ على أنفسهم..﴾ (الحشر:٩).. إلخ.

ولذلك نستطيع أن نرى خط الروح الجماعية في لغة المكان يتمثل في النقاط الثلاث الآتية:

أولاً: تحية الآخرين: عندما يقبل الفرد المسلم على أخيه أو إخوانه في مجلس فإنه يبدؤهم بالسلام. هذه التحية ليست مجرد عبارة جوفاء؛ بل هي تعني من بين أمور أخرى، استئذانا لطيفا لدخول الفرد على الجماعة، واتخاذه مكانا له ضمن حرمها. ويأتي رد السلام، وهو فرض كفاية، كجواب إيجابي على هذا الاستئذان.

ثانياً: احترام مسافة مع الآخرين: ويمكن أن نسميها مسافة "أخوية" تتمثل في عدم تجاوز الآخرين وعدم مزاحمتهم: «كنا إذا أتينا النبي صلى الله عليه وسلم جلس أحدنا حيث ينتهي» (رواه أبو داود والترمذي). وهذه المسافة مضمونة وذات حرمة مصونة لا تُنتهك: «لا يحل لرجل أن يفرِّق بين اثنين إلا بإذنهما» (رواه أبو داود والترمذي).

ثالثاً: التفسح: إذا ضاقت حلقة الجالسين بأهلها لا يملك الفرد أن يطغى على الجماعة أو يتخطى رقاب أهلها فيجلس وسط الحلقة: «روى أبو داود عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن من جلس وسط الحلقة»، وحينئذ يأتي دور الجماعة في ضرورة التفسح في المجلس لاستقبال القادم الجديد: ﴿..إذَا قيل لكم تفسَّحُوا في المجالس فَافسَحُوا يَفْسَحِ اللهُ لَكُم..﴾ (المجادلة: ١١)، و: «خير المجالس أوسعها» (رواه أبو داود بإسناد صحيح)؛ لأن إفساح المجالس فيه احترام لمشاعر الجميع وتأكيد احترام المسافة "الأخوية" التي ترمي إلى تجنب المضايقة والمراصة.

خلاصة

علاقة الإنسان الوطيدة بالمكان الذي يستخدمه تجعله يشعر في نفسه بالحق في "تملك" هذا المكان و"الدفاع عنه" بأساليب شتى، جاعلاً له حرماً خاصاً به. هذه التصرفات تشكل "لغة" خاصة بالمكان. وقد احترم الإسلام حق الفرد في "امتلاكه" للمكان، وصانه، وجعل منه عنصراً إيجابياً للتواصل مع الجماعة.

المراجع:

- محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتوير، ج ٢٧، الدار التونسية للنشر.
- أبو بكر الجزائري، منهاج المسلم، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٢م.
- أحمد عبد الجواد الدومي، الإسلام منهاج وسلوك، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٧٣م.
- عبد السلام محمد هارون، تهذيب إحياء علوم الدين، ج١، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ١٩٨٨م.
- الخن وآخرون، نزهة المتقين شرح رياض الصالحين، ج١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٨م.

Goffman (E.): Les relations en public; Paris Flammarion, 1969.

Hall (E.T): The Silent Language; New York, Doubleday, 1959.

Hall (E.T.): The Hidden Dimension; New York, Random House, 1966.

Kostolany (F.): Connaitre les autres par les gestes;Paris, CEPL, 1976.

Lorennz (K.): L'Agression, une histoire naturelle du mal; Paris, Flammarion, 1969.



الإسلام صبغة ثم هوية

محمد الحاج الناصر

المتأمّل فيما يُكتب اليوم أو يُقال عن الصحوة الإسلامية وأحوال المسلمين - إذا لم يكن بصيرا بالفروق بين الانتساب والالتزام - قد تستحوذ عليه الحيرة، بل قد يضلّ بين ما يراه واقعا وما تدل عليه نصوص الكتاب الكريم والسنّة الشريفة التي وعدت المسلمين بالنصر والتمكين.

فلا مراء في أنّ المسلمين بالانتساب يعيشون منذ أكثر من خمسة عقود صحوة تتنامى وتتسع رقعتها، وتشتد مع مرور الأيام.

ولا مراء في أن أعداء الإسلام يتزايد تألبهم عليه واحتشادهم لمواجهته على اختلاف نِحَلهم ومِللهم، ولاسيما بعد انهيار الماركسية انهيارا تَرَتَّبَ عليه شعور المسيحية، والصهيونية، والعلمانية، بالتخلص من شبحها الرهيب، وظهور متزايد لشبح الإسلام المخيف، ظهوراً يجعل كلّ هذه النحل والملل تجتمع في حلف طبيعي لمجابهة الإسلام، والعمل على إجهاض انبعاثه قبل أن يصبح ماردًا عملاقا لا قِبَل لها به، فضلاً عن حاجة أجهزة الرأسمالية العالمية المنتجة للأسلحة، وتلك المهيمنة على مقاليد الاقتصاد الربوي إلى مجالات تُخلف مجال مواجهة الماركسية، وعوامل تحلُّ محلّ الخوف من المارد الشيوعي.

وجليّ أن المجابهات التي نشهدها اليوم، سواء من الداخل أو الخارج بين مختلف أعداء الإسلام لعدد من الشعوب التي تتألف منها الأمة الإسلامية، إنما أفرزها مزيج من العداء التقليدي للإسلام، والرّهبي لاحتمال زحفه من جديد لدى كلّ من العلمانيين، والمسيحيين، والصهيونيين، ومن الوحَم إلى الدماء البشرية وحمًا مصدره الجشع، واللهف إلى الكسب من أي وجه كان لدى الرأسمالية العالمية.

بين الانتساب والالتزام

وقد تكون هذه المجابهات امتحانا من الله العزيز الحكيم للأمة الإسلامية، مما نصّت عليه آيات بيّنات من الكتاب العزيز، مثل قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُم أن تَدخُلُوا الجنّة ولَمَّا يَأتِكُم مثَلُ الذّينَ خَلَوْا من قَبْلِكُم مَسّتهُمُ البأساءُ والضّرّاءُ وزُلزِلُوا حتّى يَقُولَ الرسُولُ والذينَ آمنوا معَهُ مَتَى نَصْرُ اللّه ألا إنّ نصر الله قريبٌ﴾ (البقرة:٢١٤). وقوله: ﴿أم حَسِبتُم أن تدخُلُوا الجَنّةَ ولَمّا يعلمِ اللّه الذين جاهدوا منكم ويَعلَمَ الصّابرينَ﴾ (آل عمران:١٤٢).

لكنها أيضا - وربما أساسا - نذير من الله العلي القدير للمنتسبين إلى الإسلام، بأن الانتساب لا يُكسب صاحبه الحق فيما وعد الله به المسلمين من النصر والتمكين، إنما الذي يكسب الحق هو الالتزام، يقول الله الحكيم الخبير: ﴿ولينصُرَنّ اللهُ من ينصرُهُ إن الله لقويٌ عزيزٌ، الذين إن مكّنّاهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونَهَوا عن المنكر ولله عاقبةُ الأمور﴾ (الحج

: ٤٠-٤١)، ﴿وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنَّهم في الأرض كما استخلَف الذينَ من قبلِهم وليُمكِّنن لهم دينَهم الَّذي ارتَضَى لهم ولَيُبدلنَّهم من بعد خوفهم أمنًا يعبُدُونَني لايُشركونَ بي شيئًا ومن كَفَرَ بَعْدَ ذلك فأولئك هم الفَاسقُونَ﴾ (النور: ٥٥).

وفيما رواه الإمام أحمد في مسنده، وأبو داود في سننه، والمزي في التهذيب، والبيهقي في دلائل النبوة من حديث ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبألفاظ مختلفة اختلافًا يسيرا واللفظ لأحمد، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يوشك أن تداعى عليكم الأمم من كل أُفُق كما تداعى الأَكَلَةُ على قصْعَتها» قال: قلنا: يارسول الله أمِنْ قلّة بنا يومئذ ؟ قال: «أنتم يومئذ كثيرٌ، ولكن تكونون غثاء كغثاء السيل ينتزع المهابة من قلوب عدوكم ويجعل في قلوبكم الوهن»، قال: قلنا: ومالوهن؟ قال: «حبُّ الحياة وكراهية الموت».

ولكي نجتلي مقاصدَ هذا الحديث الشريف وسرائر بيانه البديع المعجز، نعود إلى أئمة اللغة وتحديدهم لمعاني كلمة (غثاء).

نقل الأزهري عن ابن السكيت قوله(١)،(٢): غثا السيل المرتع: إذا جمع بعضه إلى بعض وأذهب حلاوته.

قال: وقال أبو زيد: غثا الماء يغثو غثوا وغثاء: إذا كثر فيه البعر والورق والقصب.

وقال أبو اسحاق النحوي في قول الله جَلّ وعزّ: ﴿والذي أخرجَ المرعى. فجعلَهُ غُثَاءً أحْوَى﴾ (الأعلى: ٤-٥).

قال: جعله غثاء: جفّفه حتّى صيّره هشيمًا جافًا كالغُثاء الذي تراه فوق السيل، وقيل: معناه: أخرج المرعى أحوى: أي أخضر، فجعله غثاء: أي يابسا بعد خضرته.

وقال ابن الأثير(٣): الغثاء بالضم والمدّ: مايجيء فوق السيل مما يحمله من الزبد والوسخ وغيره، وقد تكرر في الحديث، ثم قال: ومنه حديث الحسن: «هذا الغثاء الذي كنا نُحدَّث عنه»، يريد أرذال الناس وسقطهم.

وقال ابن منظور(٤): غثا: الغُثاء، بالضم والمدّ: مما يحمله السَّيل من القش، وكذلك الغُثَّاء، بالتشديد، وهو أيضا الزبد والقذر، وحدَّه الزَّجَّاجُ فقال: الغثاء الهالكُ البالي من ورق الشجر الذي إذا خرج السيل رأيته مخالطًا زبده، والجمع الأغثاء. وفي حديث القيامة: كما تنبت الحبة في غثاء السيل، قال: الغثاء، بالمدّ والضم، ما يجيء فوق السيل مما يحمله من الزبد والوسخ وغيره، وقد تكرر في الحديث. وجاء في مسلم: كما تنبت الغثاءة، يريد ما احتمله السيل من البزورات. وفي حديث الحسن: هذا الغثاءالذي كنا نُحدَّث عنه، يريد أرذال الناس وسقطهم. وغثا الوادي يغثو غَثْوًا فهو غاث إذا كثر غثاؤه، وهو ماعلا الماء؛ قال ابن سيده: هذه الكلمة يائية وواوية.

وقال الزبيدي (٥) بعد أن ساق أقوال اللغويين الأول في (غثاء) مما تقدم عن الأزهري وابن منظور: وغثاء الناس أرذالهم وسقطهم.

ولم نقف - رغم مابذلناه من جهد في البحث - على حديث الحسن، هذا الذي استند إليه ابن الأثير، ثم ابن منظور، نقلا عن ابن الاثير، ولم نهتد إلى أي الحسنين حدّث أو روى هذا الحديث، وإن كنا نُرجح أنه الحسن السّبط رضي الله عنه، وأن تسمية مقولته هذه حديثا جاءت على ماجرى عليه جمهور نقله من إطلاق كلمة «حديث» على أقوال الصحابة؛ بل إن بعضهم قد يطلقها حتى على أقوال بعض كبار التابعين، وسندنا في هذا الترجيح أن هذا «الحديث» يشبه أن يكون طرفا من بعض خطب الحسن السّبط رضي الله عنه، بعد أن هُوجم خباؤه، وسُرق متاعه، وحاول المهاجمون انتزاع البساط الذي كان يجلس عليه، وطعنه بعضهم؛ أو بعد أن سلّم الأمر إلى معاوية غداة الصلح المشهور.

الإعجاز البياني النبوي

مهما يكن، فقد اعتمد أئمة اللغة هذا الحديث - وآخرهم الزبيدي في التاج، وإن كان لم يستند إليه - مصدرا لاعتماد المعنى الذي ذكروه لكلمة «غثاء»، وهو أنها تطلق على «أرذال الناس وسقطهم»، واعتماد هذا المعنى يجلو جانبا بديعا من الإعجاز البياني النبوي، فرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حين أطلق كلمة «غثاء» على عامة المنتسبين إلى الإسلام، حين تتداعى عليهم الأكلة إلى قصعتها، لم يطلقها تشبيها لهم بما يجرفه السيل من ورق جاف ونحوه فحسب؛ بل إن هذا التشبيه في إطلاقه لها ملحظ ثانوي، وانما أطلقها نبيانا للحال التي هم عليها يومئذ، وهو أنهّم أصبحوا أرذالاً وسقطًا لايصلحون لشيّء، كما لايصلح ما يجرفه السيل من ورق جاف ونحوه لأي شيء، فأحرى بأن ينشئ عائقا يعوقه عن الاندفاع، كذلك المنتسبون إلى الإسلام حين تتداعى عليهم الأمم لايستطيعون أن يقفوا في وجهها لأنهم أصبحوا أرذالاً وسقطًا ليسوا من الإسلام في شيء غير الانتساب، والانتساب لايجديهم شيئا، وآية ذلك ماجاء في هذا الحديث الشريف من قوله صلى الله عليه وسلم: «ينتزع المهابة من قلوب عدوكم ويجعل في قلوبكم الوهن» قال: قلنا: وما الوهن؟ قال «حبُّ الحياة وكراهية الموت».

ففي هذا بيان صريح لعلّة انتزاع المهابة من المنتسبين إلى الإسلام من قلوب أعدائهم الذين أيّدهم الله به، وجاء التعبير عنه في الحديث الشريف المشهور.

وقد يتوهّم بعض الأغرار تناقضًا بين هذا الحديث ومأعليه واقع المسلمين اليوم، وبين قوله صلى الله عليه وسلم: «نُصِرْتُ بالرعب مسيرة شهر»، فيما رواه الإمام أحمد في مسنده، والحاكم في مستدركه، والدارمي في السنن، وابن حبان في صحيحه، والبيهقي في دلائل النبوة من حديث أبي ذر، كما أخرج نحوه البخاري ومسلم في صحيحيهما، والدارمي في سننه، وابن حبان في صحيحه، والبيهقي في السنن الكبرى، وفي دلائل النبوة، من حديث جابر بن عبدالله، كما روي عن ابن عباس، وعن ابن عمر، وأبي هريرة عن الرسول صلى الله عليه وسلم بأسانيد مختلفة صحيحة، وبألفاظ فيها اختلاف يسير. واللفظ للحاكم عن أبي ذر رضي الله عنه لأنه أوفى، ولاغبار على سنده قال: طلبت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ليلة فوجدته قائمًا يصلي فأطال الصلاة ثم قال: «أوتيت الليلة خمسا لم يؤتَها نبي قبلي، أرسلت إلى الأحمر والأسود - قال مجاهد الإنس والجن - ونُصِرْتُ بالرعب، فيرعب العدو، وهو على مسيرة شهر، وجُعِلَتْ لي الأرض مسجدا وطهورًا، وأُحلَّت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي، وقيل لي: سَلْ تُعْطَه. فأخبأتها شفاعة لأمتي فهي نائلة مَنْ لم يشرك بالله شيئًا».

تناقض بين الثبات والتغيير

إذ لامراء في أن وعد رسول - الله صلى الله عليه وسلم - بالنصر بالرعب بمسيرة شهر ليس خاصًا به عليه وعلى آله أفضل الصلاة وأزكى السلام فلا دليل على اختصاصه به، وإنما هو عام يشمل جميع المسلمين؛ لأن النصر الموعود ليس لذات شخص - أيا كانت منزلته عند الله سبحانه وتعالى - وإنما هو لما يمثله الشخص أو الجماعة من رسالة ومسؤولية، وهي في هذا المجال الإسلام، فالنصر الموعود إنما هو للإسلام لا لغيره، وهنا مكمن السر في نفي التناقض بين حديث النصر وحديث «الغثاء»؛ إذ إن «الغثاء» لاتصلهم بالإسلام علاقة الصبغة، فهم أرذال الناس وسقطهم، وإنما تصلهم به علاقة الهوية، والهوية مجرّد انتساب، والانتساب غير ملزم للمنتسب إليه، وصاحبه لايستحق تلقائيا مايترتب عن الانتساب من خصائص، وامتيازات، لأن الانتساب في ذاته ادّعاء، وإن أثبته التسلسل الوراثي، والخصائص والامتيازات

إنما يستوجبها الالتزام الذي يؤكّد صحّة الانتساب بما يعكس على المتلزم من صفات، تجعل انتسابه ليس مجرّد ادّعاء أو حال موروثة، وإنما هو استمرار لجميع مواصفات المنتسب إليه، وهذا الالتزام هو ماأطلق عليه القرآن الكريم كلمة «الصِّبغة» في قول الله سبحانه وتعالى: ﴿صبغة الله ومن أحسنُ من الله صبغةً ونحنُ له عابدونَ﴾ (البقرة:١٣٨) بعد قوله جلّ جلاله: ﴿وقالوا كونوا هوداً أو نصارى تهتدوا قل بل ملة إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين﴾ (البقرة ١٣٥) .

إذ بيّن أن ثبات المسلمين على الإسلام وهو: ﴿فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله﴾ (الروم : ٣٠) وصدوفهم عن مختلف الدعوات المغرية بالترغيب والترهيب إلى التهود أو التنصر ناتج من أن الإسلام «صبغة الله»، كما أنه «فطرة الله»، وإن الذين استعصموا به انما ثبتوا على الفطرة الأولى، حين غيّروا ما وجدوا عليه آباءهم ونشؤوا في كنفه من الوثنية أو بين مغرياته من اليهودية أو النصرانية. فالصبغة في الآية الكريمة تعني ـ فيما يتراءى لنا ونركن إليه والله أعلم بأسرار كتابه ـ جمعا عجيبا بين حالتين تبدوان كما لو أنهما متناقضتان: الثبات والتغيير، ومصدر الجمع بين الحالتين أو سره أو مناطه هو أن التغيير جاء تحولاً عن حال حادثة إلى الحال الأصلية، وأن الثبات جاء استئنافًا للاستمرار على الحالة الأصلية.

حوّم ولم يقع

ومع أن اللغويين وأهل التأويل لم يشيروا إلى هذا المعنى البديع المبرز لجانب من جوانب الإعجاز البياني في القرآن؛ بل اضطرب جمهورهم ـ حتى أوشكوا أن يجمعوا ـ في تأويلات بعيدة من فقه كلمة «الصبغة»، مبهورة وراء ماتناقله الإخباريون من طقوس لدى اليهود والنصارى في تعميد مواليدهم وما استعير من مظاهر هذه الطقوس، فإن بعضا منهم «حوّم ولم يقع» حول جانب من هذا المعنى البديع. فقال الأزهري في «تهذيب اللغة» ج ٨، ص ٢٨، عن ابن الأنباري «في قولهم: قد صبغوني في عينك» قال: معناه غيروني عندك. وأخبروا أني قد تغيرت عما كنت عليه. قال: والصبغ في كلام العرب التغيير، ومنه صبغ الثوب إذا غيّر لونه، وأزيل من حاله إلى حال سواد أو حمرة أو صفرة. انظر ابن منظور «لسان العرب» مادة «صبغ».

وقال الزبيدي في «تاج العروس» مادة: صبغ ، مستدركًا على الفيروزأبادي في «القاموس» وماأورده من شروح لكلمة «صبغ» ومشتقاتها:

وأصل الصبغ في كلام العرب التغيير، ومنه صبغ الثوب إذا غيّر لونه، وأزيل عن حاله إلى حال سواد أو حمرة أو صفرة. الخ.

وقال محمد الطاهر بن عاشور فأوجز وأبدع في «تفسير التحرير والتنوير» ج ١، ص ٧٤٢-٧٤٣: وصبغة بكسر الصاد أصلها صبغ بدون علامة تأنيث، وهو الشيء الذي يصبغ به، بزنة فعل الدال على معنى المفعول، مثل ذبح وقشر وكسر وفلق، واتصاله بعلامة التأنيث لإرادة الوحدة، مثل تأنيث قشرة وكسرة وفلقة. فالصبغة الصبغ المعين المحضر لأن يصبغ به. وانتصابه على أنه مفعول مطلق نائب عن فاعله أي صبغنا صبغة الله كما انتصب: ﴿وَعْدَ الله لايخلف الله وعده﴾ بعد قوله: ﴿ينصرُ من يشاء وهو العزيز الرحيم﴾ (الروم:٥، ٦)... توكيدا لمضمون الجملة التي قبله وهي قوله: ﴿ويومئذٍ يفرح المؤمنون. بنصر الله ينصر من يشاء﴾.

ولبيان ما لمعنى الصبغة في الآية ١٣٨ من سورة البقرة، ولمعنى الفطرة في الآية ٣٠ من سورة الروم من تلازم وتكامل نسوق أوضح وأدق ما وقفنا عليه للمفسرين من تأويل لمعنى الفطرة. قال ابن عطية في «المحرر الوجيز» ج ١٢، ص ٢٥٨-٢٥٩: «واختلف الناس في معنى الفطرة ههنا» يعني في آية سورة الروم.

ثم قال: والذي يعتمد عليه في تفسير هذه اللفظة أنها الخلقة والهيئة في نفس الطفل التي هي معدّة مهيأة لأن يميز بها مصنوعات الله تعالى، ويستدل بها على ربه، ويعرف شرائعه، ويؤمن به. فكأنه قال: أقم وجهك للدين الذي هو الحنيف وهو فطرة الله الذي على الإعداد له فُطرَ البشر لكن تعرضهم العوارض. ومنه قوله صلى الله عليه وسلم: «كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه» الحديث. فَذِكْرُ الأبوين إنّما هو مثال للعوارض التي هي كثيرة. وقوله تعالى: ﴿لاتبديل لخلق الله﴾ يحتمل تأويلين: أحدهما أن يريد بها هذه الفطرة المذكورة؛ أي اعلم أن هذه الفطرة لاتبديل لها من جهة الخالق، ولايجيء الأمر على خلاف هذا بوجه. والآخر أن يكون قوله ﴿لا تبديل لخلق الله﴾؛ أيّ إنّهم لايفلحون. وقال مجاهد: المعنى: لاتبديل لدين الله، وهو قول ابن جبير والضّحّاك وابن زيد والنّخعي وهذا معناه: لاتبديل للمعتقدات التي هي في الدين الحنيف فإنّ كلّ شريعة هي عقائدها.

وقال محمد الطاهر بن عاشور في «تفسير التحرير والتنوير» ج ٢١، ص ٨٨-٩٢: و ﴿فطرة الله﴾ بدل من ﴿حنيفًا﴾ بدل اشتمال. فهو في معنى الحال من (الدين) أيضا، وهو حال ثانية، فإن الحال كالخبر تتعدّد بدون عطف على التحقيق عند النحاة، وهذا أحسن ، لأنه أصرح في إفاده أن معنى الدين مختص بوصفين هما التبرؤ من الاشتراك، وموافقته للفطرة، فيفيد أنه دين سهل لا عنت فيه. ونظيره قوله تعالى: ﴿ولم يجعل له عوجًا. قيِّمًا﴾ (الكهف: ١، ٢)؛ أي الدين الذي هو فطرة الله لأن التوحيد هو الفطرة والإشراك تبديل للفطرة.

والفطرة أصله اسم هيئة من الفَطر، وهو الخلق مثل الخلقة كما بينه قوله: ﴿التي فطر الناس عليها﴾ أي جبل الناس وخلقهم عليها، أي متمكنين منها.

فحرف الاستعلاء مستعار لتمكن ملابسة الصفة بالموصوف تمكنا يشبه تمكن المعتلي على شيء.

ثم قال: ومعنى فَطْر الناس على الدين الحنيف أن الله خلق الناس قابلين لأحكام هذا الدين، وجعل تعاليمه مناسبة لخلقهم غير نائين عنه ولامنكرين له مثل إثبات الوحدانية لله؛ لأن التوحيد هو الذي يساوق العقل والنظر الصحيح، حتى لو تُرك الإنسان وتفكيره، ولم يتلق اعتقاداً ضالاً لاهتدى إلى التوحيد بفطرته.

وإن ـ كذا ولعله خطأ صوابه : وَ«إني» ـ لم أر من أتقن الإفصاح عن معنى كون الإسلام هو الفطرة فأبينه بأن الفطرة هي النظام الذي أوجده الله في كل مخلوق، والفطرة التي تخص نوع الإنسان هي ماخلقه الله عليه جسداً وعقلاً. فَمَشْيُ الإنسان برجليه فطرة جسدية، ومحاولته أن يتناول الأشياء برجليه خلاف الفطرة الجسدية، واستنتاج المسبّبات من أسبابها والنتائج من مقدماتها فطرة عقلية، ومحاولة استنتاج أمر من غير سببه خلاف الفطرة العقلية، وهو المسمّى في «علم الاستدلال» بـ «فساد الوضع»، وجزمنا بأن ماتبصره من الأشياء هو حقائق ثابتة في الوجود، ونفس الأمر فطرة عقلية، وإنكار السوفسطائية ثبوت المحسوسات في نفس الأمر خلاف الفطرة العقلية.

ثم قال: فوصف الإسلام بأنه فطرة الله معناه أن أصل الاعتقاد فيه جار على مقتضى الفطرة العقلية، وأما تشريعاته وتفاريعه فهي إما أمور فطرية أيضًا، أي جارية على وفق مايدركه العقل ويشهد به، وإما أن تكون لصلاحه مما لاينافي فطرته.

وقوانين المعاملة فيه راجعة إلى ماتشهد به الفطرة لأن طلب المصالح من الفطرة.

ثم قال: واعلم أن شواهد الفطرة قد تكون واضحة بينه، وقد تكون خفية، فإذا خفيت المعاني الفطرية أو التبست بغيرها فالمضطلعون بتمييزها وكشفها هم العلماء الحكماء الذين تمرسوا بحقائق



الأشياء والتفريق بين متشابهاتها، وسبروا أحوال البشر، وتعرضت أفهامهم زمانا لتصاريف الشريعة، وتوسموا مراميها وغاياتها، وعصموا أنفسهم بوازع الحق عن أن يميلوا مع الأهواء.

إن المجتمع الانساني قد مُني عصورا طويلة بأوهام وعوائد ومألوفات أدخلها عليه أهل التضليل، فاختلطت عنده بالعلوم الحق؛ فتقاول الناس عليها وارتاضوا على قبولها، فالتصقت بعقولهم التصاق العنكبوت ببيته، فتلك يُخاف منها أن تُتلقى بالتسليم على مرور العصور فيعسر إقلاعهم عنها وإدراكهم ما فيها من تحريف «عن الحق» - كذا ونظنه خطأ صوابه: «من انحراف عن الحق» - فليس لتمييزها إلا أهل الرسوخ أصحاب العلوم الصحيحة الذين ضربوا في الوصول إلى الحقائق كل سبيل، واستوضحوا خطيرها وسليمها فكانوا للسابلة خير دليل.

السماحة واليسر مبتغيا الفطرة

وكون الإسلام هو الفطرة، وملازمة أحكامه لمقتضيات الفطرة صفة اختص بها الإسلام من بين سائر الأديان في تفاريعه، أما أصوله فاشتركت فيها الأديان الإلهية، وهذا ماأفاده قوله: ﴿ذلك الدين القيم﴾. فالإسلام عام خالد مناسب لجميع العصور وصالح لجميع الأمم، ولايستتب ذلك إلا إذا بنيت أحكامه على أصول الفطرة الإنسانية ليكون صالحًا للناس كافّة وللتصور عامّة، وقد اقتضى وصف الفطرة أن يكون الإسلام سمحا يسرا، لأن السماحة واليسر مبتغيا الفطرة.

وفي قوله: ﴿التي فطر الناس عليها﴾ بيان لمعنى الإضافة في قوله: ﴿فطرة الله﴾، وتصريح بأن الله خلق الناس سالمة عقولهم مما ينافي الفطرة من الأديان الباطلة والعادات الذميمة، وأن مايدخل عليهم من الضلالات ماهو إلا من جراء التلقي والتعود، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: «يولد الولد على الفطرة ثم يكون أبواه هما اللذان يهودانه أوينصرانه أو يمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء ؟» أي كما تولد البهيمة من إبل أو بقر أو غنم كاملة جمعاء، أي بذيلها أي تولد كاملة، ويعمد بعض الناس إلى قطع ذيلها وجدعه، وهي الجدعاء. و «تحسون» تدركون بالحِسِّ أي حاسة البصر.

وقد واصلنا مع محمد الطاهر بن عاشور «شوطه الطويل» نسبيا في تبيان دلاله الفطرة في آية سورة الروم؛ لأن تحليله البديع أوضح تبيان لما ذهبنا إليه من التكامل والتلازم بين دلالة كلمة «الصِّبغة» في آية سورة البقرة وكلمة «الفطرة» في آية سورة الروم. وقد أجمل التعبير عن هذا التلازم والتكامل ابن جرير الطبري في «جامع البيان» عند تفسيره لآية سورة الروم - م١١، ج١١، ص٤٠ - إذ قال: «صبغة الله التي خلق الناس عليها، ونصبت فطرة على المصدر من معنى قوله: ﴿فأقم وجهك للدين حنيفًا﴾ وذلك أن معنى ذلك: ﴿فَطَرَ الله الناس على ذلك فِطْرَةً﴾(٦).

ومن هذا البيان لمعنى «الصبغة» ومابينها وبين الفطرة من توافق وتغاير يتجلّى التمييز الدقيق والجوهري بين المسلم هُويَّة والمسلم صِبْغَة، وهو تمييز عرض له القرآن الكريم في آيتين جليلتين: الآية الأولى قوله سبحانه وتعالى: ﴿فإن حاجُّوك فقل أسلمتُ وجهي لله ومن اتبعن وقل للذين أوتوا الكتاب والأميّين ءأسلمتم فإن أسلموا فقد اهتدوا وإن تولّوا فإنّما عليك البلاغُ والله بصير بالعباد﴾ (آل عمران:٢٠). أما الثانية فقوله جل جلاله: ﴿قالت الأعرابُ آمنّا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولَمَّا يدخل الإيمان في قلوبكم وإن تطيعوا الله ورسوله لايَلِتْكُم من أعمالكم شيئا إن الله غفورٌ رحيم﴾ (الحجرات:١٤). فإسلامُ الذين جاء نفي الإيمان عنهم، إنما هو مجرد الخضوع الناتج من الاعتراف بالضعف أمام الغالب، والانتساب إليه تقية منه وتوقيًا من بطشه، أما إسلام الذين وُصفوا بالاهتداء، فهو إسلام المؤمن الذي أسلم أمرَه إلى الله إيمانا به، وتصديقا بما جاء به رسوله، والتزامًا بشريعته، وهو الإسلام الذي لايقبل الله غيره دينا، كما جاء من قوله سبحانه وتعالى: ﴿ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يُقبَلَ منه وهو في الآخرة من الخاسرين﴾ (آل عمران:٨٥)، والمسلم الموعود بالنصر على عدوه مسيرة شهر هو المسلم الملتزم بالإسلام الذي لايقبل الله غيره دينا، وليس المسلم المنتسب انتسابًا وراثيًا أو انتساب تُقية واتقاء.

وعلى هَدى هذه الحقيقة، يتّضح لماذا لم يحالف النصر المنتسبين إلى الإسلام في هذا العصر على كثرة عددهم، واختلاف مواقعهم ومواقفهم، وتباين أسباب مواجهاتهم لأعداء الإسلام، لقد كان المسلمون الأول المهتدون الملتزمون المتصفون بالإسلام صبغة قبل أن يتعرفوا بها هوية، يواجهون أعداء الإسلام جهادًا في سبيل إعلاء كلمة الله، ونصر دينه، والتمكين لشريعته، وماكان من حوافزهم إلى الجهاد دفاعًا عن النفس أو العرض، أو المال، إنما هو حافز ثانوي أفرزته صبغتهم الإسلامية وغَيْرتُهم على الإسلام، وتضحيتُهم في سبيله. أما المسلمون اليوم - أو جلهم على أحسن تقدير - فإن صراعهم هنا وهناك مع الصهيونية والمسيحية والعلمانية والإلحاد، قد يتخذ شكل دفاع عن هويَّتهم، بيد أن هذا الشكل أفرزه الحرص على مصالحهم الخاصة والنضال من أجل الحفاظ عليها، فإنْ هَاجَسَهُم هاجسُ الجهاد في سبيل الله، فإنما يُهاجسهم تسويغا لصراعهم من أجل مصالحهم أو استغلالاً لبقايا مشاعر الإيمان في العامة لحشدها واستنفارها، وآية ذلك أنهم حين يُلوِّحُ لهم أعداء الإسلام بحلول لاتلتزم الضوابط الإسلامية، وإنما تتسم بالخصائص العلمانية من اقتسام المصالح والمساومة على بعض خصائص الهوية لايترددون في الانخداع لما يُلَوِّحون لهم به، والدخول معهم في مساومات ومماكسات، ثم إن بعض المسلمين اليوم لاينضبطون في صراعهم مع أعداء الإسلام بالضوابط الأخلاقية والتنظيمية والسياسية للجهاد الإسلامي؛ بل يتصرّفون كما لو لم تكن للإسلام الحقّ ضوابط للجهاد، وكما لو لم يكن الإسلام الحق أكثر من دين عبادة وتبتل، وكما لو كان التكليف الأخلاقي والسياسي، والشرعي موكولاً إلى اجتهادهم وحده.

وما من منطق سليم يقرُّ بأن مجرد الانتساب الخالي من الالتزام ومجرد الهوية غير المتجانسة مع الصبغة مما يُثبت حقا فيما وعد به من كانت هويته تعبيرًا عن الصبغة، وكان انتسابه تأكيداً للالتزام.

ان التأمل الصادق البصير في حال المسلمين اليوم وحال المسلمين الأول الذين وُعدوا بالنصر على أعدائهم بالرعب مسيرة شهر يكشف عن السبب الحقيقي في تخلّي نصر الله الحكيم الخبير عن مسلمي اليوم، وارتياده للمسلمين الأولين. ويوم يعود المسلمون اليوم إلى الإسلام صبغة والتزاما، ويتخلون عن الإسلام هوية وانتسابًا، سيرتاد لهم الرعب سبيل النصر، ولن يثبت عدو – مهما تكن له من قوة – في وجوههم إلا إذا ثبت الباطل الصريح أمام الحقّ الصريح وهيهات.

الهوامش:

١ – تهذيب اللغة للأزهري، ج ٨، ص ١٧٦.
٢ – انظر: العكبري، المشوف المعلم في ترتيب الإصلاح على حروف المعجم، ج٢، ص٥٦٢.
٣ – النهاية في غريب الحديث والأثر، ج٣، ص٣٤٣.
٤ – لسان العرب، مادة (غثا).
٥ – تاج العروس، مادة (غثا).
٦ – نقلاً عن بحث ضاف نشرته لنا مجلة «المناهل» التي تصدرها وزارة الشؤون الثقافية المغربية، العدد٤١، ص١٦٦-١٧٢، بعنوان: ثوابت دستورية لاتتغيّر . الصبغة - الهوية - النظام - الالتزام. الخاص بالدستور المغربي حول ماورد فيه من نصوص، تؤكّد التزام المملكة المغربية بالإسلام. وقد استغرق البحث من صفحة ١٦٥ إلى صفحة ٢٠٠.

جِئْتَ للنَّاسِ بشيراً

شعر: محيي الدين فارس

أيُّ فـجْـرٍ ضـاحِك الطَّلْعـةِ منغُـوم الـضِّـيـاءِ
شقَّ قلْب اللّيْلِ وانْثال على صـدْرِ الـسَّـمـاءِ
غـاسِـلاً بـالنُّورِ أبْهـاء المحـارِيبِ الوِضـاءِ
ومُـعِـيـداً للبـرايا مـجْـدها بعْـد خـواء

* * *

حِـينمـا هلَّتْ تبـاشِـيـرُك.. أمْنًا وسـلامـا
صـفَّق الكونُ فـمـا عـاد صِـراعًا وخـصـامـا
جِـئْت للناسِ بشـيـرًا.. ونذِيرًا..وإمـامـا
جِـئْت للنَّاسِ.. فـبـيّنـت حـلالاً وحـرامـا

* * *

مِنْ صـحـارى الزَّمنِ الغـابِرِ.. واللَّيـلِ المُشـاعِ
جِئْت للدُّنْيـا ومـا فِي أرْضِـهـا غـيْـرُ السِّبـاعِ
جِـئْت شـرَّفْت البـرايا بعْـد شِـركٍ وضـيـاعِ
ناشِـرًا ألْوِية الحقِّ على كُلِّ البِـقـاعِ

* * *

حـرَّكَتْ خُـرْس الجـلامِـيـدِ ترانِيمُ المثـانِي
وصـحـا الكوْنُ حـوالَيْك.. وغنّى المشْـرِقـانِ
وسـرتْ أنْوارُك الخـضْـراءُ فِي كُلِّ مكـانِ
فـهـوتْ كُلُّ الخُـرافـاتِ.. نُثـاراتِ دُخـانِ

* * *

وصـحتْ فِي ذلِك اليـوْمِ البـرايا مُـذْعِنه..
بعْـد أنْ نـامتْ دُهُورًا.. خلْف خلْف الأزمِنه
خـرجتْ مِنْ لُجَّـةِ التِّـيـه.. طِبـاعًـا ليِّنه
ومـشتْ فِي مـشْـرِقِ النُّورِ.. قُلُوبًا مُـؤْمِنه

* * *

لم تـكُنْ «فظًّا غليظ القلْبِ» بلْ كُنْت رحِـيـمـا
فلقـدْ حـبَّـبْت للناسِ.. الطَّرِيق المُسْـتـقِـيـمـا
أبداً... لمْ تزْرعِ الخوْفَ وتسْتـعْـدي الخُصُومـا..!
فـإذا الإسْـلامُ يمتـدُّ بِقـاعًـا وتُخُـومـا

* * *

ياإله النـاس ألْهِـمْنا على الأرْضِ الصَّـوابا!
فلقـدْ حِـدْنا عنِ النَّبعِ وتابعنا السَّـرابا!!
وَتخـذْنـا زُخْـرف الدُّنْيـا قِناعًـا..وثِـيـابا
وتبِـعْنا لُمع الآلِ.. وخلّفْنا الكِتـابا


الشيخ أبو عبد الرحمن
ابن عقيل الظاهري

الذوق العلمي وتحسين الحديث

قال أبو عبدالرحمن: يرتفع الحديث الضعيف من درجة الترك، ومن درجة التوقف إلى درجة الاحتجاج بثبوته، فيكون حسنًا لأجل ذلك.

فإذا قامت شواهد الاحتجاج بالضعيف وتخلفت موانع تركه أصبح حسنًا، ولهذا عرَّف الترمذي الحديث الحسن بأنه ما لا يكون في إسناده متهم، ولا يكون شاذًا، ويروى من غير وجه نحوه.

قال أبو عبدالرحمن: موانع الرد تهمة الكذب، والشذوذ بمخالفة الحُفَّاظ، ونكارة المتن، وأن ترده النصوصُ الصِّحاح والأصول.

ومقتضى القبول ثبوت معناه بثبوت نحوه، وتوارد المتن نفسه بطرق لا تخلو من مقال من جهة ضبط الراوي؛ إلا أن رجحان الفكر يمنع من كون الرواة في جميع الطرق لم يضبطوا.

وليست كل طريق معاضدة ترفع الضعف؛ بل الأمر ما أشار إليه ابن الصلاح بقوله: ليس كل ضعف في الحديث يزول بمجيئه من وجوه، بل ذلك يتفاوت، فمنه ضعف يزيله ذلك بأن يكون ضعفه ناشئًا من ضعف حفظ راويه مع كونه من أهل الصدق والديانة.. فإذا رأينا ما رواه قد جاء من وجه آخر عرفنا أنه مما قد حفظه ولم يختل فيه ضبطه له.

وكذلك إذا كان ضعفه من حيث الإرسال زال بنحو ذلك كما في المرسل الذي يرسله إمام حافظ إذ فيه ضعف قليل يزول بروايته من وجه آخر.

ومن ذلك ضعف لا يزول بنحو ذلك لقوة الضعف، وتقاعد هذا الجابر عن جبره ومقاومته، وذلك كالضعف الذي ينشأ من كون الراوي متهمًا بالكذب أو كون الحديث شاذًا(١).

وحكم الحديث الحسن أن يُعمل به، ويُعتقد ما فيه لوجود مرجح ثبوته.

وهذا هو حكم الصحيح إلا أن الرجحان في الصحيح أكثر وأقوى باكتمال شروط الصنعة الحديثية.

وقد يكون الحديث الحسن يقيني الثبوت، ويكون بعض الأحاديث الصحيحة رجحاني الثبوت فحسب، ومع هذا لا تحكم له بالصحة تقيُّدًا بمصطلح الصحيح عند علماء الحديث.

فأما أن الحديث الصحيح لا يكون يقينيًا دائمًا فقد وَضَّح ذلك ابن الصلاح بقوله عن الصحيح: «وليس من شرطه أن يكون مقطوعًا به في نفس الأمر، إذ منه ما ينفرد بروايته عدل واحد، وليس من الأخبار التي أجمعت الأمة على تلقيها بالقبول.

وكذلك إذا قالوا في حديث: إنه غير صحيح فليس ذلك قطعًا بأنه كذب في نفس الأمر، إذ قد يكون صدقًا في نفس الأمر، وإنما المراد به أنه لم يصح إسناده على الشرط المذكور، والله أعلم»(٢).

وأما معنى الحديث الصحيح في الاصطلاح فقد بينه ابن الصلاح بقوله: «أما الحديث الصحيح فهو الحديث المسند الذي يتصل إسناده بنقل العدل الضابط عن العدل الضابط إلى منتهاه ولا يكون شاذًا ولا معللاً.

وفي هذه الأوصاف احتراز عن المرسل، والمنقطع، والمعضل، والشاذ، وما فيه علة قادحة، وما في راويه نوع جرح»(٣).

قال أبو عبدالرحمن: وليس كل تعليل للحديث يكون قادحًا، بل ما يجعل قدحًا محل نظر الباحث، وعليه أن يراعي اعتبارات علماء أهل الحديث والفقهاء معًا، إذ للفقهاء زيادات تعليل.

قال زين الدين العراقي: «غير أهل الحديث قد يشترطون في الصحيح شروطًا زائدة على هذه كاشتراط العدد في الرواية كما في الشهادة، فقد حكاه الحازمي في شروط الأئمة عن بعض متأخري المعتزلة.. على أنه قد حكي أيضًا عن بعض أصحاب الحديث.. قال البيهقي في رسالته إلى أبي محمد الجويني رحمهما الله: رأيت في الفصول التي أملاها الشيخ حرسه الله تعالى حكاية عن بعض أصحاب الحديث أنه يشترط في قبول الأخبار أن يروي عدلان

عن عدلين حتى يتصل مثنى مثنى برسول اللّه ـ صلى اللّه عليه وسلم ـ، ولم يذكر قائله.. إلى آخر كلامه.

وكأن البيهقي رآه في كلام أبي محمد الجويني فنبه على أنه لا يُعرف عن أهل الحديث واللّه أعلم»(٤).

ومرجع قبول العلة ومردها إلى الفكر، وتفتيش الوقائع، وتحصيل الذوق العلمي للموضوع الذي ورد فيه الحديث، فربما كانت العلة راجحة في موضوع مرجوحة في موضوع آخر.

ومن الأحاديث الضعيفة التي ترقت إلى الحسن، و دلَّ الذوق العلمي على رجحان ثبوتها رجحانًا أقرب إلى اليقين، وأقوى مما يوجد في بعض الأحاديث الصحيحة، حديث أخرجه الترمذي والدارمي وغيره، وهو ما أسنده ابن خالويه بقوله: «كتب إليَّ محمد بن زكريا المحاربي يذكر أن عباد بن يعقوب جدًا لهم قال: حدثنا محمد بن مروان: عن عمرو بن قيس: عن عطية: عن أبي سعيد قال: قال رسول اللّه ـ صلى اللّه عليه وسلم ـ: من شغله قراءة القرآن في أن يتعلمه أو يعلمه عن دعائي أو مسألتي أعطيته ثواب السائلين، وذلك أن فضل كلامي على غيره كفضلي على خلقي»(٥).

وهذا الحديث أورده الشوكاني في تفسيره فقال عنه: قال: «ولقد صدق رسول اللّه ـ صلى اللّه عليه وسلم ـ حيث يقول فيما أخرجه عنه الترمذي وحَسَّنَهُ من حديث أبي سعيد قال: فضل كلام اللّه على سائر الكلام كفضل اللّه على خلقه»(٦).

قال الذهبي في الميزان: «حسنه الترمذي فلم يحسن».

قال أبو عبدالرحمن: وفي سند الترمذي محمد بن الحسن بن أبي يزيد الهمداني: عن عمرو بن قيس: عن عطية العوفي.

وعطيه ضعيف.

وابن أبي يزيد كَذَّبَهُ أحمد وأبو داود.

ولكن ذكر له البيهقي في الأسماء والصفات متابعيْن يرويانه عن عمرو بن قيس، وهما:

الحكم بن بشير وهو صدوق.

ومحمد بن مروان وهو صدوق إن كان العقيلي البصري.. وإن كان السدي الأصغر فقد كذبه النقاد.

ونص حديث أبي سعيد الخدري رضي اللّه عنه: «يقول الرب عز وجل: من شغله القرآن وذكري عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين، وفضل كلام اللّه على سائر الكلام كفضل اللّه على خلقه».

وورد القسم الأخير عن أبي هريرة رضي اللّه عنه مرفوعًا بإسناد فيه اضطراب.

فرواه يونس بن واقد البصري: عن سعيد بن أبي عروبة: عن قتادة: عن شهر بن حوشب: عن أبي هريرة.

فذكر قتادة ولم يذكر الأشعث.

ورواه عبدالوهاب بن عطاء، ومحمد بن سواء: عن سعيد: عن الأشعث بن عبداللّه الحداني الأعمى: عن شهر.

فذكرا الأشعث ولم يذكرا قتادة.

ورواه بذكرهما معًا البيهقي في الأسماء والصفات من طريق عمر الأبح: عن سعيد.

وبهذا الإسناد رواه ابن الأعرابي في المعجم، وابن عدي في الكامل، ولكنهما لم يذكرا الأشعث.

وورد مرسلاً عند ابن الضريس، وعند الدارمي قال: حدثنا سليمان بن حرب: حدثنا حماد بن سلمة: عن أشعث الحداني: عن شهر بن حوشب قال: قال رسول اللّه ـ صلى اللّه عليه وسلم.

وشهر ضعيف من قِبَلِ حفظه، والحداني صدوق، والبقية ثقات.

ورواه مرفوعًا البيهقي وغيره من طريق يعلى بن المنهال السكوني: حدثنا إسحاق بن سليمان الرازي: عن الجراح بن الضحاك الكندي: عن علقمة بن مرثد: عن أبي عبدالرحمن السلمي: عن عثمان رضي اللّه عنه: عن رسول اللّه ـ صلى الله عليه وسلم.

والجراح صدوق، ويعلى مستور، وبقية الإسناد ثقات.

وتابع يعلى الحماني عن إسحاق بن سليمان.. والحماني متهم بسرقة الحديث، فلعله سرقه من يعلى.

وخالف الحماني ويعلى يحيى بن أبي طالب، فرواه عن إسحاق بن سليمان موقوفًا على أبي عبدالرحمن السلمي، وكذلك وقفه على السلمي ابن نصر في قيام الليل، والبخاري تعليقًا في أفعال العباد.

وفي فتح الباري أن العسكري أخرجه عن طاووس والحسن موقوفًا من قولهما.

ورواه ابن نصر في قيام الليل عن شهر موقوفًا.

ورُوِي عن عمر رضي اللّه عنه رواه عنه البخاري في خلق أفعال العباد بإسناد فيه ضرار بن صُرَد: عن صفوان بن أبي الصهباء.

وضرار كَذَّبه ابن معين.

وصفوان ضعيف.

ورواه أبو نعيم في الحلية، وابن عساكر في فضيلة ذكر اللّه عز وجل عن حذيفة رضي اللّه عنه مرفوعًا بإسناد تَفَرَّدَ به أبو مسلم عبدالرحمن بن واقد، وقد اتهمه ابن عدي بسرقة الحديث(٧).

قال أبو عبدالرحمن: وبإيجاز فالحديث حسن وليس ضعيفًا، وقول البخاري في أفعال العباد: لا يصح مرفوعًا معناه أنه لم

الذوق العلمي وتحسين الحديث

يرد له إسناد واحد صحيح.

ووجه تحسينة من عدة أمور:

أولها: أن حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ثبت من طريق الحكم بن بشير، وليس في الإسناد مضعف غير عطية العوفي.

وعطية مضعف لتشيعه وتدليسه الكلبي حيث يكنيه أبا سعيد، ويروي عنه أحاديث عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فيوهم أنه أبو سعيد الخدري رضي الله عنه.

وضعفه مأمون ها هنا لأن الحديث ليس من الأحاديث التي أُثرت عن ابن الكلبي، ولأن الحديث لا علاقة له بالتشيع.

فمثل هذا الإسناد إذا وجد ما يقويه تقوّى.

وثانيها: أن الاضطراب في حديث شهر مدفوع باحتمال أن كل طريق ثابتة، لأن قتادة روى عن شهر، ولأن أشعث روى عن شهر.

ولا بعد في رواية قتادة عن أشعث، لأنهما تلميذا شهر.

ومهما اضطرب سعيد فيمن روى عنه أهو أشعث أو قتادة فالرواية لا تعدوهما، وهما ثقتان، مع احتمال أنه روى عن كل واحد منهما.

وإذن لم يتفرد به عمر الأبح، والاضطراب ارتفع بما ذكر.

فكان هذا الإسناد متقويًا بغيره مقويًا لغيره.

وعمر الأبح هو ابن حماد بن سعيد منكر الحديث لكثرة أخطائه.

ومثل هذا يقبل إذا وجدت طريق أو طرق ترفع احتمال خطئه.

وقد وجدت طرق هذا الحديث رافعة لاحتمال خطئه لو احتيج إلى روايته.

وثالثها: صح الإسناد إلى شهر أنه أرسل الحديث عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ.

فيكون ذلك مقويًا ثبوته من طريق شهر.

وشهر نفسه وثّقه الجمهور وضعّفه بعضهم بعلل غير واردة ها هنا.. قال أبو الحسن بن القطان الفاسي: «لم أسمع لمن ضعفه حجة.

وما ذكروا من تَزَيّيه بزيّ الجند، وسماعه الغناء بالآلات، وقذفه بأخذ الخريطة(٨): فإما لا يصح، أو هو خارج على مخرج لا يضره.

وشر ما قيل فيه: إنه يروي منكرات عن ثقات.. وهذا إذا كثر منه سقطت الثقة به»(٩).

قال أبو عبدالرحمن: والمروي هاهنا من غير المنكرات، وقد تقوى بما ينفي احتمال خطئه.

ورابعها: أن يعلى رواه عن عثمان مرفوعًا، ويعلى مستور الحال، فلا نتوقف في ثبوت روايته بعد وجود الطرق المتقوية.

وخامسها: أن الحديث ثبت موقوفًا عن عدد من كبار الصحابة والتابعين، وهم عثمان وشهر والسلمي والحسن وطاووس.

يُروى عنهم الشطر الأخير من الحديث، ولو لم ترد إلا الطرق الموقوفة والشطر الأخير لقلنا: إنه من قولهم وفتياهم، وفتياهم دليل على أن المعنى صحيح شرعًا غير منكر، فعظمة كلام الله بعظمة الله سبحانه.

فلما وردت الطرق الأخرى المقبولة بالشطرين معًا صَحّ أن النص من مأثورهم وليس من قولهم.

وسادسها: أن الضعف توقُّفٌ وليس تصحيحًا، لأنه ليس في الإسناد شاهد الصحة، وليس ردًا، لأنه ليس في الإسناد أو المتن شاهد البطلان.

وإنما اقتضى التوقف احتمال الخطأ والوهم وسوء الحفظ من راوٍ مظنة لذلك، فيتعين البحث عن مُلْغٍ للتوقف.

فإذا قامت شواهد رافعة لاحتمال الخطأ من الراوي ولم نُعملها كان معنى ذلك أننا نرد الراوي بإطلاق، والنقاد إنما قيدوا جرحه بمظنة الخطأ، فيكون الصنيع تعنتًا.

وسابعها: أن مقتضى البطلان متنًا مرتفع، وهو أن النص صحيح المعنى شرعًا لانكارة فيه.

كما أن مقتضى البطلان إسنادًا مرتفع، وهو احتمال الخطأ.

فرواية عطية وحدها تقوم بها الحجة لأن ما رواه ليس مما أُثر عن ابن الكلبي، وليس دعاية تشيع، وإنما ضعف بذينك.

فإن بقي الضعف محتملاً فقد زال بحديث أبي هريرة رضي الله عنه، وضَعْف شهرٍ في الحفظ يرفعه معاضدة عطية.

وعاضدهما يعلى بروايته الحديث عن أبي هريرة، فاحتمال سوء الحفظ زائل بتضافر هؤلاء.

فالحديث صحيح المعنى شرعًا حسن الإسناد صناعة.

الحواشي:

١ـ علوم الحديث ص٣٤.
٢ـ المصدر السابق ص١٤.
٣ـ المصدر السابق ص١١-١٢.
٤ـ التقييد والإيضاح ص٢٥.
٥ـ إعراب القراءات السبع وعللها ١/٣٥-٣٦.
٦ـ ١/٦.
٧ـ هذا التخريج منظم من مباحث «سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة» للألباني، ٢/٥٠٥-٥٠٩، رقم ١٣٣٤و١٣٣٥.
٨ـ يعني ماوراه يحيى بن أبي بكير الكرماني: عن أبيه: كان شهر بن حوشب على بيت المال، فأخذ خريطة فيها دراهم، فقال القائل:
لقد باع شهر دينه بخريطة
فمن يأمن القراء بعدك ياشهر.
قال أبو عبدالرحمن: قد تخف اليد بشبهة ولا تذهب العقيدة المنتجة الخوف الشديد من الكذب على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم.
٩ـ انظر: تهذيب التهذيب ٤/٣٣٨.

حوار مع

جمال الغيطاني، وإبراهيم عيسى، وخيري عبدالجواد



الرّواية والتراث العربي

حاورهم: مروان ناصح


جمال الغيطاني

كان موعدي مع الروائي جمال الغيطاني في مكتبه بجريدة الأخبار، لحوار خاص حول رؤاه وعالمه الروائي الغني بالكثير من التفاصيل النابضة بالحياة، والتجارب التي يطيب فيها الحديث والنقاش.

إلاّ أنني وجدت عنده ضيفين من أصدقائه من شُبَّان الكتاب، وكانوا ـ في غمرة الانشغال بالعمل الصحفي اليومي ـ يتناقشون فيما بينهم حول ماطلع به بعض الكتاب المناوئين للغيطاني من معركة مفتعلة حول اعتماده ـ في بناء رواياته ـ اعتماداً كلياً على كتب التراث، ولاسيّما تاريخ «ابن إياس» الذي عُرف الغيطاني بحبه له إلى حدّ بعيد. وهنا، وجدت نفسي أسهم معهم ببعض آرائي في هذا الموضوع..

وإذا بنا نتفق بصورة عفوية على أن نتحاور أمام آلة التسجيل مجتمعين حول قضية «الرواية والتراث».. فكان هذا الحوار أشبه بندوة مصغّرة.. شارك فيها، إلى جانب الغيطاني، الضيفان الأديبان إبراهيم عيسى وخيري عبد الجواد.

ـ الأستاذ جمال الغيطاني، بعد هذه الضجة التي طال فيها الأخذ والرد، كيف يتأتى للروائي المعاصر أن يقف على أرض تراثه؟؟

• الغيطاني: في البداية، لابدّ لي من أن أوضّح تجربتي الخاصة، لأنها كانت أهم ماتَميَّزْتُ به بين أبناء جيلي. وهذا ما اكتشفته مؤخراً ـ أيضا ـ أي بعد ما يقرب من خمس وثلاثين سنة من الكتابة والقراءة في هذا الموضوع. لقد كانت هذه التجربة ـ منذ البداية ـ تتسم بالتلقائية، إلى جانب محاولة البحث عن شكل خاص للتعبير، ليس من أجل توفير أكبر مساحة ممكنة لحرية التعبير فحسب؛ بل من أجل إيجاد شكل يمتاز بالجمال أيضًا. ولقد مرّت هذه التجربة بفترات طويلة من المعاناة والبحث، حتى وجدت ـ وسأعفيك من التفاصيل الدقيقة ـ أنّ في التراث العربي إمكانات هائلة لتحقيق شكل روائي حديث، يفيد من طرق القصّ والسرد القديمة، بالقدر نفسه الذي يفيده من طرق القصّ الحديثة المتحققة في الرواية الأوروبية، وكان ذلك الاكتشاف نتيجة اتصالي بمصادر القص العربي المباشرة، مثل كتاب «الفرج بعد الشدّة»، وكتاب «الأغاني»، إلى جانب اتصالي بمصادر القص العربي غير المباشرة، تلك التي نجدها في الأدب الصوفي، أو في حوليات التاريخ العظيمة، مثل كتاب «البداية والنهاية» لابن كثير، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر، أو «تاريخ حلب» لابن العديم.

وأستطيع القول ـ الآن وبعد مرحلة طويلة حفلت بالكثير من صور التقدم والتطور، والتراجع والمعاناة، والشكّ واليقين ـ إنّ هذا التراث العربي ينطوي على إمكانات كبيرة جداً، تتيح للروائي العربي الحديث أن يقدم ـ من خلالها ـ إضافة حقيقية إلى الأدب العربي. أمّا كيف أتعامل معه؟ فإنني آخذ منه بعض العناصر لأطَعِّم بها كتاباتي؛ إذ لايوجد هذا التراث في مكان محدد، فأذهب إليه، وآخذ منه، ثم أعود إلى مكان آخر. المسألة في نظري تتجسد عندما يتمكن الكاتب من تحقيق وحدة عضوية ـ في أعماله ـ بين عناصر التراث ورؤيته وإبداعه الشخصي. وينبغي أن تكون هذه الوحدة العضوية وحدةً تامة، وهذا ما أعتقد أنني أحققه بشكل مُرضٍ في السنوات الأخيرة. وإذا كنت قد قدمت جهداً ملحوظًا في هذا المجال، فإن الإنصاف يقتضي مني الإشارة إلى أنّ هذه القضية كانت مما يشغل مبدعين عربًا كباراً من قبل، وستشغل آخرين من بعد، ومن هؤلاء الذين شغلهم هذا الهاجس أشير إلى محاولات الكاتب التونسي محمود المسعدي واجتهاداته المتميزة في عمله «حدّث أبو هريرة قال:» على سبيل المثال، وإلى محاولات الكاتب الفلسطيني

إميل حبيبي واجتهاداته في: «سعيد أبي النحس المتشائل». وتبدو لي - هنا - حالة إميل حبيبي حالة خاصة، حيث يكتسب التراث فيها مفهومًا آخر، فالتراث العربي عند هذا الكاتب يقوم بمهمة حماية الذات دون أن يتقوقع على نفسه.

ولعل الأمر الذي يسعدني - في السنوات الأخيرة - أنني أنكب لأكتب إبداعًا - في هذا المجال - فحسب دون أن يعنيني في شيء أمر إقامة مدرسة أو تأسيس اتجاه.. وإذا كان ما أنتجه يمثل دعوة غير مباشرة إلى هذا الاتجاه، فإنني أؤكد مع ذلك أنّ ما أقوم به لن يعدو أن يكون حالة فردية لاتتكرر، لولا وجود هذا الهمّ العام عند كُتّاب آخرين، ليس في مصر وحدها؛ بل في العالم العربي أجمع.. وأستطيع أن أشير إلى أسماء مهمة استطاعت أن تقدم إنجازات مختلفة تمامًا عما قدمتُه؛ أو قدمه المسعدي وحبيبي .. منهم في مصر من كتابنا الشباب ضيفانا اللذان يشاركاننا في هذا الحوار: الأستاذ إبراهيم عيسى والأستاذ خيري عبد الجواد، ولو نظرنا إلى البحرين، مثلا، لوجدنا هناك كتّابًا مهمين من أمثال أمين صالح وعبدالعزيز عقيل، يتعاملون مع التراث من زاوية مختلفة تمامًا.. أمّا في تونس فهناك أيضا حركة مماثلة أذكر من كتابها صالح الدين بوجاه. وميزة هذه التجارب تكمن في أنّ كلاً منها تختلف عن الأخريات مع أنّ الهدف واحد، هو البحث عن طريقة للإفادة من التراث العربي في بناء الرواية العربية الحديثة. وأخشى أن يكون قد فاتتني الإشارة إلى رائد كبير في استخدام التراث في سورية، هو الأستاذ سعد الله ونُوس الذي استفدت من تجربته شخصيًا في هذا المجال..

- سأحوّل دفة الحديث إلى الأستاذ خيري عبدالجواد: لاشك في أنكَ من قراء الغيطاني ولاسيّما أعماله ذات الطابع التراثي.. ما رأيك فيما قدّمه الغيطاني على هذا الصعيد؟

* عبدالجواد: أريد أن أدلي بشهادة حق - هنا -، أؤكد فيها أنّ الغيطاني صاحب تجربة متميزة في هذا الباب، استطاعت أن تشدنا نحن الكتاب الشبان إلى التفاعل معها أكثر بكثير من التجارب السابقة له، التي تحدث عنها قبل قليل بكثير من الاحترام، ذلك أنّ تلك التجارب - على أهميتها - لم تستطع الاقتراب من طموحاتنا، ككتاب يبحثون عن طرق جديدة، وأساليب أصيلة للقصة القصيرة أو الرواية، وعن جسور تصلهم بهذا التراث العظيم، وتحقق لهم مطالبهم بقصة عربية قلبًا وقالبًا. ولعلي مازلت أذكر انطباعي المندهش أمام أول كتاب يقع تحت يدي للغيطاني، وهو «أوراق شاب عاش منذ ألف عام»..

لقد دهشت أمام هذه الطريقة الإبداعية، ومازج دهشتي غير قليل من مشاعر الحسد والغيرة. ذلك أنني أحس بأنّ هذا هو ما أبحث عنه، وقد سبقني إليه كاتب آخر هو الغيطاني.. ومن يومها استمرت علاقتي بكتاباته.. التي راحت تؤكد مع الزمن هذه الخصوصية في التعامل مع التراث، وتضرب مثلاً متألقًا بين المحاولات الكثيرة الأخرى.

- أستاذ خيري.. هل لي أن أسألك الآن عن تجربتك الخاصة في التعامل مع التراث، بعد أن قرأت تجربة الغيطاني وتجارب الآخرين؟

* عبدالجواد: بدأت المسألة عندي مجرد بحث عن قصة عربية.. ولقد قادني الاطلاع على تجارب الآخرين إلى اكتشاف المخزون الهائل في بطون الكتب التراثية، من الإمكانات الفنية، والأساليب القصصية، والأشكال التي تُعد متطورة جدًا بمقاييس عصرنا، وربما ستظل كذلك في العصور القادمة، وهذا أمر يثير الدهشة. على أنني الآن بدأت أفضل التعامل - أيضا - مع التراث الحيّ، أو ما أحب أن أسميه «الموروث الحيّ» المتواتر من الأسلاف إلى الأبناء. وهو لايزال موجودًا في حياتنا الحاضرة، حتى اليومية منها.. وأستطيع أن أقول إنّ هذا «الموروث الحيّ» هو مايعنيني من قضية التراث.. وهو ما أتعامل معه الآن في كتاباتي.

- وكيف جسدّت رؤيتك لهذا «الموروث الحيّ» في أعمالك؟؟

* عبدالجواد: لقد قدمت مجموعة قصصية عنوانها «الديب رمّاح»، وإذا كنت لاأستطيع الحديث عنها نقديًا، فإن الانطباعات الأولى التي حملتها كتابات النقاد عنها تؤكد أنني أحاول التعامل مع التراث الشعبي الذي لايزال حيًا، هذا الموروث الشعبي الذي لايتمثل في الحكاية الشعبية فحسب - إذ الحكاية ليست إلاّ فرعًا من فروعه المتعددة - فهناك فنون القول الشعبي الأخرى كالمثل، والكناية، والنكتة، والسِير الشعبية المطوّلة بأبطالها وشخوصها التي تعيش في صدور الناس.

- مادمت تعتمد على فنون القول الموروث شعبيًا.. فماذا تفعل عندما تختار التعامل مع حكاية شعبية؟ لاسيما أن «فن الحكاية» هو الأقرب إلى فن القص الذي تزاوله.. هل تأخذ هيكل الحكاية - مثلاً - وتملؤه بمضامين جديدة.. أم إنك تريد أن تأخذ الحكاية بيدك نحو مفهوم معاصر؟؟

* عبدالجواد: لاهذا.. ولاذاك.. فأنا لاأريد أن أحاكي الحكاية الشعبية، بقدر ما أريد أن أكتب حكايتي الخاصة، وحكايات الناس الذين أتعامل معهم، وأعايشهم يوميًا..

- أستاذ خيري.. مادمت تعترف بأنك تستفيد من التراث الشعبي لتكتب حكايتك الخاصة.. فإن سؤالي ينصب على الكيفية التي يتم لك بها أو من خلالها هذا المزج - الإفادة - من الموروث في عملك الجديد الخاص.. فأنا عندما أقرأ للغيطاني - مثلا - أحس للوهلة الأولى بأنني أقرأ شكلاً أعرفه.. فنّا تمثلته سابقًا من خلال اطلاعي على التراث.. ولكنه مع هذا ينطوي - أيضا - على شيء جديد يشدني.. هل للأستاذ جمال الغيطاني أنّ يوضح هذه النقطة..؟

* الغيطاني: لن أجيبك من خلال تجربتي بالطبع، وسأتولى توضيح هذه النقطة في تجربة الأستاذ خيري التي تتميز بأنها تعتمد - كما قال - على الموروث الشفهي، وإذا كنت أنا قد تعاملت مع النصوص؛ فإنه أوغل في التعامل مع أساليب التراث الشفهي وفنونه التي تضرب بجذورها بعيدًا في المعتقدات والأساطير، وتنعكس في سلوك الناس - ربّما وراثيًا - لا شعوريًا. وسأضرب لك مثلاً: فما أكثر ما رأيت والدتي - عندما يلمّ بأحدنا مرض ما - وهي تصنع «عروسًا» من الورق وتقوم بثقب عينيها بالدبابيس.. إنها لم تكن تقوم بهذه الممارسة «الطقسية» على أنها ذات تأثير (فيزيولوجي) مباشر في أعين الحساد مسببي هذا المرض أو ذاك؛ بل كانت تمارس ذلك في إطار حياة شعبية كاملة موروثة.. ماذا يقدم لنا هذا المثال..؟ أعتقد أنه يقدم لنا عددًا كبيرًا من العناصر الموجودة في الحياة الشعبية التي يعتقد الناس بفاعليتها في حياتهم، وما يفعله خيري عبدالجواد هو أنه يستقي الكثير من تلك العناصر الموروثة شفاهًا، بالإضافة إلى محاولته الإحاطة بأبعادها، ودراستها للخروج برؤية يمكن أن نصفها بأنها رواية الشعب عن نفسه في حياته المتصلة في الزمن.. وأعتقد أن هذا هو تصوري لتجربة خيري التي تتضح أكثر ما تتضح في معالجته لقضية الموت، وتعبيره - من خلال المنظور الشعبي - عن الرؤية الإنسانية للموت..

- انتقل الآن إلى الأستاذ إبراهيم عيسى الكاتب القصصي المتحمس للتعامل مع التراث.. لكن بطريقته الخاصة.. مارأيك بهذه القضية؟؟

* عيسى: أحب أولاً أن أشير إلى الجذر الذي انبثقت منه أهمية هذه القضية التراثية.. وهو الصراع الحضاري المحتدم بين الأمة العربية من جهة والمجتمع الغربي من جهة ثانية.. لقد اقتضى هذا الصراع، وحالة الاشتباك المتصاعدة من العرب - ولاسيّما المبدعين منهم - أن يعودوا للبحث في خصوصيتهم وأبعادها وتأكيد ملامحها في كل مجال، سواء أكان



جمال الغيطاني، وإبراهيم عيسى، وخيري عبدالجواد

سياسيًا أم أخلاقيًا أم حضاريًا بوجه عام.. ولعل ميدان الأدب هو الجزء الأكثر حميمية ورقيًا، الذي يشكل المهاد الصالح لعملية البحث عن الخصوصية، وهكذا قادنا البحث عن خصوصيتنا إلى العودة إلى التراث حيث الجذور الراسخة في أرضنا ونفوسنا، فأصبحت عملية البحث عن فنّ قصّ عربي، وشكل عربي تعبيراً عن قصديّة الثبات تجاه أزمة شديدة، يمكن أن تودي بنا إذا ما فقدنا هويتنا السياسية والأدبية والحضارية.. ولاسيّما في ظل نظام عالمي جديد كاسح قد يدمر - وهو ماضٍ في سبيله - كلّ شيء..

لهذا، يبدو الكلام عن التراث، وعن الشكل العربي للقصة والرواية أكثر أهمية، وأوضح دلالة عن موقف العرب الحالي، وواقعهم «الواقعي».. حتى لتكتسب هذه القضية أهمية استثنائية في الوقت الراهن تفوق ما قد نحتاجه في السنوات القادمة في هذا المجال.

وهنا، أحب أن أوضح مسألة مهمة.. هي أنه ينبغي أن نفصل تمامًا بين مفهومي «التراث» و«التاريخ».. فليست كل رواية تاريخية هي - بالضرورة - رواية تراثية، كما أنه ليس من المحتم أن تكون كل رواية تراثية رواية تاريخية، وفي هذا الميدان، لي تجربة خاصة تتمثل في تأكيد أهمية الجانب اللغوي من التراث، وهي تجربة أكثر اتصالاً - من حيث تأثرها - بلغة القرآن الكريم.. وإذا نظرت في روايتي الأولى «الحبيبة» وجدتها تتأثر بالقرآن الكريم لغة وقصصًا.. بمعنى أنّ فيها قصصًا من القرآن الكريم، كقصة «مريم العذراء»، وقصة «سيدنا إبراهيم».. وهذا نابع من اعتقادي بأن القرآن الكريم يمثل المرجع الأساس لأي فن قصصي أو روائي، ولكل كاتب عربي، أو يكتب بالعربية على الإطلاق. وإذا كان ثمة إبداع للكاتب فغايته أن يسير في ظلال اللغة الربانية العظيمة. وإذا قدر للكاتب أن ينجح في هذا - وأنا شخصيًا أتمنى أن أصل إلى ملامح أولى من هذا النجاح - فإنه - لاشك - سيكتب أدبًا متميزًا.

ولقد كررت هذه التجربة نفسها - في التعامل مع لغة القرآن الكريم - في رواية «مريم التجلي الأخير»؛ حيث تجد في هذه الرواية، إلى جانب اللغة، توظيفًا لآيات كريمة من القرآن بالكامل في سياق الرواية، هذا فيما يخص تجربتي..

أما ما أراه عند الأستاذ الغيطاني؛ فأعتقد أنه استطاع أن يحقق لنفسه نجاحاً بارزًا جداً فيما يخص تعامله مع التراث، فضلاً عن ريادته في استكشاف هذا المجال، ويكفي أن إصرار الغيطاني على مبدعات التراث قد دفع بأديبنا الكبير نجيب محفوظ إلى الالتفات نحو التراث، وكتابة رواية خطيرة جداً، هي روايته «ليالي ألف ليلة»، بالإضافة إلى ملحمته الشهيرة الكبيرة الأهمية «ملحمة الحرافيش».

- ما رأي الأستاذ الغيطاني في تجربة الأستاذ إبراهيم عيسى، التي عرضها لنا بكل هذه الحماسة؟

• الغيطاني: في عمل الأستاذ إبراهيم عيسى كثافة شعرية مخيفة. ولا أخفيك أنّ الكاتب إذا قرأ نصًا وأعجب به، يتمنى - أحيانًا - أن يكون هو كاتبه. ولقد شعرتُ من خلال روايته الأولى «الحبيبة» أنّ فيها استعانة عالية المستوى بلغة القرآن الكريم.. ولقد عبّر هو - قبل قليل - عن شيء كنت أنوي قوله، وهو أنّ القرآن الكريم يمثل سماء اللغة العربية، وقد استفاد إبراهيم عيسى من هذه الحقيقة، بالإضافة إلى ما يمتلك من طاقة شعرية.

- الأستاذ جمال، إنّ الكثيرين من النقّاد العرب يشككون في جدوى عملية البحث عن شكل عربي للرواية من أساسها.. ويتساءلون: ما للشكل العالمي المألوف.. ألا يشكل إبداعًا إنسانيًا يفخر ويعتز به الناس في كل مكان..؟! ولماذا نجهد أنفسنا في البحث عن رواية «عربية»، وفن الرواية واحدٌ في العالم أجمع؟!

• الغيطاني: لقد قلتها بلسانهم: لماذا نجهد أنفسنا؟ إن هؤلاء النقاد، وأشباههم من الكتاب جماعة من الكسالى إذن..!!.. كسالى عقليًا وإبداعيًا، إن المبدع الذي لايطمح إلى إضافة شيء جديد إلى التراث الإنساني كلّه - وليس في تراث أمته فحسب - لايكون في تقديري قد أضاف شيئًا جديداً بصورة عامة.. نحن لانبحث من أجل «الموضة»، ولكن كلٌ واحد منا ينحت طريقه، لكي يقدم أفضل ماعنده في أجمل صورة. وإذا كانت قضية «شكل الرواية» مرتبطة بالمضامين، وبالذات الإنسانية وتعبيرها عن هويتها، وليس ثمة إمكانية لتجسيد المشاعر إلاّ في إطار الشكل الغربي للرواية، فنقول أهلاً وسهلاً، ونستفيد منه بعناصره المعروفة المألوفة.. أمّا إذا كان عندي بذور شكل متميز.. وقد هُجرت هذه البذور، فما الضير في محاولتنا تحقيق ذلك الشكل الذي كان من المفروض أن يتحقق منذ قرنين من الزمان، لولا الانقطاع الحضاري الذي حدث لمسيرة الأمة العربية، وجعلها تتجه اتجاهًا كاملاً إلى الغرب، ولازالت تعاني من آثار ذلك إرثًا من الإحساس بالدونية تجاه كل ما يأتي من الغرب..؟؟ إنني أعتقد أن محاولات البحث عن شكل عربي، والتي سيواصلها أجيال من الأدباء، منهم ابراهيم عيسى وخيري عبد الجواد، ليست سوى طرقات على باب كبير سوف يفتح في المستقبل عن إبداعٍ رائع اسمه: «الرواية العربية شكلاً ومضمونًا».

• عبد الجواد: أريد أن أقول إنّ الغرب نفسه تنبه إلى أهمية تراثنا العربي، قبل أن ننتبه إليه نحن بزمن طويل، ونحن نقرأ الآن روايات «غربية» تعتمد بشكل أساس على عطاءات التراث العربي، لكتّاب لامعين ومرموقين في الغرب، وإذا كان هؤلاء يفعلون ذلك، فأظننا أولى به.

• عيسى: أعتقد أنّ هناك تجربة ناجحة - في هذا المجال - تلك التي نجدها عند أدباء أمريكا اللاتينية.. لقد تجاوز هؤلاء المحن الصغيرة فيما بينهم، كما تجاوزوا الإحساس بالدونية تجاه الغرب، خاصة في الأدب، فهم واثقون بأنفسهم بشكل يدعو إلى الدهشة، وواثقون في تلاحمهم مع تراثهم بطريقة جعلتهم ينجزون أعمالاً باهرة، حتى غدت رواية أمريكا اللاتينية تحفة حقيقية من حيث التصاقها بأرضها وتراثها، الذي يتجلى في لغتهم، بالإضافة إلى الغذاء الأسطوري الشديد الجمال الذي يمتحون منه..

لقد استطاع هؤلاء أن يلتصقوا بأسطورتهم وحضارتهم، وتراثهم ووعيهم بعالمهم الخاص، فلماذا يريد بعض النقاد أن يسحبوا أدبنا بعيدًا من أصوله وجذوره، ويدعونه إلى تحقيق ذاته في إطارات غربية لاتمت إليه بصلة..؟ بينما الغرب نفسه يبدو مقتنعاً بتجارب الآخرين، وهذا ماتؤكده لنا روايات أمريكا اللاتينية، والروايات القادمة إلينا من الهند أو تركيا أو حتى من المغرب العربي، حيث هي الآن الأكثر مبيعًا وتداولاً بين أيدي القراء؟!!

- ربّما كان الغرب نفسه لايريد أن ترد بضاعته إليه.. فهل يحدثنا الأستاذ الغيطاني عن أصداء ترجمة أعماله ذات البعد التراثي إلى اللغة الفرنسية مثلاً.. ويأتي في مقدمة تلك الأعمال رواية «الزيني بركات»؟

• الغيطاني: كانت ترجمة رواية «الزيني بركات» مفاجأة بالنسبة لي شخصيًا، لأنني - بصراحة - لم أتخيل يومًا، ولا حتى عند كتابتها عام ١٩٧٤م أنها سوف تترجم. وأذكر عندما نشرت هذه الرواية لأول مرة في العام ١٩٧٤م أنّ بعضهم قال لي: لماذا لاتسهّل أسلوبك، حتى يتاح لها من



جمال الغيطاني، وإبراهيم عيسى، وخيري عبدالجواد

يترجمها إلى لغات أخرى؟ فقلت له: هذه مهمة المترجم وليست مهمتي أنا، ثم إني لا أكتب لأقرأ بلغات أخرى، وإلا لذهبت ـ مثلاً ـ إلى فرنسا، وكتبت بالفرنسية مباشرة.. وعندما وقع اختيار الترجمة على «الزيني بركات»، آمنت بأن النص الذي تبذل فيه جهداً مهماً ـ وإن كان صعباً ـ سوف يُقيض له يوماً ما من يهتم به، ويدافع عنه، ويتحمل صعوباته.

ولقد بذل المترجم جهداً كبيراً في نقل هذه الرواية، على الرغم من أنني كنت أعتقد بأن موضوعها سيكون غريباً عند القارئ الفرنسي والألماني والإنجليزي، ولايثير اهتمامه، ولكنني فوجئت بعكس ما كنت أعتقده:

أولاً: من ناحية الموضوع، فالرواية ـ كما تذكرون ـ تعالج موضوع القهر الإنساني، ولقد وجدت أنّ ما عبّرتُ عنه أنا في القاهرة من خلال القرن السادس عشر موجود في الحواضر الصناعية الكبرى في الغرب، وفي الوقت الحالي!!

وأذكر ـ الآن ـ أنّ صحفياً فرنسياً ـ أجرى معي حواراً ـ قال لي: إنّ هذه الرواية مكتوبة عنّا نحن فسألته: لماذا؟ إنكم عالم متقدم وديموقراطي.. ونحن عالم يعاني من القهر التاريخي. فأجابني ذلك الصحفي: إنّ القهر في الغرب ـ ياعزيزي ـ يكون مقنّعاً بشكل رهيب.. والإنسان فيه يتحول إلى جهاز حاسوب (كمبيوتر).

إنّ أبسط ما استخلصته من هذا الحوار مع ذلك الصحفي، هو أن الدعوة المعروفة التي تؤكد أنّ «المحليّة هي الطريق إلى العالمية» صحيحة إلى حد بعيد..

ثانياً: لايمكن ضمان نجاح عمل ما عند ترجمته إلى لغة أخرى إلاّ إذا كان ناجحاً في لغته الأصل.. ويحدث أحياناً أن تترجم بعض الأعمال التي لاتتمتع بقيمة عالية في لغتها الأم إلى لغات أخرى ـ لأسباب سياسية، أو نتيجة علاقات خاصة ـ ولكن النتيجة دائماً تثير سخريتنا..

إنّ هذا كله يقودني إلى الاعتقاد بأنّ الارتباط بالجذور، والتعمق في استكناه التراث واستيحائه، سواءٌ أكان هذا التراث هو التراث العربي المدوّن أم التراث الشفهي ـ في كل قطر من أقطارنا العربية ـ سوف يحقق لنا إبداعات روائية لها شأن كبير جداً، وقد تغيّر مسار الرواية في العالم نفسه..!!

ولمن لايرى هذه الحقيقة بعين اليقين، نقول إن عليه أن يعيد النظر في إبداعات أدباء أمريكا اللاتينية كما أشار إلى ذلك الأستاذ إبراهيم عيسى.. أمّا لمن يؤكد أنّ عملية البحث عن هوية قصصية وروائية عربية مستندة إلى التراث سوف تصل إلى طريق مسدود فنقول: انظر أمامك إلى ما يحققه الكتّاب الشبان الموهوبون.. فالتراث محيط كبير ونحن لانزال نقف ـ في تجربتنا ـ عند ساحله..

ـ الآن.. وقد وصلنا إلى هذا الحدّ الواضح لقضية «الرواية والتراث».. هل من إضافة يحب أن يدلي بها أحدكم قبل ختام الحوار.. حتى لو كانت هذه الإضافة إشارات إلى مصادر مهمة في تراثنا يمكن أن يفيد منها الناشئة وجيل الشبان؟

• خيري عبد الجواد: بما أنّ هذه الندوة التي اجتمعنا فيها بطريق المصادفة، ومضت بنا ـ بطريقة عفوية ـ في شعاب قضية مهمة.. قد أتاحت لنا لقاء الأستاذ جمال الغيطاني الذي أثار بعضهم غباراً حول تجربته مع التراث.. فسأسمح لنفسي بأن أوجه إليه السؤال التالي: إن من يتصدون لانتقادك يركزون على اعتمادك على «ابن إياس»، فيقولون إنه كان اعتماداً كلياً.. وأنا أريد أن أسمع منك الرد على سؤالهم: أين هو جمال الغيطاني إذن؟؟

• الغيطاني: لازلت أجيب عن هذا السؤال عبر سنوات طويلة من العمل والإنتاج الروائي.. والذين يثيرون بعض التساؤلات والملاحظات، حول ما أقوم به، إنما يصدرون عن سوء فهم، أو عدم فهم دقيق لطبيعة العلاقة بالنصوص التراثية.. وعلى سبيل المثال يتساءل البعض: إن الزيني بركات شخصية حقيقية دوّن حياتها ابن اياس.. فأين هو جمال الغيطاني؟..

وأقول لهؤلاء: نعم إن ماتقولونه صحيح. فالزيني بركات شخصية حقيقية، ولكن اقرؤوا «الزيني بركات» عند ابن إياس، واقرؤوها في الرواية.. وسوف تجدون الفرق.. ذلك أنّ شخصية الزيني الحقيقية لاتتجاوز حياتها عند ابن إياس الصفحات الخمس.. ولكنها في الرواية ـ وبعيداً عن الكم ـ أصبحت موضوعاً مختلفاً تماماً. وقد قام النقد بإيضاح هذا الفرق.. كما أنّ إعادة تركيب بعض العناصر في أثناء عملية الإبداع مسألة يعرفها النقد باسم مصطلح معروف هو «التضمين».. وأنا شخصياً عندما أقوم بتضمين بعض النصوص التراثية في الرواية أحاول ـ بقدر الإمكان ـ أن أشير إلى ذلك الذي قمت به من تضمين، وإلى مصدره.. وعلى سبيل المثال: يوجد في رواية «الزيني بركات» نص لابن إياس على لسان الرحالة البندقي يقول فيه: «وقد أخبرني صديقي ابن إياس وهو عالم مصري..».. وفيها نص آخر يتعلق بمعركة «مرج دابق»، وهي الواقعة التاريخية المحددة المعروفة التي هزم فيها الجيش المملوكي شمالي حلب أمام الجيش العثماني بقيادة السلطان سليم الأول.. هذا النص الذي يصف هذه المعركة موجود في كتاب ابن إياس، وقد أوردته في روايتي «الزيني بركات» في صيغة تقرير يقدمه «ابن راضي» إلى الزيني بركات يخبره فيها عن وقوع هذا الحدث التاريخي باعتباره مصيبة.. فماذا يجد هؤلاء في هذا الأخذ من غضاضة؟ إن كبار المبدعين يلجؤون أحياناً إلى عملية «تضليل فني» من أجل دفع حدث، أو تطوير حدث في إطار واقعة تاريخية ما..

خذ مثلاً نجيب محفوظ في روايته «الحرافيش»: لقد أورد شعراً فارسياً، فهل هو من ألّف هذا الشعر؟! بالتأكيد لا.. فقد نقله من كتاب..

ثمّ يجيء دور النقد ليبيّن للقارىء ماذا فعل الكاتب في هذا الصدد أو هذه النقطة بالذات.. وهو مافعله الأستاذ رجاء النقاش في دراسته النقدية للرواية؛ حيث أوضح أن هذا الشعر إنما هو منقول من «كتاب كذا» «طبعة كذا» من ترجمة الدكتور «الخشاب».

لقد كان الدراويش في «ملحمة الحرافيش» ينشدون شعراً فارسياً.. فمن أين أتى نجيب محفوظ بهذا الشعر وهو لايعرف اللغة الفارسية.. فهل نُعد هذا سرقة؟

الأمر نفسه نجده بكثرة في «ألف ليلة وليلة».. فما أكثر ما يتوقف الراوي ـ في سياق حكاياتها ـ ليقول شعراً.. هذا الشعر يكون أحيانا لشاعر معروف كامرئ القيس مثلاً.. لكن الراوي يتجاوز اسم الشاعر، ويكتفي بالقول: «كما قال الشاعر» ... وعندي في «التجليات» أوردت أشعاراً لم أكتبها، فأنا لست شاعراً، ولكنني اخترتها من التراث العربي لتعاونني في تعميق الرؤية في موضوع معيّن.. وعلى الناقد ـ بعد ذلك كما قلت ـ أن يعرف كيف وظفت هذه العناصر التراثية، في إطار العمل الجديد، ثم يطرح سؤاله: هل كان الكاتب أصيلاً في محاولته الإبداعية أم لا؟..

هناك كتاب لابن الأثير اسمه «وشيُ المرقوم في حلّ المنظوم» يدور بكامله حول الأدباء الذين أخذوا أشعاراً أو حالات أو روايات عن غيرهم دون أن يشيروا إلى مصادرها، ونحن نهتم بالإشارة إلى المصادر حين الاضطرار الفني إلى إثبات نصوص معينة من التراث في أعمالنا الإبداعية.

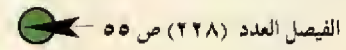


العرب في مواجهة التحديات الإعلامية المعاصرة (١)

د. عبد القادر طاش

عندما اختارت مجلة «تايم» الأمريكية (تيد تيرنر) مالك الشبكة التلفازية الشهيرة «سي.ان.ان. CNN» رجل عام ١٩٩١م؛ فإنها كانت بذلك تعلن عن ميلاد العصر الإعلامي الجديد الذي نعيش فيه اليوم. ومع أن ذلك العام المميز في التاريخ المعاصر شهد أحداثا كبيرة ونجوما ساطعة؛ إلا أن لقب رجل العام كان من نصيب الصورة التلفازية التي سجلت تلك الأحداث وصنعت أولئك النجوم. ولنقرأ ماكتبته «تايم» في تقديمها لرجل العام الذي وصفته بأنه «أمير القرية الكونية»، إنها تقول: «كمؤسس لأول شبكة إخبارية تلفازية كونية استطاع (تيد تيرنر) أن يجعل المشاهدين في ١٥٠ دولة شهودا مباشرين للتاريخ، كما ساعد على التأثير في مجرى الأحداث. وفي عام حافل مثل عام ١٩٩١م كانت (سي.ان.ان.) حاضرة في قلب الأحداث وكان العالم كله يشاهدها»(١).

لقد برز الإعلام في السنوات القليلة الماضية قوة مؤثرة لا يمكن الاستهانة بها. واليوم لا يقل خطر القوة الإعلامية وتأثيرها عن القوى التقليدية التي عرفتها المجتمعات الإنسانية، مثل القوة السياسية والقوة العسكرية والقوة الاقتصادية إن لم تتفوق عليها. بل يمكن القول دون مبالغة إن القوى التقليدية الأخرى لا تكتمل تأثيراتها، ولا يتحقق كثير من أهدافها إلا إذا اقترنت بالقوة الإعلامية. ومن هنا رأينا اليابانيين ـ وهم يمتلكون قوة اقتصادية ضخمة ـ يشكون من افتقارهم إلى القوة الإعلامية،



فقد ذكرت وزارة الاتصالات والبريد اليابانية في تقريرها لعام ١٩٩٢م أنه بالرغم من أن اليابان تعد القوة الرابعة - بعد كندا والولايات المتحدة وهولندا - في إنتاج أدوات المعلومات والإعلام؛ إلا أن حركتها في التبادل الدولي للمعلومات والإعلام مع بقية العالم متخلفة كثيرا؛ فهي - مثلا - لاتتبادل المعلومات والإعلام إلا مع حوالي ثلث الدول التي تتعامل معها كل من الولايات المتحدة وبريطانيا وألمانيا إعلاميا. ويرى التقرير أن هذا «التخلف المعلوماتي والإعلامي» يمثل أحد الأسباب التي تؤدي إلى ضعف الأداء الاقتصادي الياباني في القارة الآسيوية، إضافة إلى تأثر صورة اليابان في كثير من الدول بوصفها «قوة اقتصادية غازية»(٢).

لقد أحدثت التغيرات المذهبية (الأيديولوجية) الاقتصادية والسياسية التي شهدتها السنوات القليلة الماضية تأثيرا بالغا في البيئة التي تعمل فيها وسائل الإعلام، كما أسهمت التطورات الهائلة في مجال تقنيات الاتصال الحاسوب (الكومبيوتر) والأقمار الصناعية في إحداث طفرة إعلامية لم يشهد التاريخ لها مثيلا في حجمها واتساعها، أو في بنيتها ووظائفها. لقد انهارت (أيديولوجية) المعسكر الشرقي الشمولي بمفاهيمها وطقوسها، وانتهت الحرب الباردة، وتعززت قبضة الحرية (اللبرالية) السياسية والاقتصادية التي تقوم على سيادة الشعوب (الديموقراطية) ونظام السوق الحرة، وَوَقَّعَت دول العالم اتفاقية «الجات» التي تلغي أشكال الحدود الدولية، وتعلن الخضوع لسياسة الاقتصاد التنافسي بين الدول.

كل هذه التغيرات والتطورات انعكست على نحو واضح في واقعنا العربي، وكان لها دور بارز في إيجاد بيئة إعلامية جديدة تحمل في طياتها الكثير من التحديات التي لابد أن يواجهها العرب في محاولتهم للتكيف مع هذه البيئة، وفي بحثهم عن السبل الكفيلة بإيجاد موقع لهم في النظام العالمي الذي يعيشون في كنفه. وتحاول هذه الورقة تقديم رؤية متواضعة يمكنها أن تسهم في تحقيق هذا الهدف من خلال معالجة ثلاثة محاور في هذه القضية، هي:

- الوصف الموجز لملامح البيئة الإعلامية الجديدة التي حققتها الطفرة الوثابة في تقنيات الاتصال، وأفرزتها التغيرات المذهبية (الأيديولوجية) والسياسية والاقتصادية في عالم اليوم.
- الإشارة إلى جملة من التحديات الإعلامية التي تواجه العرب، وإبراز الأبعاد الإيجابية والسلبية لتلك التحديات.
- التشخيص العاجل لواقع الإعلام العربي، واستكشاف إمكانات مواجهة التحديات التي تواجه العرب إعلاميا، وطرح بعض الأسئلة التي تثيرها تلك التحديات.

ملامح بارزة للبيئة الإعلامية الجديدة

لاريب أن عالم اليوم يشهد تشكّل بيئة إعلامية جديدة تُسفر عن ملامحها الرئيسية بسرعة مذهلة مما لا يترك للباحثين والدارسين وقتا كافيًا للتأمل المتأني والتفكير المنهجي. وأهم ملامح هذه البيئة:

١ - التواصل الآني بين أجزاء العالم: لقد ألغت تقنية أقمار الاتصال عنصري الزمان والمكان «ولم يعد البعد المكاني حائلا دون التواصل بين مجتماعات وأفراد تبعد بينهم الشقة باتساع الكرة الأرضية كلها». ويشمل هذا التواصل الاطلاع على الأحداث فور وقوعها، كما يشمل تبادل المعلومات والمعارف «فقد أصبح العالم كله شريكا في كل ما يمكن أن يحدث في أي مكان في العالم في شتى مجالات المعرفة»(٣).

٢ - الاستثمار الهائل في مجال الإعلام: لقد أصبح الاستثمار في القطاع الإعلامي محققا لأرباح هائلة، ويتضح ذلك من بعض الأرقام التي ذكرها - أمام مؤتمر إعلامي مهم عقد في بريطانيا مؤخرا - مصرفيّ كبير يتعامل مع الجانب المالي لأجهزة الإعلام. لقد ذكر أسماء خمس شركات إعلام عالمية قائلا: إن رقم معاملاتها (وليس قيمتها الرأسمالية) بلغ خلال عام ١٩٩٣م وحده مئة وثلاثة مليارات دولار. ومعنى ذلك أن رقم المعاملات لهذه الشركات الخمس يزيد أربعة مليارات دولار على القيمة التجميعية لإجمالي الناتج القومي لخمس دول عربية؛ هي: مصر وليبيا والكويت وسلطنة عمان وقطر(٤).

٣ - الانتشار وتجاوز الحدود: لقد تحولت المؤسسات الإعلامية من مؤسسات وطنية محدودة الانتشار إلى «ديناصورات» ضخمة يمكن وصفها بأنها شركات «كونية» أو «فوق قومية»، وبعضها «متعددة الجنسيات» تتجاوز الحدود والقيود. فبعض وسائل الإعلام الأمريكية - مثلا - تحصل على خمسين في المئة من إيراداتها من أسواق أجنبية، أي غير أمريكية. كما أن شبكة واحدة في إمبراطورية (روبرت ميردوخ) الإعلامية حول العالم تدر مليار دولار من الإيرادات سنويا. هذه الشبكة هي «بي. سكاي. بي» التي تغطي العشرات من صحف القطع الكبير وصحف التابلويد، إضافة إلى شبكة (فوكس) وحصة في شبكة (إنترنت) وشبكة (ستار.بي.في) الآسيوية المتصلة بـ ٣٥٠ مليون منزل في عموم آسيا(٥).

٤ - الانعتاق من سلطة الدول ورقابتها: مع تطور وسائل الاتصال وتقنياتها المتنوعة بدأت سلطة الدول في التحكم والرقابة تنحسر شيئا فشيئا، ويتوقع الخبراء مزيدا من هذا الانحسار في المستقبل، وبخاصة عندما تنتشر أجهزة التلفاز ذات الهوائيات الفضائية الداخلية التي لا تحتاج إلى أجهزة مضافة لاستقبال القنوات الفضائية.

٥ - تطور أدوات الإنتاج والتوزيع: شهدت أدوات الإنتاج الإعلامي - سواء المطبوع منه أو المسموع أو المرئي - تطورا كبيرا؛ حيث ظهرت تقنيات جديدة في مجالات الجمع الإلكتروني والطباعة والتصوير والإنتاج التلفازي أدت إلى اختصار الوقت وزيادة الجاذبية والإبهار. كما تطورت صناعة الحاسوب في مجال خدمة المعلومات جمعا وصناعة وتوزيعا. وارتبطت بتقنية الحاسوب تقنية الاتصال سواء في مجال الإنتاج أو التوزيع أو البث، فزادت من كفاءة كل منهما. وأكملت التطورات الكبيرة في مجال تقنية الأقمار الصناعية وشبكات التوزيع الأرضية والكوابل وغيرها حلقات التطور الإعلامي، وفتحت أمام الإعلام آفاقا رحبة وواسعة للانتشار والتأثير(٦).

٦ - تعددية لا نهاية لها: لقد تعددت القنوات الإعلامية تعددا لا نظير له، وشهد كثير من المفاهيم الإعلامية وتطبيقاتها بسبب ذلك تغيرات جذرية، وبذلك بدأنا نتحول تدريجيا مما يمكن أن نسميه بـ «إعلام الحملة» إلى «إعلام السوبر ماركت» - حسب تعبير حسني خشبة -؛ ففي إعلام الحملة كان في استطاعة الصحيفة أو القناة التلفازية أو المحطة الإذاعية (أو الأجهزة الثلاثة معا) شن حملة إعلامية على موضوع واحد لأسبوع أو أسبوعين أو أكثر. ومن واقع التشبّع الإعلامي الناجم تنشأ مواقف جماهيرية أو يتكون رأي عام لا يكون من السهل على صانع القرار السياسي تجاوزه. أما في «إعلام السوبر ماركت» فالمستهلك الإعلامي أشبه بمن يتجول في محل كبير مترامي الاتساع متعدد الأجنحة، ما يكاد يتلفت إلى قصة حتى تشد انتباهه قصة أخرى. وكان المستهلك الإعلامي حتى عهد قريب جدا حكرا لمحطة تلفازية وطنية واحدة أو محطتين أو ثلاث. أما الآن في وجود التلفاز السلكي والـ (إنترنت) وطريق «المعلومات الفائق السرعة» فهو أمام فيض من

القنوات بالمئات والآلاف(٧).

٧ ـ الإعلام التفاعلي: لقد أتاحت التقنيات الجديدة للمستهلك الإعلامي أن يتفاعل مع المادة الإعلامية ولا يكون مجرد مستهلك سلبي لها، «وعلى الرغم من التنامي الهائل في نفوذ المنشأة الإعلامية، لم يعد المحتوى الإعلامي حكرًا عليها، ذلك أن باستطاعة المستهلك الإعلامي الدخول على الخط والتقدم بمساهمة في المحتوى الإعلامي؛ بل إن وظيفة النشر ذاتها لم تعد حكرا على شركات النشر»(٨). ويرى خبراء (الحاسوب) أن التغيرات التي أحدثها تداخل تقنيات الاتصالات و(الحاسوب) تعد أضعاف ماأحدثه الهاتف و (الحاسوب) منفردين، ومن أهم ماأنتجه هذا التداخل حتى الآن البريد الالكتروني الذي يستخدمه نحو ثلاثة ملايين شخص حول العالم. تضاف إلى ذلك ندوات الفيديو (Video-Conferencing) وخدمات بث المعطيات (الحاسوبية) التي تحول العالم في الواقع إلى مكتب أو مختبر واحد(٩).

لقد كانت هذه التغيرات الجذرية في البيئة الإعلامية الدولية امتدادا للتحولات الأخرى التي شهدتها البيئة الأوسع والأرحب في مجالاتها السياسية والفكرية والاقتصادية. كما أنها كانت ثمرة للتطورات الهائلة في تقنيات الاتصالات والحاسوب التي شهدت خلال حقبة قصيرة من الزمن طفرة غير مسبوقة.

تحديات لابد من مواجهتها

لقد أفرزت معطيات البيئة الجديدة للإعلام كثيرا من التحديات التي سيكون لها انعكاسات بالغة التأثير في النسيج الثقافي والسياسي والاقتصادي للعالم العربي. كما أن تلك المعطيات ستعمل على تنشيط بعض القضايا الجوهرية التي كنا ـ ولازلنا ـ نعاني منها، مثل قضايا التبعية الإعلامية وإفرازات التغريب الثقافي. وسيتسع بذلك مدى الفجوة الاتصالية بين عالمنا العربي والعالم الغربي الذي يمتلك التقنية المتطورة، ويملك الإمكانات المادية والفنية والبشرية الهائلة في مجال التدفق الاتصالي والإعلامي.

وسنقصر حديثنا على أربعة تحديات رئيسية اخترناها ليمثل كل واحد منها مجالا مهما من مجالات العمل الإعلامي. وهذه التحديات هي:

ـ التحدي الأول هو في مجال البنية الاتصالية في العالم. ويتجسد هذا التحدي في احتكار دول الغرب وهيمنة شركاتها الضخمة على البُنى الأساسية للاتصال الدولي.

ـ والتحدي الثاني هو في مجال القوالب الفنية للإنتاج الإعلامي. ويتمثل هذا التحدي في طغيان الفن التلفازي على بقية الفنون الإعلامية، وما ينتج عن ذلك من تزايد استخدام الأسلوب التلفازي في التعامل مع الأحداث والقضايا والموضوعات التي تتناولها وسائل الإعلام المختلفة.

ـ والتحدي الثالث هو في مجال الدوافع والمعايير التي تتحكم في المادة الإعلامية؛ إذ إن التحول المتنامي من الإعلام الوطني العام إلى الإعلام التجاري الخاص سيعلي ـ دون ريب ـ من الاعتبارات التسويقية والمعايير الاستهلاكية، ويجعل المادة الإعلامية خاضعة لتلك الاعتبارات والمعايير على نحو متزايد.

ـ أما التحدي الرابع فهو في مجال المحتوى الإعلامي، إذ ستستحكم حلقات التغريب الثقافي الذي لا يصيب المجتمعات العربية والإسلامية فحسب، بل يصيب المجتمعات الإنسانية الأخرى أيضا، وبذلك ستتيح البيئة الجديدة للإعلام الدولي مزيدا من الفرص لتَسيُّد «ثقافة التغريب» وضمور الثقافات الأخرى.

أولا: الهيمنة على البُنى والصناعات الاتصالية

لقد أدت التغيرات الجديدة في البيئة الاتصالية والإعلامية الدولية إلى تكريس واقع الهيمنة الغربية على معطيات الإعلام وتوسيع نطاقها وتشديد قبضتها. ولا تقتصر هذه الهيمنة على بعد واحد يتعلق بالإنتاج الإعلامي فحسب؛ بل هي هيمنة ذات أبعاد متعددة. ففي مجال البُنى التحتية والصناعات الاتصالية يسيطر الغرب على جزء كبير من صناعة أدوات الاتصال والوسائل الإعلامية. كما تحتكر الشركات الأوربية والأمريكية معظم أوقات الأقمار الصناعية. وفي العالم العربي ـ مثلا ـ نلاحظ تدني الصناعة الاتصالية وارتفاع الاستيراد بنسبة قد تصل إلى أكثر من ٨٥٪ من الاحتياجات العربية. أما نسبة العاملين في هذه الصناعة فهي لاتصل إلى ٥٪، ولم يحقق العالم العربي فرصا كبيرة للعمل الإعلامي والصناعات ذات العلاقة بالتلفزة المسموعة والمرئية أو في أجهزة الالتقاط وعموم وسائط الطباعة من ورق وصناعات لها صلة بهذا المجال قياسا بالاستثمارات العالمية(١٠).

أما في مجال الإنتاج الإعلامي فلا تزال وكالات الأنباء الغربية الأربع الرئيسية [وهي رويتر، ووكالة الصحافة الفرنسية (AFP) والاسوشيتدبرس (AP) واليونايتد برس انترناشيونال (UPI)] تتحكم في توزيع مايقرب من ٩٠٪ من الأخبار في العالم. وتسيطر الولايات المتحدة الأمريكية وحدها على مانسبته ٤٠٪ من الإنتاج التلفازي والسينمائي في السوق العالمية، وهو ما يُعدّ من حيث التصدير في المرتبة الثانية بعد قطاع الطيران والفضاء في أمريكا(١١).

وكانت ثلاث أو أربع وكالات غربية تحتكر إنتاج وتوزيع الأخبار التلفازية المصورة؛ منها وكالة فيز نيوز ووكالة رويتر البريطانيتان، ووكالة اليونايتدبرس المصورة الأمريكية ووكالة الدي.بي.ايه (DPA) الألمانية. ويضاف إلى تلك الوكالات الآن شبكة سي.إن.إن (CNN) والشبكة الكابلية الإخبارية (CABLE NEWS NET-WORK) فضلا عن الشبكة الأمريكية ورلد نت (WORLD NET). وتقوم معظم الدول العربية الناطقة بالفرنسية باستقبال إرسال القناة الفرنسية الدولية (CFI)، وتستفيد القنوات التلفازية العربية من هذه المحطات والشبكات وتتسابق في تقليدهاوالاقتداء بها(١٢).

ويدخل في سباق السعي نحو احتكار قنوات التأثير الإعلامي ماقامت به أربع من المؤسسات الإعلامية الرئيسية في العالم، هي: مجموعة فايننشال تايمز البريطانية، ووكالة الصحافة الفرنسية (AFP)، ونيهون كيزاي شيمبون اليابانية، ومؤسسة الخدمات الإعلامية الاسترالية (ا.ا.ب)، حيث أنشأت مجمعا مشتركا للخدمة الإخبارية المالية التي سيتم التركيز فيها على أسواق منطقة آسيا والباسفيكي. وستهتم هذه المؤسسة الإخبارية المالية الجديدة التي أطلق عليها (إف.اكس.آسيا) بجمع وتحرير وتوزيع الأخبار المالية ذات العلاقة بالأسواق في آسيا ومنطقة الباسيفيكي، وستقيم لها مكاتب في ١٣ مركزا، بالإضافة إلى لندن ونيويورك، وسيعمل لديها أكثر من ٣٥ مراسلا ومحررًا. وستعمل هذه المؤسسة جنبا إلى جنب مع مؤسسة (ا.ف.ب.اكستل نيوز المحدودة)، وهي نتاج مشروع مشترك بين مجموعة الفايننشال تايمز ووكالة الصحافة الفرنسية التي تغطي الأسواق المالية الأوربية. وستوزع الخدمة الإخبارية الجديدة موادها على المشتركين في المنطقة وفي جميع أنحاء العالم عن طريق خطوط هاتف مؤجرة وعبر الأقمار الصناعية(١٣).

لقد نتج عن هذا الاحتكار للبُنى التحتية

للإعلام الدولي والهيمنة على الصناعات الاتصالية - والتي تَحَوَّل كثير من المؤسسات التي تتحكم فيها إلى شركات عملاقة - مايسميه موريس أبو ناضر بـ «عَوْلَمَة الصوت والصورة والكلمة»، ومن الطبيعي أن تكون هذه «العولمة» من نصيب الغرب. فالولايات المتحدة الأمريكية هي القوة الأولى المصدرة للثورة التقنية الالكترونية، إذ تتحكم في نسبة ٦٥٪ من مجمل الاتصالات الدولية من خلال ماتنتجه معالمها الثقافية، ومن خلال تقنياتها وطرقها وممارساتها التنظيمية الجديدة(١٤).

ومن الطبيعي أن تكون ثمرة هذه الهيمنة الإعلامية رواج النمط الأمريكي في الحياة، وتسليط الأضواء على النموذج الأمريكي سياسيًا واقتصاديا. ومن هنا قال زبجنيو بريجنسكي - المسؤول عن الأمن القومي الأمريكي في عهد الرئيس كارتر - في كتابه (بين عصرين): «إن أساس العظمة الأمريكية يكمن في هيمنتها على سوق الاتصالات العالمية التي توجد ثقافة شعبية يتم احتذاؤها سياسيا». ويعلق أبو ناضر قائلا «إن فلسفة العولمة مهد لها سقوط الاتحاد السوفيتي، وتناثر الدول الاشتراكية واندلاع حرب الخليج، كما مهد لها رجال الأعمال بأسواقهم المالية وخدماتهم التقنية ومنتوجاتهم السهلة الانتقال والتنقل. إلا أن الوسائل التي رسختها على أوسع نطاق إنما هي وسائل الاتصال وتقنياتها المتطورة في التعاطي مع الصوت والصورة والكلمة المرقمة» (١٥).

ثانيا: «القولبة» التلفازية للإنتاج الإعلامي

فرضت التطورات المذهلة في تقنيات التلفاز وتزاوجها مع تقنيات الحاسوب والأقمار الصناعية تغيرات جذرية في مجال الأساليب الإعلامية لمعالجة القضايا والأحداث والموضوعات التي تهم الجماهير. وتبدو الغلبة الآن للقوالب التلفازية. ومن هنا بات الكثيرون يتساءلون: هل انتهى عصر الكلمة المطبوعة؟

من الملحوظ في المجتمعات التي طغى فيها التلفاز تراجع الإقبال على المطبوعات بصورة متزايدة. ففي الولايات المتحدة الأمريكية - التي لاتزيد نسبة الأمية فيها على ١٣٪ - تبلغ نسبة مطالعي الصحف أقل من ٤٠٪ من الأمريكيين، بينما يجلس الأمريكيون بمعدل ٧ ساعات يوميا أمام أجهزة التلفاز(١٦). وتشهد المجتمعات المتقدمة في الآونة الأخيرة انهيار عدد من المؤسسات الصحفية الكبيرة إما بطرحها للبيع ونقل ملكيتها، أو إعلان إفلاسها وإغلاقها. ففي خلال الأعوام الثلاثة من ١٩٩١م إلى ١٩٩٣م تم نقل ملكية ما لايقل عن ٣٠٠ مطبوعة مهمة. وبحسب أرقام «الاتحاد الدولي لناشري الصحف» فإن أهم أسباب انهيار الصحف وإفلاسها يكمن في انخفاض معدلات التوزيع وانحسار حصيلة الإعلانات، إضافة إلى بعض العوامل الأخرى، مثل ارتفاع أسعار الورق وغيرها. ففي مجال التوزيع تراجعت معدلات توزيع الصحف بصورة سريعة في الدول الصناعية الكبرى بنسبة ٢,٦٪ في الولايات المتحدة، و١,١٧٪ في اليابان، و٩,٥٪ في أستراليا. كما تراجعت معدلات إيرادات الإعلانات عالميا في العام ١٩٩٢م بنسبة ٢,٦٪ مقابل ٩٪ في العام الذي قبله(١٧).

ولذلك لم يعد عجبا أن تحاول الصناعة الصحفية المطبوعة البحث عن أساليب جديدة للتكيف مع هذه الحقيقة المتمثلة في منافسة القالب التلفازي وسرقته لجماهير الكلمة المطبوعة. إن المذياع والصحيفة كليهما - كما يرى موريس أبوناضر - يحاولان تقليد التلفاز سواء بنشرات أخباره أم ببرامجه وتحقيقاته. بكلام آخر يحاولان تقليده بقدر المستطاع. فالجريدة اليومية - على سبيل المثال - تجهد على طريقة التلفاز أن تكون أخبارها قصيرة ومكثفة وسريعة ومفهومة وواضحة، وتجهد أن يكون ورقها مصقولا، وتحاليلها سهلة، كما تجهد في أن تستعمل الأساليب التي تأسر الأعين وتشدها إلى الموضوع؛ وذلك باستعمال العناوين التي تستنفر القارئ، واستعمال الصور وإلى جانبها جمل معبرة وفقرات كتابية قصيرة، ومداخل مجمعة وملخصة لمضمون الخبر، وأخرى مرقمة وموضحة لرؤوس الأفكار(١٨).

ويشير الدكتور عبد الله الغذامي إلى هذا التحول فيقول: إن فعل المشاهدة الذي نمارسه مع التلفاز هو «فعل سلبي وسطحي لايدخل أعماق الرسالة المبثوثة من جهة، ولايمتصها إلى أعماق الذات المستقبلَة من جهة ثانية. لذا فإن علاقتنا مع مانشاهده في التلفاز هي علاقة هشة سريعة الزوال وسريعة التبدل. ويبدو أن غالب أمر الناس مع أمر الجرائد هو شبيه بهذا الفعل؛ بحيث إنهم يمارسون النظر في الصحف وكأنهم يطالعون شاشة التلفاز. لذا فإن القراءة ليست قراءة فعلية ولا تحقق أي مستوى من المقروئية التي يمارسها الناس مع الكتب مثلا. وهذا يجعل تفاعل المرء مع قراءة كتاب يختلف عن تفاعله مع قراءته جريدة، وذلك لأنه (يشاهد) الجريدة وليس (يقرؤها)، ولقد خضعت الجرائد لهذا الحس وراحت تتشبه بالتلفاز وعملت ما يشبه «تشييش الصفحة»؛ أي جعل الصفحة بمثابة شاشة فضية ملونة، وانطوت على حركة وحركات تتولد عن الألوان والعناوين السريعة اللافتة مما يسمى بفنون الإخراج الحديث»(١٩).

ويندرج في هذا السياق اتجاه الصناعة الصحفية إلى دخول ميدان ما سمي بـ «الصحافة الإلكترونية»، وقد بدأت مجلة «تايم» الأمريكية - قبل عام تقريبًا - بث أعدادها على خط المعلومات الفورية إلى الحواسيب الشخصية للقراء المشتركين فيها. وتتيح الطبعة الإلكترونية أن يتلقى القراء مواد المجلة على شاشة الحاسوب «ساخنة» قبل يوم من نزولها في الأسواق، كما تتيح المجلة التي يطلق عليها اسم «تايم المتفاعلة» (Interactive Time) الفرصة لقرائها لإبداء الرأي ونشره في النشرة الالكترونية. ويعقد محرر موضوع غلاف «تايم» في كل أسبوع ندوة مفتوحة مع القراء لتبادل الآراء التي تبث إلى الحواسيب الشخصية للمشتركين فورا(٢٠).

ويتوقع الخبراء أن تتطور صحيفة المستقبل الإلكترونية لتتمكن من تقديم أخبار وتحليلات مكتوبة مصحوبة بصور فيديو للأحداث العامة. ويعتقد راسل نيومان أستاذ الاتصالات في جامعة ليتشر الأمريكية أن هذا سيكون «تحولا ثقافيا هائلا». وكان (نيومان) قد أبلغ الناشرين في مؤتمر لاتحاد الصحف الأمريكية أن «التقنية الحديثة تجعل من النهاية المحتملة للصحف التقليدية أمرا لا مفر منه»(٢١).

وبذلك يمكننا القول - دون تردد - إننا نعيش في حقبة من حقب العصر الإعلامي يمكن أن نطلق عليها «حقبة التلفاز». وتشتد مشكلة العالم النامي - وعالمنا العربي جزء منه - مع التلفاز بسبب «استعداد مجتمعاتنا لتقبل الانتشار التلفازي الكاسح أكبر بكثير من استعداد أهل البلدان الصناعية الغربية، ويعود السبب الأول لهذا الاستعداد إلى نسبة الأمية المرتفعة في مجتمعات العالم الثالث، من متعلمين وغير متعلمين.

أما السبب الثاني فيعود إلى ضعف تقاليد المطالعة غير المدرسية في القسم الأكبر من جنوب المعمورة». ويؤدي هذا الاستعداد الكبير لتقبل التلفاز إلى اتخاذ الوعي لدينا، على وجه العموم - كما يقول فريدريك معشوق - «شكلا - سمعيا - بصريا؛ فالمصداقية المعرفية مرتبطة عند عامة الناس بما يشاهدونه أو لا يشاهدونه على الشاشة الصغيرة، لدرجة أن الواقع الفعلي في وعي الفرد الحالي، يكاد (يتماهى) مع «الواقع» المصور والمركب الذي ينقله البرنامج التلفازي»(٢٢).

ثالثا: طغيان «إعلام السوق» والطفرة التقنية (التكنولوجية)

لقد أدى خضوع العمل الإعلامي للمنافسة التجارية إلى غلبة المواد الإعلامية الاستهلاكية التي تتسم بالسطحية والرداءة في القنوات التلفازية. وقد امتد تأثير النزعة التجارية من الإعلام الخاص إلى الإعلام العام أيضا - كما يرى سعد لبيب -؛ إذ اضطر كثير من مؤسسات الإعلام العامة إلى «الدخول في منافسة مع المؤسسات الخاصة حتى تحافظ على قدر من جماهيرها وتأثيرها، فتنازلت نسبيا عن توجهاتها الثقافية والتوجيهية رغبة في الوصول إلى الجماهيرية التي تؤهلها للمنافسة. ومع رغبة مراكز الإنتاج في مواجهة الاحتياجات المتزايدة للمادة الإعلامية والثقافية واضطرارها للتعامل مع كل الثقافات العالية منها والمتدنية نجدها تلجأ إلى الحد الأدنى الثقافي الذي يتلاءم مع الجميع. وهو ما يعني بالضرورة البعد من المستويات الثقافية التي تتلاءم مع تطور المجتمع وتحقق طموحاته»(٢٣).

وكان لذلك أثره أيضا في الأخبار، ولذلك يتساءل حسني خشبة قائلا: «إذا كانت اعتبارات السوق والمنافسة على جذب اهتمام المستهلك الإعلامي هي التي تحدد القيمة الخبرية؛ فكيف نقنع وسائل الإعلام بإعطاء التغطية اللازمة لأحداث لها أهميتها الإنسانية والسياسية ولكنها ليست أخبارا للبيع؟»(٢٤).

ويرى حسني خشبة أن العالم اليوم تحول من عهد «الإعلام المسيَّس» الذي كانت السياسة وتوجهاتها ودوافعها هي الصفة الأساسية المميزة له، إلى عهد «إعلام السوق والطفرة التكنولوجية» ويقول: «كان الإعلام المسيَّس يعرف أين يقف وأين يقف الخصم، وكان تعبير «نحن وَ هُم» هو الترجمة الإعلامية لمفهوم الثنائية القطبية الدولية على امتداد أربعين عاما من الحرب الباردة»(٢٥). ويقول هربرت أ.شيللر في كتابه (المتلاعبون بالعقول): «لقد انتجت التقنيات العادية للسوق بنية صناعية في وسائل الإعلام لا تختلف في شيء عما يناظرها في قطاعات النشاط التجاري الصناعي الأخرى. وباختصار نقول: إن وسائل الإعلام خاصة الإذاعة والتلفاز، تمثل مشروعات تجارية عالية الربحية. ومن بين كل أجهزة الإعلام؛ باختلاف درجات ربحيتها، يعد التلفاز آلة هائلة لجمع المال».

لقد تحول الإعلاميون - في عهد إعلام السوق - إلى «رجال بيع»، ولم يقتصر ذلك على معدي البرامج الاستهلاكية وصناع المواد الإعلامية المنوعة؛ بل إن مذيعي الأخبار والمعلقين السياسيين أيضا أصبحوا كذلك، «فالمنافسة قائمة على جذب جمهور المشاهدين لمتابعة الأخبار تماما كما هي قائمة في كل البرامج الأخرى نظرا لأنه يتعين بيع الإعلانات لتعزيز وضع «البرنامج»، والنتيجة الحتمية لذلك هي البحث الدائب والمستمر من جانب مُعدِّي البرامج عن الإثارة والتشويق والحركة في تغطية الأحداث. فأين تتوافر الفرصة المواتية لذلك بأكثر مما يوفرها الكم الكبير من الأحداث اليومية الفاجعة في عصرنا هذا؟»(٢٦).

إن المقوِّمَيْن الأساسين اللذين يقوم عليها إعلام السوق هما: الدافع التجاري، والاختيار الذاتي، وبذلك فإن الاتجاه المتزايد نحو المواد الإعلامية الحافلة بالإثارة والمشحونة بالدراما حتى في المواد الإخبارية إنما هو استجابة طبيعية لمتطلبات السوق التجارية. تقول الدكتورة جيهان رشتي: «إن الأخبار هي مجرد سلعة تجارية تعرض للبيع، وهذه السلعة يسهل ترويجها أو تسويقها كلما كانت غير مألوفة أو تتسم بطابع درامي، وعلى هذا الأساس كثيرا ماتضخم الأحداث أضعافا مضاعفة ليس فقط لجذب القراء والمستمعين وإرضاء توقعاتهم، أو لخدمة أغراض سياسية؛ بل أيضا لخدمة أهداف تجارية. فهذا التضخيم سيزيد من مبيعات الصحف ويزيد جمهور الراديو والتلفاز»(٢٧).

أما الطفرة (التكنولوجية) التي حققتها وسائل الاتصال الحديثة فقد كان لها أيضا دور بارز في تشكيل الطريقة التي تنتهجها وسائل الإعلام في تناول الأحداث والقضايا. فوسائل الإعلام «تغرقنا في طوفان الأحداث... أحداث تفرض علينا - سواء أكانت حقيقية واقعية أم مركبة وخيالية - أن نتفرج عليها كمشاهدين لا قِبَل لنا على غربلتها أو تمحيصها، فإما أن نقبلها بَرمتها أو نرفضها برمتها، والأغلب أننا نقبلها برمتها لأنها أحداث اليوم الذي نعيشه، والأسبوع الذي ننتظر أواخره والشهر الذي نتحرق لنهايته، ومنذ لحظة القبول هذه يستسلم الفرد لمنتجي الحدث ولمقدميه وعارضيه. واستسلامه هو نوع من الاستسلام للواقع الذي (تفبركه) وسائل الاتصال الحديثة وتقنياتها المتطورة، لا الواقع الحقيقي. والسبب أن كثرة الأحداث المعروضة وفيضها لا يسمحان بالتحقق من أي حدث»(٢٨).

إن الطريقة التي تقدم بها وسائل الإعلام الحديثة موادها وأخبارها تترك آثارها العميقة في رؤية الفرد وإدراكه للأشياء والأحداث من حوله؛ إنها تصنع له واقعا صوريا مما ينشئ لديه انفصاما في الإدراك، «فمن جهة هناك عالم واقعي يصيب فهمه والتحكم فيه، وهناك من جهة أخرى عالم صوري يحمل الانفعال إلى حدِّه الأقصى من حيث قوته أو ضعفه»، وإذا نظر الناس إلى صورة الإعلام وجدوها تضعهم في أجواء مفاهيم لا ارتباط لها بواقعهم اليومي التعس، وإنما لها ارتباط بالعالم الذي تصنعه الدعاية، عالم «الهناك» المملوء بالنجاح والشهرة والمال ورجال الأعمال والحياة السهلة والأكل السريع والرخاء الدائم»(٢٩).

(البقية في العدد القادم)

الهوامش:

١ - انظر: مجلة (Time) العدد (١) المجلد ١٣٩ بتاريخ ١٩٩٢/١/٦م.
٢ - انظر: JAPAN NEWSLETTER العدد ٢٢ المجلد ٤٢ بتاريخ ١٩٩٢/٦/٥م.
٣ - سعد لبيب: (قوة وسائل الاتصال الحديثة وأثرها على المجتمع)، ورقة بحث مقدمة لندوة وسائل الاتصال الحديثة وأثرها في المجتمعات الإسلامية - القاهرة - تشرين الأول/ أكتوبر ١٩٩٤م: ص٣.
٤ - انظر: حسني خشبة: (قراءة تحليلية في وقائع المؤتمر الدولي للإعلام في ويلتون بارك البريطاني)، جريدة (الشرق الأوسط)، العدد ٥٨٦٨ بتاريخ ١٩٩٤/١٢/٢٢م.
٥ - المرجع السابق.
٦ - انظر: سعد لبيب: مرجع سابق، ص٦، ٧.
٧ - انظر: حسني خشبة: مرجع سابق ص٨.
٨ - المرجع السابق.
٩ - انظر: جريدة (الحياة)، العدد ١١١٣٢ بتاريخ ١٩٩٣/٨/٦م.
١٠ - انظر: ملخص دراسة الدكتور عبد الله الجاسر عن (سوق الاتصالات والإعلام في المنطقة العربية) نشرت في (الشرق الأوسط) العدد ٥٨٩١ بتاريخ ١٩٩٥/١/١٤م.
١١ - المرجع السابق.
١٢ - لمزيد من المعلومات: انظر: د. سوزان يوسف أحمد القليني: (الاختراق الإعلامي الأجنبي في الوطن العربي) في: شؤون عربية، تصدرها جامعة الدول العربية - القاهرة - العدد ٧٠ حزيران/يونيو ١٩٩٢م، ص٧٠ - ٨٧.
١٣ - انظر: جريدة (الرياض) بتاريخ ١٩٩٥/٢/١٩م.
١٤ - انظر: موريس أبو ناضر: أفكار جديدة لعصر جديد: «عولمة الصوت والصورة والكلمة» في جريدة الحياة، العدد ١١٥٦٤ بتاريخ ١٩٩٤/١٠/١٦م.
١٥ - المرجع السابق.
١٦ - انظر: ألفين كيرنان: (هل انتهى عصر الكلمة المطبوعة؟) في مجلة المجال الأمريكية، العدد ؟بتاريخ؟ص ٣٠.
١٧ - انظر: ملف (تجارة الصحف: ماوراء سقوط الصحف الكبرى في العالم)، مجلة (اليمامة) العدد ١٢٦٤، بتاريخ ١٤١٤/٢/٢هـ ص ٣٠ - ٣٤.
١٢ - موريس أبوناضر: مرجع سابق.
١٩ - د. عبد الله محمد الغذامي: (مفهومات ثقافية سائدة في وسائل الإعلام الخليجي المفروءة) محاضرة نشرتها جريدة الرياض، العدد ٩٦٧٠ بتاريخ ١٩٩٤/١٢/١٥م.
٢٠ - انظر: جريدة الحياة، العدد ١١١٣٢ بتاريخ ١٩٩٣/٨/٦م.
٢١ - انظر: جريدة الاقتصادية بتاريخ ١٩٩٣/٧/٨م.
٢٢ - فريدريك معتوق: (التلفاز لم يعد من أثاث البيت، بل صار أحد أفراده المؤثرين)، جريدة الحياة، العدد؟ بتاريخ؟.
٢٣ - سعد لبيب: مرجع سابق، ص١١.
٢٤ - حسني خشبة: مرجع سابق.
٢٥ - المرجع السابق.
٢٦ - هربرت أ.شيللر: (المتلاعبون بالعقول)، ترجمة: عبد السلام رضوان (الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ١٩٧٦م)، ص ٢٠٢ - ٢٠٣.
٢٧ - د. جيهان رشتي: الدعاية واستخدام الراديو في الحرب النفسية (القاهرة: دار الفكر العربي: ١٩٨٥م)، ص٤٧٨.
٢٨ - موريس أبو ناضر: مرجع سابق.
٢٩ - المرجع السابق.

صالح الشرنوبي.. الشاعر الذي لا يذكره أحد!


صالح الشرنوبي

شعبان عبدالجيِّد محمد علي

يارب نفسي قد أطلتَ سَقَامَها
ودواؤُها في أن يحين حِمامُها
أنا لا أذمُّ من الرواية بَدْأَها
لكن أقولُ: متى يكون خِتامُها ؟

***

يارب لازلت حيًا
أصارع الأيّاما
وفي يديك زمامي
فلاتَمُدَّ الزِّماما

«ولد وعـانى ومـات». هذه هـي حكاية كلّ حي، وقصـة كل مـولود من المهد إلى اللحد. وهي قـاعـدةٌ بلا استثناء، وقـانون بلاشـذوذ، وحكمـة عليـا، حَـيَّـرت الفـلاسـفـة، وشـغلت المفكرين، ودوّخت كل أصحـاب العقول. وهي تفـجر سـؤالاً كـبيـرا وملحًـا، لم يقنع أحـدٌ بأي إجابة عنه: مامعنى كل هذا الشقاء؟!

صحيح أنّ الأديان أراحتنا كثيرا، وقدمت لنا الحلول الواضحة لكل مـشكلاتنا، ولكن السؤال مازال موجـودا، يطرح نفسه بقوة، ويـفـرض لغزه بعنف، ويطلب عـلاجـا من الأرض لمن تاهوا عن كلام السماء.

وهذه مقدمة للحـديث عن واحد ممن أرّقهم اللغـز، وأرهقهم السـؤال، وذهبت بلبّـهم علامـة الاستفهام، ثم مـضى حائرا بائسا مضطربا وعلى شفتيه: لست أدري.

حياته القصيرة

ولد صـالح الشـرنوبي سـنة ١٩٢٤م، على شاطىء البحيرة الحالمة ببـلدة بلطيم. ومات سنة ١٩٥١م، تحت عـجـلات القطار وهو عـائد إلى قـريته (١) ولـم يكتف بأن حياته كـانت أسـئلة «عويصـة» وألغازاً محيـرة. فجاءت مـيتته إضـافة إلى كـثـير من عـلامات الاسـتفـهـام والتعـجب والتـوجع في حيـاته؛ وكـأنّ الصـراخ قـدره، والدموع قضاؤه، والأنين مكتوب عليه.

حـفظ القـرآن الكريم من أوّله إلى آخـره وهو في العـاشـرة من عـمـره، تحـت طائلة العـقـاب، ونسيـه بعد ذلك. حصل على الابتدائيـة في عام ١٩٣٩م، وتعـطل في المرحلة الثـانويـة ثلاث سنوات، منـهـا سنة لقـيـادته الاضـرابات ضـد الحكومة التي كانت تحكم مصـر حينئذ، وسنتان لعـدم حفـظه القرآن. وكـان يغلق حـجـرته على نفسـه ويمكث فيـها طويلاً، وذلك عـقب إنشاده الشـعر، وخُيِّل إلى أهله أنه يفـقد السيطرة على قـواه العـقليـة، مما جعلهـم يدخلونه مـستـشـفى الأمراض العقلية مرتين.

فشـل في الالتحـاق بكلية دار العلوم مـرتين لرسوبه في الامتحـان الشفهي في القرآن الكريم. والتـحق بكلية أصـول الدين ثم نفر منها، ولَمَّـا التـحق بكلية الشـريعـة تمرد على الدراسة فـيهـا. وعـاش بعد ذلك أيّامـا قاسـيـة، وليالي مـرعبـة، ولازمه سوء الحظ أينما حلّ وارتحل.

عـمل في بلطيم، مـدرّسـا للمـرحلة الأولى، وأخلص في عمله، وتقدم لخطبة إحدى الفتيات، ولكن أهلها اتخذوا رغبتـه مادّة للمزاح، ورفضوا بطريقة آلمته وهدّته.

وفي القـاهرة عثـر له أصدقـاؤه على وظيفـة مدرس في مـدرسة سـان جـورج، ولكنه فُـصل منهـا. وطردته صاحبـة البيت الذي كـان يسكن إحدى حجراته المتواضـعة فوق السطح، قيل إنها كانت عشة للطيـور. بعدها لجأ إلى جبل المقطم، وسكن في مـغارة بجـوار قرافـة الغـفيـر شـهـرين كاملين.

وفي يوم من الأيام، التقى الشاعـر صديقا له، وقـال له: «إنني ذاهب إلى بلطيم، وفي نـفـسـي إحساس غريب بأنني لن أعود» وتحقق ذلك، فقد ذهب ولم يعـد فـعـلاً؛ إذ فـي يوم ١٧ من أيلول (سبتمبر) سنة ١٩٥١م خرجت بلطيم تشيع أعزّ أبنائها إلى مثواه الأخير(٢).

تراث الشرنوبي

للشـرنوبي ديوان ضـخم، يقع في سـتـمـائة وثمان وستين صفحة من القـطع الكبير، جمعه


د. محمد مندور

صالح جودت

وحققه الدكتور عبدالحيّ دياب، وقدّم له بدراسة جيدة عن حياته وشعره، وذيّله بما كتبه الشرنوبي من قصص ومسرحيات، وأصدرته دار الكاتب العربي بالقاهرة في أواخر الستينيات.

أمّا الدراسات التي نُشرت عنه فلاتكاد تذكر، ولايتجاوز عددها أصابع اليد الواحدة: سطور قليلة وعَجِلَة في الجزء الثالث من كتاب «الشعر المصري بعد شوقي» للدكتور محمد مندور، وصفحات ثمان في كتاب «بلابل من الشرق» لصالح جودت، وفصل صغير في كتاب «الغرباء» لفتحي سعيد، ودراسة فنية ممتازة للدكتور فتحي أبوعيسى منشورة في مجلة كلية اللغة العربية فرع المنوفية. ولابدّ أن هناك رسالة علمية، أو دراسة أكاديمية تناولته في هذه الجامعة أو تلك، ولكن أحداً لايعرف عنها شيئا، وأمّا مانشر فلايتناسب أبدا مع موهبة هذا الشاعر وغزارة إنتاجه.

أغراض شعره وخصائصه

تغزّل الشرنوبي بصدق، وعاتب برفق، ووصف بروعة. مدح بلامجاملة، ورثى بلاتكلف، وشكّ بلاحدود. وكان يعيش في بلد محتل، يسيطر عليه الأجانب، وتذهب خيراته في بطون المستعمرين؛ فجاء شعره الوطني دليلاً واضحا على إحساس حاد بما كان يحدث للوطن في تلك الأيام.

نظم القصيدة، طويلة وقصيرة، والموشح، وكتب القصة والمسرحية والأغنية العامية، وكان رائعا في هذا كلّه.

لم يكن شعره صعبا، وإن كان عميقا، ولم يكن لفظه وحشيّاً؛ بل كان واضحاً، وجمع - متمكناً- بين دقّة المعنى ورقة الأسلوب.

وهو رائد من روّاد الشعر المرسل، فقصيدته «أطياف» وهي من الشعر المرسل، مكتوبة سنة ١٩٤٥م، قبل التاريخ الذي يختلفون فيه بعام أو عامين، ولكن يبدو أنه لم يقصد هذا اللون من الشعر، ولم يرتح إليه؛ فكل شعره بعدها موزون مُقَفًّى، حتى هذه القصيدة نفسها تزدحم بالأبيات العمودية والأشطار الموزونة، ثم إنها تفتقر إلى الترابط العضوي والموضوعي، مما يوحي بأنها يمكن أن تكون مسودّة لقصيدة من الشعر العمودي.

نماذج من شعره

سوف يحيرك الشرنوبي عندما تقرأ في ديوانه:

أنا أهفو إلى الحياة وروحي
تشرب الموت في كؤوس الحياةِ
أنا أستشهد السماء على ما
أمطرتني السماء من نكبات

إنّه كالطفل الذي يهرب من عصا أمّه إلى أحضانها، إنه يستصرخ جَلاَّده ويستغيث بمعذبه. ثم كيف لاينعم بالحياة وقد كتبت له، أو كتبت عليه؟ وكيف لايضيق بها وهو يعلم أنه لن يبقى فيها وأنها لن تُبقي عليه؟ يقول أيضاً:

غمرات السكون في الليل تنسيني
أفانين من ضجيج النهارِ
وحدتي معبدي وشعري تسبيحي
فبعداً للناس من سُمَّارِ

ثم يقول في موضع آخر:

بين جنبيّ خافق بعثر العمـر
دموعًا على الورى وأنينا
ولقد أسكب الدموع لِبلوا
هُم و هم في مناحتي ضاحكونا
ربّما فَوَّقُوا السهام لقتلي
فرأوني أبارك القاتلينا
غير أني أُحبّهم وأرجّي
لهم الخير والهدى واليقينا
وأراهم كأنهم في وجودي
خطرات تأبى عليَّ السكونا
فلهم مأأقول من ملهم الشّعـر
طر وبا أو ثائراً أو حزينا

وهو الذي سأل واستفهم واستوضح:

ألمحْضِ الوجود والموت جئنا
أم لسرٍّ وحكمةٍ مكنونة
ليت من في السماء يرحَم شكّي
فيريني ضياءه أو يقينه
من أنا؟ من أكون؟ ماكنت؟ مابد
ءُ وجودي؟ متى تكون النهاية؟
ماوراء الحياة؟ ماغاية الدهـ
ـر ؟ وماكان قبل بدء الرواية ؟!

ولعله كان يقصد نفسه عندما وصف أهل الأرض بأنهم:

حُرموا راحة اليقين وعَبُّوا
كلّ كأسٍ من الشكوك نديٍّ

جاء الحياةَ حائرا، وتركها أكثر حيْرة، ليس في شعره نقطة ختام واحدة، ولا إجابة حاسمة عن سؤال. وإن وُجدت فهو لم يسترح إليها، ولم يسترح بها. ونقطة الختام الوحيدة، والإجابة الحاسمة الفاصلة عن كل الأسئلة، هي تلك البقعة الكبيرة من دمائه تحت عجلات القطار. وهو يذكرك بعبارة الكاتب الإنجليزي «أوسكار وايلد»: «جئنا من ظلمة الرحم، إلى ظلمة القبر، مرورا بظلمة الحياة».

كانت كلماته لامعة، ومعانيه دامعة.. وكأنه يبلل أشعاره بالدموع، ويرويها بالدم، ويحرسها بالأحزان. وكان من الممكن أن يوضح نظرته أكثر، ويؤكد فلسفته أعمق، لوعاش أطول، ولكنه مات.. عليه رحمة الله.

الهوامش:

١ - انظر: الشعر المصري بعد شوقي، الحلقة الثالثة، د. محمد مندور، ص٣٥، دار نهضة مصر للطبع والنشر.

٢ - انظر في ذلك: مقدمة الدكتور عبدالحي دياب لديوان صالح الشرنوبي، دار الكاتب العربي بالقاهرة .

دراسات في أدب الجزيرة العربية (١٨)

الأسكوبي ينصح الخلافة الإسلامية سنة ١٣٣١هـ



د. عبدالله أبو داهش

لم يكن الشاعر العالم إبراهيم بن حسن الأسكوبي (١٢٦٤-١٣٣٢هـ)(١) بمجهول لدى الدارسين والباحثين، وطلاب العلم؛ بل هو علم معروف عند كثير من الأدباء، وبخاصة مَنْ أرَّخ للأدب في الجزيرة العربية عبر النصف الأول من القرن الرابع عشر الهجري، وذلك عندما رأى رجال منهم أن قصيدته المدوية التي ناصح بها الخلافة الإسلامية سنة ١٣٣١هـ كانت بداية للنهضة الأدبية الحديثة في الجزيرة العربية.

ومهما يكن الأمر فمن الإنصاف أن نعيَ دور هذا الشاعر وقصيدته، ومن العدل أن نستوعب أيضًا مناسبة هذه القصيدة، وقيمتها المعنوية وما أحدثته من أثر في قلوب أبناء هذه الأمة الذين يشهدون قصور أمتهم وقلة حيلتها، وتكالب الأعداء عليها، وبخاصة أن هذا الشاعر كان يومئذ خطيبًا للمسجد النبوي الشريف، ومثله قمين بتناول هذا الموضوع؛ إذ هو على ثغرة لا تُسد بغيره، وهو خطيب يعلم دون غيره كثيرًا مما يجرى في العالم الإسلامي يومئذ.

أقول إن تاريخ نظمها في عام ١٣٣١/١٩١٣م، وإن «الصدمة التي مُنيت بها الشعوب العثمانية حين احتلت إيطاليا ولاية ليبيا قبيل الحرب العالمية الأولى، وتخاذل الأتراك إزاء ذلك الغزو الاستعماري، أهم باعث على إرسال هذه الصرخة المدوية التي انبعثت من قلب مكلوم رأى مستقبل أمته مهددًا بالخطر والزوال فنبه إلى مكامن الداء وأسباب العلاج، ولكنه جوزي على ذلك من قبل أولي الأمر بالاستدعاء والمحاكمة وتوجيه التهم المختلفة»(٢). ويؤكد هذا القول ماذهب إليه عبدالقدوس الأنصاري في معرض حديثه عن قصة الشعر في بلادنا، حيث قال: «ثم بدأ عصر البعث العربي في أعقاب حرب الدولة العثمانية مع إيطاليا، فكانت بلاد العرب تموج بحركات الاستنكار لالتواءات الرجل المريض، كما تموج بحركات اليقظة، والشعور بالذاتية. ونفخ شعراؤها في أبواق التبشير بتفتح الوعي العربي، وبانطلاقه من القيود والسدود، واسترجاع مجده السليب، فنال رشاش من هذا البعث العام هذه البلاد، ولم تتمكن من مسايرته، ولا من تتبع خطواته بما يغير دفة اتجاهها من الوراء إلى الأمام بحكم استحكام القيود والسدود التي تحيط بها من دولة الأتراك إذ ذاك. وكان من آثار انتقال عدوى الشعور بالذاتية والوجود: أن رأينا العالم الشاعر إبراهيم الأسكوبي ينظم قصائده السياسية في المدينة المنورة يزجي بها نصحًا، وتوجيهًا للدولة العثمانية التي تشاءمت من انبثاق هذا الوعي المتفتح الذي سبق أوانه، فزجت بالشاعر الممتلئ إخلاصًا واعتدالاً بالسجن في بلاد الغربة، ومارحمت كبر سنه، ولا قدسية موطنه، ولا علمه ولا أدبه، وهذا كله أمر ذو بال بالنسبة لتاريخ قصة الشعر في ديارنا إبان الإغفاءة المديدة»(٣).

ومما يزيد في إيضاح سبب إنشاء هذه القصيدة قول أحد الباحثين: «وأول مايذكر في ذلك الشعر السياسي الذي نظم فيه الأسكوبي الرائية التي دوّى ذكرها، وانتشر خبرها في الحجاز، والشام، ولبنان، وتناقلتها الصحف، وعلقت عليها، طُلبَ الشاعر إلى الآستانة وحوكم، ثم بُرئَ لأنَه لم يقل إلا خيرًا، فقد أشفق على الترك أن يُخدعوا ببريق الحضارة الغربية ويستكينوا لأعدائهم الموتورين في معارك اليونان،

وبوغسلافيا، وفينا»(٤).

وإذا كان حال الأمة الإسلامية ومأأصابها على أيدي أبنائها من هوان، قد دعا الأسكوبي إلى نقد الخلافة الإسلامية حينذاك ممثلة في الدولة العثمانية، فإن الأسكوبي أيضًا قد انزعج مما يصدر عنه بعض قادة الحكم التركي الذين: «ظنوا أن سبب تأخرهم هو تمسكهم بالدين»(٥). مما دعاه إلى نظم القصيدة، وإظهار مضمونها بصورة ظاهرة غير خافية، وقد ساعده على تحمل آثار مسؤولية هذه القصيدة «اضطراب الأوضاع في تركيا بسبب حروبها، ووجود من يناصره في نقده للسياسة التركية التي اتجهت من أوائل القرن العشرين إلى شعار القوميات، بدل الخلافة الإسلامية، مما كان سببًا في نهايتها». ومما سبق ذكره يتضح أن الحماسة الدينية، والغيرة الإسلامية اللتين صدر عنهما الأسكوبي في قصيدته كانتا سببًا في إذكاء الشعور الذاتي لديه، وأنه قد انزعج مما يجري في ظلال الدولة العثمانية التركية حينذاك من مظاهر الضعف، والخذلان، الأمر الذي دعاه إلى نظم قصيدته دون خوف من عواقب نشرها.

ومن أبيات تلك القصيدة قول الأسكوبي:

يا آل عثمان فالمغرور مَنْ غُرًّا
بأهل أوربّة أو عهدهم طرًّا
أتأمنون لموتورين ديدنهم
أن لايروا منكمُ فوق الثرى حرًّا
تمالئوا فخذوا حذرًا فإنهمُ
يرون إبقاءكم بين الورى ضُرا
فهذه دولة الطليان حين رأت
أسطولكم ليس يغني فاجأت غَدْرا
وشقت البحرَ بالأسطول معجبةً
تختال تيهًا به مغرورة سكْرى
وأنزلت بطرابُلسٍ عساكرها
فهل أوربّةُ كفّت عنكُم شرا؟
فما على من رأى لحمًا على وَضَم
يجتره غيره لوم إذا اجترًا
أتركنون لمن دبَّ الضراء لكم
ومدّ عنقًا يفادي سرحكم عقرا؟
دون الدنية إيثار المنية في
قوم من البغض ودّوا مَحْوَكم مكرا
عجزتم ما استوت آراؤكم عجبًا
في الداء هذي الذي أعيا بأن يبرا
حتى ضربتم على أن تيأسوا فشلاً
من الشفاء ولم تستدركوا العمرا
فأقبلت علماء السوء عامدة
تسيمكم كي تموتوا موتة كبرى
سلوا الحشايا التي ملّتكم ترفا
هل قبلُ كانت لأسلاف لكم تطرا
أو الأسرَّة تعلو فوقها كلل
هل تعبر البحر إن رمتم بها عبرا
بئست بها راحة أفضت إلى تعب
عمّ البلاد وأعمى داركم فقرا
هل من خبير بداء في قلوبكم
أعمى البصيرة حتى أغلق الفكرا
عقائد فسدت فيكم فأفسدت ال
مُلْكَ العظيم وأفشت فيكم الذعرا
نصيحة حقها النصر المبين لكم
عسى عسى بعدها تنفع الذكرى(٧).

إن الباحث في تاريخ الأدب بجزيرة العرب في أواخر الثلث الأول من القرن الرابع عشر الهجري يدرك أهمية هذه القصيدة، ومنزلتها الأدبية، وماقامت به من دور تاريخي مهم. فلقد مثلت الأدب السياسي في هذه الفترة تمثيلاً ظاهرًا، ونالت اهتمام الباحثين وعنايتهم، فمن الواضح أن هذه القصيدة تعد - عند بعض الباحثين - بداية لعصر البعث الأدبي في الحجاز(٨)؛ إذ إنه لم «يسبق لشاعر من شعراء ذلك الجيل ولا ماقبله... أن سلك في شعره هذا السبيل الشائك الذي كان يعتبر فضولاً ونزقًا وشططًا من الشطط»(٩). ويقول أحد المهتمين بشعر الأسكوبي: «نلحظ هذه الشجاعة الأدبية التي دفعت الشاعر إلى هذه التضحية بنفسه في سبيل التنبيه على مظاهر الأدواء، ومكامن الخطر التي رآها الشاعر تهدد أمته ودولته، وأتت هذه الصرخة في جو خانق للحريات فرضه اتحاديو تركيا على الولايات العثمانية، ولم تسلم منه الحجاز. وفي ظل هذه الحالة اكتسب الأسكوبي دورًا بارزًا في الشعر السياسي بهذه القصيدة»(١٠)، ونال: «الكثير من تقدير وثناء من تحدث عن الحياة الأدبية في الحجاز»(١١).

ولم تقف أهمية هذه القصيدة عند هذا الحد؛ بل نلحظ أنها «أصبحت حديث الساعة بين سكان الحجاز خاصة، وقادة السياسة التركية عامة، وقد ساعدت على توليد الشعور العام لدى سائر طبقات الشعب الحجازي ضد السيطرة التركية»(١٢). ولعل مما زاد في قيمة هذه القصيدة أنها نشرت «وتناقلتها الصحف حتى صارت لها ضجة في الشام، ورددها الذين كانوا في الشام يناهضون الحكم التركي»(١٣). ولذلك نلحظ أن القيمة المعنوية لهذه الأبيات، وماشتملت عليه من المعاني الرفيعة، وماحملته من الأفكار تفوق ما اتصفت به من القيم الفنية، إذ هي في هذا الجانب الأخير تقصر عن الجانب المعنوي الظاهر، ولكنها تمثل مستوى الأدب في ذلك العصر، وتدل عليه.

الهوامش والتعليقات:

١- قال عنه الزركلي: «إبراهيم بن حسن بن حسين بن رجب الأسكوبي المدني: فاضل، له نظم كثير، من سكان المدينة ألباني الأصل، نسبته إلى أسكوب من بلدان يوغسلافيا. انتقل جده حسين إلى المدينة، فولد وتعلم وتوفي بها. قام برحلات كثيرة إلى اليمن ونجد ومصر والشام والهند وتركية، وطالت إقامته بمكة فكان جليس أميرها الشريف عون الرفيق وأحد شعرائه، وأحسن اللغات التركية والفارسية والأردية. له مجموعة خ، اشتملت على أكثر منظوماته، وقد نشر بعضها في صحف الحجاز والشام». «الأعلام»١/٣٥، ٣٦، دار العلم للملايين ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

٢- عبدالرحيم أبوبكر: «الشعر الحديث في الحجاز» ١٠٤، مط السلفية، القاهرة، دون تاريخ.

٣- «قصة الشعر»، مجلة المنهل، ح٧، س٢٠ مج١٦ (رجب ١٣٧٥هـ) ٣٨٢، ٣٨٣.

٤- عبدالله الحامد: «الشعر في الجزيرة العربية»، ط١، مط الإشعاع، الرياض، دون تاريخ.

٥- إبراهيم الفوزان: «الأدب الحجازي الحديث بين التقليد والتجديد» ١١٨٠، ط١، مكتبة الخانجي، القاهرة (١٤٠١هـ/١٩٨١م).

٦- المصدر نفسه ١١٨٠.

٧- عبدالله أبوداهش: «من بواكير الشعر السياسي في جزيرة العرب»، ط١، مط دار العلم، جدة (١٤١٢هـ/١٩٩١م).

٨- عبدالقدوس الأنصاري، مقاله السابق ٣٨٢.

٩- المصدر نفسه ٣٨٣.

١٠- عبدالرحيم أبوبكر، كتابه السابق ١٠٥.

١١- المصدر نفسه ٩٦.

١٢- إبراهيم الفوزان، كتابه السابق ١١٨٠.

١٣- عبدالله الحامد، كتابه السابق ٣٧٧.

فاطمة هيرين

وجدت في الإسلام سلامها الداخلي

عاشت في طفولتها أهوال الحرب العالمية الثانية، وحين انتهت الحرب عام ١٩٤٥م كانت في الحادية عشرة من عمرها، وقد تمزّق وطنها ألمانيا إلى جزءين، ولأن والدها كان رجلاً عسكريًا فقد ربّاها وشقيقتها وأخويها على المثل الاشتراكي القومي، لذا كانت العقيدة بالنسبة لهم شيئًا ثانويًا، فلم يكن لديها أو أي من إخوتها فكرة عن وجود الله، ورأوه شيئًا نائيًا أكبر من أن يهتم بأمر الناس البسطاء أو شؤون حياتهم اليومية.

نظرة قاصرة

وبمثل هذه النظرة القاصرة كانت وإخوتها يفسّرون كيف بدأ الخلق، ويعتقدون أن الله قد خلق سنن الطبيعة منذ ملايين السنين، وهذه السنن أوجدت بالمصادفة المحض الكائنات البشرية، ولولا هذه المصادفة لما جاء الإنسان.

ومثل هذا التفسير لم يكن غريبًا عن صغار تربّوا ـ كما أسلفنا ـ على المثل الاشتراكية التي تزعم أن الدين أفيون الشعوب، وتحاربه، وتقتل روح الإيمان في النفوس طوعًا أو كرهًا.

لكنها ما إن شبت عن الطوق؛ حتى بدأت فطرتها الطبيعية النقية تتمرد على حالة الإلحاد التي شبت عليها، وتبحث عن عقيدة تؤمن بها، وتنهل من تعاليمها، وتقترب بوساطتها من ملكوت الخالق المتعالى.

مع النصرانية

كانت النصرانية هي العقيدة الوحيدة التي سمعت بها، لهذا كان طبعيًا أن تسعى إليها، لعلها ترشدها إلى الله، وتقربها من ملكوته، وتعرف من خلالها ذاتها، في زمن راجت فيه فكرة القومية وذوبان الفرد في الجماعة، حتى محت الشخصية الفردية، ومات الحافز الشخصي الذي يمنح الإنسان وقود الأمل في مستقبل مشرق.

سعت فاطمة هيرين، وهذا اسمها، إلى أخذ دروس في النصرانية لدى أحد القسس، وأنكبّت على دراسة كتبها، وواظبت على الصلاة في الكنيسة، آملة من ذلك أن تجد ماتبحث عنه من سكينة نفسية، وأن تعثر ـ من خلال ممارسة الطقوس العبادية النصرانية ـ على طريقها إلى الله، وإلى ملكوته، وجنته السرمدية التي أخبرها بها القسيس.

زيف النصرانية وتناقضها

برغبة صادقة كان سعيها في دراسة النصرانية، وبالرغبة الصادقة ذاتها حاولت جهدها أن تؤمن بهذه العقيدة التي كانت السبيل الوحيد المتاح أمامها للوصول إلى حقيقة الله، والإخلاص في العبودية له.

لكنّها ما كادت تتعمق في دراسة النصرانية، حتى اكتشفت أن هناك بونًا شاسعًا بين ما تدعو إليه من قيم، وما يطبق فعليًا في الحياة بموافقة القسس ومباركتهم، فلم تجد إزاء ذلك سلامها القلبي المنشود، وهي ترى عقيدة تقدم تنازلات عدة للمجتمع من أجل أن ينضوي تحت سلطانها أكبر عدد ممكن من أفراده، فليس مهمًا أن يكون الشخص مؤمنًا أو أن يخلص في اتباع التعاليم الكنسية، فكلُّ ما يهمُّ آباء الكنيسة أن يعترف بهم الشعب كآباء روحيّين، ومخلصين. ومن أجل هذا الغرض الدنيوي تنازلت الكنيسة وتهاونت في مسائل عديدة ما كان ينبغي لها أن تتهاون فيها أو ترضى بالسكوت عن عدم تطبيقها.

سلطان القسس

كان سر الاعتراف هو أكثر الأمور التي توقّفت فاطمة هيرين عندها مستنكرة؛ إذ رأت أبناء مجتمعها يقضون ليلهم في الرقص والسكر وممارسة الفواحش، ومع ذلك ينامون قريري العين، مادام القسس على استعداد دائمًا لسماع اعترافاتهم وتبرئة أرواحهم والغفران لهم ما إن يؤدّوا صلاة أو اثنتين، مهما كان عظم الجرم الذي ارتكبوه.

هالها أن ترى الفواحش تسري في مجتمعها سريان النار في الهشيم، نتيجة لسياسة الكنيسة التي تتعامل بمنطق التجار،

وتجعل الزبون دائمًا على حقٍّ، مادام يدفع الثمن المطلوب، وهو الاعتراف بسلطان القسس الروحي، والإيمان بقدرتهم على تحقيق خلاص نفسه، والاعتقاد بهم كصلة بينه وبين خالقه.

بداية الخلاص

لم تستطع فاطمة هيرين أن تستوعب فكرة وجود واسطة بين الخالق وعباده، أو إمكان أن يحقّق إنسان لآخر المغفرة وخلاص الروح، وتبرئته من ذنوبه كافة. لكنّها مع ذلك لم تتمكّن من ترك النصرانية؛ إذ لم يكن أمامها سواها، فقط كانت تحسُّ وهي تؤدِّي الصلاة في الكنيسة أنها لم تقترب من الله.

في خضم هذا التشتت النفسي التقت زوجها، الذي جعله الله سببًا في هدايتها، كان ألمانيًا مسلمًا، حصل على الدكتوراه في الفلسفة، وحين التقت به للمرة الأولى، شدها بهدوئه وثقته في نفسه، وقبل هذا بأخلاقه العالية، وابتعاده من المجون وتناول المسكرات، فكان أنموذجًا مختلفًا عمن التقت بهم من الرجال، لذا كانت دهشتها كبيرة حين علمت أنه مسلم، اعتنق الإسلام قبل لقائه بها بسنوات، وكان مصدر دهشتها أن ترى رجلاً في مثل ثقافته يؤمن بدين قادم من مجاهل الصحراء، دين يصفه القسس بأنه وثني.

من هنا تملكتها رغبة عارمة في أن تعرف من رجلها الأسباب التي من أجلها انجذب إلى هذا الدين دون سواه، فكانت بداية تعرفها إلى الإسلام.

التعرف إلى الإسلام

حين تزوّجت فاطمة هيرين من ذلك الشاب المسلم، بدأت تسأله عن عقيدته وأسرارها. وكم كانت دهشتها حين علمت أنها لاتحوي أسرارًا؛ بل هي ديانة بسيطة لايحتاج فهمها إلى مشقة أو جهد، ودهشت أكثر حين أخبرها أن المسلمين لايعبدون محمدًا عليه الصلاة والسلام كما يزعم القسس، لكنهم يعبدون إلهًا واحدًا، يعدّونه ربَّ جميع الخلق، وليس ربَّهم وحدهم.

وشرح لها زوجها معنى لفظة «الإسلام»، وكيف أنّها تعني التسليم والخضوع لسلطان الخالق المتعالي، والإذعان الكامل له، ففي تسليم الناس له وخضوعهم لسلطانه وإطاعة أوامره واجتناب نواهيه سلامهم النفسي، وتوافقهم مع أنفسهم وغيرهم، وصلاحهم في دنياهم وأخراهم.

دراسة العقيدة

وتعلّمت من زوجها أشياء كثيرة عن الإسلام، إذ عرفت أنّه ليس دينًا جديدًا؛ بل هو الدين الذي نادى به أبو الأنبياء إبراهيم عليه السلام، وكذا موسى وعيسى وغيرهما من الرسل الذين سبقوا محمّدًا صلى الله عليه وسلم في الدعوة إلى الله، فكان خاتمهم، وكانت رسالته آخر الرسالات السماوية، حيث اكتمل بها الدين.

وساعدها زوجها في اختيار بعض الكتب عن الإسلام باللغة الألمانية، فانكبّت على قراءتها، وشدّها من بين هذه الكتب كتاب «الطريق إلى مكة» لمؤلفه الداعية المسلم محمد أسد، الذي كان - كما عرفت فيما بعد - يهوديًا يدعى ليوبولد فايس، منَّ الله عليه بنعمة الهداية.

وبعد عدة أشهر من زواجها كانت قد تعلّمت كيف تؤدي الصلاة باللغة العربية، وكيف تصوم، كما درست القرآن الكريم، وباتت مهيأة للدخول في دين الله، بعدما اقتنعت به.

إسلامها

لم يكد عام ١٩٦٠م يحلُّ حتى كانت قد اتخذت قرارها بنبذ النصرانية واعتناق الإسلام، بعدما وجدت راحتها النفسية في الصلاة، وملأت حكمة القرآن نفسها بالحب والإعجاب، فأشهرت إسلامها دون تردد وسط فرحة زوجها أنْ مَنَّ الله عليه بمثل هذه الزوجة المؤمنة.

بدأت فاطمة هيرين تواظب على أداء الفروض الدينية، وتعلّمت أنّ الصلاة ليست أمرًا يؤدّى كيفما اتفق، لكنها نظام حياة ينبغي أن يصاغ اليوم كله على منواله، فهي تعلم المرء تنظيم حياته، والخشوع الدائم لله، وإطاعة أوامره واجتناب نواهيه.

وحين أحسّت وزوجها أن وجودهما في ألمانيا يضطرهما إلى تقديم تنازلات على حساب عقيدتهما، اتفقا على الذهاب إلى بلد مسلم للإقامة فيه، وبالفعل هاجرا عام ١٩٦٢م إلى باكستان؛ حيث أمضيا في ذلك البلد المسلم عدّة أعوام عملت فاطمة خلالها على ترجمة بعض الكتب الإسلامية إلى اللغة الألمانية، كيما يعرف مواطنوها الإسلام على حقيقته بعيدًا من الكتب التي تروج لها الكنيسة أو يؤلّفها مستشرقون ويقدّمون من خلالها - إما بسوء نية أو لعدم فهمهم للإسلام - صورة مغلوطة عن العقيدة الإسلامية.

سلام داخلي

بعد عدّة سنوات من الهجرة إلى باكستان عادت فاطمة هيرين وزوجها إلى ألمانيا، حيث يعيشان في ميونيخ، ويقدّمان - من خلال سلوكهما القويم، وأخلاقهما الفاضلة - صورة رائعة للإسلام من حيث كونه منهج حياة متكامل، ينظم علاقة العبد بربه، وعلاقة العبد بالعبد، ومن شأنه أن يؤدّي، إذا ماطبق تطبيقًا سليمًا، إلى صلاح المجتمع ورُقيِّه، وتحقيق السلام الداخلي للإنسان.



فضيلة الشيخ :

د. صالح بن سعد اللحيدان

المسلم الملتزم.. و المسلم العاصي

هل هناك علامة يستطيع المرءُ بها معرفة الفرق بين المسلم الملتزم و المسلم العاصي؟

رجاء ب.ف.هـ، جدة.

المعصية تكون بجهل وتكون بعلم. كما تكون بإصرار مستديم عليها وتكون في حال تقطع. وتكون كبيرة كما تكون صغيرة. والمقصود أن المسلم العاصي يضيق إذا مرض، ويحرص على مصلحة نفسه، وقد يظلم الآخرين ليعيش، وقد يتساهل في كسب المال والجاه ولو على حساب غيره. وهناك فرق واضح يحس به المسلم العاصي ولو لم يستطع تفسيره أو يستطيع؛ لكنه يعيد السبب لأشياء حسب تفسيره هو. ومن ذلك: الخوف النفسي على الحياة أن تزول منه، والحذر الزائد وسوء الظن، والعقل المعيشي القلق، والظلم المعنوي للضعيف، وكثرة اللهو والعبث الخاص، وظلمة في الوجه والقلب، والميل لإحتقار الغير.

بيع الرهن

ماحكم بيع الرهن؟

إدريس.م. أ، كسلا، السودان.

العين المرهونة بحق لاتباع لا من قبل مالكها الأصلي، ولا الذي هي مرهونة بحقه. لكن إذا استوفيت الشروط وتمت فتباع على وجه شرعي.

الطلاق مرة واحدة

إذا طلق الرجل زوجته طلقة واحدة فكيف يعيدها لأنه ندم؟

أ.آدم، الخرطوم، السودان.

يعيد الزوجة مادامت في العدة بوجود شاهدين. فإن كانت العدة قد فاتت (ثلاث حيضات) فهنا لابد من عقد جديد.

تمريض الكافر

ماحكم تمريض الكافر؟

داود راجا بنولي، السنغال.

لابأس به إذا كان وسيلة لإسلامه؛ أي أن يكون تمريض من ذكرت وسيلة لدعوته إلى الإسلام لا أن يؤخذ مهنة للمريض مثله. أما السؤال الخاص عن العملات ومبادلتها...إلخ فيردك خطاب خاص مطول حولها.

أبو منصور الثعالبي

ماتقولون في الثعالبي؟

سليمان م.م، المدينة المنورة.

أبو منصور الثعالبي جمع بين الأدب والرواية التاريخية، وتَكَسَّبَ بكتاباته عند بعض الولاة، وكتبه فيها الغث والسمين، والغث أكثر، وفيه جرأة على الرواية دون دقة، رحمه الله تعالى.

ردود خاصة

الأخ محمد بن قاسم بن علوش، دير الزور، سورية:

«لايؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به» حديث صحيح، وإذا مال الإنسان مع هواه هلك، فلابد أن يكون هوى المسلم تبعًا للتوحيد الذي جاء به النبي صلى الله عليه وسلم، ولهذا كان الشيطان، والدنيا بغير وجه حق، والنفس، والهوى من ألد أعداء المسلم.

الأخ براء بن قاسم بن علوش، دير الزور، سورية:

المرأة التي صلَّت سبع سنين بسجود واحد فقط بسبب جهلها لا تعيد الصلاة عن هذه المدة؛ بل تستغفر وتكثر من النوافل وقراءة القرآن.

الأخ محمود بن تركي الداؤد، قرية جوباس، أدلب، سورية:

صلاة الجمعة للمسافر يصليها ظهرا إذا لم يتمكن منها مع الجماعة، وكانت حاله حال سفر مستمر.

«خير الناس أنفعهم للناس» أثر جيد.

﴿ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه﴾(آل عمران:٨٥)، المراد به دين الإسلام الذي جاء محمد صلى الله عليه وسلم، والذي يتضمن التوحيد.

أما الصابئة فالكلام حولهم يطول؛ لكن تعود إلى تفسير سورة الحج عند ابن كثير أو ابن جرير الطبري، أو فتح القدير للشوكاني.

الأخ محمد بن أحمد الحسين، دير الزور، سورية:

«اطلبوا العلم ولو في الصين» لم يصح عن النبي صلى الله عليه وسلم.

الأخ ب. محمد، أسيوط، ج.م.ع:

(صلاح عبدالصبور) توفي بأزمة قلبية، وكان قبل ذلك يعاني مرضا نفسيا؛ فقد عاش قبل مرضه الأخير عشر سنين بين الكآبة والاكتئاب وثورة الأعصاب لأتفه سبب.

أما كتاب (بدائع الفوائد) فهو لابن قيم الجوزية، وهو مفيد في بابه وذو نفع واضح لقارئه.

الأخ نزار بلاج نانجم، ساحل العاج:

ماء البحر يجوز الوضوء به، والتمساح لا يجوز أكله لأنه ذو ناب. أما قراءة القرآن عند النصراني فتجوز إذا كان ذلك داعيا لوعيه وتفهمه. ولاتجوز مصافحة زوجه الأخ لأنها أجنبية. والقول «أهلا وسهلا» بعد السلام ورده لابأس بها فهي إضافة تأنيس.

الجُفري والصَّبَّاغ

أديبان يعزفان على وتر واحد

د. محمد الصادق عفيفي

عبدالله الجفري أديب سعودي، ومحمد الصباغ أديب مغربي(١)، وكلاهما كتب الأقصوصة والمقالة الذاتية، والخاطرة. وقد تفرّد كل منهما في أسلوبه بالكلمة الحية، والعبارة المجنحة، والموسيقا النابضة، حتى بلغا الذروة عبقريةً وإحساناً، وأضحيا وترين فريدين في أدب قومهما المعاصر، لايضارعهما كاتب، ولايشبههما شاعر.

أجل، إن كلاً منهما فاض وجدانه في سن مبكرة، لا أقول بالمقالة أو القصة أو القصيدة المنثورة فقط؛ ولكنه فاض بالمقطوعة ذات النفس الشعري، واللوحة ذات الألوان الجذابة، والرسالة ذات الخفقة الصادقة، والدمعة الجريح، والصورة المبتكرة ذات النفس الطويل، التي تحمل الشيء الكثير من الحزن والألم والكآبة والحيرة والإشفاق.

وكلاهما منذ شبّ ـ ومايزال ـ يعيش قصة حب مع الكلمة(٢) المنغومة بالعذاب(٣)، والتراكيب المشعة بالأضواء(٤)، والأفكار التي تسيل عذوبة وعطاء(٥)، وتفيض ذكاء ويقظة، فكأنها السحر الحلال، ينسرب إلى قلبك في حنان و رقة ليعيش بين طياته إلى الأبد.

كلاهما ـ ولاشك ـ كاتب قد تحرر قلمه، وأطلق روحه تسبح في عوالم الخير، وتمتح من معين الحق فتفيض بلغة مفعمة بالجمال، بلغة تحمل كل الطاقات الخلاقة، وتميس في أثواب الرقة والعذوبة، وتتأود أعطافها بالشذا والرياحين، والصور الشاخصة، حتى لتكاد تلمسها يدك قبل أن تمسّ عواطفك، وتخالها أذنك غناء منطوقًا، قبل أن تستجيب لها مشاعرك، إنها صورة جديدة أخشى أن أقول «إنها ما وقعت قطّ في حسبان أرباب النثر»(٦).

مع النقاد

قال بعض المعقبين على أسلوب الجفري إنه مقلد لأنيس منصور(٧). وليس ذلك بصحيح فأسلوب الجفري أسلوب الشعراء، ذو الكلمة الشفافة، والطاقة الخلاقة، وأسلوب أنيس منصور أولاً وأخيرًا أسلوب صحفي، يتسم بالسهولة، وقرب المأخذ، وقصر الفقرات(٨).

وقالوا عن الصباغ إنه مقلد لجبران خليل جبران وبعض أدباء المهجر، وليس ذلك بصحيح، وقد أوضحت ذلك في دراسة موازنة في كتابي «الأدب المغربي الحديث ـ من خلال الصحافة الأدبية ١٩٦٤م». كما نفاه آخرون فقال الودغيري، وصَمُود: «إن الصباغ لم يسر على دربهم طويلا حتى قفز إلى مصافهم، وكان وإياهم كفرسي رهان.. بل رغب عن ملاحقتهم ليذهب حيث يشاء..»(٩).

وفي الحق فإن أدب الرجلين يُعَدُّ ظاهرة جديدة في تاريخ أدب البلدين المعاصر، أما في المغرب فلا نعلم نداً للصباغ، فقد وقفت على الأدب المغربي قديمه وحديثه، وأَلَفْتُ فيه مثنى وثلاث ورباع، فما صادفني من يسلك هذا الدرب، وما سمعت بمثله.

وأما في السعودية فقد ألمح الأديب الراحل الأستاذ عبدالعزيز الرفاعي؛ بل ألمح الجفري نفسه إلى الأستاذ حسن عبدالحي قزاز «وأنه أهداه بعض ما اختلج به قلبه، وانفطر به فؤاده»(١٠)، وعلى كثرة ما اطلعت عليه من الأدب السعودي فلم أقف للقزاز على شيء في أي مرجع من المراجع التي وقعت تحت يدي أو قرأتها حتى نعلم مدى تأثر الجفري به، وما عُمق هذا التأثر، وما صلته بأدب المهاجر وغيره، ولكن الذي اعترف به الجفري هو تأثره؛ بل عشقه للرافعي، ولاسيما في «أوراق الورد»(١١).

ومع هذا يبقى الجفري صاحب موهبة منفردة قبل التأثر بهذا أو ذاك، وكم يحزنني أن أمر على مؤلفاته المرموقة في نهاية كل كتاب من نتاجه الذي لا أقتني منه غير الثلاثة التي ورد ذكرها في هذه الموازنة، لأني أفتقدها في مكتبات المنطقة الشرقية، ولأن كل كتاب منها جدير بالدراسة والمطالعة.

كما أن هذا اللون من الأدب يمثل اتجاهًا جديداً في النثر العربي بعامة، وقد احتدم هنا في السعودية(١٢)، وهناك في المغرب، جدل طويل حول بنية هذا اللون من التعبير وشكله، فسمّاه بعضهم «شعرًا»، وسماه آخرون «شعرًا منثورًا»، وسماه فريق ثالث «نثرا شعريًا»، وسماه فريق رابع «نثرًا فنيًا»، ومايزال النقاد والدارسون يخوضون في التقنين لهذه الأشكال الجديدة.

وكما احتدم الجدل حول هذه التسميات فقد احتدم حول أول من كتب هذا اللون، وأورد الدارسون والنقاد أسماء كثيرة، واختلفوا حولها دون أن يدّعى أحد من هؤلاء وأولئك أسبقيةً في هذا المجال



الجفري والصباغ

أديبان يعزفان على وتر واحد

لفلان أو فلان، ودون أن يعترف أحد منهم بشعرية هذا اللون(١٣).

قصيدة النثر

أجل، كانت تباشير هذا اللون - فيما أعلم - مع الأديب المصري حسين عفيفي بمجلة «الرسالة» خلال الأربعينيات، مع اختلاف في النطق باسمها الذي كان يتمحور بين «الشعر المنثور» عند أمين الريحاني، و«النثر الشعري» عند جبران(١٤)، وفي هذا يقول أنيس المقدسي - وقد أغفل أسبقية الأديب المصري اللامع حسين عفيفي: «وهنا لابد لنا من التمييز بين النثر الشعري، والشعر المنثور، فالأول أسلوب من أساليب النثر تغلب فيه الروح الشعرية من قوة في العاطفة، وبُعد في الخيال، وإيقاع في التركيب، وتوفر في المجاز. وقد عُرف بذلك كثيرون - وفي مقدمتهم جبران خليل جبران - حتى صاروا يقولون: الطريقة الجبرانية. على أن الشعر المنثور غير النثر الخيالي، وإنما هو محاولة جديدة قام بها بعضهم محاكاةً للشعر الإفرنجي، وممن فتحوا هذا الباب: أمين الريحاني، فإن له من ريحانياته قطعًا كثيرة، تلمس في جميعها هذه النزعة إلى النظم الحر من قيود الأبحر العروضية المعروفة»(١٥).

وظل الحال متأرجحًا حتى جاءت مجلة «شعر» عام ١٩٥٧، وشجعت على كتابة «القصيدة النثرية» دون أن تُنعت بهذا الاسم، ولعل تسميتها به (أي قصيدة النثر) قد أطلق لأول مرة من خلال دراسة كتبها أدونيس بمجلة «شعر» (صيف ١٩٥٩م) بعنوان: «محاولة في تعريف الشعر الحديث»، ثم عاد وأثبتها في كتابه «زمن الشعر» ١٩٧٨م.

والحق أن الصباغ قد نشر نتاجه في صحف تطوان والرباط منذ ١٩٤٧م، وهو بهذا أسبق من أدونيس بعشرة أعوام(١٦)، ثم عاد وجمعها في كتابه الأول «العبير الملتهب» ١٩٥٣م بمقدمة للشاعر اللبناني بولس سلامة، وصدر كتابه الثاني الحافل بهذا اللون بعنوان «اللهاث الجريح» ١٩٥٥م بمقدمة للشاعر الكبير ميخائيل نعيمة، التي يقول فيها - وكأنه يتحدث ليس عن الصباغ فقط؛ بل عن الجفري -: «إنه كاتب تتفجر عواطفه وأفكاره من شق قلمه عنيفة صاخبة، ولذلك تراه يتنكب العادي والمألوف من قوالب البيان، إذا نظم فبغير وزن وقافية.. وإذا نثر كسا مفرداته حللاً من الألوان زاهية وقاتمة، ثم أطلقها تدرج على أوتار تعددت مفاتيحها وتنوعت قراراتها». وصدر له كتاب «أنا والقمر» ١٩٥٦م، وقامت المستشرقة الإسبانية «ليونور مرتين» بترجمته إلى الإسبانية، وقد نعتت أسلوبه بـ «الشعر المنثور».

عبدالله الجفري

محمد الصباغ

أما بالنسبة لأديبنا السعودي؛ بل لشاعرنا الجفري، فقد بدأ ينشر طلائع ثمرات قلمه في الصحف السعودية وغيرها - قبل أن يمتهن الصحافة وبعدها منذ ١٩٥٤م - وهو بهذا أسبق أيضا من أدونيس ببضع سنوات، ثم عاد وجمعها في كتب كان طليعتها «حياة جائعة» ١٩٦٢م. والذي يعنيني هنا كتبه: «لحظات»، و«نبض»، و«رسائل حب»، و«الكلمة العار»، وهي التي قدر لي أن أطلع عليها. وتتسم هذه المؤلفات باللغة الشاعرة حتى ليبدو كاتبها أديبًا محدثًا بكل ما تحمله كلمة الحداثة من معنى. وماذا نريد أكثر من ريشه الرسام ، ولحن الموسيقار ، وحرارة الأداء، وعمق المعاناة، وتفجير الطاقات؟

استمع إليه وهو يقول عن الحزن:

«رغم أننا معا.. نذهب كل يوم إلى حديقة أشواقنا حول قلبينا.. ونلتقي في أصداء كلماتنا.. فمازال الحزن يا حبيبتي هو قارورة العمر.. وقد أحكمنا إقفال سداداتها وقذفنا بها إلى البحر.. لعل أولادنا من بعدنا يلتقطونها ذات يوم.. لعلهم يقرؤون ما بداخلها من حزن عظيم»(١٧).

ويتحدث عن الرسائل فيقول: «في هذه الرسائل: أزمنة وتواصل.. حلم ومرآة مشروخة.. نقطة من الدمع وسحر ابتسامة..»(١٨). لقد أتى الأديب بكل فقرة على سطر، ولكني آثرت أن أقدمها متتابعة وأفصل بين كل فقرة وأخرى بنقطتين، فهي أشبه ما تكون في نسيجها المطبوع بقصيدة التفعيلة تلك التي ننعتها بالشعر الحر، ولكن المهم أنها خرجت عن بنية القصيدة التقليدية، والقصيدة الحرة من حيث الوزن لترسم من الداخل لحنها الفريد، وهيكلها المميّز، ونمطها الجديد الذي لايتواءم مع الأشكال الأخرى.

وغدت العاطفة هي المتنفس الذي يحيل الأفكار إلى مادة صالحة للاستمتاع الفني، وأضحت النافذة التي تطل منها المعاني المصفاة، وليدة التجربة الصادقة، الموجهة إلى كل القلوب، ولم تبسطها ملكات الإدراك؛ بل عرضتها لغة العاطفة والفن، لإحداث التفاعل بين المتكلِّم والمخاطَب.

ويتحدث عن الحب في كتابه «نبض» فيقول: «تأملي هذا الليل إنه مستفز بكل لحظاته.. ليحمل إلى إصغائك حكايتي.. وجرحي ووميضي.. ورصاصي ورائحتك العبق.. وخلودك تحت جفني». ويعقب سباعي عثمان - يرحمه الله - على جميع موضوعات هذا الكتاب بقوله: «إن النبض ليس شعراً مرسلاً ولا منثوراً..، ولكنه يتألق نثراً فنيًا جيدًا يحلق فيه الجفري بخياله الخصب، ويغفو، ويبني آماله، ويحلم ويشكو آلامه، كأروع ما تكون الإغفاءة والحلم، وكأحلى ما يكون الأمل، وأمرّ ما تكون الشكوى.

على أن الجفري لم يَدَّع شعرية هذا «النبض»، ولم يَدَّع شعرية «لحظات» من قبله، لذلك فإن هذه «التوزيعات» في جمل وعبارات الكتابين، هي اجتهاد بحث، قد

تصدق فيه إعادة التوزيع بشكل أو بآخر، دون أن تحفظ سوى ما يستلزمه سياق الكلام، وسلامة التعبير، وجمال الأسلوب»(١٩).

نعم، لقد تخلى الجفري عن كل أشكال موسيقا القوافي ذات الإيقاع المنتظم، وأشكال الموشحات ووزن التفعيلة وما إلى ذلك من المستحدثات، وتوجه إلى اللغة مباشرة، ليستخرج من طاقاتها أنماطًا صوتية جديدة، وإيقاعات موسيقية أكثر حرية وانطلاقا، وأشد تنوعا، وأكثر تغييرًا من القصيدة التقليدية والقصيدة المحدثة.

أجل إن الجفري لم يكتب نثرًا عاديًا بالمعنى المألوف، بل فضّل أن يختار معجمه من طبيعة خاصة، وينسجه على نحو حديث، وصورة جديدة تحمل سمات الأساليب الأجنبية، وملامح الشعر، وذبذبت الحركة النفسية بكل معاناتها وتجربتها في أداء المضمون الروحي له.

الهوامش:

(١) هناك تشابه كبير في حياة هذين الأديبين، فقد ولد الجفري سنة ١٩٣٩م (انظر ترجمة مفصلة له في كتابنا: تطور الأدب السعودي الحديث)، و ولد الصباغ سنة ١٩٢٩م (انظر ترجمة له في كتابنا: المقالة في الأدب المغربي).

(٢) انظر مقالا للدكتور علي القاسمي بجريدة الرياض في ١٩٧٣/١١/٢٢م.

(٣) اقرأ له في ذلك: رسائل حب (ط. دار الشريف جدة ١٩٨٨م).

(٤) اقرأ له: نبض (ط. تهامة الرياض ١٩٨١م).

(٥) اقرأ له: لحظات (ط. الرياض ١٩٧٤م).

(٦) قراءات في أدب الصباغ للودغيري: ص٧٩ (ط. الدار البيضاء ١٩٧٧م).

(٧) انظر: مقدمة كتابه نبض.

(٨) انظر كتابنا النقد التطبيقي: ص٢١٨ (ط. الخانجي بمصر ١٩٧٨م).

(٩) الصباغ بأقلام النقاد: ص٨ (ط. الدار البيضاء ١٩٨٠م).

(١٠) انظر: مقدمة كتابه نبض: ص٧

(١١) المرجع السابق: ص٢٤

(١٢) المرجع نفسه: ص٧

(١٣) انظر: مقدمة نبض بقلم سباعي عثمان.

(١٤) انظر: الاتجاهات الجديدة في الشعر المعاصر لعبد الحميد جيدة: ص٣١٨ (ط. مؤسسة نوفل، بيروت ١٩٨٠م).

(١٥) الاتجاهات الأدبية الحديثة: ص٤٢٠ (ط. دار العلم للملايين بيروت ١٩٦٧م).

(١٦) انظر: الملحق الأول في كتاب الصبّاغ بأقلام النقاد.

(١٧) لحظات: ص٥.

(١٨) رسائل حب: ص٥٠.

(١٩) مقدمة نبض بقلم سباعي عثمان: ص٢٣

قصيدة

الفجر الأسير

شعر: د. نصر عبدالقادر

خَبِّري السجّانَ ياقضبانُ أنّي   في قيودِ الأسرِ لن يذبُلَ غصني
تحت سقفِ الليلِ.. قد كفَّنتُ خَوْفي   واستوتْ زِنزانتي واحةَ أمنِ
خبِّري السجان ياقضبانُ أني   فوقَ قصفِ الموتِ.. يطغى همسُ لحني
خبريهِ: أن أغلالَ الدجى.. لن   تقتلَ الأضواءَ.. في قلبي وعَيْني
أنا رغمَ الليلِ عينٌ.. فَتَّحتْهَا   صرخةُ الثأرِ.. وأنغامُ التمنّي
وصدَى عصفورةٍ خضراءَ.. راحتْ   تُنشدُ الأحلام شعرًا.. وتُغنّي
وأذانٌ.. رفَّ في ليلِ الدياجى   يسكبُ الثورة.. كالوحي.. بأُذْني
وشعاعٌ مدَّهُ الصبحُ على وجـ   ـهي وأحداقي.. فيطوي كلَّ دجنِ
خبّري السجانَ ياقضبانُ أنَّ السيـ   ـل لاتوقفه جدرانُ سِجنِ
والرياحَ الهُوجَ إن جنَّتْ وثَارتْ   دمَّرتْ تحتَ خُطاها كلَّ حصنِ
والبراكين.. إذا هاجتْ غِضابًا   سعَّرت أنفاسَها في كلِّ ركنِ
خبريه: أنني صِرتُ جحيمًا   ولظى يقتلعُ الباغي.. ويُفنى
خبريهِ: أنني خلفَ الليالي   للغدِ الباسمِ مازلتُ أغنّي

هل وعد الكتاب المقدس الصهاينة

م. سمير صلاح الدين شعبان

أقنع الإعلام الصهيوني معظم يهود العالم وجماعات كبيرة من النصارى (المسيحيين) السطحيين، ولاسيما في أمريكا، بأن إقامة دولة الكيان الصهيوني في فلسطين عام ١٩٤٨م تمثل تحقيقًا لوعود العهد القديم من الكتاب المقدس (والذي يطلق عليه العديد من كتاب العربية الاسم الجدلي: التوراة).

وكلمة عهد TESTAMENT هي الترجمة اللاتينية للكلمة اليونانية TESTAMENTUM DIATHEKE، المترجمة بدورها عن الكلمة العبرية BERITH، التي تعني العهد(١). وبذا يُبرر عنوان الكتاب (العهد القديم) الموضوع الرئيس لمحتوياته: نوعا من العهد، أو بعبارة معاصرة نوعًا من العقد بين طرفين، أحدهما الرب.

ويقتضي تمحيص ادعاءات الصهاينة، في هذا الجانب وحده، مناقشة نصوص العهد القديم، التي توضح جوانب "العقد" التالية:

١ـ من هو الطرف الثاني، أو فلنقل لمن أطلقت الوعود؟

٢ـ ماهو مضمون العقد، أو فلنقل بماذا وُعِدَ هؤلاء؟

٣ـ ماهي شروط العقد؟

ولايتسع مقال واحد لإعطاء هذه الجوانب مجتمعة حقها من الدراسة المفصلة في نصوصها الأصلية، وسأكتفي بمناقشة نصوص البند الأول (لمن أطلقت الوعود)، عسى أن أوفق إلى متابعة تمحيص البنود الأخرى في مقالات لاحقة إن شاء الله.

عهود الله مع الأنبياء

يجد الباحث في العهد القديم من الكتاب المقدس سلسلة من العهود والوعود، تبدأ بالوعد بالسيطرة على كوكبنا الأرضي قاطبة من قبل جميع المنحدرين من نسل نوح ـ عليه السلام ـ. ثم يضيق النطاق مع الأنبياء اللاحقين مثل: إبراهيم، وإسماعيل، وإسحاق، ويعقوب (إسرائيل)، وموسى (عليهم جميعًا صلوات الله وسلامه).

وأقدم هذه العهود في التسلسل التاريخي للأنبياء أُقيم مع نوح ـ عليه السلام ـ شخصيًا: "ولكن أقيم عهدي معك"(٢)؛ لكنه وُسِّعَ بعد الطوفان ليشمل نسله كافة: "فأثمروا أنتم واكثروا وتوالدوا وتكاثروا فيها"(٣). وكَلَّمَ اللهُ نوحًا وبنيه معه قائلاً(٤): "وها أنا مقيم ميثاقي معكم ومع نسلكم من بعدكم"(٥).

وكانت علامة ميثاق نوح ـ عليه السلام ـ تشمل المخلوقات كافة وتمثلت في قوس قزح: "وضعتُ قوسي في السحاب فتكونُ علامة ميثاق بيني وبين الأرض"(٦).

أما عهد إبراهيم ـ عليه السلام ـ، والذي كان رمزه ختان الصبيان، فقد ضُيِّق ليقتصر على نسل إبراهيم ـ عليه السلام ـ فقط، ثم ضُيِّق عهد موسى ـ عليه السلام ـ ليقتصر على بني إسرائيل فقط، وكانت علامته طاعة "القانون"، ولاسيما مراعاة "السبت"، كما سنرى فيما بعد ـ إن شاء الله ـ.

ولعل أكثر ماتُركز عليه الأبواق الصهيونية من نصوص العهد القديم وعود الله المتكررة لإبراهيم ـ عليه السلام ـ بمنحه ـ ونسله من بعده ـ أرض كنعان. فبعد أن "عبر" إبراهيم ـ عليه السلام ـ من بلاد الرافدين إلى بلاد الشام، ووصل إلى "شكيم" (نابلس الحالية) تلقى الوعد الأول، حسب التسلسل الوارد في العهد القديم: "واجتاز أبرام في الأرض إلى مكان شكيم إلى بلُّوطة مورة. وكان الكنعانيون حينئذ في الأرض. وظهر الرب لأبرام وقال لنسلك أعطي هذه الأرض".

وتكرر هذا الوعد بعد هجرة لوط ـ عليه السلام ـ مشفوعًا بذرية لاحصر لها في الفصل (الإصحاح) الثالث عشر من سفر التكوين عينه: "وقال الرب لأبرام بعد اعتزال لوط عنه ارفع عينيك وانظر من الموضع الذي أنت فيه شمالاً وجنوبًا وشرقًا وغربًا * لأن جميع الأرض التي أنت ترى لك أعطيها ولنسلك إلى الأبد. وأجعل نسلك كتراب الأرض حتى إذا استطاع أحد أن يعد تراب الأرض فنسلك أيضا يُعَدُّ(٨).

بأرض فلسطين؟

وفي الفصل الخامس عشر من السفر عينه تكرر الوعد مع عبارات تشمل حدود الأرض، وتذكرنا بالدعوى المعاصرة: مجدك يا إسرائيل من الفرات إلى النيل، إذ جاء فيه: "في ذلك اليوم قطع الرب مع أبرام ميثاقا قائلاً: "لنسلك أعطي هذه الأرض من نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات"(٩)، وتشمل هذه الأرض مواطن كل من "القينيين والقنزيين والقدمونيين. والحثيين والفرزيين والرفائيين. والأموريين والكنعانيين والجرجاشيين واليبوسيين"(١٠).

ولعل الفصل السابع عشر من سفر التكوين عينه يلخص عقد (أو عهد) إبراهيم - عليه السلام - حينما بلغ عمره ٩٩ سنة؛ لإبرازه مجموعة النقاط التالية:

١- تحويل اسمه من أبرام إلى إبراهيم(١١)؛ لأنه سيكون:

٢- أبًا لعدد كبير من الأمم.

٣- عهد أبدي بطاعة الله.

٤- منح أرض كنعان لإبراهيم ونسله "إلى الأبد".

٥- علامة العهد ختن الصبيان.

"٥ فلا يُدْعَى اسمك بعد أبرام بل يكون اسمك إبراهيم. لأني أجعلك أبا لجمهور من الأمم... ٧ وأقيم عهدي بيني وبينك وبين نسلك من بعدك في أجيالهم عهدًا أبديًا...٨ وأعطي لك ولنسلك من بعدك أرض غربتك كلّ أرض كنعان ملكا أبدياً وأكون إلههم... ١٠... يختن منكم كل ذكر"(١٢).

وفي الجزء المتبقي من الفصل عينه يُبَشَّر إبراهيم - عليه السلام - بأن زوجته سارة (العاقر) ستلد إسحق - عليه السلام -؛ وفي اليوم ذاته يختتن إبراهيم - عليه السلام - وابنه إسماعيل - عليه السلام - وهو ابن ١٣ سنة:

"١٦ فقال الله بل سارة امرأتك تلد لك ابنًا وتدعو اسمه إسحق... ٢٠ وأما إسمعيل... ها أنا أباركه وأثمره وأكثره كثيرًا جدًا اثني عشر رئيسًا يلد وأجعله أمةً كبيرةً... ٢٣ فأخذ إبراهيم إسمعيل ابنه وجميع ولدان بيته... وختن في ذلك اليوم عينه كما كلمه الله... ٢٥ وكان إسمعيل ابنه ابن ثلاث عشرة سنة حين ختن... ٢٦ في ذلك اليوم عينه ختن إبراهيم وإسمعيل ابنه"(١٣).

أبناء إسماعيل

ولعل مايدفعني إلى التركيز على التزام إبراهيم بختن إسماعيل (عليهما السلام) تنفيذًا لعلامة العهد، فور تلقي وعد ربه بمنحه ونسله جميع أرض كنعان ملكًا أبديًا، هو شهادة العهد القديم من الكتاب المقدس بأن إسماعيل - عليه السلام - ونسله مشمولون بهذا العهد؛ حتى قبل ولادة إسحاق - عليه السلام -، الذي سيتفرع منه يعقوب، الذي ينتسب إليه بنو إسرائيل.

ولأرى ضرورة هنا للاستعانة بالتراث العربي الإسلامي لتوكيد على سكنى إسماعيل - عليه السلام - في الصحراء العربية(١٤)، فالعهد القديم يروي كيف أصبح إبراهيم - عليه السلام - أبا للعديد من القبائل العربية من طريق ابنه إسماعيل - عليه السلام -، الذي ولدته الجارية المصرية هاجر، التي وهبتها له زوجه العاقر سارة(١٥): "٩ ورأت سارة ابن هاجر المصرية الذي ولدته لإبراهيم (يلعب مع ابنها إسحق)(١٦). ١٠ فقالت لإبراهيم اطرد هذه الجارية وابنها. لأن ابن هذه الجارية لايرث مع ابني إسحق. ١١ فقبح الكلام جدًا في عيني إبراهيم لسبب ابنه. ١٢ فقال الله لإبراهيم لايقبح في عينيك من أجلِ الغلام ومن أجل جاريتك. في كلّ ماتقول لك سارة اسمع لقولها. لأنه بإسحق يدعى لك نسل. ١٣ وابن الجارية أيضًا سأجعله أُمَّةً لأنه نسلك... ٢٠ وكان الله مع الغلام فكبر، وسكن في البرية وكان رامي قوس. ٢١ وسكن في (برية فاران)(١٧). وأخذت له أمه زوجة من أرض مصر"(١٨).

ورغم هذا الطرد ونعت إسماعيل بصفات غير مستحبة(١٩) فإن الفصل الخامس والعشرين من سفر التكوين يقر - إقرارًا غير مباشر - باستمرار الصلة إلى الحد الذي يجعله يشترك في دفن أبيه إبراهيم - عليه السلام -: "٩ ودفنه إسحق وإسمعيل ابناه"(٢٠).

ثم يسرد الفصل نفسه نسل إسماعيل - عليه السلام - وموطنهم:

"١٣ وهذه أسماء بني إسمعيل بأسمائهم حسب مواليدهم. نبأ يوت بكْرُ إسماعيل وقيدار وأدبئيل ومبسام ١٤ ومشماع ودومة ومَسَّا ١٥ وحدار وتيما وَيَطُورُ وَنَافِيشُ وَقَدْمَةُ . ١٢ هؤلاء هم بنو إسماعيل بديارهم وحصونهم. اثنا عشر رئيسًا حسب قبائلهم... ١٦ وسكنوا من حَويلة إلى شور التي أمام مصر حينما تجيء نحو أشور. أمام جميع إخوته نزل"(٢١).

وتورد موسوعة الكتاب المقدس(٢٢) هذه الأسماء ضمن القبائل العربية المذكورة في العهد القديم، وتضيف إليها القبائل العربية التي أنجبها إبراهيم - عليه السلام - من زوجته الثانية قيطورة، استنادًا إلى الفصل الخامس والعشرين من سفر التكوين:

" ١ وعاد إبراهيم فأخذ زوجةً اسمها قطورة ٢٠ فولدت له زمران ويقشان ومدان ومديان ويشباق و شوحا "(٢٣).

ولاأعتقد بوجود مسوّغ للاتهام بالتعسف إذا فسّر المرء هذه النصوص المستقاة من العهد القديم عينه على أنه مشاركة العرب في عهد نوح العام وعهد إبراهيم الخاص ولاسيما في ميراث الأرض المقدسة. إذ تشهد هذه النصوص شهادة قاطعة بأن عددًا كبيرًا من القبائل العربية هي من نسل إبراهيم - عليه السلام -.

وفي المراحل التاريخية اللاحقة استمرت عملية تخصيص العهد أو العقد في نصوص العهد القديم من الكتاب المقدس ضمن سلسلة تبدأ بإسحق - عليه السلام -(٢٤)، ويعقوب (إسرائيل) - عليه السلام -(٢٥)، وموسى - عليه السلام -(٢٦)، وتتوالى ضمن الأشخاص الذين يطلق عليهم العهد القديم اسم أنبياء بني إسرائيل. فهل يعني التخصيص إلغاء العقود القديمة مع ذرية إبراهيم - عليه السلام - من العرب؟

أجاب عن هذا التساؤل ألفريد غوليوم، أستاذ دراسات العهد القديم في جامعة لندن، قائلاً: "ولعله أصبح واضحًا من المناقشة السابقة لوعود الكتاب المقدس لذرّية إبراهيم أن القسم الأول منها - وهو المتجه إلى إبراهيم وذريته - يشمل بكل تأكيد ذرية إسماعيل، ولكن هذا الوعد قد ضُيِّقَ بعد ذلك في عصر إسحق ويعقوب ليصبح قاصرًا على نسلهما. ولكن هذا التضييق لم يكن بالطريقة التي يمكن معها استبعاد إخوانهم العرب من الوعد، حيث إنه من المعروف جدًا أن كثيرًا من العرب رافقوا موسى ويشوع عليهما السلام إلى فلسطين عندما احتلت البلاد جزئيًا. وكثير من النجاح الذي أحرزه موسى عليه السلام كان يرجع إلى لطف وكرم "يثرون سيد مدين" الذي كان عربيًا بطبيعة الحال وصهرًا لموسى عليه السلام"(٢٧).



العرب أم اليهود : من منهما يستحق وعد الكتاب المقدس بأرض فلسطين

أنبياء الإلهام

ولسنا هنا بصدد مناقشة دوافع سكوت العهد القديم، وعلى الأخص سفر التكوين، عن ذكر مسيرة الشّق العربي، أبناء إسماعيل - عليه السلام - في العهد الذي أقيم مع إبراهيم - عليه السلام -، والاقتصار على نسل يعقوب (إسرائيل). لكنه يروي هجرة "شعب الله المختار" من مصر باتجاه فلسطين، وتمكن داود - عليه السلام - من جعل القدس عاصمة لدولة أصغر بشكل ملموس من الأرض التي وُعِدَ بها إبراهيم - عليه السلام -، وبقاؤها "مزدهرة" في عهدي داود وسليمان - عليهما السلام - فقط لتتفكك بعدهما. وفي هذه الفترة ظهر العديد من "أنبياء الكتب".

وبغرض متابعة أطراف العقد قد يكون من الملائم الإشارة إلى كتاب إشعياء، الذي ولد حوالي عام ٧٦٥ قبل ميلاد السيد المسيح - عليه السلام - والذي كُلِّفَ بالنبوة في معبد القدس في ٧٤٠ ق.م. لإعلان قرب سقوط دويلتي إسرائيل ويهوذا عقوبة على عدم وفاء الشعب. وتؤكد نصوص العهد القديم تحقُّق ذلك على أيدي الأشوريين والبابليين، واصطحابهم عشرات الألوف من بني إسرائيل وغيرهم إلى المنفى "البابلي"(٢٨). لكن هذا "النبي الملهم" تنبأ بعودة المبعدين من بني إسرائيل في شتى أصقاع الأرض وتجديد العهد مع الرب:

"١١ ويكون في ذلك اليوم أن السيد (يقصد الرب) يعيد يده ثانية ليقتني بقية شعبه التي بقيت من أشور ومن مصر ومن فتروس ومن كوش ومن عيلام ومن شنعار ومن حماة ومن جزائر البحر. ١٢ ويرفع راية للأمم ويجمع منفيي إسرائيل ويضم مشتتي يهوذا من أربعة أطراف الأرض... ١٣ وينقضّان على أكتاف الفلسطينيين غربًا وينهبون بني المشرق معًا (يقصد أفرايم ويهوذا)..."(٢٩).

وتحقق هذا الوعد بعد إزاحة الفرس الأخمينيين للبابليين وسماح ملكهم قيرش CYRUS بعودة المبعدين وإعادة بناء الهيكل في القدس، وقُدِّر عدد العائدين بما ينيف على ٥٠٫٠٠٠ من بني إسرائيل وغيرهم، علمًا أن "عددًا كبيرًا من اليهود" فضّل البقاء في المنفى(٣٠).

فهل يتحقق الوعد بعد هذا مرة أخرى في أواخر القرن العشرين، بعد أن تحقق في عام ٥٣٨ قبل الميلاد؟

عهد أبدي؟

يجيب عن هذا التساؤل الأستاذ ألفريد غوليوم في المقال الذي سبق ذكره(٣١): "نبوءات العودة من المنفى قد تحققت بالفعل في الماضي ولايمكن أن تتحقق ثانية. ففي قوانين العهد القديم لا توجد نبوءة بعودة ثانية بعد العودة من المنفى البابلي، لأنه:

أولاً: بعد النفي، كل اليهود الذين رغبوا في الرجوع من منفاهم استطاعوا أن يرجعوا إلى الأرض المقدسة. وقد بقي كثير منهم في أرض المنفى، ليكوّنوا جماعة خاصة أصبحت فيما بعد العمود الفقري للكنيسة المسيحية.

ثانياً: إن آخر أنبياء بني إسرائيل قد توفي قبل

هل وعد الكتاب المقدس الصهاينة بأرض فلسطين؟

هدم مدينة القدس(٣٢) بقرون في ٧٠ ق.م".

ويرفض ألفريد غوليوم استغلال الصهاينة لعبارة "إلى الأبد" أو "أبدي" التي وردت في وعود الرب التي سبقت الإشارة إليها(٣٣) "للإشارة إلى ديمومة الاحتلال الإسرائيلي لفلسطين... إن الكلمتين السابقتين لاتعبّران عن الترجمة الدقيقة المناسبة للكلمة العبرية الأصل وهي كلمة "عُلم". فهذه الكلمة العبرية "عُلم" تحتمل عدة معان، وقد يكون من بينها: "زمنًا طويلاً"، "القدم"، أو الأبدية والخلود... ومرة ثانية يقول ناظم الترانيم: "أُغنّي إلى الأبد". ومثل هذا التعبير لايستطيع أكثر المفسرين حرفية للكتاب المقدس أن يدعي أنه المعنى الحرفي للكلمات الأصلية للكتاب المقدس... فإن الإنسان يجد نفسه منساقًا إلى الاستنتاج القائل بأن أرض فلسطين لم يكن الوعد بها خاصًا باليهود وحدهم"(٣٤).

وقد سبق لي استعراض نسل إبراهيم - عليه السلام - من غير اليهود - من طريق إسماعيل - عليه السلام - وزوجته قيطورة. كما أن كتاب أستير يشير إلى تهود شعوب لاتربطهم ببني إسرائيل أو إبراهيم - عليه السلام - قرابة الدم:

"١٧ وفي كلّ بلاد وكل مدينة كلّ مكان وصل إليه كلام الملك وأمره كان فرح وبهجة عند اليهود وولائم ويوم طيب. وكثيرون من شعوب الأرض تهودوا لأن رعب اليهود وقع عليهم"(٣٥).

وهذا ينفي صفة النقاء العرقي ليس بين اليهود وحسب، بل كذلك بين ورثة الوعود أو ماأسميناه بالطرف الثاني في العقد مع الرب، استنادًا إلى نصوص العهد القديم ذاتها.

ويؤيد ماذهبنا إليه، بأن الطرف الثاني في العقد لم يقتصر على اليهود من بني إسرائيل وحدهم، من خلال استعراض فقرة من كتاب حزقيال، الذي نشأ بين المبعدين في بابل، بين عامي ٥٩٣ و ٥٧١ ق.م(٣٦)، والذي يصفه بعضهم بأبي اليهودية(٣٧). إذ لم يكتف حزقيال بالتنبؤ بعودة المبعدين إلى الأرض المقدسة وحسب، بل تخطى ذلك إلى وضع دستور للدولة المزمع إنشاؤها، سمي "توراة حزقيال"(٣٨)، تعرض فيها كتاب حزقيال إلى تقسيمات تفصيلية دقيقة لأرض الميعاد. فما حصة الغرباء عن بني إسرائيل؟.

"٢١ فتقتسمون هذه الأرض لكم لأسباط إسرائيل. ٢٢ ويكون أنكم تقسمونها بالقرعة لكم وللغرباء المتغربين في وسطكم الذين يلدون بنين في وسطكم فيكونون لكم كالوطنيين من بني إسرائيل. يقاسمونكم الميراث في وسط أسباط إسرائيل. ٢٣ ويكون أنه في السبط الذي فيه يتغرب غريب هناك تعطونه ميراثه يقول السيد الرب"(٣٩).

الهوامش:

(١) وعود الله وبشائره، للأسقف جونثان ج. شيرمان، في فلسطين والكتاب المقدس، ترجمة د. عمر التومي الشيباني، الشركة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، ١٩٧٨م، ص ٦٣.

(٢) تكوين ٦ : ١٨ في "الكتاب المقدس" وقد ترجم من اللغات الأصلية، دار الكتاب المقدس في العالم العربي، بلا تاريخ.

(٣) "وسيطروا عليها" بدلا من "وتكاثروا فيها" في الطبعة الألمانية المرفقة بتوضيحات "كتاب القُدس المقدس" ص ٢٢.
D.ARENHOVEL ET AL (EDD). DIE BIBEL: DIE HEILIGE SCHRIFT DES ALTEN UND NEUEN BUNDES. DEUTSCHE AUSGABE MIT. DEN ERLAEUTERUNGEN DER JERUSALEMER BIBEL. ST. BENNO. VERLAG GMBH LEIP 216.

(٤) وضعت إشارات الترقيم: وَ "   " استنادًا إلى كتاب القدس المقدس (الهامشة٣).

(٥) تكوين ٩ : ٧ - ٨.

(٦) تكوين ٩ : ١٣.

(٧) تكوين ١٢ : ٦ - ٧.

(٨) تكوين ١٣ : ١٤ - ١٦.

(٩) تكوين ١٥ : ١٨.

(١٠) تكوين ١٥ : ١٩ - ٢١.

(١١) أبراهام ABRAHAM في الطبعة الألمانية (هامشة ٣).

(١٢) تكوين ١٧ : ٥ - ١٠.

(١٣) تكوين ١٧ : ١٦ - ٢٦.

(١٤) يُرجع على سبيل المثال إلى "رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين" للإمام محيي الدين أبي زكريا يحيى بن شرف النووي، دار الكتاب العربي، بيروت ١٩٧٣م، ص ٦٥٧ - ٦٦٢، عن الإمام البخاري، ضمن "باب المنثورات والملح".

(١٥) تكوين ١٦ : ١ - ١٦ خصص الفصل بكامله لولادة إسماعيل - عليه السلام -.

(١٦) وردت هكذا في الطبعة الألمانية (هامشة٣)، وفضلتها على عبارة (يَمْرَحُ) في الطبعة العربية.

(١٧) صحراء پاران في الطبعة الألمانية (هامشة٣).

(١٨) تكوين ٢١ : ٩ - ٢١.

(١٩) على سبيل المثال «وإنه يكون إنسانًا وَحْشِيًا. يَدُهُ على كلّ واحد ويدُ كلّ واحدٍ عليه" (تكوين ١٦ : ١٢) وفي الطبعة الألمانية (إنسان حمار وحشي).

(٢٠) تكوين ٢٥ : ٩.

(٢١) تكوين ٢٥ : ١٢ - ١٦.

(٢٢) موسوعة الكتاب المقدس. .HERBERT HAAG (Hrsg) BIBLE-LEXIKON ST. BENNO-VERLAG GMBH LEIP 216, 1968, S.93-94. STICHWORT: ARABIEN.

(٢٣) تكوين ٢٥ : ١ - ٢.

(٢٤) «١... فذهب إسحق إلى أبيمالك ملك الفلسطينيين إلى جرار. ٢ وظهر له الرب وقال "لاتنزل إلى مصر. اسكن في الأرض التي أقول لك. ٣ تغرَّب في هذه الأرض. فأكون معك وأباركك. لأني لك ولنسلك أعطي جميع هذه البلاد وأفي بالقسم الذي أقسمت لإبراهيم أبيك. ٤ وأكثِّر نسلك كنجوم السماء وأعطي نسلك جميع هذه البلاد"» (تكوين ٢٦: ١ - ٤).

(٢٥) «١٠ فخرج يعقوب من بئر سبع وذهب نحو حاران... ١٣ ... فقال: "أنا الرب إله ابراهيم أبيك وإله إسحق. الأرض التي أنت مضطجع عليها أعطيها لك ولنسلك ١٤ ويكون نسلك كتراب الأرض وتمتدُّ غربًا وشرقًا وشمالاً وجنوبًا. ويتبارك فيك وفي نسلك جميع قبائل الأرض. ١٥ وهاأنا معك وأحفظك حيثما تذهب وأردك إلى هذه الأرض. لأني لا أتركك حتى أفعل ماكلمتك به" (تكوين ٢٨: ١٠ - ١٥).
ومع ذلك استقر يعقوب (إسرائيل) - عليه السلام - عند ابنه يوسف في مصر، حتى بعثة موسى - عليه السلام -.

(٢٦) «٢ ثم كلم الله موسى وقال له: "أنا الرب. ٣ وأنا ظهرت لإبراهيم وإسحق ويعقوب بأني الإله القادر على كل شيء، وأما باسمي يهوه فلم أعرف عندهم. ٤ وأيضًا أقمت معهم عهدي أن أعطيهم أرض كنعان أرض غربتهم التي تغربوا فيها"... ٦ لذلك قل لبني إسرائيل: "أنا الرب... ٧ وأتخذكم لي شعبًا وأكون لكم إلهاً... ٨ وأدخلكم إلى الأرض التي رفعت يدي أن أعطيها لإبراهيم وإسحاق ويعقوب. وأعطيكم إياها ميراثًا. أنا الرب". ٩ فكلم موسى هكذا بني إسرائيل، ولكن لم يسمعوا لموسى من صغر النفس ومن العبودية القاسية» (خروج ٦ : ٢ - ١٠).

(٢٧) الصهاينة والكتاب المقدس (نقد للدعوى القائلة بأن تأسيس دولة يهودية مستقلة في فلسطين هو تحقيق لنبوءة في الكتاب المقدس) بقلم الأستاذ ألفريد غوليوم. في الكتاب الذي سبق ذكره في الهامشة (١): "فلسطين والكتاب المقدس"، ص ٢٥.

(٢٨) موسوعة الكتاب المقدس (هامشة ٢٢) ص ٤٥٣ - ٤٥٥، عبارة منفى EXIL.

(٢٩) إشعياء ١١ : ١١ - ١٤.

(٣٠) موسوعة الكتاب المقدس (هامشة ٢٢) ص ٤٥٥.

(٣١) مرجع سابق (هامشة ٢٧)، ص ٣١.

(٣٢) للمرة الثانية.

(٣٣) مثل ماورد في الهامشة (١٢، ٨).

(٣٤) مرجع سابق (هامشة ٢٧) ص ٢٧ - ٢٨.

(٣٥) أستير ٨ : ١٧.

(٣٦) الطبعة الألمانية (هامشة ٣)، ص ١٠٢٠.

(٣٧) نفسه ص ١٠٢٢.

(٣٨) نفسه ص ١٢٣٦ DIE "TORA" DES EZ ECHIEL تبدأ من ٤٠ :١ وتنتهي في ٤٨:٣٥.

(٣٩) حزقيال ٤٧ : ٢١ - ٢٣.

التلميع والشعر العربي

عبدالعزيز بن محمد السالم

لم أكن على موعد مع هذه الأسطر فيما ظننت، ولكن ذلك ليس إليَّ على كل حال. فقد كنت أقرأ للشاعرة فدوى طوقان قصيدة مثبتة في ديوانها «على قمة الدنيا وحيدًا»، وكان عنوان القصيدة «كوابيس الليل والنهار»، وهي تمثل مشاعر الرعب التي تعتري العربي الفلسطيني عندما تطرق بابَه أيدي الجنود الإسرائيليين. كتبتها الشاعرة مستلهمة قصة حب عنترة وعبلة المشهورة. وقد وقفت عند هذا المقطع:

«- طرقات الجند على بابي ويلي ويلي!
- ياعبلة، ياسيدة الحزن خذي زهرة قلبي الحمراء
صونيها أيتها العذراء
- الجند على بابي ويلاه!

....

خبئ رأسك!
خبئ صوتك!
وبنو عبس طعنوا ظهري
في ليلة غدر ظلماء
OPEN THE DOOR!
OUVRE LA PORTE!
افتاح إتْ هاديليت
افتحْ باب
- وبكل لغات الأرض على بابي يتلاطم صوت الجند
- يا عبلة إني ...
- ياويلي !»

لم تستوقفني في هذا النص جودة التعبير عن حالة الخوف والقلق التي يفرضها قسرًا طرقُ باب الرجل الفلسطيني بيد الجند الصهيوني؛ فما أحسبها إلا قد أجادتْ. ولكنَّ الذي استوقفني في هذا النص هو هذه العبارات غير العربية التي تعني جميعًا «افتح الباب»، وهل لها دور في القصيدة؟.

فالجملة الأولى (OPEN THE DOOR) من اللغة الإنجليزية وهي لغة المستعمر الأول، ولاشك أن الفلسطينيين قد اتخذوها بعد ذلك لغة ثانية لهم. والجملة الثالثة (افتاح اتْ هاديليت) من لغة المحتل العبرية. أما الجملة الرابعة (افتحْ باب) فهي العربية الملحونة التي يتكلمها الجندي الإسرائيلي.

وأمَّا الجملة الثانية (OUVRE LA PORTE) فهي من اللغة الفرنسية، وأظن أن الشاعرة قد أقحمتها إقحامًا في هذا النص؛ لأنه لايتبين لها أثر في إفهام الرجل العربي الذي طُرِقَ عليه بابُه، وليست لها - فيما يبدو لي - أي حاجة في إيرادها.

وكان من الممكن أن تأتي باللغة الألمانية أو الإسبانية أو الإيطالية أو غيرها؛ فليس لها أي خصوصية.

ولعله من المجدي أن أتساءل عن السبب الذي دعا الشاعرة إلى إقحام الفرنسية في هذه القصيدة. وإني لأقف حائرًا أمام مثل هذا التساؤل، ولا أجد تعليلاً ينقدح في ذهني لذلك إلا تذكري لأحد أمرين:

الأول: ما كان يكتبه «إزرا باوند» الشاعر الأمريكي من جمع عدة لغات في قصيدة واحدة مثل ما فعل في قصيدته الطويلة «كانتوس» وهي لفظة إسبانية معناها «أغان»؛ حيث جمع في تلك القصيدة عبارات وألفاظًا من اللغة الإنجليزية والإسبانية واللاتينية والفرنسية والصينية وغيرها. وهي مليئة بالأسماء والمواقع والرموز مفكَّكة المعاني بشكل واضح. فهل كانت فدوى طوقان تحاكيه ولو على استحياء أو من وراء حجاب؟.

الثاني: التلميع والمُلَمَّعات وهي قصائد أو مقطوعات من الشعر الفارسي أو الأوردي أو التركي يرد فيها شطر تام أو بيت تام من اللغة العربية على نظام مخصوص. وقد كان الشعراء من غير العرب ينظمون تلك الملمَّعات إعجابًا بهذه اللغة، لغة الحضارة والعلوم والآداب. وهذا مما جرى في نواميس هذا الكون من تشبُّه المغلوب بالغالب والناقص بالكامل والصغير بالكبير. ومن أشهر أمثلة ذلك قول «قانصوه

بن عـبـدالله الغـوري» السلطان المملوكي المتوفى ٩٢٢هـ بالتركية:

يا إلهي بن كناه كار

أنت غفار الذنوبْ

عيمي يوزيمه أورمه

أنت ستار العيوب

قيسو إشلر سنكه معلوم

أنت علاَّم الغيوب

بن فقيره قِل عنايت

إنني أرجو رضاكْ

وإليك معنى الشطر الأول من كل بيت:

البيت الأول: يا إلهي أنا مذنب.

البيت الثاني: لاتضرب وجهي بذنبي.

البيت الثالث: أنتَ عالم بجميع الأشياء.

البيت الرابع: أنا مفتقر إليك فتولني بعنايتك.

وقول «جلال الدين الرومي» المتوفى ٦٧٢هـ:

راحٌ بفيها والروحُ فيها

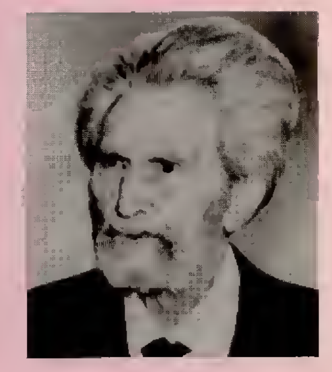
كي أشتهيها قُمْ فاسقنيها

اين راز يارست اين ناز يارست

آواز يارست قُمْ فاسقنيها

والبيت الثاني يعني: ذاك سرُّ حبيبي، ذاك دلُّ حبيبي، إنه صوت حبيبي.

وللمتأخرين محاولات نادرة في هذا الشأن ولكن بصور متعددة، وهي إلى التلاعب بالألفاظ والتحسين البديعي أقرب منها إلى الفن الشعري. ومن أوائل ما أذكره من تلكم المحاولات أن أحد طلاب الجامعة الأمريكية في بيروت ألقى قصيدة في إحدى حفلات الجامعة جعل قوافيها من اللغة الإنجليزية. وقد علق بذاكرتي مطلعها وهو:



ازرا باوند

إنَّ هذي معاهد الـ EDUCATION

دائمًا تكسب النهى ELEVATION

قد بناها الأميركيون للخيـ

ـر فبوركتْ هذه الـ NATION

لكن هذه المحاولات كانت مجالاً لإظهار القدرات اللغوية في الجمع بين العربية والإنجليزية في قصيدة واحدة. ولم أجد أي محاولة جادة كمحاولة فدوى طوقان.

وهنا أتساءل - مرة أخرى - هل كانت فدوى طوقان عامدة إلى التلميع في هذه القصيدة فعلاً؟.

إنَّ الإجابة عن هذين السؤالين لايستطيعها إلا الشاعرة نفسها أو مَن يعرفها معرفة حميمة. ولكني أجدني - من خلال إلمامي بشيء من ثقافة الشاعرة - مائلاً إلى الرأي الأول أكثر.

ومهما كان حجم المحاولة التي سكبتها فدوى طوقان بإدخال نص غير عربي في هذه القصيدة؛ فإنها تُعَدُّ من الأوائل في هذا (التلميع). ولذلك لانعجب إذا احْتُذيتْ في ذلك. ولعلها بذلك تكون قد فتحتْ بابًا لمن يتقنون اللغات الأجنبية بتضمينها تجاربهم الشعرية متى كان ذلك لايُخرج تلك التجارب عن الفن الشعري، متحرين في ذلك كله الاتزان ونبذ التكلف والتعمُّل.

وأتمنى ألا يُفسَّر هذا الكلام على خلاف المقصود.

وشيء آخر: إنَّ استيعاب الشعر العمودي للتلميع كان على حساب جودة النص الفنية أولاً، وعلى حساب المعنى ثانيًا. وما أقربه من المماحكات اللفظية وتعمُّد المحسنات البديعية في الشعر التي سادتْ في فترة من تاريخنا الأدبي. أمَّا شعر التفعيلة فإنه - في نظري - قد استوعب هذا الفن استيعابًا فنيًا لم يغضَّ من القيمة الفنية للنص.

إنَّ تعمُّد الصنعة البديعية في الشعر كقول المرغيناني:

(صار متني) مثل قوسٍ

نُزِعَتْ مذ (صارمتني)

أو قول المطّوعي:

لاتعرضنَّ على الرواة قصيدةً

ما لم تبالغْ قبلُ في (تهذيبها)

فمتى عرضتَ الشعرَ غيرَ مهذَّبٍ

عدُّوهُ منك وساوسًا (تهذي بها)

لايمكن أن يُقاس أبدًا بقول الشاعر:

عضّنا الدهرُ (بنابهْ)

ليتَ ما حلَّ (بنا بهْ)

أو بقول أبي تمام:

ما (مات) من كرم الزمان فإنهُ

(يَحيَا) لدى (يَحْيَى) بن عبدالله

ولعل السبب في ذلك يعود إلى مقدرة الشاعر في تضمين المحسنات البديعية تجربته الشعرية. والذي يُيسِّر له ذلك - في نظري - المقدرة الفنية أولاً، وسعة الاطلاع والثقافة ثانيًا، والإلمام بالفنون البديعية ثالثًا.

ومن هنا فإن التلميع أيضًا يحتاج إلى هذه الأمور الثلاثة التي أحسبها قد توافرت لدى فدوى طوقان فجاءت تجربتها (الصغيرة) ناجحة ورائدة إلى حدٍّ كبير.



عبدالله بن حمد الحقيل

تجاربي مع التعليم

إن النهضة التعليمية الشامخة في بلادنا تجسد تاريخا وعقودا من الزمان، فقد وضعَ اللبنات الأولى أولئك الرواد الذين حملوا مشاعل العلم ونور المعرفة، فذللوا الصعوبات. ولا شك أن معاناة رواد العلم والتربية كانت بالغة، وماتم إنجازه خلال تلك الفترة يدعو للفخر والاعتزاز بالجهد الكبير الذي بذل في هذا المجال. وكل ذلك يجسّد اهتمام هذه البلاد بالعلم والعلماء، والسعي الدؤوب لكي يصبح العلم أساسا للنهضة ومرتكزًا عليها؛ إذ إن العلم رافد من روافد النهضة فكان له دوره في إعادة صياغة الحياة، والسير بها نحو الأفضل. وإنَّ تَعَرُّفَ تجارب أولئك الرجال لعمل جدير بالتقدير، والهدف هو إبراز الفروق بين مرحلتين من مراحل حياتنا في عصرين متقاربين. فلقد امتاز الجيل الأول بالصبر والقدرة على التحمل وحب العطاء والبذل رغم شح الإمكانات.

وسأومئ بإيجاز لبعض ملامح تلك الأيام، والتجاربَ التي عايشتها خلال عملي في ميدان التعليم بوزارة المعارف بين عامي ١٣٧٨هـ - ١٤٠٠هـ، وهي تجربة متواضعة خلال أكثر من عشرين عاما، فقد عملت في التدريس، ومديرا لمدرسة اليمامة الثانوية بالرياض، وموجها تربويا، ومديرا لإدارة الكتب والمقررات المدرسية، ومديرا مساعدا للبحوث والإحصاء والوثائق التربوية، ومديرا للتخطيط التربوي، وأمينا للمجلس الأعلى لرعاية الآداب والعلوم والفنون بوزارة المعارف، ثم خبيرا تعليميا، ثم مستشارا تعليميا، حتى انتقلت خدماتي إلى دارة الملك عبدالعزيز بالرياض في عام ١٤٠٠هـ.

إن تطور الأمم ورقيها يقاس بمدى تقدمها العلمي واحتفائها بالمعرفة واهتمامها بالتربية وعنايتها بالتعليم، ونحن من أمة ذات تراث عريق ومجد سامق ورصيد جم من العلم والأدب والتراث الفكري والتربوي الرصين، فهذه البلاد هي مهد اللغة العربية والعرب، ومنطلق الإسلام ومهوى أفئدة العرب والمسلمين.

ولقد عني المسؤولون في هذه البلاد بنشر التعليم وتوسيعه إلى مختلف القرى والهجر ومضارب البادية، لذا فإن الفارق كبير بين الأمس واليوم، وقد يكون للأمس متاعبه، لكن له أيضاً مزاياه، وكم يسوقنا الحنين وتدفعنا الذكرى لدراسة السمات الأساسية لتلك التجارب التي أغفلها الكثيرون ممن كتبوا في تاريخ التعليم في بلادنا. وبلادنا - مثل غيرها من البلدان - مرت بفترات متنوعة وفقا لظروفها، وكان طبيعيا أن تشهد البدايات الأولى تلك الصعوبات.

وإن الحديث عن ذكريات الأيام التي قضيتها وتشرفت فيها بالعمل في ميدان التربية والتعليم طويل وممتد؛ حيث واكبت مراحل متعددة منذ أن كانت مديرية المعارف ذات الإمكانات

المحدودة، إلى أن أصبحت وزارة المعارف ذات الامتداد الواسع والانتشار البعيد. ولابد لي في هذا المقام أن أشير إلى الفرق الكبير والبون الشاسع بين الحاضر والماضي؛ حيث كانت سبل العيش محدودة والإمكانات ضئيلة. وكانت المتاعب تواجه العمل التعليمي؛ فقد كانت أغلب المناطق تعيش حالة من التخلف، وكان التعليم متمثلاً في بعض الكتاتيب وحلقات الدراسة في المساجد. وعند فتح المدارس كانت هناك معارضة من بعضهم لمادة الجغرافيا، وجرى تغييرها إلى تقويم البلدان، ومادة الهندسة سُميت المقاييس. وأذكر ذات مرة عند افتتاح إحدى المدارس في بعض القرى اشترطوا ألا يدرس فيها إلا إمام مسجدهم، وإلا فلا حاجة لهم بها.

أما اليوم فقد تطورت وزارة المعارف، ونهض التعليم في مختلف المجالات والنشاطات التربوية المتنوعة، ومما لاريب فيه أن الجهود المكثفة والأعمال المتواصلة والصعاب والتضحيات التي قام بها القدامى من رجال التعليم قد مهدت وأوجدت هذا الحاضر الذي ينعم به جيل اليوم؛ حيث توافرت له الوسائل التعليمية والإمكانات والسبل الثقافية بمختلف أشكالها وتعدد ألوانها، وتطورت تبعا لذلك مناهج التعليم وطرق التدريس، وتوافرت مراكز البحوث التربوية، و أوجدت الجامعات، ومراكز إعداد المعلمين، وتطوير معارفهم، وتنمية خبراتهم عن طريق الكليات المتوسطة والدورات التدريبية والبعثات العلمية في الداخل والخارج.

وأصبح المسؤولون والموجهون التربويون اليوم يتنقلون خلال زياراتهم للمدارس بوساطة الطائرات والقطارات والطرق السريعة ويصلون خلال ساعات، وقد يعودون في يومهم، خلافا لما كنا نواجهه، فقد كنا قبل الذهاب في الجولات التفتيشية وزيارة المدارس نبدأ في تحضير مستلزمات الرحلة ومايتعلق بها من أدوات خاصة؛ كأمتعة السفر والمياه والحطب وتأمين السيارة ووقودها في برميل وانتظارها، وكانت من ذوات الطُّرُز القديمة، ولها أصوات مزعجة، وتعطلها كثير ومتعدد خلال الرحلة. وكم أدركنا المبيت في وسط الفيافي والصحارى نتيجة الضياع وعدم معرفة الطريق، فنضطر للمبيت حتى تشرق الشمس، وتتضح الرؤية ومعرفة الطريق. وكم نفاجأ ونحن في المنام في تلك البقاع بالعقارب والحشرات والحيوانات المفترسة في بعض الأحايين، فتقطع علينا النوم وتنغّص علينا الهدوء والراحة، ونسأل الله العافية والسلامة من هذه الأماكن المحفوفة بالمخاطر.. وَلَكَمْ فاجأتنا السيول، وداهمت سياراتنا، وأوقفت حركتها، وعطلت سيرها، ولجأنا إلى التلال والجبال والمرتفعات نحتمي بها.. وكم أدركنا العطش ووقفنا مع إخواننا من أبناء البادية ورعاة الماشية نتزاحم حول البئر، وقد يطول الانتظار فلا يتيسر الحصول على الماء إلا بعد جهد جهيد، ثم نأخذ وصف الطريق وتحديد الاتجاهات من أفواه الرعاة، وفي كثير من الأحيان يكون الوصف غير دقيق فنضل الطريق، ونسلك دروبا رديئة وطرقا سيئة، ونفاجأ بكثبان الرمال، ثم تغوص السيارات بين تلك الرمال وتنفجر إطاراتها، ولا نخرج إلا بعد معاناة ومشقة ووضع آلات رافعة وجلب الأحجار والحشائش والحطب، وكم ابتلعت هذه الرمال أفواجا من المسافرين وغمرت سياراتهم.

لقد كنا نأخذ الحذر ونحتاط خلال اجتياز هذه الرمال عادة قبل طلوع الشمس، إذ إن منطقة النفود وكذا الدهناء وغيرهما يحتاج اجتيازها من قبل السائق إلى شيء من الصلابة والعزيمة والثبات والجرأة والشجاعة؛ فهي تلال رملية وكلما سارت السيارة اضْطُرَّت للتوقف، لأن حرارتها تصل إلى معدل مرتفع، فنقف وقفات متعددة، ثم نستأنف المسير، ونحن نجري وراءها على أقدامنا في بعض الأحيان، ويحدق بنا الخطر فنحتمل التعب بصبر وجلد وثبات وإيمان، وكما قيل: «ليس في الإمكان أبدع مما كان».

وفي جنوب المملكة مع زملائي ركبنا الدواب، وصعدنا قمم الجبال لزيارة المدارس، ومكثنا فترة من الوقت فوق الجبال، وقد نتنقل بالعير ونحمل عليها أمتعتنا، وكم من زميل سقط عن ظهرها وانكسرت يده، وبحثنا عن مُجَبِّر فلم نجد، وتجمعنا مع سكان القرية وساعدناه بما نستطيع من تضميد جراحه، وذلك يعود إلى عدم مقدرة البعض على حفظ التوازن والركوب فوق "البرذعة"، ولكبوات العير وسط الصخور.. وكم طلب منا أصحابها النزول والمشي على الأقدام، وضربوا لنا موعدا نلتقي فيه بعد أداء مهمتنا في المدرسة وزيارتها، وخاصة أن الطريق إلى بعض المدارس في مناطق السراة وتهامة وعسير كانت عالية وملتوية وصعبة الاجتياز.

وحسب اهتمام المسؤولين، فقد تم فتح مدارس في تلك المناطق الصعبة التي لا يوجد فيها بناء حيث يسكن الناس في عشش بنيت من القش. وكم زرنا من قرى جبلية وعرة غير ممهدة على شاحنة صغيرة لتفقد الشعاب ومناطق البادية بين تلك الأودية والشعاب الوعرة. إنها مشاهد ومناظر وذكريات مازالت ماثلة في النفس. وكم رافقت مجموعة من الإخوة المتعاقدين الذين كانوا يعملون معنا في التفتيش، وقد واجهوا معنا متاعب السير في رحلة إلى وادي الدواسر، وقطعوا على أنفسهم العهود والمواثيق ألا يعودوا إلى الصحراء والرمال التي مررنا بها أبداً اذا قدّر الله لهم، وعادوا سالمين، وبخاصة عندما كنا في رحلة فانفجر إطار السيارة وتمزق وليس معنا آخر احتياطي كما هو اليوم، وبقينا يوما وليلة لعدم مرور السيارات، ومشينا على أقدامنا، وفي إحدى المرات قمنا بملء «الإطار» بالشجر والأعشاب وسرنا في مشقة بالغة.

وتبقى التجارب والذكريات محفورة في أعماق الوجدان وخلجات الإحساس. وكل فرد في هذه الحياة لابد له من تجارب وذكريات في أي ناحية من نواحيها العلمية والاجتماعية والتربوية والاقتصادية والزراعية هي حصيلة تجارب، وصور مفعمة بالمواقف والوقائع والأحداث تجسّد تاريخا ومنعطفا في هذه الحياة.

وخلال الأعوام (١٣٨٠، ١٣٨١، ١٣٨٢هـ)، شاركت في التدريس والتوجيه والإشراف في الدورات الصيفية لتدريب المعلمين التي كانت تعقد بمدينة الطائف؛ وقد كان لهذه الدورات التدريبية أهمية بالغة من حيث توجيه المعلمين وتطوير معارفهم وتثقيفهم بالأساليب التربوية الحديثة، والوقوف على مصادر المعرفة وطرق التدريس وفن إدارة المكتبات، والبحوث والوسائل التعليمية والنظريات التربوية الحديثة، كل ذلك وفق تنظيم وتخطيط وبرنامج تربوي من جانب وزارة المعارف؛ بحيث يزداد رصيد المعلم العلمي والثقافي والمسلكي. وهذه الدورات

يلتحق بها من فاتهم موكب التعليم الحديث، ولم تمكنهم ظروفهم من مواصلة تعليمهم. ولقد كانت أول دورة عقدت بمدينة الطائف في عام ١٣٧٤هـ واستمرت سنوات، وكانت تحظى بتشجيع الوزارة وتُخَرِّج أفواجا كثيرة عادوا إلى مدارسهم وقد اكتسبوا خبرة ومهارة ووعيا تربويا وتبصرةً بأهمية رسالتهم التعليمية ومناقشة مشكلاتهم، ولقد كانت هذه الدورات تحفل بمجموعة من المعلمين المتميزين في سلوكهم وعلمهم وأخلاقهم وحرصهم على الاستفادة وتحقيق الهدف الأسمى من هذه الدورات.

إن مسيرة التعليم في بلادنا تحتاج إلى وقفات، وهنا لابد أن نذكر للتاريخ أن بداية الانطلاقة التعليمية كانت على يد خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز، فحينما تولى وزارة المعارف منذ أكثر من أربعين عامًا كان عدد المدارس يعد على الأصابع، بحيث لايتجاوز مئة مدرسة، ولم تكن توجد أي جامعة أو كلية باستثناء كلية الشريعة بمكة المكرمة، ومن خلال ذلك يمكن أن نتصور حجم التطور الذي حدث في البنية الأساسية للتعليم في المملكة وأثمر نهضة حقيقية شاملة لمختلف مرافق التعليم ومناهجه.

إن الانطلاقة التعليمية تحتاج إلى حديث طويل لتسجيل مسيرة التعليم رغم عمرها الزمني القصير، والأخذ بأسباب الرقي والوسائل التربوية والتعليمية كافة، وكانت تلك النهضة مناط الفخر وموضع الاعتزاز.

ولقد كان هَمُّ المسؤولين وغايتهم فتح المدارس وتعليم المواطنين في كل مكان. ومن المواقف التي مازلت أذكرها حينما تقرر وزارة المعارف فتح مدرسة في إحدى المناطق ونذهب لفتح المدرسة فنفاجأ بأن السكان ليسوا متفقين فيما بينهم، وكل منهم يريد أن تكون المدرسة عنده وبجواره، ونحاول التوفيق بين وجهات نظرهم المختلفة نحو المدرسة، وقد يستعصي علينا في بعض الأحيان حل هذه المشكلة، لأن كلا منهم يريد أن نقف إلى جانبه، ولكن الله يعيننا في آخر الأمر إلى حل نرضي به المتنازعين وينتهي الخلاف، ونذكرهم بأهمية التعاون لصالح أبنائهم. وكم كنت وزملائي من المفتشين نبتهج بافتتاح أي مدرسة في شرق المملكة أو غربها أو شمالها أو جنوبها، وننسى المتاعب والصعوبات، ونتذكر أسلافنا من أبناء هذه الجزيرة الذين كانوا يضربون أكباد الإبل من أنحاء هذه البلاد لحضور مواسم الشعر والأدب والعلم والمعرفة.

لقد كانت الحياة في الثمانينيات الهجرية تختلف اختلافًا كبيرًا عما هي عليه الآن، ولعل الحديث عن تجاربي أو عن شيء منها هو حديث مخضرم يعطي تاريخًا عن بلادنا، وعن تطورها السريع. ففي ذلك الوقت لم يكن السفر مريحًا وكان المفتشون خلال جولاتهم التفتيشية يواجهون صعوبات ومشقة، وهناك من الزملاء من يجد فيها متعة ونشاطا وتمضية وقت الفراغ في صيد الأرانب والتحرش بضب من ضبان الصحراء وصنع الطعام، وآخرون تعتريهم الكآبة والضيق والتبرم بعناء السفر والبعد من الأهل والبلد، وكنت دائمًا أحب الصحراء والمطر وتعرف أهل البلد من أمير وقاض وسكان، وما فيها من طلبة العلم. وقد يقضي المرء في المنطقة أياما فيضيق من الوقت، لأنه لايجد ما يفعله بعد انصراف طلاب المدرسة فيعيش في فراغ عريض. وكان يوجد عدد من مديري المدارس ممن هم على جانب من اللطف والبشاشة والكرم فيأخذنا أحدهم إلى منزله ويكرم وفادتنا ويخفف عنا الغربة والفراغ وصنع الطعام. وأذكر ذات مرة في فصل الشتاء ونحن بالقرب من إحدى بلدان الوشم داهمتنا سيول جارفة وكادت تجرف الشاحنة الصغيرة التي نستقلها؛ وبلطف من الله وتوفيقه مرّ أحد الأعراب يسوق قطيعا من الإبل فتركنا سيارتنا وامتطى كل واحد منا جملاً، وقد مر بنا موقف طريف، فمع فرحتنا بالنجاة كبا الجمل بأحد الزملاء من الإخوة المتعاقدين حيث اندفع بقوة نحو السيل، ولعله استفز الجمل من شدة حرصه على مغادرة مجرى السيل ولكن الأعرابي هيأ له جملاً آخر أكثر طوعًا وانقيادًا، وكان بحق رائدًا في معرفة الطريق والسبل الوعرة.. إن الذكريات ذات شجون في هذا المجال، ولقد كان جيلنا ومن قبلنا نطلق عليهم بحق جيل الرواد الذين صبروا على خشونة العيش وشظف الحياة وسلكوا الطرق الوعرة والدروب الخشنة، وأرهقوا أنفسهم في سبيل العمل، وشقوا طريقهم على كثرة المصاعب، فبذلوا الجهد وجادوا بالعطاء مع قلة الإمكانات والخدمات، وسوء الطرق حيث كانت متعبة وغير معبدة، ولكن الله منحهم العزيمة والصبر والقوة رغم صعوبة المواصلات وبعد الاتصالات وعدم وجود مصابيح الكهرباء وأنوارها التي يتمتع بها جيل اليوم.. وقد تفوق الجيل السابق في دراساتهم وتحصيلهم، وخاضوا غمار الحياة بعزيمة سواء في الكتاتيب أو في المدارس، فكانوا مثالاً في الطموح والعطاء، لايشغلهم شيء عن العلم، وكانت الحياة بسيطة وغير معقدة وليس هناك من وسائل الإعلام ما يشغلهم، وكان هناك بركة في الوقت وكانت الروح العلمية لها سيطرتها.

ومن التجارب والذكريات التي عايشتها أنني عام ١٣٨٠هـ كُلِّفتُ من قبل معالي وزير المعارف - آنذاك - الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن حسن آل الشيخ بأن أقوم برحلة وزيارة لمسح منطقتي سدير والوشم وتعرف حاجة كل هجرة وقرية إلى افتتاح مدرسة فيها، ولقد كانت الدولة حريصة على بث الوعي ونشر التعليم، وتعنى بهذا الجانب وتعول عليه وتعطيه من مالها واهتمامها وحرصها الشيء الكثير، فالتعليم منطلق لرفع مستوى الأمة وإعلاء قدرها وبناء تاريخها المجيد. وبعد تهيئة مستلزمات الرحلة وأدواتها، بدأتُ بمنطقة الوشم، وكانت تشمل مناطق متعددة كعفيف والشعراء والدوادمي والجمش ودياره المتعددة، حيث بقيت فيها فترة من الوقت؛ فكنت أتنقل بين قراهم وهجرهم ومراعيهم لمعرفة عدد أولادهم، وننتظر الآخرين ليلاً لتسجيلهم بعد مجيئهم من المراعي مع دوابهم وماشيتهم، ويمتد الانتظار إلى مابعد الهزيع الأول من الليل حيث يتأخر وصولهم من المراعي، وفي بعض الأحيان نذهب في الصباح لتلك المراعي التي تحفل بأفانين النبات التي يفوح عبيرها وتكثر طيورها، وذلك للوقوف على عدد أولادهم، وكان أحد الإخوة من أبناءالبادية يقول: نريد المدارس هنا في هذه الرياض حيث أشجار السلم والرمث والخزامى والشيح والسدر والنصي والطلح. فكنت أقول لهم سوف ننصب لكم الخيام في وسط هذا الربيع والمهم أن تلحقوا أبناءكم بالمدرسة.. وكان معي في هذه الرحلة مدير تعليم الوشم الأستاذ محمد المانع، والمفتش الأستاذ علي المقوشي. وخلال هذه الجولة لمسح بعض منطقة الوشم لمعرفة احتياجاتها من المدارس ابتداء من شقراء والدوادمي والجمش وسائر منطقة عالية نجد كانت الطرق في

ذلك الوقت غير ممهدة ، وبعض البلدان طرقها وعرة ورملية وتكثر فيها النتوءات الصخرية الخشنة مما يسبب لسيارتنا العطب والتوقف.. وقد ينفد منا الزاد والماء ولكن الإخوة في هذه المناطق سرعان ما يهبون لنجدتنا، ونسير على الأقدام لأقرب قرية حتى يتم إسعاف السيارة وجلب الوقود لها، حيث لم تكن محطات الوقود متوافرة؛ بل يأخذ المرء معه برميلاً في السيارة، وكلما نفد الوقود نقوم بتوصيله للسيارة من خلال (شافط) لهذا الغرض.

وخلال البقاء مع السكان كنت أبذل الكثير من الجهود في توضيح رسالة المدرسة وأهميتها وضرورة إلحاق الأبناء بها، وقد كنا نصطدم في بعض الأحيان بالكثير من المعوقات، بسبب اختلاف الآراء حول مكان المدرسة ومقرها وموقعها ومن سيكون مدرساً بها وغير ذلك من النقاش والكلام الطويل، وكنت أدعوهم إلى الارتفاع عن الخلافات والنزاعات، وأقوم بقياس الأرض ونحرص على توسطها بين القرى والهجر المتجاورة تلافيا للنزاع والمشاحنات التي تعقب ذلك، ولا أنسى دور زميليَّ مدير التعليم والأستاذ علي المقوشي وما امتازا به من حكمة ورحابة صدر.

أذكر ذات مرة أنني كنت أتحدث عن إنشاء مدرسة في تلك الهجر التي زرناها، وإذا أحدهم يقول: لانريد المدرسة، فقلت: ولماذا؟ فقال: إنها سوف تأتي لنا بالغرباء، وقد يوجد منهم من يشرب الدخان.. الخ، فقلت له: سامحك الله إن المدرسة سوف تكون عونًا لكم لإصلاح أولادكم وتهذيب أخلاقهم؛ وستلقن هؤلاء الشباب دينهم الإسلامي ولغتهم العربية، ولن يكون فيها أي شيء مما أشرت إليه، وسيختار لها أصلح المعلمين وأحسنهم خلقًا وسلوكًا ودينًا.. فقال: إذا كانت هكذا فأهلاً وسهلاً. ثم فوجئت في مكان آخر من يقول: إذا كنتم مصرّين على فتح المدرسة فلابد من تعيين إمام المسجد والمطوع معلمين بالمدرسة، فكنت أعدهم بتحقيق ذلك بعد موافقة الوزارة.

والذكريات كثيرة في هذا المجال.. وبعد ذلك ذهبنا لمنطقة السر، و فيها العديد من القرى، وبعد زيارتها ومعرفة احتياجها من المدارس مضينا في طريقنا إلى الدوادمي وعفيف حيث كان اللقاء مع أسرة التعليم في الدوادمي في جبل «البيضتين» وهما هضبتان حمراوان على شكل بيض، وحجارتهما ملساء، ومن هذه الربوة شاهدنا أعلام الجبال المعروفة شهرة ومكانة في الشعر العربي، وبعد تمضية يوم حافل مع الإخوة الكرام في تلك المنطقة انطلقنا إلى منازل البادية لمسح تلك المناطق، ومعرفة احتياجها من المدارس، وبعد انتهاء المهمة في هذه المنطقة الواسعة اتجهت لمنطقة سدير عبر كثبان رملية، كدت مع السائق أن ندفن فيها لولا رعاية الله، فقلت له: ويحك؟ كيف تجتاز بنا هذا الطريق الرملي الرهيب وهناك طرق أيسر منه.. فقال إنه مختصر ولكنه يحتاج إلى مغامرة.. فكم مات فيه أناس دون أن يعرف بهم أحد.. كما رأيت رمالاً مخيفة لايوجد بها إنس ولا جان ثم أخذنا في الانحدار التدريجي من هذه الرمال.

ولكم تذكرت شاعر اليمامة الذي حَنَّ إلى هذه المناطق وكان متغربًا في اليمن وهو «زياد بن حمل العدوي التميمي»؛ إذ يقول - وكنت على مشارف «أشي» القرية التاريخية المشهورة بالقرب من مدينة المجمعة -:

وحبذا حين تمسي الريح باردة
وادي أشي وفتيان به هضم
الواسعون إذا ما جر غيرهم
على العشيرة والكافون ما جرموا
والوشم قد خرجت منه وقابلها
من الثنايا التي لم يقلها ثرم

وهي قصيدة طويلة يتغنى الشاعر فيها بهذه المواطن. ومنذ أن دخلنا بلدان سدير ونحن نرنو إلى جبل طويق بشماريخه الطويلة الفارعة، ومن عاصمة سدير «المجمعة» انطلقنا سويا مدير التعليم المرحوم إبراهيم العبد الوهاب والمفتش المرحوم محمد بن مقحم، وفي هذه المنطقة قمنا بزيارات متعددة لمناطقها وهجرها النائية ومناهل المياه القريبة من مضارب البادية بـ«وضاء» و«جراب» و«أم الجماجم» و«أم رجوم» و«مبايض» و«مشاش» و«الحسي» وغيرها. ومن الذكريات التي واجهت فيها بعض الصعوبات زيارة «عقل الزلفي» - جمع عقلة - وهي قرى ومزارع داخل نفود الثويرات، وسميت عقلا أخذا من عقال الراحلة، وكان يمكن أن يؤخذ الماء من آبارها وتناوله، فهي بمثابة الأحساء في جوف هذا الرمل، وتحيط بهذه العقل الرمال من جميع جوانبها، وتبعد من الزلفي حوالي ١٨ كيلاً في جنوبه الغربي.. فكنت حريصًا على زيارتها والاجتماع بسكانها ومعرفة احتياجاتهم للمدارس، وكان اجتياز هذه الرمال في النهار صعبًا، فكنا نذهب إليها ليلاً، وبعد صلاة المغرب نتوجه إلى هذه العقل مشيًا على الأقدام، وقد زرتها عقلة عقلة، ووجدت في بعض أهلها ترحيبا بالمدرسة، وعدم حماسة من الآخرين، وبالنقاش والتوضيح لدور المدرسة وأهميتها والاهتمام بتحقيق شروط سكانها ورغباتهم تم بحمد الله افتتاح مدارس بها.

حقا ما أكثر الذكريات وكما قيل:

ذكريات الصبا خطرن ببالي
حالمات الرؤى طرقن خيالي..

لقد كانت أياما من أجمل أيام العمر وأحفلها بالذكريات الطيبة، وكنا نبتهج بافتتاح أي مدرسة وننسى المتاعب والصعوبات، ونمارس عملنا بكل تفاعل وحيوية وحب، وإنَّ ما تحقق اليوم من تطور تربوي ونهضة تعليمية شامخة تجعلنا نشعر بالفخر والاعتزاز، وما نراه اليوم هو بلا شك امتداد لجهودات الأوائل ومحاولاتهم وبداياتهم. ولقد أصبحت النهضة التعليمية الشاملة في جميع مراحل التعليم في المملكة من أبرز سمات النمو والتطور في هذا العصر. ولاننسى في هذا المجال الرواد الأوائل للتعليم الذين كانوا نماذج مُشرِّفة لهذه النهضة الحضارية؛ فلقد خاضوا الطريق الصعب الوعر، ودرسوا في ضوء الشموع والمصابيح الباهتة، وما أحرى شباب اليوم - وقد تهيأت له الوسائل والأسباب والسبل - أن يقرأ تاريخ أسلافه، ويعمل بجد واجتهاد على إعلاء شأن أمته وبلاده، فالعلم هو الدعامة والركيزة التي يقوم عليها مجد الأمة وتاريخها، وبه تعلو مكانتها.

وقبل أن أختم القول في هذه التجارب، وفيها الكثير من المعاناة وشظف العيش وقسوة الطبيعة - والكل يدرك ظروف بلادنا منذ أربعين عاماً، والفارق بينها وبين حياتنا اليوم بما توافر فيها من رقي وتطور ووسائل للراحة والرفاهية - ومن هذه الذكريات المتواضعة فإنني لا أعد نفسي من جيل الرواد الذين بذلوا الجهد والعطاء والعناء، وإنما واحد من الجيل المخضرم، ويصح أن ينطبق عليه قول الإمام الشافعي:

أحبُّ الصالحين ولست منهم
وأرجو أن أنال بهم شفاعة

حقق الله الآمال وهو ولي التوفيق.

العنوان: معارك الملك عبدالعزيز المشهورة لتوحيد البلاد.
المؤلف: د. عبدالله الصالح العثيمين.
الناشر: مكتبة العبيكان، الرياض، ط١، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م (٣٥٥ص).





د. عبدالله الصالح العثيمين

تتطلب الكتابة التاريخية - كي تكون مقنعة ومؤثرة ولها فاعليتها في نفس القارئ وذهنه ووجدانه - أن تتسم بالموضوعية المتّزنة الهادئة، وكبح جماح العواطف والمشاعر المتحيزة؛ إلا بالقدر الضئيل الذي يحتمه الموقف التاريخي، لتجسيد شخصية تاريخية قيادية. مثلما سنراه في كتابة د. عبدالله العثيمين عن شخصية الملك عبدالعزيز - رحمه الله - ومعاركه لتوحيد البلاد، وإنشاء المملكة العربية السعودية.

وقد أقام د. العثيمين مادته التاريخية على ستة عشر ركنا أو فصلا. الأول عن أوضاع البلاد حتى بداية حكم الملك عبدالعزيز، والأخير - السادس عشر - عن الأمن والجيش في عهد الملك عبدالعزيز وصفاته القيادية. أما بقية الفصول فكانت عن تلك المعارك المشهورة للملك عبدالعزيز في احتدامه مع أعدائه من أجل وحدة البلاد وقيام الدولة السعودية الحديثة.

وقد جاءت تلك المعارك متتابعة حسب تسلسلها الزمني والتاريخي؛ على النحو التالي: معركة الرياض سنة ١٣١٩هـ/١٩٠٢م، معركة الدلم ١٣٢٠هـ/١٩٠٢م، معارك القصيم: فيضة السر، عنيزة، البكيرية، الشنانة ١٣٢٢هـ/١٩٠٤م، معركة روضة مهنا ١٣٢٤هـ/ ١٩٠٦م، معركة الطرفية ١٣٢٥هـ/١٩٠٧م، معركة توحيد الأحساء والقطيف ١٣٣١هـ/ ١٩١٣م، معركة جراب ١٣٣٣هـ/١٩١٥م، معركة كنزان ١٣٣٣هـ/١٩١٥م، معركة تربة ١٣٣٧هـ/ ١٩١٩م، معارك توحيد عسير وتثبيت الحكم فيها عامي: ١٣٣٨، ١٣٤١هـ، معارك توحيد جبل شمر ١٣٤٠هـ/١٩٢١م، معارك توحيد الحجاز: الطائف، الهدا، مكة المكرمة، جدة، شمال الحجاز والمدينة المنورة سنتي ١٣٤٣، ١٣٤٤هـ/١٩٢٤، ١٩٢٥م، المعارك مع المنشقين من الإخوان: السبلة، عوينة، كنهل، أم رضمة، ومعركة مع الدهنية سنتي ١٣٤٧، ١٣٤٨هـ/١٩٢٩، ١٩٣٠م، وأخيرا المعارك مع اليمن سنتي ١٣٥٢، ١٣٥٣هـ/١٩٣٤م.

إن الكتابات عن الملك عبدالعزيز كثيرة، ودارتُهُ تزخر بها، وقد استفاد منها د. العثيمين في مادة بحثه، ولا سيما كتابات العميد محمد إبراهيم رحمو، وعمر بن غرامة العمروي، وأعضاء اللجنة العسكرية التي أعدت كتابًا عن التاريخ العسكري للملك عبد العزيز ومازال مسوَّدة لم ينشر؛ فضلا عما اطلع عليه مما كتبه مؤلفون خلال فترة حدوث تلك المعارك أو بعدها بقليل، وممن لهم مكانة تتيح لهم الاتصال بالقادة، إضافة لما توافر لديه «من معلومات وآراء في دراسات متعددة، وما اختزنته الذاكرة من روايات محلية». وكل ذلك كان عند د. العثيمين يقوم على التمحيص والتدقيق، ليرجح الآراء التي تقترب من الصحة على غيرها في إطلاق أحكامه ورؤاه.

على أن العثيمين ظل محصورا في الدائرة التي انتهجها المؤلفون العسكريون في كلامهم على المعارك في إطار من الموقف السياسي العام للمنطقة قبل وقوعها، والموقف العسكري الخاص في سيرها وخططها ونتائجها، وفي استخلاص الدروس المستفادة منها.

وقد كان من الضروري أن يمهد د. العثيمين لبحثه بفصل مستقل عن (أوضاع البلاد حتى بداية حكم الملك عبدالعزيز)، للدخول في عالم تلك المعارك العسكرية. فكان له ماأراد، حيث انتهى إلى أن تلك البلاد كانت بحاجة إلى إصلاح ديني وسياسي، وكانت نجد هي المنطقة المناسبة، لتكون منطلق ذلك الإصلاح، لعدة أسباب، أهمها: أنَّ لاصوفية متجذِّرة فيها خلافا للمناطق الأخرى، وأنها بعيدة من متناول السلطة العثمانية. ومن هنا «تحقق ماكان متوقعا، فقامت دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب الإصلاحية التي ناصرها آل سعود، فكانت خيرا وبركة لسكان البلاد خاصة وللمسلمين عامة». كما انتهى العثيمين إلى أن الأسس التي قام عليها الحكم السعودي هي أسس دينية، لاتعرف العصبية القبلية أو الحمية المرتبطة ببلدة معينة أو إقليم خاص.. «وبما أن الدين أساس يلتقي فيه كل مسلم، فإن الحكم القائم عليه أقرب إلى اجتذاب الناس من أي حكم قائم على أسس أخرى».

ويعود العثيمين ليركز على الجانب العسكري والحربي؛ فيبدأ بأسلاف الملك عبدالعزيز الذين صنعوا أو حققوا الكثير من الغزوات والحروب والانتصارات، «فلم تمض سنة واحدة من تاريخ تلك الدولة إلا وفيها غزوة أو عدة غزوات دفاعا عن أرض الدولة، أو هجوما على خصومها، لتوسيع رقعتها ونشر الدعوة التي آمنت بها».

ويبدو أن العثيمين اعتمد في وقائعه العسكرية على كل من ابن بشر وبوركهارت اللذين سجلا تفصيلات عن أعمال القادة السعوديين، ولاسيما الإمام سعود بن عبدالعزيز «الذي بدأ قيادة الجيوش عام ١١٨٢هـ، وظل يقودها حتى وفاته عام ١٢٢٩هـ/١٨١٤م».

وإذا كان الكلام السابق يُعَدّ تمهيدا للدخول إلى غاية الكتاب وهدفه، وهو معارك الملك عبدالعزيز، فإن ذلك يستوجب منه أن

يمهد أيضا بكلام آخر عن حياة الملك منذ بداية حكمه، لينطلق إلى أجواء المعارك الحربية والملحمية.

وكان الملك عبد العزيز، في تلك المعارك السابقة التي خاضها لتوحيد أجزاء تلك الأراضي الشاسعة، قائدا متمرسا على فنون الحرب والقتال، عليما بأبعادها، مدركا خططها الناجحة، دارسا لأجواء عدوه وقوته وأمكنة تحصيناته ومواقعه وواعيا بها. وتظل دوما في حسبانه، ليعد لها العمليات التعبوية الفائقة. ففي معركة الرياض قاد الملك عبد العزيز أقل من ستين مقاتلا ضد ابن رشيد بخطة محكمة، حاصر بها أمير الرياض (عجلان) عامل ابن رشيد في قصر (المصمك)، وكان النصر واستسلام العدو، ومقتل العجلان، وصوت من ينادي:

«إن الحكم لله ثم لعبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود».

ومن أهم الدروس التي استخلصها العثيمين من تلك المعركة - وغيرها من معارك يمكن لطلبة الكليات العسكرية الاستفادة منها، والتي سار عليها الملك عبدالعزيز، وأصبحت مبادئ عسكرية تعلمها الملك من تجارب حياته ونفاذ بصيرته، وصواب حدسه -: أهمية تحديد القائد لهدفه من المعركة، واختيار الوقت المناسب لبدئها، والتخطيط المتقن لها، وسرية التحرك، واختيار أرضها، وجمع المعلومات عن العدو وتحركاته، وسبر واستطلاع الطرق المؤدية إليه، وتأمين الطرق المؤدية إلى الهدف، وتأمين طرق الاتصال بين القائد ومقاتليه، وغيرها من الدروس الكثيرة التي استقاها العثيمين من معارك الملك عبدالعزيز.

ومن هنا بدا لنا الملك عبدالعزيز قائدا عسكريا محنكا وسياسيا متمرسا ودينيا عالما، لأنه كان يستخدم كل ملكة من تلك الملكات - العسكرية والسياسية والدينية - في الموضع المناسب، والموقف الصائب. ففي احتدامه مع الإخوان - وهم الجماعة التي غالت في مواقفها الدينية، ورفضت مواكبة العصر، وهددت الاستقرار وخرجت عن طاعة أولي الأمر ولا سيما بعد أن شاركوا في معارك الملك عبدالعزيز، متمثلة في زعمائهم الثلاثة: ابن بجاد والدويش وابن حثلين - كان الملك يلجأ إلى الاسترشاد بعلماء الدين وفتواهم حيال تمرد الإخوان وانشقاقهم، ليحصل على الحجة الدامغة ضد عدوه. كما كان يلجأ في الوقت نفسه إلى الرؤية المتبصرة التي تستشف القوة الخارجية، المتمثلة في بريطانيا المهيمنة على المناطق المجاورة، والتي يمكن أن يستفيد منها في حصار عدوه، من خلال عدم السماح لهم بالالتجاء إلى مناطق نفوذها. فكان ذلك الاحتواء الديني والسياسي تمهيدا استراتيجيا للدخول مع مخالفيه من الإخوان في مواقف تعبوية، ومعارك حربية، ليحقق الانتصار المطلوب، والقضاء على آخر خطر يمكن أن يهدد مكانته وثباته واستقراره ووحدة دولته. ولهذا وجدنا العثيمين يبرز في نهاية بحثه تحقيق الأمن وتوافره لأبناء المملكة كافة على يد عبدالعزيز؛ الذي أخذ يُقَوِّي بناء جيشه، الوسيلة لتوفير الأمن والاستقرار والوحدة. ورجل هذا قَدْره وعزمه وشخصيته، كان مدعاة لإعجاب الآخرين وبخاصة الباحثين في سيرته. ومن هنا كان إعجاب ابن عثيمين باحث أعمال عبد العزيز، ودارس حياته القيادية وسيرتها؛ إذ وجدناه في نهاية كتابه يلخص لنا بعض صفاته القيادية، مثل: التدين، والكرم، والشجاعة، والسمات الخلقية، وقوة الإرادة، والحرص على المشورة، ووعي التاريخ، وحسن اختياره للرجال، وعمق معرفته بقومه، وإتقانه فن الإعلام الحربي، وأخيرا الحظ، الذي يجده العثيمين ذا مظهرين: أحدهما أن يوفق الله القائد في تخطيطه وتحركاته، ونتائج أعماله، وثانيهما أن يعمي بصيرة خصمه، فيقع في مشكلات لا يوفق إلى حلها، والأمثلة على حسن توفيق الملك عبدالعزيز كثيرة: «وحسن حظه أمر كان كثيرا مارردده بنفسه، ليدلل على أن الله معه، ومن كان الله معه فهو الغالب حتما، والقول بأن الملك عبدالعزيز كان ذا حظ عظيم لا يُنقص من عظمته القيادية. فما اتصف به من صفات، ومارسمه من خطط، ونفذه من أعمال، كلها شواهد على تلك العظمة القيادية».

وهكذا نخرج من كتاب د. عبد الله العثيمين، بتجديد الدعوة التي كنا ندعو إليها دوما المبدعين القادرين على تحويل التاريخ السعودي إلى فن أدبي رفيع، وذلك بتوظيف القصة والمسرحية والملحمة الشعرية وغيرها من فنون لإبراز ملحمة التاريخ السعودي المعاصر.

العنوان: تجربتي في تعليم الطب باللغة العربية.
المؤلف: د. زهير أحمد السباعي.
الناشر: نادي المنطقة الشرقية الأدبي بالدمام.
ط١، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م (١١٥ص).



د. زهير السباعي

إذا كان كثير من أعلام الفكر العربي قد قدموا تجاربهم العديدة في مجال الأدب وفنونه، وكانت ممتعة ومفيدة؛ فإن الدكتور زهير السباعي قدم هو الآخر تجربته، ولكنها علمية وفي مجال تعريب الطب؛ وستكون فائدتها أشمل وقيمتها أكبر؛ لأنها تجسد قضية كبرى،



لا لأن اللغة العربية هي لغة القرآن الكريم، لغة الله على لسان نبيه رسول الهداية للبشرية كافة فحسب، وإنما لأن هذه اللغة الخالدة قادرة على استيعاب علوم العصر وتقنياته. ولهذا فما أحرى بشعوبها أن تواكب تقدم العلم البشري بهذه اللغة لا بغيرها.

ومن هنا كانت دعوة الدكتور السباعي إلى تعليم الطب والعلوم الطبية باللغة العربية، وهي دعوة عربية صادقة ومجدية، ولاسيما «أن الأطباء والعاملين في المجال الصحي أقدر على التعبير عن أنفسهم كتابة وقراءة وحواراً، وعلى الاتصال بكل من المريض والمجتمع بلغة أمتهم». هذا فضلاً عما وجدناه من أن اللغة العربية قادرة على استيعاب علوم العصر، وخصوصاً العلوم الطبية.

حملت فصول الكتاب الأربعة هذه العناوين: لماذا نعلم الطب باللغة العربية؟ وتجربتي في تعليم الطب باللغة العربية، ودراسة عن سرعة القراءة ومدى الاستيعاب باللغتين العربية والإنجليزية، وخطة عمل مبدئية لتعريب الطب.

وقد أجاب الدكتور السباعي عن سؤال الفصل الأول ـ لماذا نعلم الطب باللغة العربية؟ ـ ببعض المعلومات والرؤى، ومن أبرزها ماقدمه عن الوضع الحالي في الوطن العربي عن كليات الطب، التي بلغت التسعين كلية، ولانجد غير خمس كليات تدرس الطب باللغة العربية. ووقف عند تجربة سورية في تعليمها الطب باللغة العربية، ونفى مزاعم أو ظنون البعض بفشل تلك التجربة، علماً أنهم لا يقولون ذلك عن تجربة إسرائيل في تعليم الطب بالعبرية. ولهذا وجدنا الدكتور السباعي يؤكد عكس تلك المزاعم في تلك القضية حين أخذ يبحث عن نتائج الأطباء السوريين في امتحان (ECFMG) «امتحان المجلس التعليمي للأطباء الأجانب»، وفي ضوء ذلك الامتحان يتحدد قبول العمل أو الدراسة الطبية العليا في أمريكا. ووجد، من خلال إحصائية، أن الأطباء السوريين لايقل مستواهم في ذلك الامتحان ـ وكان يعقد باللغة الإنجليزية ـ عن مستوى زملائهم الأطباء من مختلف أنحاء العالم. ومن هنا استخلص: «أن تعلم الطب باللغة العربية لم يكن عائقاً أمام الأطباء السوريين، ويحول دون أدائهم للامتحان واجتيازهم له بنجاح».

كما وقف الدكتور السباعي عند تجارب بعض الدول التي تعلم الطب بلغات شعوبها، مثل: فيتنام والصين. وكذلك أشار إلى دعوة بعض مفكري العرب إلى تعليم الطب باللغة العربية أمثال: أحمد حسن الزيات، و زكي مبارك، وجورجي زيدان. وكذلك تجارب كل من الدكاترة: أحمد سعيدان عضو مجمع اللغة العربية الأردني، ومحمد عبدالعزيز محمد أستاذ الرمد بجامعة الأزهر، وعبدالرحمن العوضي وزير الصحة الأسبق في الكويت.. وغيرهم. ويبدو أن تلك الدعوة قد استجابت لها المؤسسات التعليمية والطبية في البلاد العربية.

ويشير الدكتور السباعي إلى وجود فئة من المشككين الذين يظنون أننا نفتقر إلى المصطلحات الطبية باللغة العربية، وكانت تلك الإشارة من خلال تساؤله: «هل هناك عقبات أمام التعريب؟». وقد رد عليهم بحججه، واستشهاده ببعض المعاجم الطبية العربية، الخاصة بتلك المصطلحات. وكذلك بنفي مزاعم من يظن أن المشكلة تكمن في عدم توافر الأستاذ القادر على تعليم الطب باللغة العربية أو التأليف بها أو الترجمة إليها؛ وذلك بذكره أعداداً كبيرة من الأطباء العرب الذين يدرسون باللغة العربية ويكتبون ويترجمون بها.

ويبدو أن الدكتور السباعي لم يهتم بقضية تعليم الطب باللغة العربية لعدة سنوات بعد عودته من دراسته العليا في أمريكا، فكان ـ كما يقول ـ ينظر إلى تلك القضية «بشيء من التعالي». ومن هنا راح يسرد لنا بعض الأمور والمواقف التي استجدت له، وكان لها الأثر الكبير في ذهنه ونفسه، ومن ثم التحول بهذا الشكل الرائع. عقب استماعه للدكتور محمد أحمد سليمان أستاذ الطب الشرعي في كلية الطب بجامعة الملك سعود، ذاك الأديب اللغوي الموسوعي.. إذ كان حديثه ينصب على ضرورة تعلم الطب باللغة العربية، ويحاجج دعاة تعليمه باللغة الإنجليزية.

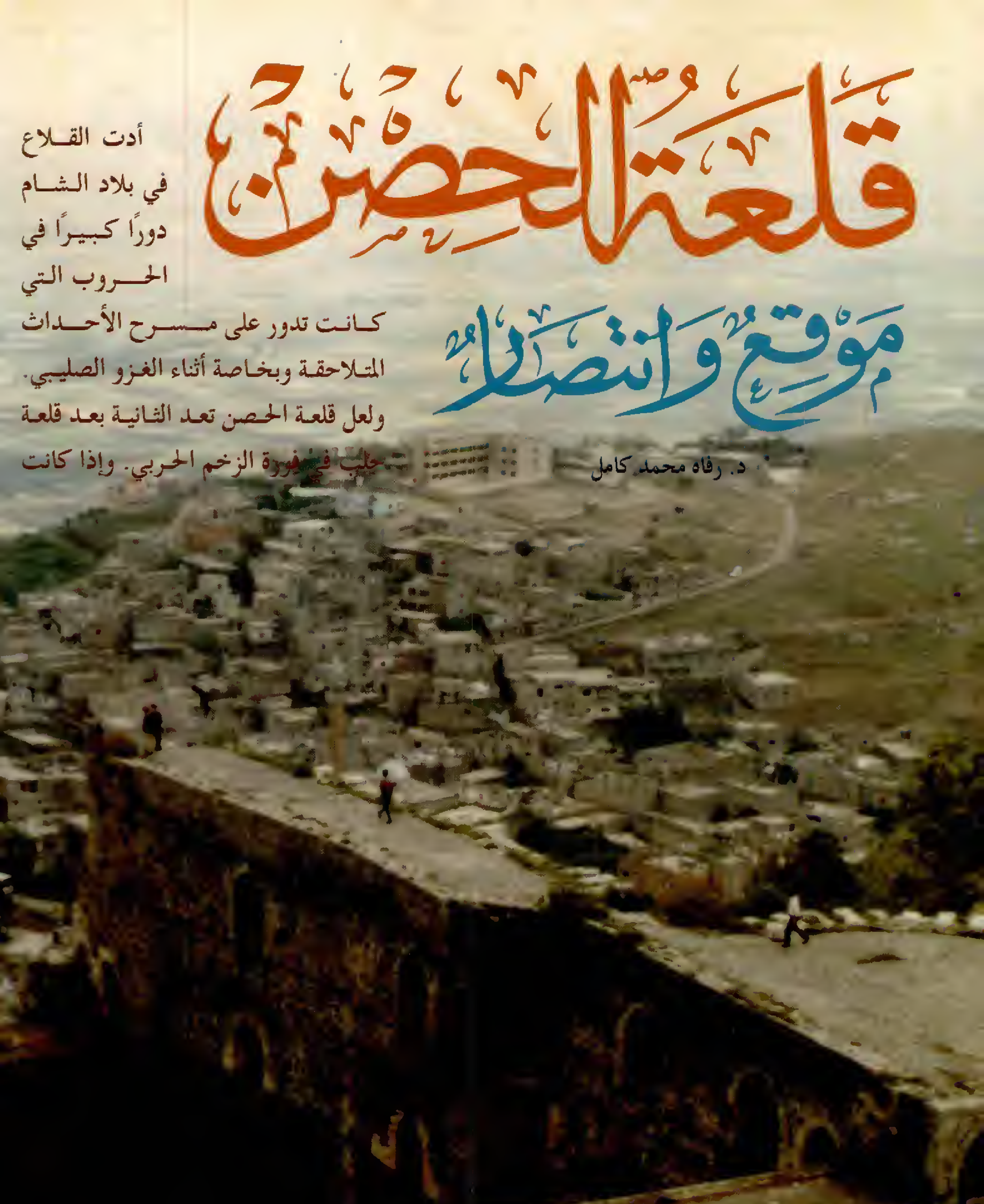
ثم تتكشف وتتضح للدكتور السباعي أمور ومواقف أخرى كثيرة من التجارب الطبية التي تؤكد ضرورة تعليم الطب باللغة العربية، عبر مسيرته ومهامه الطبية، ولاسيما مشاركاته في الندوات والمحاضرات والمؤتمرات، سواء داخل المملكة العربية السعودية أو خارجها. يذكر مثلاً ماشهده في الجامعات السورية.. وماستمع إليه داخلها من «محاضرات تلقى باللغة العربية، فوجدتُ الطلبة والأساتذة يتحاورون ويتناقشون بطلاقة واضحة وبحيوية بالغة، وهي ظاهرة نكاد نفتقدها في كليات الطب التي تدرس باللغة الإنجليزية». ويورد الدكتور السباعي أمثلة أخرى كثيرة من التي تُصعِّد عملية الاهتمام بتعريب دراسة الطب في الكليات والجامعات؛ وبخاصة فيما قدمه من دراسة عملية وميدانية عن سرعة القراءة ومدى الاستيعاب، إذ أجراها على ثلاث فئات من طلبة الطب، وأطباء الامتياز، والأطباء المقيمين، في قراءتهم لنص عربي ثم لآخر مثله بالانجليزية، خلال زمن محدد، فكانت النسبة عالية للاستيعاب العربي.

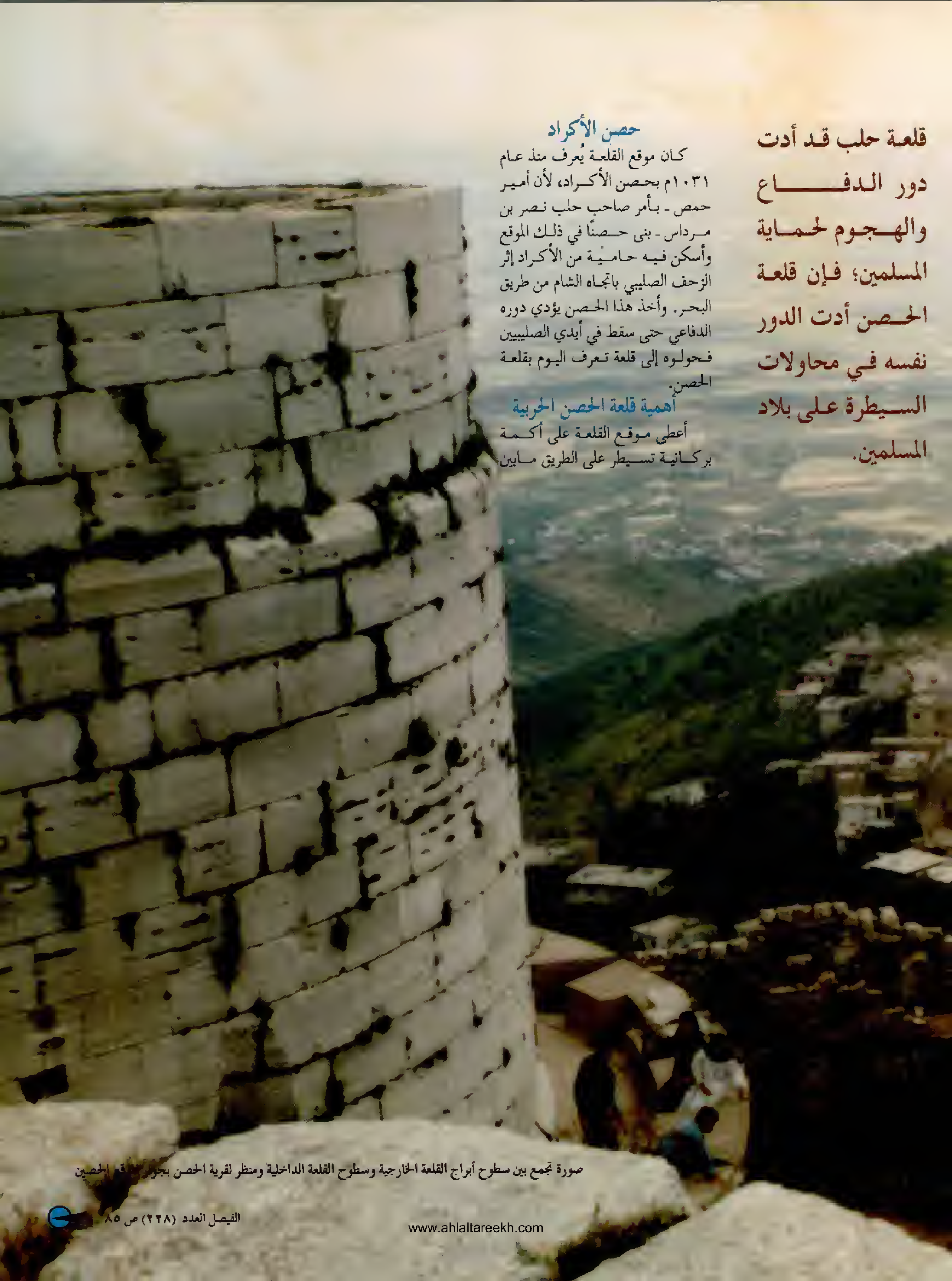
ولهذا وجدنا الدكتور السباعي يضع «خطة عمل مبدئية لتعريب الطب» وكأنه إطار عام لقضيته؛ فقد اقترح أربعة عناصر أساسية لخطته أو قضيته هي: تحديد الأهداف والوسائل، والتنسيق بين الجامعات، وتوفير المواد التعليمية، وإعداد أعضاء هيئة التدريس. وإن المال الذي ينفق من أجل تلك الخطة لايذكر أمام النتائج المثمرة «في تكوين أجيال من الأطباء القادرين على التعبير عن أنفسهم بأسلوب عربي مبين، وعلى ربط التعليم الطبي والعلوم الطبية بحاجة المجتمع».

قلعة الحصن
موقع وانتصار

د. رفاه محمد كامل

أدت القلاع في بلاد الشام دورًا كبيرًا في الحروب التي كانت تدور على مسرح الأحداث المتلاحقة وبخاصة أثناء الغزو الصليبي. ولعل قلعة الحصن تعد الثانية بعد قلعة حلب في فورة الزخم الحربي. وإذا كانت





قلعة حلب قد أدت دور الدفاع والهجوم لحماية المسلمين؛ فإن قلعة الحصن أدت الدور نفسه في محاولات السيطرة على بلاد المسلمين.

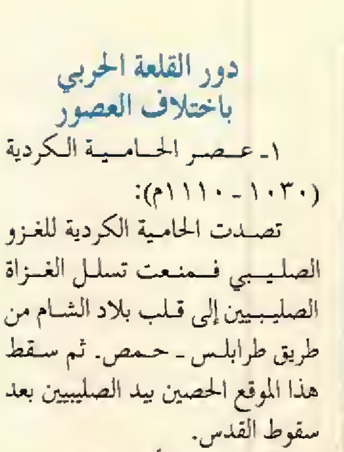
حصن الأكراد

كان موقع القلعة يُعرف منذ عام ١٠٣١م بحصن الأكراد، لأن أمير حمص - بأمر صاحب حلب نصر بن مرداس - بنى حصناً في ذلك الموقع وأسكن فيه حامية من الأكراد إثر الزحف الصليبي باتجاه الشام من طريق البحر. وأخذ هذا الحصن يؤدي دوره الدفاعي حتى سقط في أيدي الصليبيين فحولوه إلى قلعة تعرف اليوم بقلعة الحصن.

أهمية قلعة الحصن الحربية

أعطى موقع القلعة على أكمة بركانية تسيطر على الطريق مابين

صورة تجمع بين سطوح أبراج القلعة الخارجية وسطوح القلعة الداخلية ومنظر لقرية الحصن بجوار موقع الحصين



منظر القلعة الداخلية من الخارج والخارجية من الداخل وبينهما الخندق المردوم

دور القلعة الحربي باختلاف العصور

١ـ عصر الحامية الكردية (١٠٣٠ ـ ١١١٠م):

تصدت الحامية الكردية للغزو الصليبي فمنعت تسلل الغزاة الصليبيين إلى قلب بلاد الشام من طريق طرابلس ـ حمص. ثم سقط هذا الموقع الحصين بيد الصليبيين بعد سقوط القدس.

٢ـ عصر الأمراء الصليبيين (١١١٠ ـ ١١٤٢م):

وطدت الحامية الصليبية وجودها، وبدأت تنقض بغارات سريعة على مواقع إسلامية.

٣ـ عصر فرسان القديس يوحنا (١١٤٢ ـ ١٢٧١م):

نظمت الحامية هجمات على شكل قوس باتجاه البادية يتعمق إلى الداخل، تحمل معها الخوف والهلع

حمص وطرابلس أهمية حربية لها.

فالمقاتلون فيها يستطيعون الإشراف على جميع السهول ما بين مدينتين مهمتين جدا: حمص في داخل سورية، وطرابلس على البحر شمال لبنان. وفيها يمكن بالنظر رؤية أمواج البحر على ساحل مدينة طرطوس، كما يتراءى من سطح غرفة قائد الحاميّة برجُ مدينة صافيتا التي تقع في السفوح الشرقية لجبال العلويين، وكثير من البلدان والقرى التي تمتشق السفوح والهضاب أو تضطجع في السهول من حول القلعة.

القلعة بين السقوط والاسترداد

ظلت الحامية الكردية تدافع عن الموقع وتصد محاولات الغزو الصليبي، فقد حاول ريموند صاحب تولوز أن يخضعها بعد احتلال معرة النعمان وخضوع حمص للصلح فأخفق. وكذلك حاول تانكريد، إلى أن سقطت مدينة القدس فاستيأست الحامية فسقط الحصن بيد تانكريد عام ١١١٠م.

ثم انتقلت إلى فرسان القديس يوحنا عام ١١٤٢م. واستمرت بأيديهم إلى أن عزم السلطان نور الدين على فتح القلعة (١١٨٨م) فلم ينجح. وأقدم السلطان صلاح الدين الأيوبي على فتحها بعد فتح القدس فلم يوفق، ثم تابع الملك الظاهر بيبرس رسالة تطهيرِ البلاد من بقايا الغزاة بعد توحيد برّيِ الشام ومصر؛ فهاجمها في شهر آذار/ مارس من عام (١٢٧١م). وفي الثامن من نيسان/أبريل من العام نفسه سقطت القلعة التي كانت حربة قاتلة في صدر بلاد الشام، واستسلم فرسانها الصليبيون فأمّنهم الملك بيبرس ورَحَّلهم إلى طرابلس.

الطرف الشرقي من برج قائد الحامية





إلى المسلمين لكي لا يفكروا بالخلاص، وذلك بأساليب متنوعة؛ كحرق المحاصيل وقطع الطرق ونهب القرى وفرض الإتاوات، مستخدمة خطة الذراع الحديدية التي تضرب وتتراجع بسرعة خاطفة.

٤ـ عصر السلاطين المماليك (١٢٧١ ـ ١٥١٦م):

أكبَّ السلاطين المماليك على الاحتفاظ بها بدءًا من محررها الملك الظاهر بيبرس إلى السلطان قلاوون، وحتى دخول السلطان العثماني بلاد الشام، ذلك خوفا من كرَّة الصليبيين مرة ثانية بعد فتح بلغ الأوج في الأساليب الحربية الهجومية والأوج في الأساليب الدفاعية، لكن الفرسان الصليبيين سقطت في نفوسهم رؤى المستقبل قبل أن تسقط القلعة.

٥ـ عصر العثمانيين (١٥١٦ ـ ١٩٢٠م):

بدأت أهميتها تتضاءل نظرا لقوة البلاد وانتفاء فكرة غزو بلاد الإسلام مرة ثانية.

التكوين الحربي لقلعة الحصن

القلعة حصنان منيعان: حصن خارجي وآخر داخلي، فهي بذلك حصن داخل حصن، والحصن الخارجي يحيط بالموقع البالغة مساحته ثلاثة هيكتارات بثلاثة عشَر بُرجا منوعًا، منها الدائري ومنها المربع ومنها المستطيل كما هي الأبراج التي تحيط بقمة الأكمة في قلعة حلب، لكن لاتوجد في قلعة حلب أبراج دائرية. يُدْخَل إلى القلعة قديما من جسر خشبي فوق خندق، ويوصل الجسر إلى باب ليس كبيرا فوق قنطرته كتابات عربية تشير إلى تجديد الباب من قبل الملك الظاهر بيبرس.

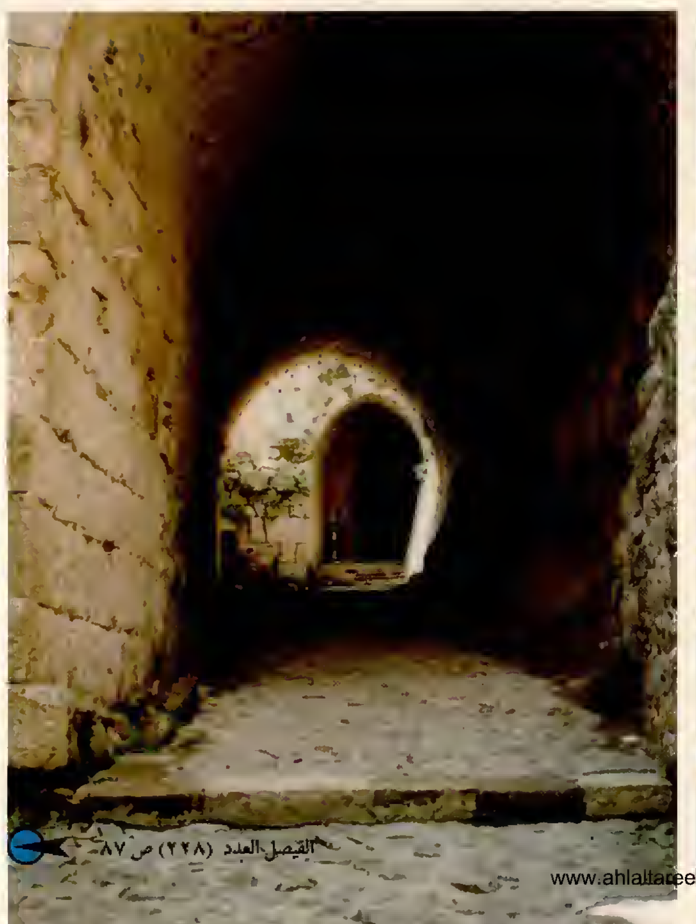
فإذا تجاوزت الباب تمر بدهليز مسقوف يصعد بك، وترى إلى جانبك الأيسر وأنت صاعد بعض الأبراج الدفاعية، ويصل بك الدهليز إلى الإصطبل الكبير حيث تربط خيل الفرسان، وتنفذ منه إلى فَسْحة تفصل بين القلعة الخارجية والداخلية؛ فترى جدران القلعة الداخلية مائلة لزيادة التحصين وعلى حوافها الخندق المائي. إلى يسارك بعد الخروج من الإصطبل يقوم برج بيبرس الذي بناه بعد استرداد القلعة. وفي داخله دعامة مضلعة وسط البرج موشحة بزنار من الكتابات العربية في قسمها العلوي.

ثم تنطلق مابين التحصين الخارجي والتحصين الداخلي فإذا الأبراج على خطي دفاع في تحصين مكين. فأبراج القلعة الداخلية أعلى من أبراج القلعة الخارجية فهي تشرف على السهول الغربية والجنوبية بامتداد واسع.

أما الخارجية فيلفت نظرك فيها مرامي السهام والشرفات والسقاطات. فإذا أكملت الطريق باتجاه الشمال الشرقي تصل إلى برج، يصعد بك سُلَّم إلى باب يؤدي بك إلى داخل القلعة الداخلية التي تتألف من طابقين، أي من قسمين: قسم ينهض فوق أرض الأكمة، والقسم الثاني ينهض فوق بعض أبنية القسم الأول، وفي القسم الأول تتوزع قاعات المؤونة والطعام والمطبخ والفرن، ويجاورها قاعة الفرسان التي بنيت على طراز الفن القوطي.

ثم تقف عند الكنيسة لترى عظمة الإسلام في احترام أماكن


البرج الدائري في القلعة الداخلية وأمامه البرج المستطيل والجدار المائل للتحصين والخندق المائي


الدهاليز المؤدية إلى الخندق الفاصل بين القلعة الداخلية والقلعة الخارجية



العبادة لكل الأديان، فما كان من الظاهر بيبرس بعد استرداد القلعة إلا أن أمر بتحويل الكنيسة إلى مسجد ليظل المكان الذي ذكر فيه اسم الله طاهرا تلهج فيه النفوس بذكر الله.

فإذا ماخرجت من المسجد لتصعد السُلّم العريض باتجاه الجنوب واجهتك مائدة الفرسان المستديرة؛ حيث تقوم على سطح قاعة الطعام، ثم تصعد السُلّم الثاني الضيق إلى غرفة قائد الحامية وبرج السلطان قلاوون؛ حيث يروق للزائر أن يرى من سطح برج قائد الحامية أمواج البحر على شاطئ طرطوس، وضواحي مدينة حمص وبرج صافيتا ومدينة مرمريتا ذات الشهرة في الاصطياف والسياحة.

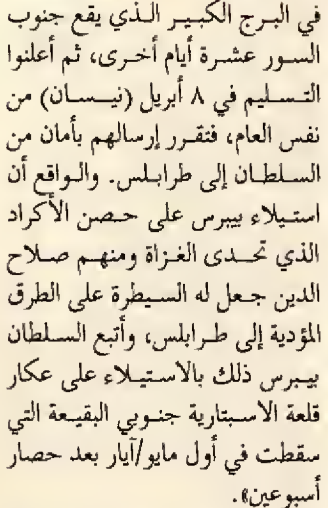
دور الظاهر بيبرس في استخلاص القلعة

وأخيرا يكفي للوقوف على الدور العظيم لبيبرس في استخلاص القلعة قراءة سريعة في سيرة الظاهر الشعبية وتاريخ الحروب الصليبية لمؤلفه ستيفن رنسيمان، أو في كتاب «منتخبات من حوادث الدهور» أو كتاب «النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة» وكلاهما لابن تغري بردي.

فهذا نص ستيفن رنسيمان من تاريخ الحروب الصليبية ترجمة د. السيد الباز العريني أستاذ تاريخ العصور الوسطى بجامعة القاهرة يصور أحوال استرداد القلعة من وجهة نظر المراجع الأجنبية. ورغم محاولة المؤلف اصطناع الموضوعية فإن عصبيته تظهر في اعتبار قلعة الحصن وبلاد الشام قاطبة وخاصة السواحل ملكًا موروثًا للقوات الصليبية. وإليك النص الخاص باسترداد القلعة:

«فظهر السلطان بيبرس في فبراير/شباط سنة ١٢٧١م أمام برج صافيتا (القلعة البيضاء) التي يمتلكها الداوية، وبعد استماتة الحامية الصغيرة في الدفاع أشار عليهم مقدم الداوية بالتسليم، ومن بقي على قيد الحياة سمح لهم السلطان بيبرس بالالتجاء إلى أنطرطوس. ثم زحف السلطان بيبرس إلى حصن الأكراد (قلعة الحصن) حصن الاسبتارية الضخم فبلغها في ٣ آذار/مارس، وقد لحقت به كتائب من الحشيشة (الإسماعيلية) كما لحق به المنصور أمير حماة بجيشه.

على أن الأمطار التي ظلت تهطل بضعة أيام منعته من جلب أدوات الحصار، ولكن المسلمين شقوا طريقا إلى برج باب السور الخارجي بعد قصف شديد بالمنجنيقات لم يستمر طويلا، ثم شقوا طريقهم فقتلوا كل من صادفهم وأسروا العساكر الوطنيين (مسيحي البلاد)، وظل كثير من الجند المدافعين يقاتلون في البرج الكبير الذي يقع جنوب السور عشرة أيام أخرى، ثم أعلنوا التسليم في ٨ أبريل (نيسان) من نفس العام، فتقرر إرسالهم بأمان من السلطان إلى طرابلس. والواقع أن استيلاء بيبرس على حصن الأكراد الذي تحدى الغزاة ومنهم صلاح الدين جعل له السيطرة على الطرق المؤدية إلى طرابلس، وأتبع السلطان بيبرس ذلك بالاستيلاء على عكار قلعة الاسبتارية جنوبي البقيعة التي سقطت في أول مايو/آيار بعد حصار أسبوعين».



قاعة الفرسان القوطية الكبرى

أما جمال الدين أبوالمحاسن يوسف بن تغري بردي فيؤرخ لهذا الانتصار، فيقول:

«خرج الملك الظاهر من الديار المصرية متجها نحو حصن الأكراد في الثاني عشر من جمادى الآخرة، ووصله يوم الثلاثاء تاسع شهر رجب سنة تسع وستين وست مئة للهجرة (٦٦٩هـ) وأخذ في نصب المجانيق وعمل الستائر. ولهذا الحصن ثلاثة أسوار فاشتد عليه الزحف والقتال، وفُتحت الباشورة الأولى الخميس الحادي والعشرين من شهر رجب، وفتحت الثانية السبت سابع شعبان، وفتحت الثالثة الملاصقة للقلعة يوم الأحد خامس عشر من شعبان، ودخلت العساكر البلد وأسرت من فيها من الجبلية والفلاحين، ثم أطلقوهم، فلما رأى أهل القلعة ذلك أذعنوا بالتسليم وطلبوا الأمان، فأمّنهم الملك الظاهر، وتسلم القلعة يوم الاثنين ثالث وعشرين من شعبان، وأطلق من فيها من الفرنج فتوجهوا إلى طرابلس، ثم رحل بعد ما رتب فيها الأمير عز الدين أيبك الأفرم لعمارته، وأقيمت فيه الجمعة وصالح صاحب أنطرطوس على نصف ماتأتيه الغلال، ومثل ذلك صاحب المرقب، وجعل فيهما نائبين، ثم قررت الهدنة عشر سنوات وعشرة أشهر وعشرة أيام».

وهكذا يَسّر الله للسلطان بيبرس فتح البلاد التي سقطت أيام الحروب الصليبية بيد الصليبيين بلدا بلدا، وفتح الحصون حصنا حصنا ومثل ذلك القلاع، ولم يكن ذلك باليسير في حرب تعاون فيها الفرنجة الغازون مع المغول الطامعين في دمار بلاد المسلمين ومحق الإسلام. فكان السلطان بيبرس العقل المدبر والقلب الجريء والفارس الشجاع والمحارب الفذ والقائد المؤمن الذي ينطلق من شريعة الله في جميع الأحوال، فأعانه الله على صون بلاد المسلمين وخلاصها من الصليبيين و ردّ المغول الطامعين.



مظاهر فن النحت في العمارة النبطية

خالد محمد أسكوبي

تُعَدُّ الحجْر - أو مدائن صالح كما يطلق عليها بعض المؤرخين - من أهمِ المواقع التاريخية والأثرية على طريق التجارة الذي يربط الجنوب بالشمال وذلك لتبادل السلع التجارية. ومن هذا المنطلق فقد التقت الثقافات الفكرية والفنية، ونبع من ذلك أنواع شتىٰ من الأفكار الفنية جسدها الفنان النبطي على واجهات المقابر(١). ومنذ أقدم العصور كان لدى الفنان ملكة فريدة في التعبير عما يدور في مخيلته من أعمال فنية أصبحت شاهدا حيا على ماأبدعه. ويعد فن النحت من أهم المنجزات الحضارية القائمة إلى وقتنا هذا، كما لايخفى علينا ماقام به العربي النبطي من أعمال جليلة؛ حيث عاش في الجزيرة العربية واستوطن في شمالها، ومن ثم كوَّن امبراطورية واسعة في تلك المنطقة وسيطر على تجارتها.

ومن واقع اختلاط النبطيين مع أرقى فناني الحضارات المجاورة إبان حكم الأنباط وسيطرتهم على القوافل التجارية التي تقع ضمن مملكتهم؛ فقد اكتسبوا أنواعا عدة من تلك الفنون الرائعة التي تعكس لنا ماقام به الفنانون النبطيون سواء كان ذلك من واقع فن العمارة أو النحت، وأصبحت فيما بعد من أهم العلوم التي يتدارسها العلماء والباحثون والمفكرون والمهندسون المختصون في فن النحت والهندسة عبر التاريخ إلى وقتنا الحاضر.

ولو تتبعنا الفن النبطي على واجهات المقابر في مدائن صالح - الحجر - لوجدناه فنا نموذجيا فريدا من نوعه، وعلينا نحن - كدارسين ومتخصصين - أن ننسبه إلى الفنان العربي النبطي الذي أبدع في إخراج هذا الطراز من فن النحت، وأصبح يضاهي وينافس أنواعًا شتى من الفنون في ذلك الوقت الذي كان يعيش فيه وإلى وقتنا الحاضر، كما لاننسى التأثيرات الخارجية التي حاول الفنان النبطي دمجها مع ما ابتكره من فنون محلية ليشكلها في قالب جميل يتناسب مع مجريات حياته.

لمحة تاريخية

لقد مرت عهود طويلة على هلاك قوم ثمود الذين كانوا يسكنون الحجْر (مدائن صالح)، وكان لهلاكهم في تلك المنطقة عبرة وحدث عظيم ورد ذكره في القرآن الكريم وفي السنن المشرفة؛ حيث أشار القرآن الكريم إلى أن موطنهم (الحجر) في قوله عز وجل: ﴿ولقد كذَّبَ أصحابُ الحجْرِ المرسلين. وآتيناهم آياتنا فكانوا عنها معرضين. وكانو ينحتون من الجبال بيوتا آمنين.

فأخذتهم الصيحة مصبحين. فما أغنى عنهم ما كانو يكسبون﴾(الحجر: ٨٠-٨٤)، وقوله تعالى: ﴿وثمود الذين جابوا الصخر بالواد﴾ (الفجر: ٩).

وكانت بيوتهم الحصينة في صلب الجبال، ومعظم هذه البيوت هي بيوت الآخرة؛ أي أنها خاصة بدفن كبار القوم. أما القصور والبيوت العادية فهي مبنية بالوادي.

وقد مر الرسول صلى الله عليه وسلم على أماكنهم في الحجر وهو في طريقه إلى غزوة تبوك، وكان أصحابه قد نزلوا بها وطبخوا فيها الأكل فلما علم الرسول صلى الله عليه وسلم بذلك أمرهم أن يريقوا القدور، وأن يعلفوا العجين للإبل، ويرحلوا من ذلك المكان، وقال لهم كما في صحيح مسلم: «لاتدخلوا على هؤلاء القوم المعذبين إلاّ أن تكونوا باكين. فإن لم تكونوا باكين فلا تدخلوا عليهم أن يصيبكم ما أصابهم».

وأول ذكر لثمود كان في نقش الملك الآشوري سرجون الثاني (٧٢١-٧٠٥ق.م) حيث سجل في هذا النقش انتصار الملك الآشوري على قبائل ثمودية في شمال الجزيرة العربية(٢).

أما الأنباط، وهم من الأقوام العربية، فقد هاجروا من شمال الجزيرة العربية واتخذوا من البتراء في الأردن عاصمة لمملكتهم، وقد ظهر الأنباط على مسرح التاريخ سنة (٣١٢ق.م) في عهد أنتيجون اليوناني حينما تصدوا لحملاته. وكان أول ملك نبطي هو الحارث الأول وقد حكم سنة (١٦٩ق.م)، واتسع نفوذ الانباط في عهد الحارث الثالث خلال منتصف القرن الأول قبل الميلاد، كما أن الأنباط خلال وجودهم الحضاري اختلطوا بالأقوام الآرامية وتأثروا بهم، واستعملوا الحروف الآرامية في الكتابة، واستمروا في ذلك إلى القرن الثالث الميلادي(٣).

ويُرجع الشيخ حمد الجاسر أصل الأنباط إلى أنهم من أصل عربي، وينتمون إلى قبيلة عربية كانت تسكن شمال غرب الجزيرة العربية، وكانت كتابتهم تعرف بالكتابة النبطية، إضافة إلى أنهم كانوا يستعملون اللغة الآرامية السائدة في تلك الفترة(٤).

أما جواد علي فإنه يُعد الأنباط من أصل عربي ربما نزحوا من جنوب الجزيرة العربية واستقروا في شمالها بغرض التجارة، وبعد ذلك كوّنوا لهم مملكة(٥). ومنهم من يرجع أصلهم إلى العراق حيث ورد ذكرهم في آثار آشور منذ القرن السابع ق.م؛ أي إبان عهد آشور بانيبال وسُمّوا بالنبط لاستنباطهم المياه(٦).

وقد ظهر الأنباط كقبيلة عربية



الأعمدة كزخرف جمالي في واجهة المقابر

مظاهر فن النحت في العمارة النبطية

استطاعوا القضاء عليها في عهد الإمبراطور الروماني (ترجان) سنة ١١٦م، ومنذ ذلك الوقت أصبحت البتراء تحت حكم الرومان، ثم خضعت بعد ذلك لحكم البيزنطيين حتى عمَّ الفتح الإسلامي الأجزاء الشمالية من الجزيرة العربية سنة ٦٣٦م(٨).

أهم الطرز الخارجية التي كيفها الفنان النبطي مع فنه الأصيل

يُعد فن النحت والعمارة من الفنون الجميلة التي تعكس لنا رقي الشعوب في ذلك العصر، ويلقي الضوء على كثير من الأفكار



الشرفات المدرجة على الإفريز من مؤثرات الفن الآشوري في الفنان النبطي



نموذج يوضح المقابر ذات الأعمدة الرباعية

شمال غرب الجزيرة منذ القرن السادس (ق.م)، وقد اختلطوا مع القبائل الثمودية واللحيانية، وقد انتشروا شمالا حتى وصلوا إلى البتراء بالأردن وتعايشوا مع الآدوميين، واستقروا في قراهم ومدنهم، واشتغلوا برعي الماشية في بداية الأمر، ثم بعد ذلك عملوا في الزراعة، وأخيرا مارسوا التجارة وأفلحوا فيها وأبلوا بلاءً حسنا على نطاق واسع، وقد ساعدهم في ذلك الموقع الجغرافي الذي كان يربط مصر وفلسطين والعراق وسورية بشبه الجزيرة العربية. وبعد أن عظم شأنهم وقويت شوكتهم فرضوا سيطرتهم على القوافل التجارية الرئيسة، كما أنهم اتخذوا من البتراء عاصمة لهم، وكانت قوافل الأنباط تجوب الصحراء شمالا وجنوبا وغربا وشرقا حاملة الأخشاب والأحجار الكريمة من بلاد فارس، وكذلك البخور والعطور والمر من حضرموت في جنوب الجزيرة العربية. وبفضل اشتغالهم بالتجارة أصبحوا من الأثرياء. وقد كان العصر الذهبي لهم إبان القرن الأول الميلادي(٧).

وكان نفوذ الأنباط قد اتسع اتساعًا كبيرا فامتد شمالا حتى وصل إلى دمشق، ومن بادية الشام إلى أن وصلوا إلى خليج السويس. بعد ذلك أخذ الرومان يتطلعون إلى هذه المملكة العظيمة وراحوا يقومون بحملات ضدها حتى



المجاورة والمعاصرة له، مثل الفن الفارسي والإغريقي والروماني، ونتج عن ذلك إخراج فن جديد يعبر عن مدى ثقافة الفنان النبطي.

الطرز الفنية على واجهات المقابر

تُعد تلك الطرز من ألمع الطرز المعمارية التي استخدمها الفنان النبطي وأثبتها على واجهات المقابر، وقد يشاهد الباحث والزائر تصميم الواجهات والتناسق البديع عليها؛ حيث التيجان النبطية الصرفة وغير ذلك من الأعمال الفنية، وكذلك قدرة الفنان النبطي على انتقاء أهم الطرز المعمارية سواء كانت آشورية أو إغريقية أو رومانية أو فارسية أو

الخزنة، من آثار البتراء العاصمة الأولى للأنباط العرب

والمعلومات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، وذلك من واقع مايقوم به ذلك الفنان النبطي من نحت وهندسة على الصخر وتهذيب الجبل بطريقة فنية ترضي أحاسيسه. وقد انعكس ذلك على واجهات المقابر المخصصة لدفن كبار القوم من حيث إبرازها بشكل جميل. فأدخل عليها فنونا شتى من حضارات مجاورة؛ حيث استخدم الأعمدة والمثلثات والأفاريز ودَعَّم الواجهات بمنحوتات على شكل تماثيل لحيوانات وغير ذلك من الزخارف بأشكال بارزة وغائرة؛ بحيث يجد فيها المهتمون بدراسات الفن والعمارة والمتخصصون في علم التاريخ والآثار المادة الحية والواقعية لتلك الحضارة البائدة التي خلفت لنا هذه الشواهد لتكون معلما وشاهدا حيا لحضارة سادت ثم بادت.

كما لاتخفى علينا نتائج مزج الفنون بعضها ببعض وإخراجها في قالب خاص مميز من حيث الإبداع، وهذا ماحدث بالنسبة للفن النبطي حيث امتزج مع فنون الحضارات

مصرية وتشكيلها في طابع نبطي وتجسيدها على واجهات المقابر لتكون علما مميزًا للفن النبطي في ذلك العصر، وقد استخدم الفنان التيجان وزخرفة الورود والوجه الخرافي والحية والنسر والجرة وغير ذلك من الأعمال الفنية. كما أنه تفنن في نحت الأعمدة التي تعلوها التيجان؛ فأحيانًا نجده ينحت العامود بشكل ثلاثي الوجه بزوايا قائمة، ويعلو العامود وسادة التاج، ثم ينحت خطوطًا ملتفة على العامود بنحت غائر ويعلو كل واحد منهما تاج. كما يوجد على بعض المقابر العامود ذو الثلاثة أوجه القائم الزاوية يعلوه التاج. كما نلاحظ في واجهة بعض المقابر أربعة أعمدة تحمل الكورنيش. كما نجد الفنان قد مزج في فنه الكورنيش المزدوج ويحمل كل كورنيش أعمدة؛ فنرى الكورنيش الأسفل محمولاً على عمودين بينما الكورنيش الأعلى نجده محمولاً على أربعة أعمدة. كل هذه الأعمال توضح لنا مدى القدرة الفنية التي كان يستخدمها الفنان النبطي في ذلك العصر، ومدى التفوق والإبداع في إخراج هذه الفنون في فن قد ارتبط بثقافته وحضارته.

وهكذا يتضح لنا جليًا أن الفنان النبطي التقى ألمع الطرز من تلك الحضارات المجاورة وبلورها في إطار نبطي خاص، كما أن بدايته كانت بداية بسيطة وعادية، وما إن برع في اكتساب الطرز المختلفة ودمجها حتى أصبح يضاهي أباطرة فن العمارة في عصره المزدهر. ومن واقع الكتابات النبطية المسطرة على واجهات المقابر يتضح أن من قام بكتابتها هم الأنباط الذين سكنوا المنطقة، ولايُعرف حتى الآن هل الأنباط سكنوا في مساكن قوم ثمود الذين سبقوهم؟ وهل هذه المقابر قد نحتها الأنباط حيث يذكر ذلك في كتابتهم على واجهات المقابر؟ أم أنهم أخذوا فكرة نحت المقابر من آثار ثمود؟ كل هذه التساؤلات قد تكشفها لنا الدراسات والتنقيبات المستقبلية.

وأخيرا لا ننسى الدور المهم الذي يقوم بعمله المسؤولون في الوكالة المساعدة لشوون الآثار والمتاحف، من حيث إخراج المنطقة الأثرية في مدائن صالح في مظهر يليق بواقعها الحضاري، ومن هذا المنطلق فقد قامت الوكالة بمشاريع جبارة من ترميم وتوسعة المعالم الأثرية في المنطقة، وتم تنفيذ المشروع بحمد الله، وأصبحت المنطقة معلما حضاريا وثقافيا من حيث تسهيل عملية الوصول إلى المواقع الأثرية ومشاهدة المنحوتات الصخرية على واجهات المقابر، وغير ذلك من المعالم التي تستحق الزيارة والاطلاع لمعرفة التراث الحضاري القديم للمنطقة.

الكورنيش الأعلى في واجهة المقبرة من تأثير الفن المصري

الهوامش:

١ـ د. عبد الرحمن الطيب الأنصاري وآخرون، مواقع أثرية وصور من حضارة العرب في المملكة العربية السعودية، العلا، (ديدان)، الحجر(مدائن صالح)، ١٤٠٤هـ، كلية الآداب، جامعة الملك سعود، ص٢١.

٢ـ محمود محمد الروسان، القبائل الثمودية والصفدية، دراسة مقارنة، عمادة شؤون المكتبات، جامعة الملك سعود، الرياض ١٤٠٧هـ، ص٣ ـ ٥.

٣ـ أسامة ناصر النقشبندي، مبدأ ظهور الحروف العربية وتطورها لغاية القرن الأول الهجري، المورد، مجلة تراثية فصلية تصدرها وزارة الثقافة والإعلام، دار الشؤون الثقافية العامة، الجمهورية العراقية، المجلد الخامس عشر، العدد الرابع، ١٤٠٧هـ، ص٨٤، ٨٥.

٤ـ حمد الجاسر، في شمال غرب الجزيرة العربية، دار اليمامة، الرياض، ط٢، ١٤٠١هـ/١٩٨١م، ص٤٦٥.

٥ـ حمود بن ضاوي القثامي، شمال الحجاز، دار البيان العربي، جدة، ج١ ط٢، ١٤٠٤هـ/١٩٨١م، ص٣٨.

٦ـ جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، دار العلم للملايين، بيروت، ج٣، ط٣، ١٩٦٩م، ص١٠.

٧ـ سعد زغلول عبدالحميد، تاريخ العرب قبل الإسلام، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٧٦م، ص١٣٩.

٨ـ سليمان نصر الله، البتراء تحفة أثرية رائعة الجمال، القافلة، العدد السادس، المجلد الثاني والثلاثون، جمادى الآخرة، الظهران ١٤٠٤/١٩٨٤م، ص١١، ١٢.

٩ـ مقدمة عن آثار المملكة العربية السعودية، الإدارة العامة للآثار والمتاحف، ١٣٩٥هـ.




إبداع صحفي جديد
صباح كل سبت
أنتم على موعد مع
مجلة
الشرق
نقلة صحفية في عالم المجلات الأسبوعية
مقالات لأشهر الكتاب والمتخصصين
الجديد والمفيد من الموضوعات التي تهم كل أفراد الأسرة

الأفكار الأساسية لعلم الاقتصاد الإسلامي المعاصر

ظهر كتاب «النهضة الإسلامية: التحديات والنزعات والمنظورات المستقبلية»، وقد حرره وكتب مقدمته ووضع حواشيه ووراقته إبراهيم أبو ربيع، وذلك بعد انعقاد مائدة مستديرة مع خورشيد أحمد الذي أشرك عدداً من المثقفين الأمريكيين في وجهات نظره عن النهضة الإسلامية، وذلك بأسلوب صريح وبناء.

انعقدت المائدة المستديرة في مدينة تامبا في ولاية فلوريدا في الولايات المتحدة الأمريكية برعاية مركز دراسات الإسلام والعالم، ولجنة الدراسات الشرق أوسطية في جامعة جنوب فلوريدا.

وخورشيد أحمد(*) عالم اقتصادي باكستاني مسلم، دَرِبٌ من أتباع أبي الأعلى المودودي (١٩٠٣-١٩٧٩م) مؤسس الجماعة الإسلامية في الباكستان. كان خورشيد مرشد الجماعة وعضواً في مجلس الوزراء والشيوخ في الباكستان، وأبًا لعلم الاقتصاد الإسلامي.

بعد أن تناول الكاتبان سيرة حياة خورشيد في الفصل الأول من الكتاب، تناولا الأفكار الأساسية لعلم الاقتصاد الإسلامي المعاصر (المترجم).

ISLAMIC RESURGENCE:
CHALLENGES, DIRECTIONS
& FUTURE PERSPECTIVES

A ROUND TABLE WITH KHURSHID AHMAD

Sponsored by
the World and Islam Studies Enterprise
and
the Committee for Middle Eastern Studies,
University of South Florida

Edited with an Introduction,
Footnotes, and a Bibliography by
Ibrahim M. Abu-Rabi'

World and Islam Studies Enterprise (WISE)
Tampa, Florida

تأليف:
جون ل. سبوزيتو
جون و. فول
ترجمة:
د. صلاح يحياوي

الأفكار الأساسية لعلم الاقتصاد الإسلامي المعاصر

شارك خورشيد أحمد - إبان نشاطه الديني والسياسي - في التخطيط لنظام معاصر لعلم الاقتصاد الإسلامي. ولم يقم بذلك النشاط كواحد من نشاطاته الأخرى، بل قام به بوصفه جزءا مباشرا من عمله النشط في الحركة الإسلامية. جمع خورشيد - حاله حال المفكرين الفعالي المذهب الإسلاميين المعاصرين الآخرين - بين النظرية والممارسة، ولم يقم بذلك لاعتقاده بأن هذا هو الأكثر جدوى أو بأنه الأسلوب الفعال في العمل؛ بل لأنه يعتقد بأنه الأسلوب الوحيد لمهنيٍّ مسلم. لقد جمع بأساليب مهمة متعددة بين أدواره من حيث كونه مؤمنا وعضوا في الجماعة الإسلامية واقتصاديا.

فمن حيث كونه اقتصادياً قام خورشيد بدور مهم في تطوير الفكر والبرامج الاقتصادية في عالم المسلمين. وقد وصف بنفسه الخطوط الكبرى لهذا الانتقال:

«كان التوكيد مبدئياً على تفسير تعاليم الإسلام الاقتصادية، وتقديم النقد الإسلامي للنظرية والسياسة الغربيتين المعاصرتين. وخلال هذا الطور قام العلماء بجل هذا العمل، قام به المفكرون والمصلحون

الاجتماعيون اليساريون والمسلمون. وغدا علماء الاقتصاد المسلمون والمهنيون الآخرون منخرطين تدريجيا في هذا المشروع المتسم بالتحدي. وقد يكون أول مؤتمر دولي في علم الاقتصاد الإسلامي (الذي عقد عام ١٩٦٧م) ممثلاً للحد الفاصل في تاريخ تطور التفكير الإسلامي في علم الاقتصاد، فهو يمثل المرحلة الانتقالية من تعاليم الإسلام الاقتصادية إلى نهضة علم الاقتصاد الإسلامي»(١).

يقدم هذا العرض وصفا للتغيرات التي تحدث في عالم الإسلام الفكري، ووصفا لنفاذ البصيرة في مدارك خورشيد لهذه التغيرات. ومن الواضح بأن هذا التحول هو أمر قد أقره هو، وجاء ليكون البرنامج و التحدي اللذين كرس لهما نشاطاته المستقبلية من حيث كونه اقتصاديا مسلما.

قد يرغب خورشيد واقتصاديون مسلمون معاصرون آخرون في الحفاظ على كون القيم الأساسية للإسلام ولرسالة الإسلام غير مختلفة عما كانت عليه أيام النبي محمد (صلى الله عليه وسلم). وأما الجديد في ذلك فهو الاستقراب(**) (طريقة فهم الموضوع) والمنهج، ويمكن رؤية الاستقراب المختلف رؤيةً واضحة في أعمال خورشيد.

يتركز الاستقراب الأكثر تقليدية في «تعاليم الإسلام الاقتصادية». إن هناك مسعى لاستقصاء جميع آيات القرآن التي فيها معان مُتضمنة اقتصادية نوعية. ويُدعم ذلك بتجميع مماثل لأحاديث النبي محمد ذات الرسالة الاقتصادية. هذا ويُقدمُ وصف المخططات التي أعدت للمؤتمر الذي تناول «مكان علم الاقتصاد في الإسلام» والذي عُقد في نيوجرسي عام ١٩٦٨م مثالاً على الاستقراب الأكثر تقليدية، قال المخططون:

«[يجب أن يكون هناك] تقديم مصنَّف لآيات من القرآن ومنتخبات من أدب الحديث وثيقة الصلة بالموضوع. وكان من المؤمل بهذا الأسلوب أن يُذكَّر المشاركون في المؤتمر، قبل الدخول في تفاصيل القضايا النوعية والممارسات، بالمصادر الأساسية التي يعتمد عليها الفكر الاقتصادي المسلم»(٢).

إن لهذا الاستقراب، حاله حال أساسه، مجموعة واسعة من اقتراحات وحالات نوعية استعملت عندئذ لتقدم البرهان الصحيح (المجيز) من أجل حالات خاصة. وكان لهذه المنهجية - من منظور مفكرين مسلمين عديدين في العقود الأخيرة منذ الحرب العالمية الثانية - الأفضلية في تسريع التقديم لمصادر وأساسيات إسلامية على نحو ظاهر. إنها تشدد على الجهد المبذول لتجاوز المحاولة على نحو مُعَلَّل دفاعي لإظهار التناسق بين التعاليم الإسلامية وبعض المفاهيم الغربية.

يعتور هذا الاستقراب في الوقت نفسه بعض المشكلات. إنه ينحو إلى الإفضاء إلى مجموعة من المناقشات وليس إلى مزيد من التحليل الكلي والمتكامل. زد على ذلك أن الاستقراب التقليدي يجعل المثقف يستغرق في عديد من المناظرات التقليدية للدراسة القرآنية وتحليل الحديث. فعلى سبيل المثال تغدو الحجج القديمة حول نسخ حديث بآخر أو آية قرآنية بأخرى نقاط البداية الضرورية للتحليل(٣)، وتعد أمثال هذه المناظرات ذات أهمية حاسمة في تقديم تعاليم الإسلام الاقتصادية.

ومع ذلك فإن علم الاقتصاد الإسلامي هو مشروع أكثر كلية. إن الاقتصاديين المسلمين كخورشيد أحمد على وعي بالآيات القرآنية والأحاديث النوعية، إلا أن هذا هو الأساس لمنظورهم وليس نقطة بداية لتحاليلهم. يوضح خورشيد هذا


التقنية سلاح ذو حدين: الرقابة أو ترسيخ المفاهيم الاستهلاكية لدى الشعوب

التمييز في تعريفه لـ«المقدمة المنطقية الأولى» للاقتصاد الإسلامي المتطور: «إن المقدمة المنطقية الأولى التي نريد إقامتها هي أن التنمية الاقتصادية هي في إطار إسلامي، وأن علم الاقتصاد المتطور الإسلامي متأصل في النموذج القيمي المتجسد في القرآن والسنة [توكيد إضافي]»(٤). يتكلم خورشيد بصراحة في الاقتصاد الإسلامي عن نماذج تحتذى للقيمية القرآنية العريضة وليس عن التدابير الاحتياطية النوعية لآيات خاصة. وهذا يمكِّنه من تقديم نموذج متكامل على نحو أوسع للاقتصاد الإسلامي وليس تقديم قائمة للميزات والتعاليم الإسلامية.

تقدم بعض المواضيع والمعتقدات الأساسية الأساس لاستقراب خورشيد أحمد من حيث كونه عالم اقتصاد إسلامي. وغالبا ماتتميز هذه على نحو واعٍ من افتراضات علم الاقتصاد الغربي الأساسية. ومع ذلك فإن منظور خورشيد ليس مجرد تعليل أو دفاع؛ بل هو محاولة لإنشاء نظام فكري على أساس إسلامي بحيث يستطيع أن يقدم الهداية إلى برامج العمل وفعالياته.

إن المبدأ الأول لعلم الاقتصاد الإسلامي هو عدم كونه نسقا منفصلاً يصف وجها متميزا من تجربة الإنسان. يُرى الإسلام كنسق شامل وكأسلوب كامل للحياة. وفي هذا الإطار ليس الاقتصاد من حيث كونه نظام معرفة إلا جزءا من الصورة، ويجب أن يُدمج في جوانب أخرى من التحليل من البداية الأولى للإجراء.

لقد كانت الطبيعة الشاملة للإسلام أحد أعظم أركان تعاليم المودودي، ويحافظ خورشيد على هذا المبدأ. وقد وضَّحت المعاني المتضمنة لهذه الشمولية بتعابير لا لبس فيها في مقالات المودودي التي حررها خورشيد ونشرها حديثاً. ومن الواضح أن خورشيد يشارك في وجهات النظر هذه. يصرح المودودي في خطاب عن «المشكلة الاقتصادية للإنسان وحلها الإسلامي" The Economic Problem of Man and its Islamic Solution" بما يلي:

«إن المشكلة الاقتصادية للإنسان التي كانت في الحقيقة جزءا من المشكلة الكبرى لحياة الإنسان قد فُصلت عن الكل ونُظر إليها على أنها مشكلة مستقلة

بحد ذاتها. وقد تأصل هذا الموقف بشدة تدريجيا بحيث غدت المشكلة الاقتصادية كأنها المشكلة الوحيدة للحياة. وهذا... ماجعل تطورها في منتهى الصعوبة»(٥).

تُعرَّفُ المشكلة الاقتصادية بمصطلحات بسيطة مماثلة للمصطلحات في أي نسق اقتصادي:

«بقصد دعم حضارة الإنسان ودفعها إلى الأمام يجب معرفة كيف يتم تنظيم التوزيع الاقتصادي بحيث يبقى جميع الناس مزودين بضرورات الوجود، وأن يتمتع كل فرد في المجتمع بفرص ملائمة لتطوير شخصيته وبلوغ أعلى كمال ممكن وفقاً لقدرته وأهليته»(٦).

تنشأ المشكلات الاقتصادية ضمن هذا المنظور عندما يُفصل البعدُ الاقتصادي للحياة عن الباقي. ولا تنشأ مشكلات التوزيع من عدم الكفايات بل من أفعال الناس غير الأخلاقية. ويُعرّف خورشيد أساس الاقتصاد الإسلامي وحالته كما يلي:-

«لا يقبل الإسلام أي فصل بين الحياة «المادية» و«الأخلاقية»، «الدنيوية» و«الروحية»، ويفرض على الإنسان أن يكرس كل طاقاته لإعادة بناء الحياة على أسس صحيحة. إنه يعلمه أن الطاقات الأخلاقية والمادية يجب أن تتلاحم معاً، وأن في الإمكان إنجاز الخلاص باستعمال الموارد المادية من أجل خير الإنسان وليس بالعيش حياة الضنك والتقشف»(٧).

في هذا المنظور العريض يقيم مفهومان رئيسان الإطارَ الأساسي للتحليل. المفهوم الأول هو وحدانية الله وكونه مالك الملك (التوحيد)، والآخر هو خلافة الناس العاملين في خلق الله. ويمثل تخطيط المعاني المتضمّنة الاقتصادية للتوحيد والخلافة، المركز الأول للتفكير والتحليل في الاقتصاد الإسلامي المعاصر.

إن التوحيد يعني عدم إمكان وجود مصدر آخر للسلطة غير الله، وعدم إمكان وجود ملاذ آخر لولاء الإنسان المطلق سوى الله. يقبل المسلمون جميعاً هذه المعاني المتضمنة، ومع ذلك فإن الناس المعنيين بهذه النهضة الإسلامية المعاصرة قد استخلصوا مزيدا من الاستنتاجات المحدّدة من تحليل التوحيد أكثر مما استخلصه عامة الناس بما فيهم مفكرو الستينيات العصريون الإسلاميون. وبلغة السياسة، فإن الناس من أمثال خورشيد يشددون على أنه في الوقت الذي تكون فيه مؤسسات الدولة ضرورية، وتكون فيه الجماعات الوطنية موجودة على نحو شرعي، فإن الولاءات للدول والقوميات يجب أن تكون خالصة لله ثم لأمة المسلمين كافة.

المضاربات والتلاعب المالي في البورصات العالمية يؤدي إلى أزمات مالية خطيرة

وبلغة أكثر اقتصادية تُبين مناقشة خورشيد للتنمية الاقتصادية في علم الاقتصاد الإسلامي أن التوحيد يرسم أهداف التنمية، وأن السعي للتنمية في إطار إسلامي هو سعي موجه نحو تطور كائن بشري مدرك لله. تطور شخصية متزنة وملتزمة وقادرة على العمل، وأن تكون شاهدة على حقيقة الجنس البشري.(٨) وهذا يعني عند خورشيد - بلغة سياسة عينية ملموسة - أن تطور الوسائل البشرية - التعليم، التدريب المهني، تحسين جودة الحياة - هي هدف سياسة التنمية.

وفي هذا المنظور، في الوقت الذي لا تُرفض فيه برامج التصنيع، فإن السياسات التي تعتبر التصنيع العنصر القائد في التنمية لا تعد سياسات ملائمة؛ إذ يجب وضع القطاع الصناعي في محيط أوسع للظروف المؤدية إلى عدالة اقتصادية واجتماعية لجميع المواطنين في المجتمع. فالملكية يمكن امتلاكها واستعمالها للاستثمار، ولكن لا يمكن في النموذج الإسلامي أن تستعمل لانتهاز الربح واستغلال الآخرين ممن قد يكونون معوزين.

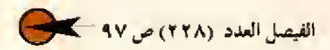
ويكون التشديد بهذا الأسلوب على تخطيط يأخذ في الحسبان أن الله شهيد. كما ينظر أيضا بهذا الأسلوب إلى الدور الاقتصادي للكائنات البشرية. ففي التحليل الاقتصادي الإسلامي لا يُعد الإنسان الاقتصادي وحدة التشغيل الأساسية؛ بل يُنظر إلى الناس على أنهم العملاء المباشرون، أو ممثلو الله في خلقه. إن مفهوم المسلمين بكونهم خلفاء الله هو جزء مهم من تقديم خورشيد للاقتصاد الإسلامي. فالخلافة بالنسبة إليه هي المفهوم الإسلامي الوحيد لأمانة الإنسان في مصطلحات الأخلاق والسياسة والاقتصاد(٩). إنها مصدر النداء الباطني للمسلم ورسالته.

«إن هذا يرفع الإنسان إلى مرتبة نبيلة وجليلة ليكون خليفة الله في الأرض. وليهب حياته هدفا رفيعا ألا وهو إنجاز إرادة الله على الأرض. وهذا سيحل المشكلات المحيِّرة للمجتمع البشري ويقيم نظاما جديدا يسود فيه الإنصاف والعدل ويسمو السلام والرفاه»(١٠).

يقدم مفهوم الخلافة الأساس لإنشاء نسق اقتصادي يحل فيه التعاون والالتزامات المتبادلة محل التنافس من حيث كونه المظهر المهيمن على التفاعل المتبادل للاقتصاد البشري. وهكذا يؤكد الاقتصاد الإسلامي - كما عرّفه المودودي وخورشيد - على أن الملكية الخاصة هي جزء من مسؤوليات إدارة العميل البشري. إن فعاليّي المذهب والمثقفين كلهم يعترفون بذلك ويقبلون بإمكان وجود تنافس وأعمال ناجحة متباينة في الحصول على البضائع المادية.

ففي هذا الإطار يرفض خورشيد مفهوم الملكية الخاصة التي تتيح حقا مطلقا لمالك في إدارة الملكية بأي طريقة كانت. (كما يرى بأن النسق الاشتراكي الذي تؤمم فيه جميع وسائل الإنتاج هو بمثابة تهديد للمبادرة البشرية)، وهو بدلاً من ذلك يناقش المسألة قائلاً:

«تكمن أهم مساهمة للإسلام في حقل الاقتصاد



في تغيير مفهوم الملكية. وليس لأحد الحق في هدم الملكية. وإذا ما أسيء استعمالها فتجوز إزالتها. وإذا لم يكن بها من حاجة فيجب أن تعطى للغير»(١١).

إن الملكية بعبارة أخرى هي خلافة ملكية الله وليست حقا مطلقا للإنسان الفرد. إن مفهوم الخلافة يعني أن أولئك الذين ينجحون في جمع الثروة، يجب أن يقوموا بذلك دون إلحاق الأذى بالآخرين، وأن يستعملوا تلك الثروة عندئذ لمساعدة الكائنات البشرية الأخرى.

«إن بعض أكثر الجوانب المألوفة لعلم الاقتصاد الإسلامي كضريبة الأفراد على المسلمين أو العُشْر (الزكاة)، وتحريم الربا هي جزء من الواجبات الدينية أو الفروض. إن أحد أركان الإسلام الخمسة هو بذل دعم خيري إلى الأقل حظاً. الزكاة هي الفرض الإلزامي...على الثروة المتراكمة، والبضائع التجارية، ومختلف أشكال العمل، والنتاج الزراعي، والماشية. والغرض منها إنشاء اعتماد مالي لدعم الطبقات الضعيفة والمستضعفة اقتصادياً»(١٢).

وبالمثل فإن التحريم الإسلامي المعروف للربا، والذي تضمن تقليديا الفائدة المصرفية، يعتمد على الواجب الإجمالي للمسلمين على مساعدة الواحد للآخر. وقد ناقش المودودي وخورشيد هذا الأمر متوصلين إلى أن للفائدة تأثيرات ضارة.

«ينمي الربا الفاحش البخلَ والشحَّ والأنانيةَ وقسوةَ الفؤاد واللا إنسانية والجشعَ المالي في شخصية الإنسان... إنه يزيد من الميل بين الناس إلى تخزين المال وصرفه في سبيل زيادة فائدتهم الخاصة فقط. وهو يضيِّق من السيولة الحرة للثروة في المجتمع، ويحوِّل سيولة المال من الفقير إلى الغني»(١٣).

فبهذا الأسلوب تتقوض وظيفة خلافة الإنسان في خيرات الله. وميزة عظمى أخرى للاقتصاد الإسلامي كما طُوِّرت في السنين الحديثة هي كونه اقتصادا مبرمجا على نحو واعٍ. إن المناقشات السابقة التي رمت إلى تقديم «التعاليم الاقتصادية للإسلام» قد نحت إلى البقاء في عالم النظرية. وكان الكثير من أمر العقد والربط في أيدي الموجهين التقليديين (العلماء) الذين لم يكونوا يمارسون دور رجال الأعمال أو موظفي الحكومة. ولكن بازدياد انهماك الاقتصاديين المهنيين من أمثال خورشيد أحمد في المناظرات فقد زاد التشديد على المشاريع الفعلية وليس على العقيدة. كان خورشيد مثلاً أحد طلائع المدافعين عن المصارف الإسلامية والمؤسسات المالية، وقد قام بدور مهم في إقامتها ونموها السريع. ففي العقد الماضي أنشئ أكثر من مئة مصرف إسلامي أو مجموعة استثمارية في أنحاء مختلفة وعديدة من العالم مع بعض الدرجات العالية نسبيا من النجاح وقابلية الربح(١٤)، وما مذهب الفعالية المبرمج هذا إلا جزء مهم من انبثاق علم الاقتصاد الإسلامي.

وميزة عظمى أخيرة للاقتصاد الإسلامي كما تطورت في عمل خورشيد أحمد؛ هي أنه نظام معرفة موجِّه القيم على نحو واعٍ ذاتياً. يرفض خورشيد ـ مثله مثل العديد من العلميين الاجتماعيين المسلمين ـ فكرة أن التحليل الاقتصادي يمكن أن يحتل مكانا في «جو من الموضوعية الوضعية ومن الحياد القيمي التام. إن جل التفكير الاقتصادي الذي يتنكّر بالحياد القيمي يُثبتُ في النهاية غير ذلك عند المزيد من التمحيص الدقيق». إن تجربة العديدين من المسلمين مع مخططي الاقتصاد والمحللين الغربيين على مدى العقود القليلة الماضية قد أفضت إلى توكيد هذا الاعتقاد. ويغدو التعهد القيمي لما هو معروف باسم التحليل الاقتصادي الغربي المتحرر من القيم تعهدا ظاهريا عند تطبيقه على المضامين غير الغربية.

يعتقد الاقتصاديون المسلمون مثل خورشيد أحمد اعتقادا جازما بأن الاقتصاد ليس نظام معرفة أكاديمية متحررا من القيم. إنهم يدركون بأن الجهد اللازم لتطوير نسق من التحليل متحرر من القيم هو في أحسن الأحوال جهد مضاد للإنتاج، وفي أسوئها جهد شيطاني. إنهم يعتقدون بأن لدى الاقتصاديين مسؤولية أخلاقية للعمل من أجل العدالة الاقتصادية وتحسين الإنسانية وإصلاحها. وهذا يشير عندئذ إلى ميزة إيجابية للاقتصاد الإسلامي.

تكمن المأثرة العظمى للإسلام في صنع حياة الإنسان بجهد هادف وموجه بالقيم. إن التحويل الذي يُبحث عن إحداثه في المواقف البشرية بخطى متساوية هو أن على العلوم الاجتماعية أن تنقلها من وقفة حياد قيمي كاذب نحو تعهد وإنجاز قيميين ظاهرين ومفتوحين(١٥).

وبهذا الأسلوب تعكس نهضة الاقتصاد الإسلامي رفضا لبعض الافتراضات الأساسية للثقافة الغربية التقليدية وذلك عندما تبدي ابتعادا عن استقرابات المسلمين التقليدية للمواضيع الاقتصادية. ويرى خورشيد عمله بمنزلة رسالة، رسالة لجلب المزيد من الإدراك المبرمج الفعال إلى المسلمين، والاعتراف بأهمية الالتزام القيمي للاقتصاديين في جميع المجتمعات. لقد تم الاعتراف له بمأثرته للإسلام ولحقل علم الاقتصاد الإسلامي في أواخر الثمانينيات عندما حاز على جائزة مصرف التنمية الإسلامي الأولى في علم الاقتصاد وعلى جائزة الملك فيصل العالمية لخدمة الإسلام.

إن الأفكار الأساسية لعلم الاقتصاد الإسلامي المعاصر تقود خورشيد أحمد إلى مركز اجتماعي رفيع في كونه العالم الاقتصادي المسلم الفعالي المذهب. إن الإسلام بالنسبة له وفي علم الاقتصاد الإسلامي هو نسق شامل لا يمكن رؤية قطاع فيه على أنّه مستقل بذاته. وتقدِّمُ مفاهيمه الأساسية للتوحيد والخلافة أساسا إدراكيا فعالا لنظام معرفة مبرمج وملتزم بالقيم، هذا النظام الذي يُمثل جزءا مهما من الحياة الفكرية المعاصرة ورسماً للسياسة في عالم المسلمين.

الهوامش:

(*) فاز بجائزة الملك فيصل العالمية لخدمة الإسلام عام ١٤١٠هـ (بالاشتراك مع الشيخ علي الطنطاوي). انظر العدد ١٥٨ من «الفيصل» ص١١٩ لمعرفة المزيد من التفاصيل عن حياته.

١- خورشيد أحمد "المدخل" في Islamic Economics: Annotated Sources In English And Urdu.

جمعها محمد أكرم خان (Leicester "England": The Islamic Foundation, 1983).

(**) الاستقراب Approch: تناول الموضوع من قرب ومن قريب لفهمه (المترجم).

٢- "المدخل" Contemporary Aspects of Economic Thinking in Islam (Indiana Polis: American Trust Publications, 1973) XV.

٣- انظر مثلاً الدراسة المهمة التي أجريت بأسلوب تقليدي نسبياً. عبد الحميد أبوسليمان: Abdul-Hamid A. Abu Sulayman "The Theory of The Economic of Islam" in "Contemporary Aspects, PP. 9-54.

٤- خورشيد أحمد، "Economic Development in An Islamic Framework" in "Islamic Perspectives, ed. Khorshid Ahmad and Zafar Ishaq Ansari. (Leicester-England): The Islamic Foundation, 1975/1395) 226.

٥- (مولانا) عبد الله مودردي "Economic System of Islam" ed Khorshid Ahmad (Lahor: Islamic Publications, 1984) 9.

٦- المصدر نفسه ص١٣.

٧- خورشيد أحمد The Religion of Islam, P. 16

٨- خورشيد أحمد "Economic Development" Islamic Perspectives, P. 232

٩- المصدر نفسه ص٢٣٠.

١٠- خورشيد أحمد The Religion of Islam, P. 8.

١١- "Movement That Tends To Shape its Own Future."Arabia: The Islamic World Review,No. 6 (February 1982): 54. (مقابلة مع خورشيد أحمد).

١٢- المودودي، Economic System, P. 91

١٣- المصدر نفسه ص ص١٦٥-١٦٦.

١٤- انظر مثلاً المقالة في ٨ شباط (فبراير) ١٩٨٨م The Christian Science Monitor

١٥- خورشيد أحمد "Economic Development" Islamic Perspectives, P. 22.



حفل التراث العربي بأنواع شتى من التأليف، فلم يدع المؤلفون موضوعاً لم يكتبوا فيه، فقد ألّفوا في الموضوعات الجادة في دقائق العلوم والفنون، ولم يغفلوا الموضوعات الطريفة، كما خصوا كل موضوع بتأليف، وكل مسألة بمصنف، وكل فن بكتاب أو رسالة، في جد أو هزل.

المذاكرة في ألقاب الشعراء

ظفرت ألقاب الشعراء وكناهم وأسماؤهم باهتمام دارسي الأدب والمهتمين بأخبار الشعراء وسيرهم وشعرهم في القديم والحديث، وأفرد المؤلفون كتبًا في ذلك، كما ذكر كثير من المؤلفين والمصنفين شيئًا من ذلك في ثنايا كتبهم وتضاعيف مؤلفاتهم.

وممن خصَّ ألقاب الشعراء بتصنيف وأفرده بتأليف أبو الفضل أسعد بن إبراهيم الشيباني الإربلي الكاتب، المعروف بالمجد النشابي، ولد بإربل سنة ٥٨٢هـ، وكان في أول أمره يعمل النُّشّاب، فنُسِبَ إليه، وبقيت النسبة عليه، وبعد أن تنقل في البلاد عاد إلى إربل متوليًا كتابة الإنشاء لمالكها مظفرالدين أبي سعيد كوكبورى بن بكتكين، ثم انتقل إلى بغداد وبقي فيها حتى دخول التتار، وتوفي بعد ذلك.

كان من الفضلاء الرؤساء الأعيان، وكان شاعرًا شكلت قصائده في مدح المنتصر بالله العباسي ديوانًا خاصًا وصل إلينا مخطوطًا.

ويبدأ الكتاب بفصل خاص بألقاب الشعراء ثم بالمعرقين من الشعراء، فالإخوة من الشعراء، ثم الشعراء من القواد والأمراء والوزراء، فشعراء الكتاب وشعراء عبيد العرب، فالإماء من شواعر النساء وفصل أخير خاص بالشعراء المجانين.

حقق الكتاب شاكر العاشور، وهو الذي رجح نسبة الكتاب إلى الإربلي؛ بل جزم باسم الكتاب والمؤلف. بدأ المؤلف كتابه بقوله: قال أبو عبيدة: الشعراء الجاهلية ثلاثة، امرؤ القيس والنابغة وزهير، وسنذكرهم ومَنْ بعدهم على أوجز مايكون من الاقتصار، وأحسن مايليق من الاختصار، فإن المذاكرة لا تحتمل الإسهاب والإضجار، ولم أذكر إلا النوادر الغريبة الحسان، ومن الشعراء الذين لم يعرفهم إلا القليل من الأعيان، وابتدأت بذكر الشعراء الملقبين، الذين منهم من لُقّب بشعر قاله، ومنهم من لُقّب بعلامة فيه، أو بظاهر من لونه، أو بمشهور من فعله، ومنهم ببلده أو بكنيته.

ـ وذكر المؤلف ممن سُمّي بشعر قاله: «مدرج الريح»، وهو شاعر جاهلي اسمه عامر بن المجنون الجرمي، ولُقّبَ بذلك لقوله:

أعَرَفْتَ رسمًا من سمية باللوى
درجت عليه الريح بعدك فاستوى

ويُروى عنه أنه لما عمل نصف هذا البيت أُرتج عليه، وأقام يكرّه مدة سنة، ولا يقدر يعمل له عجزًا، وكان قد دفن في نفس المنازل التي كان ينزلها دفينة، فذكرها وقال لجاريته أن تمضي وتخرج الخبيئة من تلك البرية والموضع الذي كان أعطاها علامته، فمضت الجارية وقد اختلفت الرياح على تلك الأراضي وعفَّت آثارها، فعادت ولم تجد شيئًا، فسألها عن الحال فقالت:

درجت عليه الريح بعدك فاستوى

فتمم بيته بهذا، وسُمي مدرج الريح.

ـ ومنهم: (عائد الكلب)، وهو عبدالله بن مصعب بن عبدالله بن الزبير، وإنما سُمّي عائد الكلب لقوله:

مالي مرضت فلم يعدْني عائد
منكم ويمرض كلبكم فأعود

ـ وممن لقب من الشعراء بعلامة من خَلْقه وبظاهر من لونه: (الأخضر)، وهو الفضل بن عباس بن عتبة بن أبي لهب، وإنما سمي الأخضر لأنه كان أدمًا شديد الأدمة، والأدم عند العرب الأخضر، ويسمون الأبيض أخضر، وسمي آدم عليه السلام لأنه كان أبيض، وقال الفضل:

وأنا الأخضر من يعرفني
أخضر الجلدة من نسل العرب

قال: والأخضر أيضًا في كلام العرب الأسود، ويسمون الليل: الأخضر، والماء: الأخضر، قال الراجز:

وعارض الليل إذا ما أخضرا

ولذلك سمي السواد لكثرة الأشجار وخضرتها.

ـ ومنهم: (أبو نواس)، واسمه الحسن بن هانئ الحكمي، ويكنى أبا علي، وإنما قيل له أبو نواس لذؤابة كانت في رأسه، والنواس الذؤابة، ومنه سمي ذو نواس، وقيل: سمي ذا نواس لضفيرتين كانتا تنوسان على عاتقه، والنوس: الحركة من كل شيء مُدلّى، وقال محمد بن يحيى المقرئ: سألت أبا نواس عن كنيته ما أراد بها، وهو نَواس بفتح النون أو نُواس بضمها؟ فقال: بضم النون، وكان سبب كنيتي أن رجلاً من جيراني بالبصرة دعى إخوانًا له، فأبطأ عليه واحد منهم، فخرج من بابه يطلب من يبعثه إليه، يستحثه، فوجدني ألعب مع الصبيان، وكانت لي ذؤابة في وسط رأسي، فصاح بي: ياحسن امض إلى فلان فجئني به، فمضيت أعدو و ذؤابتي تتحرك، فلما جئت بالرجل قال: أُحسنت يا أبا نواس، فشاعت هذه الكنية

قصة قصيرة:



الرجل الذي لم يبتسم!

بقلم: ياسوناري كاواباتا

ترجمة: كامل يوسف حسين

اتَّشحت السماء بظل غامر، وبدت مثل سطح آنية خزفية جميلة، ضاربة إلى الخضرة الشاحبة، أطللت من فراشي على نهر كامو، حيث اكتسى الماء عند حوافه بلون البكور.

على امتداد أسبوع مضى، تواصل تصوير الفيلم، خلال انتصاف الليل، لأن الممثل الذي يضطلع بالبطولة كان من المقرر أن يظهر في عرض مسرحي، في غضون عشرة أيام. وما كنتُ إلا المؤلف، لذا كان كل ما عليّ هو مراقبة التصوير على نحو عَرَضي. لكن جلد شفتي تشقق، واستبد بي التعب، إلى حد لم يكن بمقدوري معه مواصلة فتح عيني، حتى خلال وقوفي إلى جوار المصابيح المتوهجة إلى حد البياض. وقد عدت إلى غرفتي بالفندق، في ذلك الصباح، حوالي الوقت الذي تشرع فيه النجوم في الاختفاء.

غير أن السماء ذات اللون الأخضر الشاحب أنعشتني، وأحسست بأن حلمًا جميلاً من أحلام اليقظة يوشك على التشكل.

في البداية توارد إلى خاطري مشهد شارع سيجو، وكنت في اليوم السابق قد تناولت طعام الغداء في كيكوسوي، وهو مطعم على الطراز الغربي قرب أوهاشي. لاحت الجبال، أمام ناظريّ. واستطعت رؤية خضرة الأشجار الجديدة في هيجاشياما، خارج نافذة الطابق الثالث. وكان ذلك أمراً متوقعًا، ولكن بالنسبة لي، أنا الذي قدمت، لتوّي، من طوكيو، كان أمراً جديداً، على نحو يدعو للانتفاض، وعقب ذلك استعدتُ ذكرى قناع كنت قد رأيته معروضًا في واجهة أحد حوانيت التحف. وكان قناعًا عتيقًا، باسمًا.

- هو ذا ملك يميني. عثرت على حلم يقظة جميل.

همست بها، وقد استبدّت بي النشوة، فيما اجتذبت ورقة بيضاء، مما تدوّن فيها الملاحظات، وجمعت أطراف حلم اليقظة، فحولته إلى كلمات. وأعدت كتابة المشهد الأخير في (سيناريو) الفيلم. وعندما انتهيت أضفت رسالة إلى المخرج:

«لسوف أجعل المشهد الأخير حلم يقظة. ستظهر في شتى أرجاء الشاشة أقنعة رقيقة باسمة. ولما لم يكن بمقدوري أن آمل في إظهار ابتسامة متألقة في نهاية هذه القصة الكئيبة، فإن بوسعي، على الأقل، أن أسدل على الواقع قناعًا جميلاً باسمًا».

مضيت بالمخطوط إلى الاستوديو. وكان الشيء الوحيد الموجود في المكتب جريدة الصباح، وقد عكفت المرأة العاملة في المقصف على تنظيف النشارة أمام غرفة المواد التي يستعان بها في الإخراج.

- هلا تركت هذا إلى جوار فراش المخرج؟!

تجري أحداث هذا الفيلم في مستشفى للأمراض العقلية، وقد بعث الألم في نفسي أن أرى الحياة التعسة التي يعيشها المجانين، الذين نصورهم كل يوم.

وكنت قد بدأت في الاعتقاد بأنني سأشعر باليأس، ما لم أستطع بشكل من الأشكال أن أضيف نهاية مشرقة. وساورني خوف من أنني لم أستطع العثور على نهاية سعيدة لأن شخصيتي أكثر كآبة من أن تحقق هذا.

لذا فقد ابتهجت لأنني فكرت في الأقنعة. وداخلني شعور سار، عندما تصورت من في مستشفى الأمراض العقلية عن بكرة أبيهم وهم يضعون على وجوههم أقنعة ضاحكة.

تألّق سقف الاستوديو باللون الأخضر. وكان لون السماء قد أشرق مع مقدم نور النهار، وأحسست بالارتياح، ومضيت عائداً إلى غرفتي، وغرقت في نوم عميق.

عاد الرجل الذي مضى لابتياع الأقنعة إلى الاستوديو، في حوالي الساعة الحادية عشرة من تلك الليلة.

- تجولت في كل محال الألعاب في كيوتو، منذ الصباح، ولكن لا وجود لأقنعة جيدة في أي مكان.

- دعني ألقي نظرة على ما أحضرته!

أصابني شعور بخيبة الأمل، عندما فتحت اللفافة.

- هذا؟ طيب..

- أعرف. إنها لن تجدي نفعًا. ظننت أنني سيكون بوسعي العثور على أقنعة في أي مكان. وأنا واثق من أنني رأيتها في كل أنواع المحال، لكن هذا هو الشيء الوحيد الذي استطعت جلبه، بعد بحث دام طوال النهار.

- ما تصورته هو شيء يشبه قناع مسرح النو. وإذا

لم يكن القناع نفسه عملاً فنيًا، فإنه سيبدو مثيرًا للسخرية في الفيلم.

قلتها، وأحسست كأنني مقدم على البكاء، فيما أمسكت في يدي بقناع المهرج الورقي الذي يلهو به الأطفال.

ـ ضع في الاعتبار عنصرًا واحدًا، هذا اللون سيبدو كالأسود الناصل لدى تصويره. وإذا لم تكن للقناع ابتسامة أكثر رقة مع بريق مائل للبياض يعلو البشرة، فإنه...

برز اللسان الأحمر من الوجه البني اللون،

ـ إنهم يجربون الطلاء الأبيض عليه الآن في المكتب.

كان تصوير الفيلم قد توقف مؤقتًا، وهكذا خرج المخرج بدوره من مشهد قاعة المستشفى، وحدق في الجميع، وضحك. لم يكن هناك سبيل لجمع ما يكفي من الأقنعة، وتَعيّن عليهم أن يصوروا المشهد الأخير في الغد. وإذا لم يكن بإمكانهم الحصول على أقنعة عتيقة فقد أراد على الأقل أقنعة من السليوليد.

ـ إذا لم تكن هناك أي أقنعة فنية، فمن الخير لنا أن نتخلى عن الأمر.

قالها رجل من قسم (السيناريو)، ربما في معرض التعاطف مع شعوري بخيبة الأمل.

ـ هل لنا في الانطلاق للبحث مرة أخيرة؟ الساعة لم تتجاوز الحادية عشرة، وربما مازالوا مستيقظين في كايوجوكو.

ـ هل لك في ذلك؟

انطلقنا بالسيارة مسرعين، على امتداد جسور نهر كامو. انعكست الأضواء المشعة من نوافذ المستشفى الجامعي، القائم على الضفة المقابلة على الماء. ولم أستطع تصور أن هناك الكثير من المرضى يعانون الآلام في المستشفى، مع وجود كل هاتيك النوافذ المشعة على نحو جميل، ورحت أتساءل عما إذا كان بإمكاننا عرض الأضواء المشعة في نوافذ المستشفى بدلاً من الأقنعة، إذا لم نستطع العثور على الأقنعة المناسبة.

مضينا إلى كل متجر من متاجر اللعب في شنكايوجوكو، فيما كانت تشرع في إغلاق أبوابها. عرفنا أن الموقف لا أمل فيه. ابتعنا عشرين قناعًا من أقنعة السلاحف. وكانت لطيفة، ولكنها لايمكن أن توصف بأنها أقنعة فنية. وكان شارع شيجو قد أغفى بالفعل.

قال رجل قسم السيناريو، منعطفًا في زقاق:

ـ انتظر لحظة! هناك الكثير من المحال هنا تبيع أدوات المذابح البوذية، وأحسب أن لديها أيضًا أدوات مسرح «نُو».

ولكن لم يكن هناك شخص مستيقظ في الشارع. ورحت أختلس النظر إلى داخل المحال عبر الأبواب.

ـ سأعود مرة أخرى في حوالي السابعة صباحًا، وسوف أسهر الليل كله على أي حال.

قلت:

ـ سآتي معك بدوري، أرجو أن توقظني!

ولكنه في اليوم التالي مضى بمفرده. وعندما استيقظت كانوا قد شرعوا بالفعل في تصوير الأقنعة. فقد عثروا على خمسة منها، استخدمت في عروض موسيقية قديمة. وكانت فكرتي تدور حول استخدام عشرين أو ثلاثين قناعًا من النوع نفسه، ولكنني أحسست بالارتياح، وقد تأثرت بما يمكن أن يكون عليه الحال حين تطفو الابتسامات الرقيقة لتلك الأقنعة الخمسة، وأحسست بأنني قد قمت بمسؤوليتي حيال المجانين.

ـ لقد استأجرتها، لأنها كانت أغلى من أن أشتريها، وإذا لوثتموها فلا سبيل إلى إعادتها، لذا عليكم أن تلزموا الحرص!

بعد حديث رجل قسم (السيناريو)، غسل الممثلون جميعًا أيديهم، والتقطوا الأقنعة بأطراف أصابعهم، وحدّقوا فيها، كأنهم يتأملون كنزًا.

ـ لو أنها غُسلت فإن الطلاء سيتقشر. أليس كذلك؟

ـ طيب سأشتريها، إذن.

لقد أردتُ الأقنعة بالفعل. وغرقت في حلم يقظة، كأنني أنتظر المستقبل، عندما يغدو العالم متناسقًا، وتبدو وجوه الناس جميعًا بالقدر ذاته من الرقة والتهذيب، كهذه الأقنعة.

ما إن عدت إلى داري في طوكيو، حتى مضيت مباشرة إلى غرفة زوجتي بالمستشفى.

ضحك الأطفال مبتهجين، وهم يضعون الأقنعة على وجوههم، واحدًا إثر الآخر. ساورني شعور غامض بالرضا.

ـ بابا، ضع أحدها على وجهك.

ـ لا.

ـ ضع أحدها، لطفًا!

ـ لا.

ـ ضع أحدها!

نهض ابني الثاني واقفًا، وحاول رفع القناع ووضعه على وجهي. صحت به:

ـ توقف!

أنقذتني زوجتي من هذه اللحظة الحافلة بالارتباك، قالت:

ـ هاكم، لسوف أضع أحدها على وجهي.

وسط ضحك الأطفال، كساني الشحوب.

ـ ما الذي تفعلينه؟ أنت مريضة!

كم هي فظيعة رؤية هذا القناع الضاحك على وجهها وهي في فراش مرضها!

عندما نزعت القناع، تحول تنفسها إلى لهاث، ولكن ذلك لم يكن ما أدخل الشعور بالذهول والفزع في نفسي. ففي اللحظة التي نزعت فيها القناع بدا وجهها قبيحًا على نحو ما. تندّت بشرتي، مكتسية بالعرق، فيما رحت أحدق في الوجه، الذي كساه الإعياء. وقد صدمت إزاء اكتشاف وجه زوجتي للمرة الأولى.

كان قد احتواها، على امتداد ثلاث دقائق، تعبير القناع الجميل، الهادئ، الباسم، ومن ثم كان بمقدوري الآن أن أدرك قبح محياها للمرة الأولى. ولكن لا، ليس القبح، وإنما بالأحرى التعبير المفعم ألمًا، الذي يعلو وجهًا سحقه سوء الطالع. وبعد أن حجب القناع الجميل وجهها تكشّف عن ظل الحياة التعسة هذا.

ـ بابا، ضع القناع على وجهك!

عاود الأطفال الإلحاف:

ـ الآن حان دور بابا.

ـ لا.

قلتها، وانبعثت واقفًا. فلو أنني وضعت القناع على وجهي، ثم نزعته، لبدوت لزوجتي كائنًا قبيحًا. ساورني الخوف من القناع الجميل. وأثار فيّ هذا الخوف شكوكًا حول أن وجه زوجتي الهادئ الباسم أبدًا قد يكون هو ذاته قناعًا، أو أن ابتسامة زوجتي قد تكون مصطنعة، تمامًا كالقناع.

القناع ليس شيئًا جيدًا. والفن ليس شيئًا جيدًا.

كتبت برقية لأبعث بها إلى الاستوديو في كيوتو:

«احذفوا مشهد القناع!».

ثم مزقت البرقية، فغدت وريقات ضئيلة.

كاواباتا في سطور:

ـ أول أديب ياباني يفوز بجائزة نوبل للأدب (١٩٦٨م)، وقد ولد في أوساكا في العام ١٨٩٩م، ورحل عن عالمنا في العام ١٩٧٢م.

فقد معظم أفراد عائلته في مرحلة مبكرة من عمره، مما ترك بصمة قوية على أعماله.

تخرج في جامعة طوكيو في العام ١٩٢٤م بعد دراسة معمقة للأدب.

أسهم في إصدار عدد من أهم المجلات الأدبية، وقدم العديد من الأعمال التي كفلت إشادة النقاد بمكانته ونزعته الغنائية الفريدة وإسهامه في إثراء الأدب الياباني بأسلوب شاعري ممزوج بحساسية مرهفة، مع نوع من النظرة التأملية الهادئة المطلة على الإنسانية من بعد في استشراف شفيف.

ترجم له عبد الرزاق جعفر روايته «البحيرة»، وماري طوق روايته الفاتنة «الجميلات النائمات»، وبسام حجار مجموعته «راقصة إيزو»، ولطيفة الدليمي روايته «بلاد الثلوج». لم نترجم كتابًا من أعماله نظرًا لتعدد ماتُرجم من روائعه إلى العربية. ومع ذلك نشرنا في مجلة «شؤون أدبية» ترجمتنا لروايته القصيرة «البدء» المنتمية لمرحلته السوريالية التي يجهلها الكثيرون (المترجم).

من عقائد الأمم السابقة:

أرباب الأولمب الأسطوريون عند الإغريق

علي جمعة الخويلد

حفل تاريخ العقيدة في بلاد اليونان بشتى أنواع العقائد البدائية قبل أرباب الأولمب(١) الذين خُلِّدوا في أشعار هوميروس؛ فهم قد عبدوا الأسلاف والطواطم(٢) ومظاهر الطبيعة وأعضاء التناسل، ومزجوا هذه العبادات جميعا بطلاسم السحر والشعوذة، واستمدوا من جزيرة كريت عبادة النيازك وحجارة الرواسب التي شاعت بين أهل الجزيرة من أقدم عصورها البركانية، فرمزوا بها إلى أرباب البراكين والعوالم السفلية واتخذها بعضهم طواطم ينتسبون إليها انتساب الأبناء إلى الآباء(٣).

ولم تنشأ الحضارة اليونانية ـ شأنها في ذلك شأن غيرها من الحضارات ـ من تربة يونانية مستقلة لا صلة لها ببلدان أخرى أو حضارات سابقة، فقبل الحضارة اليونانية بآلاف السنين كانت هناك مدنيات وحضارات مزدهرة كالمصرية والسومرية والفينيقية والهندية والصينية(٤).

ولما شاعت بين الإغريق عبارة «أرباب الأولمب» كان من الواضح أنها أرباب مستعارة من الأمم التي سبقتهم إلى الحضارة وتنظيم العبادات. فالإله زيوس Zeus أكبر أرباب الأولمب هو الإله ديوس Dyaus المعروف في الديانة الهندية الآرية القديمة.

والربة أرتميس Artemis ومثلها أفروديت Aphrodite أو فينوس Venus هي الربة عشتار Ishtarâ البابلية، والربة ديميتر Demeter هي إزيس المصرية كما قال هيرودوت (٥)؛ وهي واحدة من أرباب كثيرة تشابهت عبادتها في بلاد الإغريق وعبادتها بين قدماء المصريين(٦).

وقد ترقَّى اليونان في تصور صفات الأرباب خلال العصور التاريخية؛ فعبدوها قبل الميلاد ببضعة قرون وهي على أسوأ مثال من العيوب الإنسانية، وعبدوها بعد ذلك وهي تترقى إلى الكمال وتقترب من فكرة التنزيه التي سبقهم إليها المصريون والهنود والفرس والعبرانيون.

وآلهة الأولمب مراتب ودرجات فمنها زيوس Zeus والأحد عشر الكبار معه: بوزيدون Poseidon و ديميتر Demeter و هيرا Hera و أفروديت Aphrodite و هستيا Hestia و هيفاستوس Hephaestus وهرميس Hermes و آرس Ares و أبوللو Apollo و أثينا Athena و أرتيميس Artemis. وفي منزلة ثانية يأتي بعدهم: تيميس وإيوس وهيليوس وسليني وليتو وديوني وديونيسوس(٧).

وإذا خطر ببال هؤلاء أن يتمردوا أو يتآمروا أو يتألبوا على زيوس مولى الجميع؛ فإنه يقمعهم بعنف وقسوة ويبطش بهم بشدة ويحذرهم بصراحة: «ألا فلْيُذْعِنِ الأرباب لمشيئتي.. وإلا قبضت عليهم ودحرتَهم إلى ظلمات التارتروس Tartaros(٨) ومن شاء أن يمتحن قوتي فليحاول.. أيها الآلهة والإلهات خذوا سلاسل من ذهب وجُرُّوا زيوس ماشئتم فلن تحدروه إلى الأرض ولكني إذا شئت أسحبكم بدوري...وأدع الكل معلقاً في الفضاء...».

ومن مميزات الآلهة أن يتخذوا من الأشكال مايشاؤون، وأن يبدوا بهيئة البشر أو الحيوانات وحتى الجماد، ويتخلقون بأخلاق البشر وينحرفون انحرافاتهم، وفي سمائهم الأولمبية يقضون أيامهم في الولائم يتذوقون العنبر ويشمون روائح الذبائح والأضاحي التي يقدمها لهم البشر ويطربون بأنغام الشاديات»(٩).

وسوف نمر مرورا سريعا على بعض هؤلاء الذين دعوهم بالآلهة لنعطي فكرة بسيطة عنهم:

١- زيوس Zeus: هو ابن كرونوس Cronus(١٠) الذي خلع أباه عن عرش السماء وجلس عليه في مكانه كرب الأرباب وملك الأولمبوس. واسم زيوس يعني الساطع أو اللامع، وهو إله السماء والطقس في الأصل، ولكنه أصبح مرتبطاً في الأساطير وطقوس العبادة بكل أوجه الحياة البشرية، فهو يوزع الأقدار الطيبة والخبيثة، وهو حامي الأبوة،



معبد «البارثينون» أحد معابد أرباب الأولمب المزعومة في مدينة أثينا

وهو الإله المنقذ وواهب القوانين، يعلم الغيب وينبئ البشرية أحياناً ويشرف على سير العدالة، فينزل العقاب بالمعتدين الآثمين، ويحمي المنزل والموقد والممتلكات كافة، ويرعى حقوق الضيافة والحرية(١١).

ومع أنه حارس الأسر وصائن الزواج؛ فقد خاض قبل زواجه الرسمي بـ «هيرا» مغامرات غرامية لا تحصى مع الإلهات والجنيات والبشريات، ولم تنته بعد اقترانه بها، فمع الإلهات: اقترن زيوس لأول مرة بميتس Metis إلهة الحكمة والدهاء التي كانت تعلم كل شيء ويفوق علمها علم الآلهة والبشر معا. فأشار عليه جده أورانوس بأن يبتلع قرينته لئلا تنجب له ابنا يفوقه فهما واقتدارا يقصيه عن العرش، فلما قرب ميعاد الولادة راح يتودد إلى ميتس حتى أغراها بمعسول الكلام وابتلعها هي وجنينها.

واتخذ خليلة له عمته تيموس إلهة العدل والإنصاف فولدت له الساعات التي تسهر على تعاقب الأيام والفصول وغيرها.

واقترن رب الأرباب بأخته هيرا على زمن أبيه كرونوس قبل أن يغتصب الملك لنفسه، فقد هام بها ولكنه خشي ألا تبادله المحبة، فأتاها أيام الشتاء على هيئة بلبل جميل ترتجف فرائصه من شدة البرد، فرمقته الإلهة برفق، وضمته إلى صدرها في حنان، وراحت توليه آيات عطفها وتداعبه كل مداعبة، فمثل أمامها عندئذ كما هو، وأبدى لها شغفه ووجده، فمازالت الإلهة تصده حتى وعدها بالزواج، وتم اقترانه بها في محفل الآلهة بأبهة وحفاوة بالغة.

ولم يمنعه زواجه الحافل في ديار الآلهة من متابعة مغامراته ومواصلة خديعة زوجته وملاحقة الإلهات والغانيات(١٢).

٢- هيرا Hera: اسمها يعني السيدة «سيدة السماء»، وهي زوجة زيوس، وراعية الزواج والأسرة، وأم هيفاستوس أنجبته وحدها في لحظة غضب فكان شائها(١٣). وقد عبدوها في البدء على المشارف وقمم الجبال، وغدت مع الأيام مثالاً أسمى للمرأة، فشادوا لها المعابد، وخصوصا في المدن كإسبرطة، وكانت تكره شعوب آسيا، وتحالف أعداءهم، وولدت لزيوس أربعة أولاد: آرس: إله الحرب، وهيفاستوس: إله الصناعة، وهيفي: إلهة الشباب في أصفى رونقه وروعته، وإليثيا: ربة الولادة.

٣- أثينا Athena: «إلهة الطهر»، وهي بنت زيوس من زوجته ميتس Metis التي ابتلعها خوفاً من أن تنجب له ابنا أقوى منه كما كان هو بالنسبة لأبيه. وبعد ذلك ولدت أثينا من رأس أبيها بعد أن أصيب بصداع شديد(١٤).

وأثينا هي الربة الحامية للمدن بصفة عامة، ولمدينة أثينا بصفة خاصة، تظهر في الرسوم والتماثيل كإلهة ذات جمال صارم، وتوصف في العادة على أنها ذات العيون الزرقاء.

وبلاس Pallas لقب من ألقاب أثينا شاع منذ هوميروس، ذلك أن الجبار بلاس حاول مغازلتها فقتلته وأضافت اسمه إلى اسمها ليكون نذيرا لغيره من الخُطّاب، وهكذا ظلت أثينا عذراء(١٥).

٤- أبوللو Phoebus-Apollo: «أبوللو المطهر»، والمركز الرئيس لعبادته مزدوج، فهو يوجد في ديلوس Delos وفي دلفي Delphi(١٦)، كما أنه يرتبط ارتباطاً مزدوجاً بالشمال والشرق، وهذا يشير إلى أصله المركب. ويوحي لقب فوبس بأنه إله الشمس الذي يرسل أشعته فتنشر الوباء كالسهام، والذي يستطيع أن يعالج الطاعون كما يستطيع أن يأتي به. ولقد أشرف في العصور الكلاسيكية على الثقافة بمعناها الواسع: الموسيقى والأدب والفكر الراقي(١٧).

ولقد أحب أبوللو نظير أبيه جنيات كثيرات من عرائس الغدران والوديان، وبشريات كثيرات من بنات الملوك الأميرات، ولا يعرف له قرينة خاصة لأنه كان شاباً طائشاً.

٥- أرتميس Artemis: إلهة من آلهة الحقول وتتلاقى في ذلك وأخاها أبوللو فهي ربة الصيد العذراء وإلهة الغابات، وحيوانها المفضل هو الدب، وهي إلهة النور والضياء، ضياء القمر في الليالي القمراء، وتحمل القوس والجعبة وترسل نبالها الصائبة المهلكة، ولكنها تغمر بالخير والإنعام كل الذين يكرمونها بالإضافة إلى امتيازاتها، فهي مع إليثيا الإلهة القابلة تسهل ولادة من يدعوها من النساء وبستغيث بها.

وأصبح معبدها في أفيسوس إحدى عجائب الدنيا، ومن هناك وصلت إلى جزيرة ديلوس Delos ثم إلى أركاديا Arcadia.

٦- هرميس Hermes: «ساعي الآلهة ورسولهم» ابن زيوس ومايا، ولد على جبل كيلليني في أركاديا. يُعبد على أنه إله الحظ والثروة وراعي التجارة واللصوص، كما أنه إله الخصوبة أيضا وحارس الطرق ورسول الآلهة.

واسم هرمبس مشتق من لفظ Herma أو هرمايون Hermaion بمعنى كومة من الحجارة أو نصب حجري، وكانت الأكوام الحجرية تستخدم كعلامات على جوانب الطريق تحديدا لها وهداية للمسافرين(١٨).

٧- آرس Ares: هو إله الحرب في أساطير اليونان وعشيق أفروديت إلهة الحب والجمال زوجة هيفاستوس. شاهدهما «هيليوس» إله الشمس فأخبر الزوج. وآرس عند اليونان هو نفسه الإله مارس عند الرومان، وأصل هذا الإله من تراقيا وهي الآن بلاد القرم في شمال البحر الأسود وجزء كبير من جنوب روسيا، وقد أحبه في القدم أهل تلك الأمصار؛ لأنهم كانوا شعوبا وقبائل تميل إلى الحروب والفتوحات، وقد أكرمه اليونانيون أيضاً عن خوف لا عن محبة، وشادوا له الهياكل والمعابد في أثينا وإسبرطة وأولمبيا(١٩).

هيفاستوس Hephaestus: «إله الصناعة» انطلقت عبادته من آسيا الصغرى ثم بلاد اليونان الصغرى والكبري وخصوصاً جزيرة صقلية.

هذا الإله عندهم هو إله النور والنار والبروق، وهو صانع ماهر يتقن غاية الإتقان صنع المعادن على اختلافها، ويتفنن في صوغها ويبلغ من فنه فيها حدود الإبداع والإعجاز. أفروديت Aphrodite أو الزهرة: إلهة الجمال والحب والجنس عند اليونان، وهي نفسها فينوس عند الرومان، ولدت من زبد البحر (Aphros=زبد)، أو الأعضاء الجنسية لأورانوس إله السماء بعد أن قتله ابنه كرونوس وألقاه في البحر.

وأصل الزهرة في الغالب الأعم شرقي فينيقي، وعدها الأقدمون إلهة الحب المثالي في طهره وصفوه وقداسته.

كانت تسهر على الزواج وتقرب سبل عقده، ولذا أكرمتها العذارى والأرامل والتمسن منها أزواجا أماثل، وأهم مراكزها جزيرة كريت ومدينة بافوس Paphos(٢٠).

بوزيدون Poseidon: «إله البحر والخصب»، يقال إن هذا الإله من أصل ليبي، ولكن الأصح أنه إله يوناني قديم، نقلوا عبادته من شبه جزيرتهم إلى سواحل آسيا الصغرى، والحيوانات التى خصوا بها بوزيدون هي الحيتان والخيل والثيران. وفي بعض أعياده «الأعياد الثورية»، كانوا يزجون في لجة البحر بعضا من الثيران السوداء تقدمة زكية لإله البحر(٢١).

هستيا Hestia: «ربة المدفأة والمنزل». إن هستيا إلهة قديمة عريقة في القدم، وهي علاوة على ذلك إلهة وادعة حليمة محببة وهي نقطة الثقل في البيت وواسطة العقد في عناصر حياة الأسرة، لذا أحب الجميع إلهة المدفأة، فحول المدفأة تجتمع الأسرة وهي التي جمعت شملها. وقد شادوا لها هياكل مستديرة، وتمثلوها بهيئة سيدة كريمة رزينة جليلة أسبلت رداءها الفضفاض إلى القدمين، وغطت رأسها بوشاح تهدل فوق الكتفين(٢٢).

وفي هذه العجالة لن نستطيع أن نسرد كل أسماء



الطواطم، استعارها اليونانيون من عقائد الأمم الأخرى، وعبدوها قبل أن يبتدعوا أرباب الأولمب

الآلهة فهناك آلهة الأرض والماء والفلك والهواء وحياة الإنسان والجحيم. وقد قال أرسطو: «إن العامل يعمل على شبهه ومثاله». وذاك الشعب في تعشقه الفن والجمال أضفى على آلهته من سحر فنه سحرًا شجيًا ومن سمو أدبه سموًا رائعا بهيًا، ومع أنه ألبس آلهته ضعفه البشري؛ فقد وشحها أيضاً بأسمى العواطف الإنسانية وأرقى النزعات البشرية؛ كحب النظام والعدالة والميل الفطري إلى العفة والطهارة والتعلق بقداسة الأسرة وتقدير العمل.

وكما يسوّون - من باب المماثلة - بين صورهم وصور الآلهة، يسوون كذلك بين عيشهم وعيش الآلهة، ويضيف فيلسوف آخر: «لو كانت الخيل عاقلة لتمثلت الآلهة بهيئة الخيل».

وصدق الله تعالى القائل في محكم تنزيله: ﴿أأربابٌ متفرقون خيرٌ أم الله الواحد القهار. ماتعبدون من دونه إلاّ أسماءً سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان إن الحكمُ إلاّ لله أمَرَ ألاّ تعبدوا إلاّ إياه ذلك الدينُ القيِّمُ ولكنَّ أكثر الناس لا يعلمون﴾(يوسف: ٣٩-٤٠).

الهوامش:

١- الأولب (الأولمبوس) Olympos: يعد من أعلى جبال بلاد الإغريق، ويقع في أقصى شرق السلسلة الجبلية التي تشكل في مجموعها الحدود الشمالية لإقليم تساليا، اعتبرت الأساطير اليونانية هذا الجبل مقر الآلهة أي السماء. وعندما نقول الإله الأولمبي نعني به الإله الذي يسكن السماء تميزًا له من آلهة أخرى على الأرض أقل مرتبة وسلطانًا.

٢- الطواطم: مفردها طوطم Totem مشتقة من كلمة هندية الأصل تعني علاقة الدم بين الأخ وأخته، ثم أطلقت في الغالب على الحيوان الذي تنحدر منه العشيرة ويعد لحمه محرما كذلك تحرم الصّلات الجنسية بين أفراد الطوطم الواحد.

٣- عباس محمود العقاد، الله، كتاب الهلال، العدد٤٢، ١٩٥٤م، ص٩٤.

٤- مجلة الفيصل، العدد٢٠٧، رمضان ١٤١٤هـ، ص٩١.

٥- هيرودوت: (٤٨٤-٤٢٥ق.م) مؤرخ إغريقي ينحدر من أسرة كريمة، ولد في هاليكا أناسوس بآسيا الصغرى، زار بلاداً كثيرة، كانت مصر من بينها، أرخ للصراع بين الإغريق والفرس، وصفه شيشرون بأنه «أبو التاريخ».

٦- انظر «حضارات الوطن العربي كخلفية للمدنية اليونانية»، د. سامي سعيد الأحمد، منشورات اتحاد المؤرخين العرب، ١٩٨٠م.

٧- فؤاد جرجي بربارة، الأسطورة اليونانية، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، ١٩٦٦م ص٩٦.

٨ - التارتروس Tartaros: جزء من العالم السفلي وهو الجحيم الذي يعيش فيه المذنبون.

٩- الأسطورة اليونانية، ص٩٧-٩٨.

١٠- كرونوس Cronus: إله الزمان في أساطير اليونان، ابن أورانوس(السماء) وجيا(الأرض)، خصى والده بناء على نصيحة أمه فعجل ففصل السماء عن الأرض، وتزوج أخته «ريا» فأنجبت له هستيا وديميتر وبوزيدون وهيرا وهاديس، فابتلعهم كرونوس خوفا من أن يفعلوا معه مثلما فعل هو مع والده أورانوس، فيما عدا زيوس الذي أخفته أمه ريا في جزيرة كريت ووضعت حجرا في لفائف ابتلعها كرونوس على ظن أنها ابنه الأخير الذي أصبح كبيرا للآلهة.

١١- أريستوفانيس، السحب(٢)، ترجمة د. أحمد عثمان، سلسلة المسرح العالمي العدد ٢١٥، ص١٤٥، الكويت ١٩٨٧م.

١٢- الأسطورة اليونانية، ص١٠٠.

١٣- المعتقدات الدينية لدى الشعوب، ترجمة: د. إمام عبدالفتاح إمام، عالم المعرفة العدد١٧٣، ص٣٩٧، الكويت ١٩٩٣م.

١٤- السحب(٢)، أريستوفانيس، ص١٢٧.

١٥- المعتقدات الدينية لدى الشعوب، ص٦٤.

١٦- دلفي Delphi: أقدم وأهم مقر لعبادة الإله أبوللو في اليونان، توجد فيه عرافته الشهيرة، كانوا يعدونه مركز الكون.

١٧- المعتقدات الدينية - ص٦٦.

١٨- المصدر السابق، ص٦٧.

١٩- الأسطورة اليونانية، ص١٥٣.

٢٠- المصدر السابق، ص١٦٤.

٢١- المصدر السابق، ص١٨٠

٢٢- المصدر السابق، ص١٨٤.

المؤتمر العالمي للمرأة

د. تماضر حسون

دَسَّت صديقةٌ في يدي قصاصة ورق تحمل خبرا نُشر في إحدى الصحف، يقول الخبر: إن (٦٢٠٠) شرطي منهم (٥٠٠٠) شرطية اختيروا خصيصا لتوفير أمن المؤتمر العالمي للمرأة. وأضافت الصحيفة: إن مهمة هذه الوحدات الخاصة الحفاظ على أمن الطرق والمراكز للأربعين ألف مُشارِكة في المؤتمر. كما أوضحت الصحيفة أن مدير مكتب الأمن العام في العاصمة (تشانغ ليانفي) ـ حضَّ خلال اجتماع عقده مع جميع قوات الشرطة ـ على مضاعفة الجهود لمكافحة الجريمة والبغاء والأنشطة غير الشرعية قبل المؤتمر وبعده.

قرأت الخبر، وسألتها: ما الجديد في ذلك؟ قالت: ومن يُؤَمِّن الأمن والحماية للملايين من النساء المنثورات في كل بقاع الأرض؟ ومن يؤمن الرغيف لمائة مليون امرأة في العالم؟ ومن يؤمن الغذاء والدواء لعشرين مليون امرأة في العالم مهددة بالموت أو الإعاقة بسبب استمرار افتقادهن للغذاء والدواء؟ ثم من يوفر الأمن والحماية واستعادة حقوق المرأة العربية من جوف الصحراء إلى عمق المحيط، تلك الحقوق التي منحها إياها الإسلام.

فمنذ سنوات وسنوات والاتحادات النسائية والروابط والجمعيات في مختلف الأقطار العربية تزداد عددًا دون قوة، وتزداد انقسامات وتشعبات إلى فرق وشيع، وتطلق الشعارات الطنانة دون أن تنجز عملا أو تحقق هدفا. وتزدحم جداول الأعمال بالبنود دون تنفيذ أي منها، وتبقى اتحاداتنا وجمعياتنا وروابطنا هي هي كما كانت منذ تأسيسها حتى يومنا هذا لم تتغير إلا فيما ندر، وكلما ازداد وضع المرأة ترديًا تزاحمت أفواج المقهورات وتدافعت للانتماء لتلك المؤسسات على أمل انتزاع غد أفضل.

لقد مللنا النزاع والاستماتة دفاعا عن حقوق المرأة الطامحة لبناء بلدها من فوق منابر الأمم المتحدة؛ التي لم تفلح حتى بتوقيف حمامات الدم في كل بقاع العالم. ولقد ضقنا ذرعا بالدفاع عن قضايا المرأة بين أروقة الجمعيات، وسئمنا الاستماع للشعارات الواسعة الضخمة من فوق شرفات الاتحادات النسائية، وأصابنا الغثيان من قراءة أوراق أعمال المؤتمرات وتوصيات الندوات.

يأأيتها السيدات المتطلعات بأمل إلى غدٍ أكثر ضياءً: إن تلك المؤتمرات لم تخلق لنا ولم تعقد من أجلنا. إن مشكلة الإجهاض، والحرية الجنسية، والاغتصاب لم تهدد مجتمعنا، إن مايهدده ذل وإهانة نسائنا من جراء سوء استغلال بعض الرجال لما منحهم إياه الإسلام من حقوق، ويكفي الإسلام فخرا أن الله سبحانه وتعالى كرَّم الإنسان وفضَّله على جميع خلقه: ﴿ولقد كرمنا بني آدم﴾(الإسراء: ٧٠). هكذا جاء في القرآن المجيد. لم يقل كرمنا الرجل أو كرمنا المرأة؛ بل كرم الله الإنسان. فلماذا يهين الإنسان الإنسان.

يأأيتها السيدات العربيات المدافعات عن قضايا مؤتمر بكين: لماذا لاتكُنَّ أكثر دفاعا عن قضايا المرأة في ردهات المحاكم وقضايا الأحوال الشخصية، في أقبية السجون، في الحقل حيث يروي عرقها المجاني الأرض العطشى في الصحراء وهي جاثية بجانب ناقتها، في المصنع حيث شيئتها الآلة وجعلتها تعيش إلى جانب اغترابها اغترابا آخر مرا، في المدرسة حيث مئات العيون الصغيرة شاخصة إليها لتهبها حب الوطن والحياة والعطاء، في البيت حيث تستيقظ قبل أن يستيقظ الآخرون، وتنام بعد أن ينام الآخرون، وتأكل بعد أن يأكل الآخرون، ثم يفاجئها السيد المتجبر بقرار يحتم عليها مغادرة منزل سقت كل ركن فيه بجهدها وعرقها وأصبح جزءا منها وأصبحت جزءًا منه. أتترك المنزل بناء على أوامر السيد تائهة تتلقفها أروقة المحاكم وردهات المحامين، وتبدأ رحلة العذاب، ويعلم الله متى تحط رحالها، تتعدد أشكال الإساءات وألوانها وننصحها جميعا بالصبر.

يأأيتها السيدات العربيات المتطلعات لنصرة المرأة: إن المرأة في بلادي لاتحتاج لمؤتمرات ومقررات مؤتمرات تولد ميتة، إن المرأة في بلادي في حاجة لجهد فاعل يقضي على الأمية بكل أشكالها ويؤمِّن للمرأة حقها ـ كإنسان ـ في العمل والرعاية الصحية والاجتماعية. إن المرأة في بلادي تحتاج لجهد فاعل يعيد إليها مامنحه الإسلام لها وسلبه منها الإنسان. لقد حررها الإسلام من عبودية الرجل وأكرمها ومنحها حقها في الاستقلال الاقتصادي، ومنحها حقها في الزواج، ومنحها حقها في الطلاق، فليس هناك زواج يربط المرأة بإكراه، فالقاعدة الإسلامية واضحة: ﴿فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان﴾(البقرة: ٢٢٩)، والطلاق مباح للرجل كما هو مباح للمرأة إذا وقع ضرر على أي من الطرفين، ولكن تفسير الضرر هو المعضلة. الإسلام شريعتنا ونحن نعتز بها، الإسلام لا عيب فيه، ولكن العيب كل العيب في من يستغل الإسلام لتحقيق مآرب بعيدة كل البعد عمّا شرعه الله لعباده.

الحرية في العلاج النفسي



د. عبدالرحمن العيسوي

العلاج النفسي PSYCHOTHERAPY هو معالجة مشكلات سوء تكيف الشخصية PERSONALITY MALADJUSTMENT، باستخدام الوسائل النفسية (السيكولوجية) أو التقنيات والمناهج السيكولوجية(١). وعلى حد تعبير «إنجلش» فإن العلاج النفسي هو استخدام أي تقنية سيكولوجية لمعالجة الاضطرابات العقلية أو سوء التكيف أو التوافق، ومن ذلك الأمراض النفسية كالقلق، والأمراض العقلية كفصام الشخصية، والأمراض السيكوسوماتية كالربو، والانحرافات السلوكية والأخلاقية كالسيكوباتية، والجريمة والجنوح والإدمان والشذوذ.

وهناك مناهج متعددة لهذا العلاج، منها العلاج من طريق الإيمان FAITH CURE أو العلاج بالإيحاء، أو بالتنويم المغناطيسي، أو من طريق منهج التحليل النفسي الذي وضعه سيجموند فرويد عالم النفس النمساوي، أو من طريق توفير الراحة للمريض، أو توكيد ذاته، أو من طريق إعطاء النصح والإرشاد، أو الاستشارة لإزالة الحصر أو القلق، والسيكودراما أو العلاج من طريق التمثيل(٢)، والعلاج السلوكي القائم على أساس من نظريات التعلم، والعلاج

الجشطالتي، والعلاج من طريق العمل، والماء، والفن، والموسيقى، والعلاج الجماعي(٣)، والفردي، إلخ... ومن أظهر هذه التقنيات منهج العلاج النفسي غير التوجيهي، وفي هذا المنهج يتوافر للمريض قدر كبير من الحرية والاستقلال في سير خطوات المعالجة، وفي استعراض مشكلاته؛ وفي اتخاذ القرارات بشأنها، كما أنه هو الذي يقرر بدء المعالجة وانتهاءها خلافًا لمنهج آخر كالتحليل النفسي؛ الذي يتغلغل فيه المعالج في شخصية المريض، ويغزوها، ويحاول تغييرها وتعديلها. ولكن في هذا النمط من العلاج يتمتع المريض بالحرية الكاملة والاستقلال.

هذا النمط من العلاج، الذي يتوافر فيه قدر كبير من الحرية للعميل، يطلق عليه «العلاج النفسي المتمركز حول العميل» أو حول المريض CLIENT CENTERED THERAPY، وهو نمط من العلاج مؤسس على الاعتقاد بأن العميل قادر على استخدام مصادره النفسية الكامنة في حل مشكلاته الخاصة. وتتم هذه المعالجة من طريق اتجاه القبول من جانب المعالج ومن خلال الخطوات غير التوجيهية؛ أي تلك التي لايخضع فيها العميل لتوجيهات المعالج أو إرشاداته أو نصحه دون التغلغل في شخصيته؛ حيث يسعى المعالج لكي يتفهم العميل في عباراته أنه يشجع، ولكن لايوجه العميل إلى استشكاف ذاته وسبر أغوارها ومعرفة أسرارها ومكوناتها، ومشكلاته ومتاعبه والصعاب التي يواجهها ومشاعره المؤلمة.

إن المشكلة تميل إلى الحل عندما يتمكن صاحبها من مقابلتها بالاستجابات الانفعالية الملائمة أو المناسبة، وعندما تحل هذه الاستجابات الناجحة محل الاستجابات الانفعالية المسلحة وغير الملائمة التي كانت تسيطر على الموقف. ولكن القرار الخاص بما هو ملائم أو غير ملائم يرجع إلى العميل نفسه. ومن خلال المعالجة يترك للعميل أن يفهم مشكلاته ، ولكن ليس من الضروري في كل الأحوال أن يتفهم مصدرها أو منشأها أو سببها ITS ORIGIN، كما هو الحال في منهج التحليل النفسي في العلاج PSYCHOANALYSIS، ويضع العميل، بعد أن يتحقق له هذا الفهم، خططه المستقبلية(٤) وأهدافه الإيجابية في الحياة الناجحة.

هذا المنهج غير التوجيهي يُستخدم في كل من العلاج النفسي والإرشاد النفسي. والمعروف أن العلاج النفسي PYCHOTHERAPY يختلف عن الإرشاد النفسي PSYCHOLOGICAL COUNSELING، حيث إن الإرشاد يختص بمعالجة المشكلات الخفيفة أو البسيطة نسبيًا، أما العلاج فيتناول المشكلات الصعبة أو الأمراض النفسية والعقلية. في هذا المنهج المتحرر يخلق المعالج جوًا من القبول ACCEPTANCE بينه وبين العميل، دون أن يوجه المحادثة. وبدلاً من ذلك، يكتفي بأن يعكس أو يكرر أو يعيد أو يردد REFLECT ما قاله العميل ، يردده له أو يعيد حركاته وملاحظاته وعلاماته، ويستوضحها ويُجَلِّيها ويظهرها CLARIFICATION، بحيث تصبح واضحة جلية أمام ذهن العميل دون أن يربط ذلك بأحداث أخرى، أو أن يصدر حكمًا عليها أو يقوِّمها؛ أي يعطيها قيمة أو تقديرًا من عنده. فالمسؤولية ملقاة على العميل لاكتشاف طبيعة مشكلاته، وكذلك في وضع خطط حلها. ويقترب هذا المنهج مما يعرف بتوجيه الأسئلة مفتوحة النهاية في الامتحانات والمقابلات الشخصية(٥) OPEN ENDEDQUESTION، حيث لايحدد الباحث للعميل اختيارات أو أبدال محددة يحصره فيها، عليه أن يختار من بينها، وإنما يترك له الحرية لاستكمال السؤال أو العبارة من تلقاء نفسه، مما يعبر عن أعماق شعوره بحرية. ومن ذلك العبارات الآتية:

- لقد كانت طفولتي الأولى ....
- إن أشد ما يؤلمني في الوقت الحاضر هو ....
- لقد كانت علاقتي بأمي علاقة ....
- أشعر نحو أخواتي ....
- أتطلع إلى أن أحقق في المستقبل ....
- في الوقت الحاضر تراودني فكرة ....
- أحسن ما يعجبني في أصدقائي هو ....

والمفهوم الرئيس في فكر صاحب هذا المنهج، وهو كارل روجرز عالم النفس الأمريكي (١٩٠٢م)، هو فكرة تحقيق الذات أي تحقيق الإنسان لذاته SELF ACTUALIZATION، بمعنى أن الإنسان لديه نزعة فطرية لتعرف إمكاناته أو قدراته أو استعداداته أو كفاءاته، وأن الإنسان يخفض من حدة شعوره بالقلق والتوتر RE-DUCE TENSION من طريق إشباع حاجاته الحيوية (البيولوجية)؛ كالحاجة إلى النوم والأكل والشرب والجنس والسعي وراء اللذة أو المتعة. وكل مظاهر السلوك تنبع من هذه النزعة الطبيعية في تحقيق الذات أو إثبات الإنسان لذاته. وللإنسان نزعة أيضا ليتعلم أشياء جديدة، وأن يحقق اللذة والمتعة. وكل مظاهر السلوك تنبع من هذه النزعة الفطرية، والسلوك الذي يؤدي إلى النمو الشخصي يميل إلى التكرار أو الحدوث، وبذلك يساعد في تحقيق الذات.

لقد كان كارل روجرز يعتقد بأن التعلم يحدث عندما لا يبقى على الشخص أن يكافح للحصول على موافقة الآخرين وقبولهم، وعندما يهتم هو بهذا الأمر. إن التقويم الحقيقي والفاعل يجب أن ينبع من ذات الفرد نفسه، لأن للذات نزعة نحو تحقيق نفسها. وإذا كان الإنسان يقبل تقويم الآخرين له، وكان هذا التقويم سالبًا، فإن نتيجة ذلك الشعور بالصراع CONFLICT بين تقويم الذات وتقويم الآخرين للفرد. وبذلك يمر الفرد بخبرة صراع، تخلق - بدورها - شعوراً بالحصر أو القلق، ويؤدي ذلك بمرور الزمن، إلى الشذوذ النفسي. ويساعد منهج كارل روجرز في العلاج، الفرد لكي يعود إلى تقويم نفسه بصورة إيجابية، أي الحكم على نفسه، أو تقدير ذاته بصورة إيجابية. وتقدم التسهيلات للفرد في أثناء العلاج لتحقيق هذه الغاية. ويقوم دور المعالج في مساعدة العميل على استبصار أو فهم أو وعي الصراع بين ذاته المثالية وذاته الواقعية، والذات كما يراها غيره، ومساعدته على قبول ذاته الحقيقية.. وعلى ذلك فإن هذا المنهج يتضمن عملية القبول؛ أي قبول المعالج للمريض AC-CEPTANCE، وعملية التعرف؛ أي تعرف العميل أو المريض صراعاته ومشكلاته وآلامه وتوتراته وعلاقاته بالآخرين وسلوكه، وتوضيح أو جلاء أو إظهار أو إبراز CLARIFICATION مشاعر العميل أو شرحها؛ حيث يتم تشجيعه بأن يتحدث عن مشاعره العميقة التي يشعر بها. هذا العلاج يتعامل مع الجوانب الانفعالية للعميل أكثر من اعتماده على مايقوله بالألفاظ، وذلك بقصد

إزالة أو محو الصراعات الانفعالية التي تسد الطريق أمام الذات لتحقق نفسها، وذلك من طريق قيام المعالج باختيار أشياء مما يسمعه من العميل والتركيز عليها، والمشاعر التي يعبر عنها العميل ويهتم المعالج بخلق جو من الدفء والقبول والظروف العلاجية الملائمة وتهيئتها، تلك التي تسهل مهمة العميل للحديث أمام المعالج لكي يتحدث ويوضح ويميط اللثام بكل صدق وأمانة وصراحة عن ذاته، ولكي يكتسب الاستبصار بالصراعات الانفعالية التي تدورفي داخله، حيث يمكن مساعدة المريض لإعادة توجيه نفسه أكثر من التدخل في شخصيته أو الغوص أو التغلغل فيها INTERVENE أو غزو الشخصية.

كذلك يُنظر للمشكلة من زاوية العميل، ومن ناحية إدراكه أو مفهومه عنها، ومشاعره إزاءها، وعن الطريقة التي يدرك بها الأحداث(٦).

ويقال العلاج غير التوجيهي أو المتمركز حول العميل في مقابل العلاج التوجيهي -DI RECTIVE X NON DIRECTIVE .THERAPY

وهناك فروق واسعة بين المعالجين في مقدار المسؤولية التي يحمّلونها المريض، ومقدار المسؤولية التي يتحملونها هم أنفسهم في توجيه المعالجة. ففي العلاج التوجيهي يقوم المعالج بدور فاعل ومؤثر في الموقف العلاجي، حيث يأخذ المبادهة في الكشف عن صراعات المريض، وفي شرح ما يصل إليه المريض وتفسيره، ويقوم بتوجيهه أو إرشاده إلى الأعمال الإيجابية التي يرمي من ورائها تحقيق تغييرات في الشخصية. أما في العلاج غير التوجيهي، فإن المعالج يكون أقل إيجابية أو أقل فاعلية ونشاطًا، وتقع معظم مسؤولية العلاج على العميل نفسه، وعلى المعالج أن يوفر فقط جوًا وديًا تسامحيًا؛ بحيث يشعر العميل بالأمن والأمان والاطمئنان، وأنه مقبول من جانب المعالج وليس مرفوضًا، وعليه أن يستدعي أفكاره العميقة ومشاعره، دون خوف من رقابة أو حذف أو استنكار أو استهجان، أو دون الخوف من الثأر. وبدلاً من قيام المعالج بسبر أغوار المريض وغزو ذاته وتفسير أحداث حياته له، فإن اهتمامه ينحصر في مساعدة العميل في توضيح CLARIFY مشاعره واتجاهاته كما تظهر في أثناء جلسات العلاج.

ويتم هذا الإيضاح أو هذه الرؤية من خلال عملية انعكاس لما يقوله العميل أو يفعلهREFLECTING للمشاعر والاتجاهات والعواطف والآراء والعلامات والإيماءات التي يعبر عنها العميل. وهذه العملية مجرد انعكاس أكثر من كونها تأويلاً أو تفسيرًا.

هذا المنهج المتحرر كشف عن فاعليته مع المرضى أصحاب الشخصيات الثابتة نسبيًا، وليس مع أصحاب الحالات المرضية مرضًا شديدًا والذين يعانون من مشكلات مباشرة أو آنية أو حالية(٧).

وفي وضعها المسؤولية على عاتق العميل، تعتمد هذه النظرية في العلاج على وجود دافع قوي جدًا في الإنسان نحو النمو، ونحو التمتع بالصحة الجسمية، والعقلية، ونحو التكيف. هذا الدافع الذي أصيب بالتهديد من طريق الصراعات الانفعالية أو السدود والعراقيل الانفعالية. وترمي المعالجة إلى إزالة هذه السدود، وتلك العراقيل الانفعالية وتحرير الفرد ليسير نحو النمو السوي في شخصيته. وحيث إن العميل يتحمل العبء الأكبر من مسؤولية العلاج والشفاء؛ فإن هذا المنهج يصلح لأصحاب الشخصيات السوية نسبيًا أو المستقرة الذين لديهم قدر من الإمكانات العقلية أو الذهنية ومن تكامل الشخصية، بحيث يستطيعون التعامل مع مشكلاتهم.

خطوات منهج العلاج التسامحي

لقد قرر كارل روجرز أن هذا المنهج يتضمن الخطوات الآتية:

الخطوة الأولى: تبدأ هذه الخطوات بقدوم العميل طالبًا المعالجة أو سعيا وراء المساعدة.

وهي الخطوة المهمة التي يبدؤها العميل بنفسه متخذًا فيها المبادهة وراغبًا في الحصول على المساعدة في حل مايواجهه من مشكلات. ويجب أن يكون العميل واقعًا تحت ضغط يشعره أنه يحتاج إلى العلاج، وأنه يستشعر الصراعات التي يطلب لها حلاً. ذلك لأن العميل إذا أتى إلى المعالج مسوقًا رغم أنفه وضد إرادته، فإن العلاج سوف لايكون له إلا قليل من الجدوى، ولابد من تعاون المريض مع المعالج سعيًا وراء حل المشكلات(٨). ومن خلال الجلسة الأولى يتم تحديد الموقف، حيث يشرح المعالج للعميل بكل صراحة أنه لا يملك حلولاً من عنده، وأنه سوف يوفر له المكان الملائم لحل مشكلاته بمساعدته فقط، على أن تكون الحلول حلولاً نابعة من العميل ذاته، وليست مفروضة عليه فرضًا من المعالج.

الخطوة الثانية: في هذه الخطوة، من طريق توافر جو التسامح والحرية والقبول من جانب المعالج، يشعر العميل بالتشجيع على التعبير عن مشاعره، وبذلك يتم السماح للانفعالات السالبة والعدوانية، تلك التي كانت حبيسة في داخله بالخروج إلى العلن، وقد يعبر عن شعوره بفقدانه الثقة في ذاته، أو شعوره بالنقص، أو أنه غير مقبول من زملائه، أو غير مرغوب فيه من أفراد الجنس الآخر. ما إن يعبر العميل عن هذه الانفعالات العدوانية والسالبة حتى يتقبلها المعالج، ويتعرفها ويفهمها ويوضحها، وخاصة ما يكمن وراء المشكلات من اتجاهات وانفعالات أكثر من مجرد محتواها اللفظي.

ومعروف أن المهم ـ من وجهة نظر التكيف النفسي ـ ليس الحدث في ذاته أو الإصابة في ذاتها، وإنما اتجاه المريض نحوها ومدى قبوله إياها أو رفضه لها وتمرده عليها، ومدى قدرته على تعديلها أو التعايش معها. كالشأن مع صاحب العاهة، ليست العاهة في حد ذاتها هي التي تهم، ولكن اتجاه المصاب نحوها(٩).

يساعد المعالج العميل في فهم هذه المشاعر السالبة وتعرفها، وأن يقبلها كجزء من ذاته بدلاً من كبتها أو نسيانها لا شعوريًا أو إخفائها في شكل حيل دفاعية أخرى DEFENSE .MECHANISMS

الحيل الدفاعية

من ذلك الإعلاء أو التسامي، والإزاحة، والعكسية، والتعويض، والإنكار، والتسويغ، والإسقاط، والعدوان، والتقمص أو التوحد، وهي عمليات عقلية لاشعورية تقوم بها الذات على المستوى اللاشعوري لحماية نفسها من الحصر أو القلق ، والمبالغة في ممارستها دليل على عدم السواء أو عدم التكيف.

وبعد الكشف عن هذه المشاعر السالبة يحل محلها مشاعر إيجابية.

هذه المشاعر أو الانفعالات الإيجابية يتم ـ بدورها ـ توضيحها وكشفها وقبولها وتعرّفها من قبل المعالج، ولكن دون مديح أو لوم أو نقد، مع

مساعدة المريض أيضا على قبولها وتعرّفها وتوضيحها أو إيضاحها، وذلك على اعتبار أنها جزء من ذاته دون أن يكون في حاجة إلى وضعها موضع الدفاع عنها.

الخطوة الثالثة: وتتمثل في نمو القدرة على الاستبصار أو الفهم INSIGHT لدى المريض.

إن هذا التعرف الآخذ بالتدريج في الزيادة، وكذلك القبول للذات الحقيقية للعميل، يؤديان إلى نمو قدرته على الاستبصار أو الفهم. وكأننا كشفنا عن بصره ذلك القناع الذي كان يحجب عنه رؤية ذاته والآخرين رؤية موضوعية وواقعية وسوية REMOVING COLOURED GLASSES FROM THE CLIENT'S EYES(١٠).

وبعد التخلص من الضغط، ذلك الذي كان يؤدي إلى فساد إدراكه، أو فساد مفهومه، أو تصوره عن حالته وعن البيئة، تتم مساعدته على أن يدرك بيئته من منظور صحي وواقعي وموضوعي. وأهم عناصر عملية الاستبصار هي التعرف والقبول الانفعالي للاتجاهات الحقيقية ورغبات الذات، والفهم النقي الواضح للأسباب التي تكمن وراء سلوك العميل، ووجود تصور جديد عن موقف العميل؛ فالحقائق القديمة يتم تفسيرها تفسيراً جديداً في ضوء وأطر ومتغيرات جديدة، وكذلك توضيح أو إيضاح القرارات التي يتعين اتخاذها وأساليب السلوك العملي الممكنة(١١).

الخطوة الرابعة: تتمثل في اتخاذ خطوات إيجابية POSITIVE STEPS، حيث يتبع نمو القدرة على الفهم والاستبصار توضيح القرارات الممكنة والخطوات العملية الممكنة. وفي الغالب ما يكون هذا الاستعداد مصحوبًا ببعض الخلط والاضطرابات، فيبدو العميل كما لو كان عاجزاً عن معرفة ماذا يفعل.

وعندما تتضح الأعمال المطلوبة يبدأ العميل في التفكير في الخطوات التي يتعيّن عليه اتخاذها. وتنحصر مهمة المعالج أو المرشد في التوضيح ومساعدة العميل على التعرف دون أن يحاول أن يقود العميل. فالشخص المنسحب أو المنطوي قد يعبر عن كراهيته للناس، وفي الوقت نفسه رغبته الدفينة في أن يكون له أصدقاء، يرفض - كما يروي روجرز - أن يلبي دعوة لحضور حفل دُعي إليه، مثل هذا الشخص يتم تشجيعه وإكسابه الشعور بالثقة في ذاته، بحيث ينفتح على الناس وعلى الأصدقاء. وقد تبدأ هذه الخطوات الإيجابية بسيطة أو صغيرة، ثم تأخذ في النمو والتقدم في الاتجاه الصائب. وبمرور الوقت تجلب له هذه الخطوات الصغيرة الشعور بالرضا والسعادة والشعور بالمواءمة أو التوافق وتحقيق الذات وتوكيدها، فإن العميل ينحو نحو النمو الإيجابي.

الخطوة الخامسة: تتمثل في إنهاء جلسات العلاج أو الاتصال بالمعالج، وتتم هذه الخطوة بعد شعور المريض بالثقة في ذاته، وبعد قيامه بالأعمال الإيجابية المطلوبة، يبدأ يشعر بالرغبة في إنهاء العلاقة العلاجية. ولكن هذا القرار بإنهاء المعالجة يجب أن يصدر أو ينبع من المريض نفسه. وبذلك يكون قد تمتع بالاستقلال والاعتماد على الذات وبالحرية في تحمل المسؤولية كاملة عن حياته.

مزايا العلاج التسامحي

بعد استعراض هذا المنهج وخطواته نستطيع أن نتبين الفروق بينه وبين غيره من مناهج العلاج الأخرى، تلك الفروق التي تظهر فيما يلي:

- المسؤولية الكبرى في العلاج تقع على عاتق المريض في توجيهه المعالجة وفي نجاحها وعائداتها.

- انحصار دور المعالج في قبوله للمريض ACCEPTANCE، وعكسه لمشاعره REFLECTION وتوضيحها CLARIFICATION.

- التقليل من حدة عملية «التحويل» TRANSFERENCE من العميل إلى المعالج، وهي تلك العملية اللاشعورية التي يسقط المريض - من خلالها - مشاعره على المعالج، أو يحولها من مصادره الأصيلة إلى شخص المعالج، فإذا كان يحب زوجته مثلاً تحول هذا الحب «أو الكره» إلى شخص المعالج، وإذا كان يكره رئيسه في العمل ويعده مسؤولاً عن تعاسته، انتقل هذا الشعور نحو المعالج وعدَّه المسؤول عن «كارثته».

وبذلك لاتوجد ضرورة لمعالجة هذا «التحويل» في العلاقة بين المعالج والمريض.

- تقليل أهمية استخدام الاختبارات النفسية أو القياس النفسي من أجل تشخيص الحالة؛ حيث كان روجرز يرى أنها تستغرق وقتًا الأولى أن يستفاد منه في معالجة مشكلات المريض مباشرة.

- يوجه العميل المناقشة نحو صراعاته بالسرعة التي تحتملها ذاته: في هذا العلاج يأخذ المريض زمام المبادرة في حل صراعاته حلاً قائمًا على أساس الفهم والاستبصار، والقيام بالأعمال الإيجابية. ولايساعد هذا المنهج العميل في حل مشكلاته الراهنة وحسب، وإنما يمنحه أيضًا القوة في التعامل مع المشكلات التي تواجهه في المستقبل، ولقد اتضحت أهمية هذا المنهج في علاج المشكلات البسيطة الخاصة بسوء التكيف، والمأمول أن يزداد عمقًا بحيث يصبح قادرًا على تحقيق الشفاء من المشكلات النفسية الأكثر تعقيدًا(١٢).

الهوامش:

1 - COLEMAN, C.C., ABNORMAL PSYCHOLOGY AND MODERN LIFE, SCOTT, FORESMAN AND CO.CHICAGO,1956, P.653.

2 - ENGLISH, H.B., AND ENGLISH, A.C., COMPEREHENSIVE DICTIONARY OF PSYCHOLOGICAL AND PSYCHOLOANALYTICAL TERMS, AGUIDE TO USAGE, LONGMANS, LONDON, 1958-P.420

٣- عبدالرحمن العيسوي، العلاج النفسي، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، ١٩٩٣م.

4 - ENGLISH OP.CIT,P.552

٥- عبدالرحمن العيسوي، القياس والتجريب في علم النفس والتربية، دار المعرفة الجامعية: الإسكندرية، ١٩٩٢م.

6 - SHENMAGUM T.E., ABNORMAL PSYCHOLOGY, TATA, MC. GRAWHILLCO N.DELHI, P.288.

7- COLEMAN OP.CIT,P.545

٨- عبدالرحمن العيسوي، أمراض العصر: الأمراض العقلية والنفسية والسيكوسوماتية، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، مصر ١٩٩٠م.

٩- عبدالرحمن العيسوي، الإرشاد النفسي: دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ١٩٨٦م.

10 - COLEMAN OP.CIT,P. 567

11 - COLEMAN OP.CIT,P. 567

12 - COLEMAN OP.CIT,P. 568

قصة قصيرة:



شوقي محمود أبو ناجي

قبل أن تنزل من السيارة؛ وضعت كفها الصغيرة - كعادتها في يده، فلوى أصابعه الضخمة فوقها وهي مستكينة تمامًا لا تسحبها حتى يرفع هذه الأصابع الغليظة المطبقة. كانت المصافحة هي اللمسة التي أباحها لنفسه من «هناء» كلما التقى بها أو ودَّعها؛ كان يقرأ الاستكانة في وجهها دائمًا وهي أمامه.. وهو سعيد بهذه الاستكانة، أما إذا تعثرت الحروف على شفتيها فهو مستعد أن يصغي إليها بكل جوارحه، ولكنها قليلاً ما تنفرج هاتان الشفتان مهما مهّد لها من سبل الكلام، غير أن ألفاظها لا تعدو أن تكون إجابات مقتضبة تخرج خافتة خجلى من بين شفتيها الصغيرتين، ولكنها كفيلة بأن تعيده مراهقًا تتوالى دقات قلبه، ويغمض عينيه ليحلق في عوالم لا يعرف لها حدودًا.. أحيانًا يحس بالذنب بعد أن يخلو إلى نفسه، ويكاد يعزم على أن يضع نهاية لهذه العلاقة غير المتكافئة؛ ولكنه كلما لقيها أسقط في يده وأحس بالضعف أمامها حتى عندما تلم به في أحلام اليقظة!! ربما سوغ ذلك بأنها المرة الأولى في عمره - الذي انصرمت منه خمسون عامًا - التي يشعر فيها أن له قلبًا يخفق وعواطف كسائر البشر، أليس ذلك من حقه؟! وهي لا تعرف أنه متزوج ولديه أولاد في مثل سنها أو أكبر فحسب؛ بل إنها بدأت تتردد إلى منزله بصورة شبه يومية، ونجحت في توطيد العلاقة بينها وبين زوجه حتى أصبح بينهما اهتمامات مشتركة، ولا يشك أحد - لا زوجه ولا غيرها - في أن يكون بينه وبين هناء أكثر من علاقة التلميذة بأستاذها الذي يعجب بذكائها ويمنحها شيئًا من اهتمام، وعن طريقه تهدى إليها جميع الكتب فلا تتكلف شراء شيء منها.. كانت هذه هي البداية.. ثم سمح لها بالتردد إلى مكتبه في الكلية؛ وبدأ يتعمد سؤالها عن رأيها في أموره الشخصية مما يمس العمل أو البيت، ويحاول أن يبادلها الحديث في الموضوعات العامة بطريقة توحي برفع الكلفة. ربما شعرت بحاسة الأنثى أن الدكتور عبدالفضيل يحمل لها معزة خاصة دون زميلاتها، لذا لم تمانع عندما طلب إليها أن تصحبه إلى منزله في سيارته حيث تعرفت إلى زوجه وأولاده. وزوجه هذه هي ابنة عمه «ست أبوها» التي زوجوها له قبل انتهاء دراسته الجامعية. وكان لابد من ذلك وفاءً للفاتحة المقروءة بين أبويهما وهما بعد طفلان، ومضت الحياة بهما. بعد الزواج - طبيعية ومازال تمضي، ولابد أن تمضي رضي أم غضب. إلا أنه كان يشعر بحاجته إلى أن يندمج في مجتمعه، وكان ذلك مستحيلاً مع «ست أبوها»، فهي هي لم يتغير فيها شيء من طباع أهل القرية وعاداتهم. حتى القراءة؛ رفضت أن تتعلمها، الشيء الوحيد الذي خلفته وراءها هو البهائم ومستلزماتها. هي زوج مثالية في تنظيف المنزل وغسل الملابس وطهي الطعام وتلبية مطالب الزوج والأولاد، تستيقظ مع أول شعاع ضوء ولاتكف عن العمل حتى يخيم الليل، هذه طبيعتها، أما ما عدا ذلك فلا شأن لها بشيء منه، ولم تحاول يومًا أن تتشبه بالجارات أو تحس بحرمانها من شيء يتمتعن به.. أما اسمه فإنه يمقت سماعه منها ومن «بشلاوي» عامل الكلية، فكلاهما ينطقه «عبفطيل». وحرف الضاد هذا الذي يتبدل في فم كل منهما طاء يذكره دائمًا بمضخة المياه الصدئة في منزلهم القروي، أما هناء فهي الوحيدة التي تنطق اسمه بصورة متناغمة، وتكاد تكون الفتاة الوحيدة في الكلية التي تنطق الضاد ضادًا لا دالاً.. فتنطقها بصورة جميلة رقيقة كأنما تعزف حروف اسمه، وإنه ليطيب له أن يسمعه منها ولو لم يكن هناك داع؛ لأنّ حروفه تخرج من فيها أجمل وأرق. بل يحس أن جمال اسمه في فمها يعوّض الصورة الشائهة التي يخرج بها من أفواه بعضهم كالطوب، وإنه كلما سمعها تذكر أمه ونساء قريته عندما يتندحن عذوبة الحديث في فتاة ما بأن «فمها ينقّط سكرًا». تُرى هل هناك من يستحق فمها هذه الصفة سواها؟ ربما يظلم حديثها هذا التشبيه لأنها أحلى بكثير من السكر ومن كل حلو في الدنيا كلها. إنها حلاوة لا يمكن وصفها ولم يخدعها عندما كاشفها بعواطفه.. نعم لم ينطق كلمة الحب صراحة، ولكنه قال ماهو أكثر من الكلمة، وقالتها هي قبله بأكثر من صورة وخاصة في رسائلها التي كانت تبعث بها إليه وهو في رحلاته الصيفية بعيدًا من مصر، وتحرص على سماع صوته في الهاتف كلما كَلَّمَ أولاده؛ إذ كان حريصًا على أن تعرف مواعيد مكالماته، ولو أن لدى زوجه قدرًا من ذكاء؛ ماخفي عليها ماوراء هذا التلهف على إمساك المسمعة لتقول له إنها في فراغ وهو بعيد عنها، وإنها لا تحس للحياة طعمًا.. ثم هي لا تنسى شيئًا من دقائق حياته إلا وتسأل عنه.. كيف يأكل.. كيف يعيش.. كيف ينام.. ماذا يقرأ.. ماذا.. وماذا.. وكلام كثير رقيق وجميل إن لم يكن شعرًا فهو كالشعر. وعندما أخبرها- في لقائه معها- أنه كان يستعيد قراءة رسائلها كلما خلا إلى نفسه وأنه يلجأ إليها كلما أحس وحشة؛ لم تكن تزيد على الصمت أو إسبال العينين، وعندما أفضى إليها أنه كان يتمنى لو تقدم الزمن بها وتأخر به لتتقلص السنوات بين عمريهما؛ لأنه كثيرًا مايخجل من عواطفه لفارق السن؛ إذ تزيد سنه على ضعف سنّي عمرها، حدث مالا يتوقعه؛ إذ كاشفته بمخاوفها من أن تفتر عواطفه نحوها.. وأنها تدعوه إلى أن يكون طبيعيًا، وأن الحب الذي يجمع بينهما قدر لا فكاك منه. وعندما سألها عن الهدف من وراء هذه العاطفة أجابت أنها تحبه للحب وستظل تحبه ولو ضمها بيت رجل آخر. فقط رجته - عندما يحدث ذلك - أن يكتب إليها ولو باسم إحدى بناته إذا تباعدت الديار.

عاد الدكتور عبدالفضيل بعد توصيلها إلى منزلها، وبعد أن أدى صلاة العشاء جلس إلى مكتبه شاردًا ينظر إلى علبة أنيقة تضم رسائلها إليه وهو خارج مصر. هَمَّ أن يتناولها إلا أن صوتًا يبدو عليه الإعياء انبعث من المطبخ:

- هل تريد شايًا قبل أن أنام ياعبفطيل؟

وقبل أن يهم بشكرها قدمت لتريه شهادات المدارس التى أحضرها العيال وعليها أمارات سرور لم تخف مابدا عليها من إرهاق.

عندها.. أدار قرص الهاتف ليخبر الدكتور علم الدين أنه قبل التعاقد مع الجامعة الأفريقية التي عرضت عليه ذلك، وقد اعتزم - في نفسه - أن يضع نهاية لهذه العلاقة غير المتوازنة.

دائرة المعارف

مصطلحات نقد الرواية(*)

د. سمر روحي الفيصل

(أ)

إخبار(Telling):

قانون من قوانين بناء الحكاية، مهمّته تقديم الأخبار عن الحوادث والشّخصيّات ليتعرّفها القارىء ويستطيع متابعتها.

استراحة(Rest):

هي توقّف في الزّمن يُحدثه الرّاوي حين يلجأ إلى الوصف.

استرجاع(Analepsis):

أو استذكار. تقنية زمنيّة تعني سرد حوادث وأقوال وأعمال وقعت في الماضي الرّوائيّ. وهذه التقنية بديل للعودة إلى الوراء (Flash back) اقترحه «جيرار جنيت».

استشراف(Prolepsis):

أو استباق. تقنية زمنية تُخبر صراحةً أو ضمناً عن حوادث وأقوال وأعمال سيشهدها السّرد الرّوائيّ في وقت لاحق. الاستشراف يخصّ المستقبل، في مقابل الاسترجاع الذي يخصّ الماضي.

افتتاحيّة(Exposition):

المراد هنا افتتاحيّة الرّواية، وهي البداية الرّوائية التي تُدْخل القارئ عالم الرّواية التّخييليّ، فتعطيه خلفيّة الحوادث والشّخصيّات ليتمكّن من متابعة علاقاتها الرّوائيّة.

أنماط السّرد(Types narration):

هي أشكاله في الرّواية، وأبرزها السّرد والحوار الموضوعيّ والذّاتيّ.

(ب)

بناء(Structure):

أو بنية. هو كلٌّ مكوَّن من ظواهر متماسكة، يتوقَّف كلٌّ منها على ما عداه، ولا يمكنه أن يكون ماهو إلاّ بفضل علاقته بما عداه. ويدلّ الجذر العربيّ للبناء على هيكل النّصّ ومعماريّته.

بنويّة(Structuralisme):

نسبة إلى: بنية، وهي كلٌّ محكوم بقانون العلاقات بين عناصر النّظام. وليست البنويّة مقصورة على النّقد الأدبيّ، بل هي شاملة حقولاً معرفيّة كثيرة، وهذا ماجعلها مناخاً فكريّاً عقلانيّاً أكثر من كونها مذهباً موحّداً متجانساً.

(ت)

تبئير(Focalisation):

هو زواية نظر الرّاوي أو مجال رؤيته الحوادث والشّخصيّات وانتقائه المعلومات السّردية. وهذا المصطلح تطوير لمصطلح «وجهة النّظر».

تتابع(Cnsecutuie):

قانون من قوانين بناء الحكاية، مهمّته الحفاظ على سير الحوادث والشّخصيّات والزّمن إلى الأمام.

تخيّل(Fantaisie):

أو تخييل. هو فعل الخيال أو عمله.

تداخل(Interference):

قانون من قوانين بناء الحكاية، مسؤول عن تشابك الحوادث والأزمنة، ووضعها في غير مسارها الخطّيّ.

تزامن(Simultanuoesress):

هو أن يروي الرّواي في فقرة واحدة حادثتين لا يجمع بينهما إلاّ كونهما جرتا في زمن واحد.

تلخيص(Summarization):

أو خلاصة. تقنية زمنيّة تعني سرد حوادث ووقائع يُفترض أنّها جرت في سنوات أو شهور أو ساعات في صفحة أو فقرة أو أسطر دون تفاصيل.

تناوب(Alternative):

هو الانتقال من حدث إلى آخر بتعليق الأوّل ثمّ العودة إليه، ورواية الثّاني ثمّ العودة إليه.

توازن(Balance):

قانون من قوانين تنظيم البناء الرّوائيّ، مسؤول عن عدم التّركيز على مكوّن روائيّ دون آخر.

تواز(Parallelisme):

قانون من قوانين البناء الرّوائيّ، مسؤول عن سير حدث خاصّ بشخصيّة روائيّة بموازاة حدث آخر خاصّ بشخصيّة أخرى.

(ث)

ثغرة(Gap):

تقنية زمنيّة تعني وجود مقاطع في الرّواية يهملها الرّاوي فلا يعالج ما تمّ فيها. وهي نوعان: مباشرة وغير مباشرة.

(ح)

حبكة(Plot):

هي ترتيب الحوادث في الرّواية والقصة كما يطالعها القارىء.

حذف(Ellipse):

أو إسقاط. تقنية زمنيّة تعني القفز فوق فترة طويلة أو قصيرة من الزّمن الرّوائيّ من غير إشارة لما تمّ فيها من حوادث.

حكاية(Fable):

هي مجموعة حوادث مرتّبة ترتيباً منطقيًا وسببيًا وزمنيًا.

حكي(Narrative):

أو سرد. هو الفعل الذي يقوم به الرّواي.

حوار(Dialogue):

هو كلام الشّخصيّات في الرّواية، ويُشترط فيه أن يكون هناك متحاوران فأكثر.

حواريّة(Dialogisme):

هي عرض الأفكار والعواطف في شكل حوار. وقد وسّع «باختين» هذا المصطلح، فأصبح يدلّ على العلاقات الحواريّة أو تعدُّد الأصوات في الرّواية أو البوليفونيّة كما سمّاها «اوسبنسكي».

(خ)

خطاب(Discourse):

مصطلح مستمدّ من اللّسانيّات، له دلالات عدّة. والمراد منه في الرّواية: الطّريقة التي يجعلنا الرّاواي بوساطتها نتعرَّف حوادث الرّواية.

(د)

ديمومة(Continuity):

أو الزّمن المعيش. هي الزّمن النّفسيّ المتّصل الذي لا يعرف الانقطاع بين الماضي والحاضر والمستقبل.

(ر)

رؤية مع(Vision with):

تعني أنّ الرّاوي يعلم ماتعلمه الشّخصيّة الرّوائية.

رؤية من الخارج-(Vision from Out-side):

تعني أنّ الرّاوي يعلم أقلّ ممّا تعلمه الشّخصيّة الرّوائيّة.

رؤية من خلف-(Vision from be-hind):

تعني أنّ الرّاوي يعرف أكثر ممّا تعرف الشّخصيّة الرّوائيّة.

رؤيا العالم(Vision of the World):

هي مجموعة التّطلّعات والأحاسيس والأفكار التي تجمع أفراد فئة ما(وغالباً: طبقة اجتماعيّة)، وتجعلهم يناوئون المجموعات الأخرى.

راوٍ(Narrater):

هو القائم بسرد حوادث الرّواية وتقديم شخصيّاتها وزمنها وأمكنتها.

راوٍ عالم بكل شيء(Omniescient Narrater):

هو الرّاوي المحيط بحاضر الحوادث الرّوائيّة وماضيها، وسلوك الشّخصيّات ودخيلتها.

(ز)

زمن الحكاية(Time of the Fable):

هو التّرتيب الزّمنيّ المفترض للأحداث. وهذا التّرتيب خاضع للتّتابع السّببيّ المنطقي للحوادث.

زمن دائريّ(Circular Time):

تقنية زمنيّة تعني عودة الزّمن إلى النّقطة التي بدأ منها في نهاية الرّواية.

زمن روائيّ(Novel Time):

هو الزّمن التّخييليّ الذي يبتدعه الرّوائيّ ليضع في إطاره حوادث الرّواية وشخصيّاتها. وهو نوعان: طبيعيّ وديمومة(أو زمن معيش).

زمن السّرد(Narration Time):

هو التّرتيب الزّمنيّ لحوادث الرّواية كما يطالعها القارىء. ولايتقيّد هذا الزّمن بالتّرتيب المنطقي للحوادث.

(س)

السّرد(Narration):

هو عرض موجّه لمجموعة من الحوادث والشّخصيّات بوساطة اللّغة المكتوبة.

السّرديّات(Narratologie):

فرع من الشّعريّة التي تعني نظرية الأدب أو مايجعل الأدب أدباً من قواعد وقوانين وخصائص. والسّرديّات، تبعاً لذلك، هي علم السّرد أو نظريّته. وهذا العلم يبحث في تحليل «سرديّة» الخطاب السّرديّ. ولها اتّجاهان: اتّجاه تحليل الدّلالات السّرديّة، ويهتمّ بتحليل الحكاية دون تجسيدها في رواية أو قصّة أو...، واتّجاه تحليل المحكيّ على أنّه تجسيد للحكاية أو تمثيل لفظيّ لها.

سعة الاسترجاع(Analepse Portee):

هي عدد الصّفحات أو السّطور أو الفقرات التي يغطّيها استرجاع الماضي الرّوائيّ.

(ش)

شكل روائيّ(Novelistic Mode):

هو اللّغة الرّوائيّة في دلالتها على شكل التّعبير وحده.

(ص)

صيغة سرديّة(Narratif Mode):

هي شكل المقطع السّرديّ كما يطالعه القارئ في الرّواية.



(ع)

العرْض(Showing):

هو الحوار بين شخصيات الرّواية، وكلامها، ونجواها الذّاتيّة.

(ف)

الفضاء(Space):

هو مجموع الأمكنة في الرّواية وإطارها المتحرّك.

الفضاء الجغرافيّ(Geographical Space):

هو الأمكنة الرّوائيّة المحدّدة جغرافيّاً، القابلة للإدراك والتّخيُّل.

الفضاء الدّلالي(Semantics Space):

هو الصّورة التي تشكّلها اللّغة الأدبيّة.

الفضاء كمنظور أو كرؤية(Space as Perspection):

هو زاوية النّظر التي يقدّم بها الرّوائيّ أو الرّاوي العالم الرّوائيّ.

الفضاء النّصيّ(Textual Space):

هو المكان الذي تشغله الكتابة على الورق، كطريقة تصميم الغلاف وتنظيم الفصول وتغيير الحروف المطبعيّة وتشكيل



العنوانات. وهو مكان محدود تتحرّك فيه عين القارئ.

(ك)

كلام الشّخصيّات (Characters Speach):

هو الكلام الذي تُوجّهه الشّخصيّة الرّوائيّة للآخرين من غير أن يكون هناك ردّ عليه.

(م)

مدى الاسترجاع(Analepse Amplutide):

هو المدّة الزّمنيّة التي يغطّيها استرجاع الماضي الرّوائيّ.

مرويّ له(Lecture Narrataire):

هو القارئ المتخيَّل داخل نصّ الرّواية. ويُفترض أن يتّجه خطاب الرّاوي إليه.

مشهد(Scene):

هو المقطع الحواريّ الذي يأتي في تضاعيف السّرد، ويتطابق فيه زمن السّرد مع زمن الحكاية.

مظاهر السّرد(Aspect):

هي إدراك الرّاوي أو الرّواة نمط السّرد.

مفارقة سرديّة(Anachronie Narrative):

هي عدم التّطابق بين نظام السّرد ونظام الحكاية. أو إنها نتيجة التّلاعب بالنّظام الزّمنيّ للرّواية، بحيث يتباين ترتيب الحوادث حسب زمن السّرد عن ترتيبها حسب زمن الحكاية.

مفهوم(Concept):

المراد من مفهوم المصطلح دلالته أو التّصوُّر الخاصّ به.

مكان روائيّ(Novelic Place):

هو المكان اللّفظيّ المتخيَّل داخل الرّواية؛ أي المكان الذي صنعته اللّغة انصياعاً لأغراض التّخييل الرّوائيّ وحاجاته.

مكان طبيعيّ (Natural Place):

هو المكان الحقيقيّ في الواقع الخارجيّ المحسوس.

منظور روائيّ(Perspective Narrative):

هو وجهة نظر الرّاوي المتحكّمة في صياغة السّرد، أو بؤرة السّرد.

منهج (Method):

هو الطّريق إلى تحليل النّصّ.

موقع(Position):

هو منظور الرّوائيّ وموقفه المتحكّمان في بناء الرّواية.

(ن)

نجوى ذاتيّة(Monologue):

هي الكلام الذي يجول في داخل الشّخصيّة وتتوجّه به لنفسها. وقد سُمّي أحياناً: الحوار الدّاخليّ.

نصّ(Text):

المراد هنا: النص الأدبيّ، وهو بناء لغويّ مُكتفٍ بقوانينه الدّاخليّة الأدبيّة، مستقلّ عن مبدعه وعن المجتمع الخارجيّ المحيط به.

نظام زمنيّ(Time Order):

هو التّرتيب الزّمنيّ لحوادث الرّواية، سواء أكنا نقصد التّرتيب حسب زمن السّرد أم حسب زمن الحكاية.

نظام السّرد(Narration Order):

هو توالي المقاطع السّردية في الرّواية استنادا إلى نظامي الحبكة والعقدة، وإلى عناصر التّمدُّد والاتّساع والتّداخل والتّناوب والتّتابع.

نموذج(Pattern):

هو التّصوُّر المفترض أو الواقعيّ للبناء الرّوائيّ.

(و)

وجهة النّظر(Point of View):

هي منظور الرّاوي المعبّر عن موقعه ممّا يرويه، أو رأي الشّخصيّة في الحوادث والشّخصيّات.

وقفة(Pause):

تقنية زمنيّة تعني توقُّف سير الزّمن الرّوائيّ.

(*) رتّبتُ المصطلحات ترتيباً ألفبائيّاً بحسب الحرف الأوّل منها بعد إسقاط(ال) التّعريف، ووضعتُ بين قوسين مايقابلها في اللّغة الإنجليزية، ثمّ وضّحتُ مفهومها المعتمد لديّ.

مفاهيم تطبيقية في تعليم القراءة

د. علي بن صالح الخبتي

يعـاني تعليم القـراءة الآن من المفـاهيم القـديمة المغلوطة التي تـقضي باقـتراب القارئ بطريقة سلبية من المادة المقروءة لتشرُّب كل ما يقدمه له النص. ولقد قوبلت هذه المفاهيم بتحدٍّ كبير من عالم اللغويات نعوم تشومسكي؛ الذي جادل بشكل علمي النظرية السلوكيـة، وأثبت بأدلة وبراهين علميـة بطلان بعض المفـاهيم التي قدمـتها هذه النظريـة التي تقول: «إن فـهم الجملة يتـوقف على دراستـها وترديدها بوساطة تمارين خـاصة حتى يمكن فهمـها، ومن ثم استرجاعها عندما يطلب ذلك وبطريقة آلية». والواضح أن الأدلة التي قـدمت لدحض مثل هذا المفهوم هي - في الواقع - أدلة منطقية ثبت صـدقهـا. فمـثلاً لايتـوقف فهم جـملة على دراسة تلك الجملة لأننا نستطيع أن نفهم جملاً ونقول جملاً لم نسمع بها ولم ندرسها من قبل، وهذه حقيقة بدهية.

ومن هذا المنطلق كـان لابد من إعادة النظر في تدريس القراءة بغـية نقل التـركيـز من المادة المكتوبة لتـفـادي ضـيـاع الوقت على دراسـة جـمل وكلمـات بطريقـة لاتخـدم تعليم القـراءة، إلى التركيـز على القـارئ نفسـه وعقليـتـه التي يجب الاهتـمام بها وصـقلها حـتى تستطيع استيـعاب جمل لم يسبق أن مرت بخبراته، ويستطيع عندها الـقارئ استخدام ذهنه في إعطاء رأيه فيما يقـرأ. وتقضي هذه الطريقـة بأن يتفـاعل القارئ مع النص تفـاعلاً نشطًا حتى يستطيع بنفسه بناء معنى النص الذي تتناثر حجارته في ثنايا النص. وهذا البناء لايحتاج إلى أن يقوم المعلم بتجميع تلك الحجارة ووضعهـا بعضها فوق بعض ثم يحضر الطالب ليرى البناء مكتمـلاً. في هذه الحالة يكون المعلم قد قرأ بالنيابة عن الطالب، لكن يمكن للمعلم أن يدل الطالب على حـجر هنا وآخـر هناك عندما يتـعثر الطـالب ويجد صعـوبة، ويكون ذلك مؤقتا. فالطالب كما ذكرنا يمر أثناء القراءة - وخـصوصا عندما يمارس لعبة التخمين - بمراحل عديدة منها: التوقع، والتأكيد، وتصحيح الخطـط التي يستخدمها، والحصول على المعلومات السابقة التي لها علاقة بالنص. وفي هذه المراحل قد يتعثر الطالب، ومهمة معلمه هنا أن يزيل العراقيل التي اعترضته ليضمن استمراره، فـإذا استمر تركه وشأنه. ومساعدة المعلم لتلاميذه لاتنحصر فقط في الجزئية اللغوية، فهـذه الجزئية لاتنتـسب وحدها فـي الوصول إلى المعنى ولاتنسب وحـدها في تعليم القراءة؛ فهناك المعلومـات السابقة التي لها عـلاقة بمعنى النص، وهناك العمليات الإدراكيـة التي يجب أن يقوم بها القارئ بنجاح تام، وهناك لعبـة التخمين، وهناك خطط (استراتيجيات) خـاصة بالقـراءة، وهناك مهـارات القراءة. وكل ذلـك سبق شرحه في مقالات سابقة، ويجب أن يضعه معلم القراءة في اعتباره عندما يقوم بتعليم طلابه القراءة بهدف تعويدهم عليها وإلصاقهم بالكتاب.

مهام معلم القراءة

هناك العـديد من المهـام التي يجب أن يضطلع بهـا المعلم في درس القـراءة. بعض هذه المهام تكون قبل القـراءة، وبعضها أثناءها، وبعـضها بعدها. فقبـل القراءة، وعند تقديم النص إلى طلابه، يجب أن يفـترض أن هناك ثلاث مـجمـوعـات مختـلفـة من الطلاب من حيـث خلفيتهم عن هذا النص: مـجمـوعة لديهـا خلفية عن الـنص، ومجـموعـة ثانيـة لديها خلفـية ضعيفة عن النص، ومجموعة ثالثة ليس لديها خلفية عن النص.

ومهمته أن يزود كل طلابه بخلفية عن النص. فإذا لم يزودهم بهذه الخلفية فإن الشرط الأسـاس لتفـاعل الطالب مع النص لن يتـحقق، ولهـذا فلن تكون هناك قراءة فـعالة وقـارئ فعَّال، ومن ثم سيكون الوصول إلى المعنى بشكل شامل وعميق متعذرًا.

كيفية تزويد القارئ بخلفية عن النص

هناك طرائق عـديدة لتزويد الـطالب بخلفيـة عن النص يمكن اسـتـخـدامهـا جمـيـعًا أو استـخدام بعض منهـا وفقًا لما يراه المعلم، وحسب النص الذي سيقرؤه الطلاب. فـقد يستخدم المعلم عنوان النص والصور المصاحبة له والعناوين الجانبية لإعطاء خلفـية عن النص. وقد يحضـر المعلم معه بعض الوسـائل والرسـوم البيـانيـة إذا كـان النص يحتاج إليها. وقد يقوم بتـوجيه بعض الأسئلة العامة حول مـوضـوع النص يجيب عنها الطلاب الذين لديهم خـلفية قـوية عن النص. وبعض هذه الأسئلة سـيجيب عنها من لديهم خلفـية بسـيطة عن النص. والهدف من هذا النـقاش تزويد جميع الدارسين بخلفية عن النص. ويجب أن نتذكر أن هذه الخلفـية مهمة جدًا لقمَّة القراءة التي سبق شـرحهـا للتمازج بين هذه القمة وقـاعدة القـراءة التي تمثلها الحـروف والكلمات الموجودة في النص، وتعـمل على استـثارة تلك القمة بهـدف إحداث التمـازج أثناء القراءة، الذي يجب أن يتم بشكل نشط للوصول إلى قراءة فعالة ينتج منهـا الوصول بشكل عـميق إلى المعنى.

وأثناء القراءة أيضـا تتم لعبة التخـمين، والمراقبة الذاتية. وسبق شرح هذين المصطلحين «الفيـصل العدد ٢٢٣ ص ١٠٦-١٠٧». وفي البداية لابد من مـراقبة المتعلم وتوجيه بعض الأسئلة إليه حول هذه العـمليات الإدراكية للتأكد من أنه يسير في الطريق الصحيح؛ وحتى لايتعود تبني طرائق خاطئة في القراءة؛ لأنه إذا تعود هذه الطرائق الخاطئة واستخدمها لبعض الوقت فـسـيـصـل إلى مـرحلة تحـجـر الخطأ. وعندمـا يصل إلى مـرحلة الـتـحـجـر «FOZELIZATION» سيكون من العسير تصحيح ذلك الخطأ.

مهام المعلم بعد إتمام القراءة

اعتـاد القارئ المتعـلم أن يتلقى أسئلة تقليـدية في نهاية كل نص تهـدف إلى استرجـاعه بعض الأحـداث والمعلومـات الواردة في النص. وتُوجـه هذه الأسـئلة إلى الطـالب بشكل سطحي ومباشر لا يكلفه أن يُعمل عقله وتفكيره فيها. كما اعتاد القارئ أن يسأل عن معاني الكلمات والنطق الصحـيح لبعض الجمل والكلمات، وأن تصـحح له الأخطاء اللغوية فقط. وهذا بلاشك جانب جدير بالاهتمام لكنه ليس الشيء الوحيد الذي يجب أن يحتوي عليه درس القـراءة. ولا يؤدي ذلك كله إلى إخراج القـارئ الفعـال. وبالإضافـة إلى ذلك يجب على معلم القراءة الاهتمام بأربع مهارات في كل درس من دروس القراءة، هي:

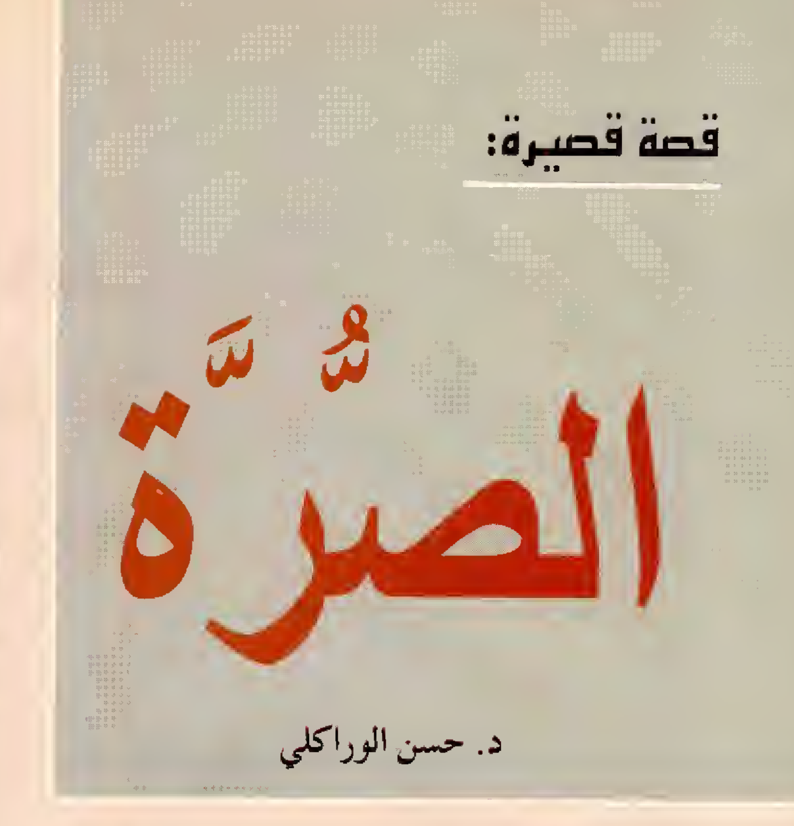
أولاً: توجيه بعض الأسئلة غير المباشرة التي تعود القارئ التفكير المنطقي السليم.

ثانيًا: القراءة العمودية أو القراءة السريعة، وهناك يُعطى القارئ نصًا يحتاج إلى خمس دقائق، مثلاً، لقراءته، ويُطلب منه قراءة النص في دقيـقة.. ثم تُوجه إليه أسئلة، ثم يقرؤه مرة أخرى في دقيقتين؛ ثم تُوجه إليه أسئلة أكثر عمقًا، وهكذا لعـدة مرات. وتكرر هذه العملية في كل دروس القـراءة. ويـجب هنا تدريب الدارس على التـركيـز على قـراءة الـكلمـات الأساسية في النص؛ فـقراءة عشرين كلمة من نص يحتوي على مئتي كلمة تكفي للوصول إلى المعنى إذا أجاد القارئ اختيار الكلمات الأساسـية وتعوَّد معرفـتها والتركيـز عليها أثناء القراءة..

ثالثًا: عملية المسح الشامل SKIMMIMING.

رابعًا: عمليـة البحث SCANNING وقد سـبق شرح هاتين المهـارتين في مـقالة سابـقة «راجع الفيصل، العدد ٢٢٥».

هذه المهارات الأربع يجب التركيـز عليـها وتعوُّدها في كل دروس القراءة. وسيكون هناك تفـاوت بين الطلاب في إجـادة هذه المهـارات. وهنا يمكن أن نضع الـطلاب في مـجمـوعـات تتكون من طلاب مـجيدين وآخـرين أقل إجادة؛ حيـث يمكنهم مسـاعدة بعـضهم بعـضا. وفي الحقيقة فإنني لا أتصور درسًا في القراءة لايحتوي على تعليم هذه المهارات الأربع.



تحت جنح الظلام لفظته في العراء الحافلة المقرورة التي أقلّته من قريته النائية إلى العاصمة..

كانت الريح تصفر..

وكان المطر يهطل.. والبرد يلسع الأطراف..

وبين الفينة والأخرى كانت الآفاق البعيدة تلتمع بخيوط البرق الخاطفة.. ثم سرعان ما تعود لتغرق في ظلامها الدامس!

وبالرغم من قساوة الطقس فإنّ أحمد كان يبدو متهلل الوجه، مشرق المحيا. كانت جوانحه تلتمع هي الأخرى بخيوط أمل خُلّب، طالما حلم به وترقب يوم حصاده!

يدس أحمد يده في جيبه يتحسس صرة النقود فيزداد وجهه تهللاً ومحياه إشراقًا.. لكنه سرعان ما يتذكر تحذيرات شقيقه الأكبر السي العياشي من مكائد أولاد السوق بالمدينة، فتغرق أساريره في وجوم كئيب، وتشرد نظراته في فراغ لامتناه ...!

يدلف أحمد إلى مبنى المحطة المسقف..

الجو يختنق بطبقات كثيفة من دخان السجائر..

أصوات باعة الحريرة والرغائف تعلو هنا وهناك، وتختلط بها أصوات المغنين المنبعثة من أجهزة الكاسيت في أيدي الناس..

يقترب أحمد من البوابة الكبيرة حيث احتشد المسافرون يتدافعون بالمناكب والأيدي ويتسابقون..

(تحاش الزحام ياأحمد.. تحاش الزحام.. لاتقترب من الزحام أبدًا..!) دوّتْ كلمات شقيقه الأكبر في أذنه.. وفي قلبه، فتراجع إلى الوراء وقد امتلأت أطواؤه بالخوف..!

يجيل بصره في أطراف المحطة.. تقع عيناه على كراسي مقهى في الركن الشمالي.

يفكر: لماذا لايجلس في هذه المقهى حتى ينكشف الزحام ويخفّ سقوط المطر؟.. لكنه، لا، لا... إذا جلس فعليه أن يطلب شيئًا.. شاي، قهوة، عصير.. وهذا يقتضي دفع دراهم، على الأقل، ثلاثة أو أربعة إن لم يكن أكثر.. فالأسعار في الليل تتضاعف، أولى به أن يدخر دراهمه لليوم الموعود.. يوم السفر وتخطّي الحدود..!

ابتسم ابتسامة عريضة، واسترسل في تفكيره ونظراته لاتزال مركزة على كراسي المقهى.. ثم إنّ دفع النقود مقابل ماسيشرب يستلزم أن يُخرج من جيبه، على أعين الناس، المحفظة الجلدية أو الصرة. وهذا مثير لفضول الناس وطمعهم كذلك.. بل إنّ إخراج الصرة بالذات غير ممكن.. إنّ الصرة - بناءً على تعليمات ولد عمته السي علي - ينبغي ألا تخرج من ظلام الجيب إلاّ مرة واحدة، هي المرة التي سترى فيها النور وهي تستقر بسلام وأمان بين يدي مستحقها سيادة رئيس إدارة العقود والتشغيل..!

ابتسم، مرة أخرى، ابتسامة عريضة ذات معنى.

عدل عن فكرة الجلوس في المقهى، وجعل يطوف بعينيه على المقاعد الرخامية المستطيلة المتناثرة في جوانب المحطة ووسطها..

أبصر، غير بعيد منه، مقعدًا شاغرًا، فسار إليه بخطى سريعة كأنما يسابق أحدًا إليه، ثم تهالك بكل قواه ويدُه لا تزال مدسوسة في جيبه تحكم القبضة على الصرة.

وعلى وقع قطرات المطر المتساقطة فوق قبة المحطة الزجاجية راح أحمد يستعرض صورًا من تاريخ الصرة التي جاء اليوم يحملها إلى مستحقها: آه.. كم عانى من عذاب.. آه كم تحمّل من ألم.. كم واجه من خطر في سبيل هذه الصرة.. آه كم أمضى من أيام، وكم سلخ من ليالٍ في جمع «المادة الخام» لهذه الصرة قبل أن تتحول، بمضي الشهور والأعوام، إلى أوراق زرقاء مستطيلة الشكل مكتنزة اللحم، يسيل لرؤيتها اللعاب.. الإبداعات الأولى كانت تتم بما يتفق ويتيسر..درهم، درهمان، ثلاثة، يقتطعها من شبعه وكسوته، ويرمي بها في الصرة وقلبه يخفق بفرحة عارمة وعيناه تشعان ببريق الأمل.. كان في كل ليلة إذا خلا إلى نفسه أخرج الصرة من مكمنها.. يقلّبها بين يديه، يتأملها من الخارج.. يفتحها، ينحني على فوهتها وينظر في لبوبها بعينين بارقتين، ثم يغلقها بإحكام، ويقربها، في رفق وحنان، من فيه فيطبع عليها قبلات مترعة بالحب والأمل.. فعل العاشق المستهام.. ثم لا يكتفي بذلك فيضمها إلى صدره ضمًا عنيفًا يحس بدفئه يسري في أوصاله!

كذلك كان صنيعه مع صرته كل ليلة، إلا ليلة عاد ولد عمته السي علي إلى القرية بعد ثلاث سنوات من الغياب، يركب سيارة سوداء، ويرتدي قميصًا أزرق مخططًا وبنطلونا أبيض اللون.. خفّ للسلام عليه وسهر معه إلى الهزيع الأخير من الليل حتى انفضّ القوم وخلا لهما المجلس.. فبادره السي علي بالسؤال عن الصرة، فلما أخبره بجليه أمرها أطلق ضحكة ساخرة وقال له: هذا المبلغ لا يُسمن ولايُغني من جوع!. ابتسم أحمد ابتسامة خفيفة وقال في قرارته: لايزال السي علي يحفظ بعض ماتعلّماه معًا في كتّاب الفقيه البشير! ثم توجه إليه يستفسره: وكيف؟ فأجابه السي علي في حزم و جد: عليك أن تبحث عن موارد أخرى وبسرعة.. الزمن لا يرحم ولا ينتظر.. الفرص تفلت من يديك يا السي أحمد...

عاد أحمد إلى المنزل وكلمات السي علي حرائق يتلظى بنارها.. سارع إلى مكمن الصرة فأخرجها، ثم رمى بها عرض الحائط في غير ما رفق ولا إشفاق وقال وهو ينظر إليها شزرًا: لانفع فيك.. لا نفع فيك..!

لم يغمض له جفن بقية ليلته..

وفي الصباح بكّر بالذهاب إلى مقر عمله بخزين الحبوب والقطاني وقد وسوس له الشيطان: لابد أن ترفع عنك ظلم صاحب الخزين الحاج قُوِيدَر... إنه يتحيّفك ويأكل عرقك.. لا يعطيك أجرك الذي تستحق.. صحيح أنك رضيت بالأجر أول مرة، لكن، فقط، تحت ضغوط الحاجة.. إنّ عليك أن تقتص منه لنفسك بنفسك وتنزع منه حقك المغتصب.. زوّد بعض من تطمئن إليهم من سائقي الشاحنات بكيسين، بثلاثة، بأربعة.. واقتسم معهم ربحها..! هذا هو الحل.. وهذه هي الموارد التي يعنيها ولد عمتك السي علي، وإلاّ فإنّ الصرة لن تكتنز مدى الحياة!

يَرُدّهُ إلى المقعد الرخامي في المحطة صوت طفل يسأله: لله أعزيزي.. لله.. نظر إليه أحمد في تأثر ظاهر.. كان الطفل ممزق الثياب، حافي القدمين، يعروه نحول وشحوب، وكان، وهو يمد إليه يده يتلفت إلى شخص ذي سحنة كالحة وشعر أشعث يجلس على المقعد الرخامي المقابل، ويُصوِّب نظرات مريبة إليه أو هكذا تخيل، لكنه لم يأبه به ولم يُلق إليه بالاً.. صرف الطفل: يفتح الله.. ودّ في قرارته لو يعطيه شيئًا، لكنه لا يستطيع أن يُخرج، على أعين الناس، من جيبه ما يسترعي أنظارهم إليه، قلّ أو كثر..! يخرج أحمد من المحطة..

سواد الليل يملأ الشوارع والدروب..

وماء المطر يملأ جانبي الطريق

وكابوس الخوف يملأ جوانح أحمد.

يَتنحنحُ. ويسعل سعالاً عالي الصوت.. ويضرب بحذائه الغليظ أرض الرصيف بقوة وعنف محدثًا وقعًا رتيبًا يستأنس بصداه!

الطريق إلى منزل عمته قصير.. كان يقطعه في أقل من عشر دقائق.. لكنه الآن يحس به يتمدد ويتمدد، ويفتح شدقًا مخيفًا يبتلع الذاهب والآتي..

لم يخفف عليه من وطأة الخوف إلا تلك الأحلام الوردية التي لم تكن لتغيب عن مخيلته لحظة حتى تعود لتتراءى له في مشاهد أكثر إثارة وأشد وقعًا، ولا سيما بعد أن عمل بنصيحة ولد عمته السي علي: فأسرع في ملء الصرة من دَخْل أكياس القمح والقطاني بخزين الحاج قويدر! وتتوالى المشاهد الأرجوانية الجميلة أمام ناظريه في سرعة خاطفة:

هاهو يسلم الصرة إلى مستحقها سيادة رئيس مكتب العقود والتشغيل..!

هاهو ذا يستلم منه العقد والجواز..!

هاهو ذا يقف على سطح الباخرة وهي تمخر به البحر إلى العُدْوه الأخرى..

هاهو ذا قد عاد ـ مثلما عاد السي علي ـ يركب سيارة لامعة كسيارته، ويلبس القميص الأزرق والبنطلون الأبيض..!

وهاهو ذا يتأبط ذراع فارسة أحلامه خديجة بن الأعشوش، وينطلق بها في سيارته إلى المدينة المتلألئة بالأضواء..!

فجأة..

يقطع عليه حبل المشاهد الجميلة وقْعُ خطوات مستعجلة منه.. تلفَّت وراءه..

وتحت النور الواهن المنبعث من المصباح المثبت إلى الجدار ميَّز ملامح الشخص الذي يسير وراءه..

هو نفس الشخص الكالح الوجه، الأشعث الشعر الذي كان يجلس غير بعيد منه في المحطة ويصوّب إليه نظراته المريبة..

وسع خطوه..

أرهف السمع: وقْعُ الخطو ازداد..!

تلفت: ياالله.. أصبحوا ثلاثة..!

انتهى إليه صوت أحدهم: اسمع أنت .. آسي محمد..

لم يلتفت..

اشتد وجيب قلبه.. أحس به يكاد يثب من قفص صدره!

أوجس في نفسه خيفة.. لكن ركبتيه لم تخوناه..

أطلق ساقيه للريح..

وأطلقوا، في إثره، سيقانهم للريح.. كذلك!

انعطف إلى أول ممر ثم رمى بنفسه في مدخل أول عمارة.. وصفَق الباب في وجوههم!

ومن وراء الباب كان يسمع أنفاسهم اللاهثة..!

ثم طفق يصعد الدرج إلى منزل عمته، يدٌ على قلبه، وأخرى على صرته.

غادر منزل عمته قبل أن يشير عقرب الساعة إلى الثامنة والنصف وهو موعد فتح الإدارات الحكومية..

وعند ناصية الشارع وقف يحاول أن يذكر الطريق إلى إدارة العقود والتشغيل.. لكن دون جدوى.. كل ماذكره أن مقر الإدارة بإزاء أحد أبواب سوق شعبي دائم الصخب والضجيج، والهرج والمرج!

فليجرب من هذا الشارع..

قالها في نفسه.. ثم طفق يمشي بخطوات وئيدة، مترددة، على الرصيف الأيمن للشارع..

وماهي إلاّ برهة قصيرة حتى وجد نفسه في ساحة فسيحة تتفرع منها أربعة شوارع أو خمسة!

استبدت به الحيرة..

ألقى نظرة خاطفة على ساعة معصمه.. الوقت يمضي والصباح يتقدم.. وشقيقه العياشي أكّد عليه بضرورة التبكير، فماذا يصنع؟ فليتابع السير في الشارع المقابل لعلّ وعسى..!

مضى يغذ السير في أحد الشوارع المتفرعة من الساحة الواسعة، ثم بدا له أن يدلف إلى ممر تجاري تحت عمارة شاهقة، خرج منه إلى شارع خلفي، أفضى به إلى دروب وأزقة مكتظة بالمارة والعربات وحمير الحمالين..

هنالك تذكر ورقة صغيرة يحملها معه وفيها كتب له السي علي عنوان إدارة العقود والتشغيل.. أخرج الورقة وقرأ: إدارة العقود والتشغيل ـ مكتب الرئيس شارع (آزرو) رقم (٢٨).

رفّت الفرحة على محياه..

قال في نفسه: وجدنا الحل، لابد من سؤال أحد المارة، من أسأل منهم..؟ كلهم متسرع متعجل!

رنّت في مسمعه كلمات شقيقه العياشي: لاتسأل إلاّ من تتوسّم فيه الخير.. التمسوا الخير في أحسن الوجوه.

اقترب من أحد المارة بعد أن توسّم فيه الخير، ليسأله فلم يأبه له ولم يلتفت إليه..!

ثم استوقف سيدة، وقد توسّم في وجهها الخير، فلم تقف، وتابعت سيرها ممسكة بيد طفلة صغيرة وهي ترميه بنظرات شذراء..!

وأسرع في إثر رجل، بدا له خيّرًا، طيبًا، فلم يكد يبادره بالسؤال حتى تلفت إليه وهو يقول له في غلظة: ماعرفت.. ماعرفت..!

وقف وقد خاب ظنه.

همس في نفسه وهو يدور في موقفه ويتلفت يمنة ويسرة: أنا هنا بالتأكيد على مقربة من الإدارة.. لكن، كيف السبيل إليها عبر هذه الدروب والأزقة المتداخلة والمتشابهة!

تقع عيناه على شيخ مُحدوب الظهر يقف متكئًا على عصاه غير بعيد منه.. حدثته نفسه أن يسأله عن العنوان، تردد مخافة أن يُخيب ظنه مثل سابقيه، لكنه وجد نفسه مدفوعًا بقوة خفية إليه، فلما حيّاه وسأله، برقتْ عينا الشيخ وتبسم وهو يذرع بنظراته قامة أحمد، ثم سأله: هل تبحث عن شغل.. عقدا؟ تريد الحصول على عقد؟ هل لديك الجواز؟ ودون أن يترك فرصة لأحمد ليرد على أسئلته أمسك بيده اليمنى وسار به بضع خطوات، وأحمد يهمس في نفسه: صدقت ياأخي.. اسألوا أهل الخير.. ثم استوقف شابين كانا مقبلين، وطلب منهما في لهجة شبه آمرة أن يأخذا بيد أحمد ويدلاّه على إدارة العقود والتشغيل! توقع أحمد أن يدلاّه من موقفهما ذاك على العنوان.. لكنه عجب حين رأى كلا منهما يُبدي حرصًا بالغًا في مصاحبته، فلما لم يتنازل أحدهما للآخر صحباه معًا.. واندفع الثلاثة يمشون ونظرات الشيخ تشيعهم وبسمة عريضة تعلو محياه.. انعطف الشابان بأحمد إلى مدخل السوق الشعبي..

لم يكادوا يتوسطون السوق حتى ابتلعتهم أمواج الزحام: رسوبٌ وارتفاع، سقوط ونهوض، مدٌّ وجذر، تيار يجرف إلى أمام، وآخر إلى خلف..

قال له الشابان بصوت عال وهما يحاذيانه: ادفع عن نفسك بيديك ورجليك..!

عمل بنصيحتهما.

تعارك، وتصارع، وتدافع.. بيمينه وشماله!.. ورجليه..!

حتى نبذته الأمواج بباب السوق وقد كادت روحه تزهق!

قال له الشابان: انظر.. هذه الإدارة قبالتك..

ثم انقلبا مسرعين.. وغابا في الزحام..!

استبشر أحمد وانشرح صدره.. ونسي في طرفة عين كُلّ ماعاناه في الزحام.. وتقدم بخطى واثقة إلى باب الإدارة. ثم دخلها وجوانحه تجيش بآمال عراض وأماني عذاب..

طرق باب مكتب الرئيس فسمع صوتًا غليظًا يأذن له بالدخول.. دخلَ وهو لا يكاد يصدق أنه سيقف، اللحظة، بين يدي أهم رئيس على وجه الأرض! لم يدعه الرئيس يسترد نفسه ويلقي بتحيته، بل بادره وهو يلاحظ انشراحه الممزوج بالقلق:

تبغي عقد شغل.!

ولم يتركه كذلك يرد على سؤاله، بل تابع دون أن ينظر إليه:

وهل احضرت اللوازم..؟

ارتسمت بسمة عريضة على ثغر أحمد فسارع بالرد وهو يدرك مقصد الرئيس:

نعم أسيدي.. نعم أسيدي.. موجودة معي.. اللوازم موجودة..!

دَسّ يده في جيب سرواله حيث ترقد الصرة فلم تلامس أصابعه شيئًا..!

جحظت عيناه، واقشعر جلده، وعراه القلق، لكن البسمة العريضة ظلت مرتسمة على محياه!

طفق، في حركات سريعة وخاطفة، يدخل يده في جيوبه الأخرى بحثًا عن الصرة.. وكلّما أخرج يده فارغة من جيب كانت البسمة العريضة تتقلص على مُحيّاه وتنحسر.. وتتقلص وتنحسر.. حتى اختفت تمامًا!

أراد أن يبكي بمرارة..

لكنّ الدمع كان قد تحجّر في مقلتيه!

نيابة عن خادم الحرمين الشريفين:
الأمير عبدالعزيز بن فهد يفتتح أكاديمية الملك فهد في بون

المسؤولون السعوديون والألمان يجمعون على أهمية التواصل الحضاري والتبادل الثقافي

بون ـ مندوب «الفيصل»:

أكد صاحب السمو الملكي الأمير عبدالعزيز بن فهد بن عبدالعزيز المستشار في الديوان الملكي أن حكومة المملكة العربية السعودية حريصة على بناء المراكز الثقافية، ومنها أكاديمية الملك فهد في بون، بالإضافة إلى العديد من المساجد والمعاهد والمدارس، رغبة من خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز في جعلها مراكز إشعاع ومصابيح هداية تعمل على تعليم العقيدة الصحيحة الخالية من الشوائب، وجسور ود ومحبة تربط أبناء المملكة وأبناء مختلف الجاليات العربية والإسلامية المغتربين عن أوطانهم بدينهم وتراثهم وأصالتهم، وتُبين لغير المسلمين حقيقة الإسلام ومنطلقاته، فيتبلور في رحابها التفاهم والتبادل الثقافي والحضاري بين أبناء المسلمين وغيرهم بما لايتعارض مع عقيدة الإسلام وأحكام ديننا.

وقال سموه في كلمة ألقاها في حفل افتتاح أكاديمية الملك فهد في بون، في العشرين من ربيع الآخر الماضي (١٥ سبتمبر ١٩٩٥): إن الرسالة التي تحملها هذه الأكاديمية من الضخامة بحيث تفرض على جميع منسوبيها أن يبقوا في مستوى الحضور المطلوب سعيا وراء تحقيق الهدف المنشود، حضور يعيشه كل منتسب إلى هذا المركز من وجوب التحلي بصدق الإيمان، والتمسك بتعاليم الإسلام، والتخلق بأخلاق القرآن، والدعوة إلى الله بإخلاص وعلى بصيرة، واعتماد مبدأ الحوار والتفاهم بالحكمة والموعظة الحسنة، والعمل لما فيه خدمة الإسلام والمسلمين والبشرية كلها مهما تباينت لغاتها واختلفت أجناسها وألوانها.

وفي ختام كلمته أعلن سمو الأمير عبدالعزيز بن فهد ترحيب خادم الحرمين الشريفين ـ يحفظه الله ـ بإنشاء كرسي للدراسات الإسلامية في إحدى الجامعات الألمانية العريقة ودعمه لهذا التعاون العلمي المفيد للجانبين، مؤكدا في الوقت نفسه اهتمام الملك المفدى بشؤون الجالية الإسلامية في ألمانيا وحرصه على الإسهام في تقديم كل عون ممكن لها، وترحيبه كذلك ـ يحفظه الله ـ بفكرة إنشاء جمعية الصداقة الألمانية السعودية ودعمه لها عندما تتبلور.

وكان الافتتاح الرسمي للأكاديمية قد تم في حفل حاشد حضره قرابة ١٥٠٠ شخص من رجال العلم والسياسة والدبلوماسيين ورجال الإعلام، من السعوديين والألمان والعرب والمسلمين المقيمين في ألمانيا، وتميز الحضور الألماني الرسمي بمستوى رفيع حيث شارك الأمير عبدالعزيز بن فهد في الافتتاح كل من د. كلاوس كنيكل نائب المستشار ووزير الخارجية، ود. يوهانس راو رئيس وزراء ولاية شمال الراين ـ فستفاليا التي تقع فيها مدينة بون مقر الأكاديمية، والدكتوره بيربل ديكمان عمدة مدينة بون، ود. يورجين موليمان الوزير السابق ورئيس جمعية الصداقة العربية الألمانية. وكان أبرز الحاضرين من الجانب السعودي وزير المعارف د. محمد الرشيد وسفراء المملكة العربية السعودية في عواصم غرب أوربا.

وبعد الحفل الخطابي الذي تحدث فيه كل من سمو الأمير عبدالعزيز بن فهد ووزير الخارجية الألماني ورئيس وزراء الولاية وعمدة بون ووزير المعارف السعودي والسفير السعودي في بون عباس فائق غزاوي، وتخللته أناشيد بالعربية والألمانية قدمها أطفال من طلاب الأكاديمية وطالباتها، توجه الأمير ومرافقوه وبقية الضيوف إلى حيث أزاح الستار عن اللوحة التذكارية، ثم تجولوا في مبنى الأكاديمية وزاروا بعض الفصول التعليمية وتبادلوا الحديث مع الطلاب ومدرسيهم.

كينكل: يهمنا تصحيح صورة الإسلام

في الكلمة التي ألقاها وزير الخارجية الألماني أشار إلى أن هناك مليارا و ٢٠٠ مليون مسلم يعيشون في العالم يشكلون ٢٣٪ من سكانه، منهم ١٤ مليونا في الدول الغربية منهم مليونان في ألمانيا وحدها. وعلّق على هذه الحقائق قائلاً: وهذا يدل على أنه يجب علينا أن نعير الحضارة الإسلامية جل اهتمامنا ولاسيما أن الاتصالات مستمرة بين هذه الشعوب. وفي تعبير واضح عن ضرورة تغيير الصورة السيئة عن الإسلام في أذهان الغربيين قال كينكل: نحن نعترف بأنه يجب أن نكرس علاقاتنا مع الإسلام لتغيير الصورة المشوهة عنه في أوربا، منوها بأنه لهذا الغرض دعا إلى مؤتمر يعقد في الخامس عشر من نوفمبر القادم لبحث تطوير العلاقات وتحسينها مع الدول الإسلامية وإقامة حوار بناء بينها




الأمير عبدالعزيز بن فهد برفقة وزير الخارجية الألماني أثناء افتتاح الأكاديمية

وبين الدول الأوربية انطلاقا من هذا التاريخ وهذه الحضارات.

وعن الأكاديمية نفسها قال كينكل: إن هذه الأكاديمية سوف تزيل هذه الأحكام المسبقة التي عرفناها عن أهداف الأكاديمية، ونحن نعمل بكل جد لتحسين هذه العلاقات وخاصة من المنظور الثقافي، وهذه الأكاديمية هي جسر للتفاهم، والحكومة الألمانية تدعم هذه الفكرة وستقدم لها كل العون.

د. الرشيد: إشاعة الحضارة

وفي كلمة مماثلة ألقاها وزير المعارف د. محمد بن أحمد الرشيد، تحدث عن النهضة التعليميةالتي تشهدها المملكة العربية السعودية منذ أن كان الملك فهد بن عبدالعزيزأول وزير للمعارف عام ١٩٥٤م، ثم أشاد بامتداد حرص خادم الحرمين الشريفين إلى أبنائه الطلبة والطالبات من أبناء الجاليات العربية والإسلامية في الخارج، من خلال توفير سبل التعليم أينما وجدوا، مؤكداً أن افتتاح الأكاديمية في بون دليل على هذه الرعاية الكريمة. وأضاف بأن الأكاديميات والمدارس السعودية في الخارج جاءت نتيجة إدراك الحكومة السعودية بأن الجانب الحضاري الإسلامي العربي مهم، وأن علينا أن نكون عامل إشاعة له وأن نساعد الآخرين على معرفة حقيقة ثقافتنا وتراثنا.

غزاوي: تحقق الحلم

وقال الأستاذ عباس فائق غزاوي سفير المملكة العربية السعودية في بون ورئيس مجلس أمناء الأكاديمية في كلمته بهذه المناسبة: هذه هي الأكاديمية كما ترونها اليوم، قرة للعيون، ودرة على جيد مدينة بون، هذه المدينة العريقة بالتاريخ القديم والحديث الغنية بالحضارة والتراث. وبما أنها تقع في وسط أوربا فليس أفضل منها اليوم في هذه القارة جسرا للتفاهم والتبادل الثقافي بين الحضارات والتراث والشعوب. وأوضح السفير غزاوي في مستهل كلمته مراحل المشروع منذ أن كان حلمًا عزيزا بعيد المنال ثم أصبح فكرة تحت أنظار خادم الحرمين الشريفين الذي تجاوب معها بتوفيق الله إلى أن أصبح الحلم حقيقة.

مؤسسة تعليمية ثقافية

إن أكاديمية الملك فهد في بون لاتعد مؤسسة تعليمية تربوية فحسب تحتضن أبناء الجاليات العربية والإسلامية المقيمة في بون وألمانيا عمومًا، ولكنها مركز ثقافي سوف يُعنى بإقامة النشاطات الثقافية من محاضرات وندوات ومعارض ودورات مسائية تهتم في مجملها بالتعريف بالإسلام وما يتصل به من علوم وشؤون، وبالواقع الحضاري للمملكة العربية السعودية، وبتوثيق صلة العرب والمسلمين بدينهم وحضارتهم وأصالتهم؛ وبترغيب الألمان في الثقافة الإسلامية واللغة العربية وآدابها وعلومها والفنون المتصلة بهما. ولهذا فإن مبنى الأكاديمية ـ الذي تبلغ مسطحاته ٥٠٠٠م٢ والمقام على أرض مساحتها ٥٦٠٠م٢ـ مهيأ لإقامة هذه النشاطات لما يتوافر فيه من إمكانات مجهزة، مثل قاعة للمحاضرات وقاعات أخرى للمعارض والأغراض الأخرى المتعددة، هذا إلى جانب التجهيزات التعليمية حيث يضم المبنى عشرين فصلاً دراسيا يدرس فيه حاليا ٥٢٠ طالبا وطالبة من ٢٦ جنسية يتولى تدريسهم ٣٥ عضواً من أعضاء هيئة التدريس من جنسيات عربية وإسلامية وألمانية، وفق المنهج الدراسي السعودي مع إضافات ضرورية كاللغة الألمانية والتوسع في اللغة الإنجليزية ومواد أخرى متخصصة تناسب البيئة التي يعيش فيها طلاب الأكاديمية. كما يضم المبنى مسرحا تعليميا ومكتبة مدرسية ومعامل للعلوم والحاسب الآلي ومرافق أخرى عامة. كما يشمل مجمع الأكاديمية مسجداً جامعًا يتسع لنحو ٧٠٠ مصل، وقد بوشرت الصلاة في هذا المسجد بأداء صلاة الجمعة في يوم الافتتاح نفسه، حيث أدى سمو الأمير عبدالعزيز بن فهد ومرافقوه الصلاة مع جموع المصلين من منسوبي الأكاديمية وأبناء الجالية العربية والإسلامية المقيمة في بون بعد أن استمعوا إلى خطبتي الجمعة اللتين ألقاهما فضيلة الشيخ سعد البريك الذي رافق سموه في زيارته لألمانيا لافتتاح الأكاديمية.

ملتقى أبها الثقافي

بدأت ـ وهذا العدد ماثل للطبع ـ نشاطات ملتقى أبها الثقافي الخامس بحضور أكثر من خمسين شخصية فكرية وأدبية وعلمية عربية وسعودية، يتقدمها صاحب السمو الملكي الأمير خالد الفيصل أمير منطقة عسير.

يتضمن المهرجان ندوات وأمسيات ومحاضرات، من أبرزها محاضرة لوزير التخطيط د. عبدالوهاب عطار بعنوان: «ربع قرن من التخطيط للتنمية».

معرض الكتب النادرة في منتصف العام الدراسي

قررت مكتبة الملك عبدالعزيز العامة بالرياض تعديل موعد إقامة معرض «المؤلفات النادرة عن المملكة العربية السعودية والجزيرة العربية» إلى منتصف الفصل الدراسي الأول لعام ١٤١٦هـ الجاري.

سوف يستمر المعرض عشرة أيام ويضم ٤٥٠ عنوانًا من الكتب والمؤلفات النادرة، وتصاحبه نشاطات ثقافية متنوعة.

المسابقة الدولية للقرآن الكريم

تقرر إقامة المسابقة الدولية الثامنة عشرة لتلاوة القرآن الكريم وحفظه وتفسيره وتجويده في مكة المكرمة خلال الفترة من ١٣ إلى ٢١ شوال ١٤١٦هـ (٢-١٠ مارس ١٩٩٦م).

وقامت وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والارشاد بتوجيه دعوات المشاركة في المسابقة إلى وزارات الأوقاف والشؤون الإسلامية في٤٣ دولة و٦٥ جمعية ومنظمة ومركزًا إسلاميًا.

وتتضمن المسابقة خمسة فروع هي: حفظ القرآن الكريم كاملاً مع التلاوة والتجويد وتفسير الجزء الخامس عشر منه، وحفظ القرآن الكريم كاملاً مع التلاوة والتجويد، وحفظ عشرين جزءًا من القرآن الكريم مع التلاوة والتجويد، وحفظ عشرة أجزاء من القرآن الكريم مع التلاوة والتجويد، وحفظ خمسة أجزاء مع حسن الصوت والتلاوة.

جهود للترجمة والتعريب

يقوم مركز الترجمة في جامعة الملك سعود بالرياض حاليًا بإجراء اتصالات بالمؤسسات المعنية بالترجمة والتعريب داخل السعودية وخارجها، من أجل تحقيق مزيد من التعاون في هذا المجال بما يخدم حركة الترجمة والتعريب.

وقام المركز بتجميع معلومات من المهتمين بالترجمة العلمية بالجامعة وتخزينها في قاعدة معلومات، حيث بلغ عدد المسجلين في القاعدة ٢٥٠ عضوًا من أعضاء هيئة التدريس.

كما تمت الموافقة على ١٨ مشروعًا للترجمة تقدم بها بعض أعضاء هيئة التدريس بالجامعة وفروعها، وبعض الهيئات الأكاديمية السعودية والأجنبية.

مركز للبحوث في مجمع الملك فهد لطباعة المصحف

أنشأت وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد مركزًا للبحوث والدراسات الإسلامية في مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة.

يعد المركز أول مركز متخصص من نوعه في الدراسات القرآنية والحديث الشريف والدعوة، حيث يرمي إلى إعداد بحوث ودراسات متعلقة بالقرآن الكريم والسنة الشريفة وعلومهما، والعلوم الإسلامية الأخرى، إلى جانب القيام بدراسات متخصصة في مجال الدعوة الإسلامية وأساليبها ومشكلاتها ومراكزها وهيئاتها في الداخل والخارج، والرد على الدعايات المغرضة، وبحث ماتحتاجه مجتمعات المسلمين، وغير ذلك.

مسابقة ثقافية


عبد السلام هاشم حافظ

أعلن فرع جمعية الثقافة والفنون في المدينة المنورة عن مسابقته الثقافية للعام الحالي في مجال الدراسات الخاصة بأعلام الأدب والثقافة، واختير عنوان الدراسة: «عبدالسلام هاشم حافظ شاعرًا».

اشترطت الجمعية أن تكون الدراسة باللغة العربية الفصحى وأن تتناول جميع أعمال الشاعر الراحل، وألا تقل عن أربعين صفحة، وألا يكون قد سبق تقديمها إلى مسابقات أخرى أو نشرها. وتحددت نهاية شهر رجب المقبل موعدًا نهائيا لاستقبال المشاركات على عنوان فرع الجمعية: ص.ب ٤٩٥٣ المدينة المنورة.

كتاب تذكاري عن الجاسر

تكريمًا للشيخ حمد الجاسر، قامت مكتبة الملك فهد الوطنية بالرياض بإصدار كتاب وثائقي يسجل أعماله، ويؤرخ لحياته وسيرته.

يتناول الكتاب في قسمه الأول حياة الجاسر من حيث المولد والنشأة والدراسة، وسير حياته العملية ونشاطاته في مجالات التأليف والتحقيق والصحافة والنشر. ويتطرق القسم الثاني للضبط الببليوجرافي لأعماله ومصادره. ويحتوي القسم الثالث على قائمة بأعماله المنشورة من مقالات وكتب ومعاجم، أُتبعت بفهارس للموضوعات والمؤلفات.

الترشيحات لجائزة علي وعثمان حافظ

أعلنت هيئة أمناء جائزة علي وعثمان حافظ الصحافية عن فتح الباب لقبول الترشيحات لجوائز عام ١٩٩٥م في مجالات: المقالة والعمود الصحفي والتحقيقات والكاريكاتير والصورة الصحفية، فضلاً عن قيام الهيئة باختيار كاتب عام ١٩٩٥م.

ويحق لكل صاحب نتاج منشور في مطبوعة باللغة العربية التقدم للجائزة، كما تقبل ترشيحات المؤسسات والنقابات ونوادي الصحفيين وكليات الإعلام وأقسام الصحافة والعاملين في مجالات الإعلام. وتحدد يوم الحادي عشر من شهر رمضان المقبل الموافق ٢١ يناير ١٩٩٦م موعدًا نهائيا لاستقبال الترشيحات.

مسابقة ملون «السعودية» للفن التشكيلي

أعلنت الخطوط الجوية العربية السعودية عن فتح باب المشاركة في مسابقتها الثالثة للفنون التشكيلية أمام الفنانين والفنانات من السعوديين والمقيمين بالمملكة.

تحمل المسابقة اسم «مسابقة ملون السعودية للفن التشكيلي» وخصصت لها أربعون جائزة، تبلغ قيمة الأولى ٢٠ ألف ريال.

وتحدد يوم التاسع من شهر شعبان المقبل الموافق ٣١ ديسمبر ١٩٩٥م موعدًا نهائيا لاستقبال المشاركات.



معرض تشكيلي

تقيم لجنة الفنون بفرع جمعية الثقافة والفنون في المدينة المنورة معرضها العام السابع للفنون التشكيلية في نهاية شهر جمادى الآخرة الجاري.

وحددت اللجنة موضوعي التراث والنهضة التي تشهدها المملكة في شتى المجالات ليكون أساس الأعمال المقدمة، وتحدد منتصف الشهر الجاري موعداً نهائياً لاستقبال المشاركات.

كتب جديدة

سلة المعلومات (عن أحدث عناوين الكتب العربية بعامة والسعودية بخاصة في مجال المعارف العامة والموسوعات)، إعداد وإصدار مركز المعلومات والتحقيق العلمي بدار طويق للنشر والتوزيع في الرياض.

تلوث المياه: المشكلة والأبعاد، تأليف د. نوري بن طاهر الطيب، وبشير بن محمود جرار، صدر ضمن سلسلة «كتاب الرياض» عن مؤسسة اليمامة الصحفية.

سوانح وآراء في الأدب والأدباء، تأليف د. بدوي طبانة، صدر عن منشورات عبدالمقصود خوجة في جدة.

المختار من أجمل الأشعار، مختارات شعرية نبطية قام بتجميعها محمد بن علي الحبيب، وصدرت عن دار الراوي.

القضاء في الدولة الإسلامية: تاريخه ونظمه، تأليف د. محمد سلامة الهرفي البلوي، صدر عن دار النشر بالمركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب.

كتابات إسلامية من مكة المكرمة: دراسة وتحقيق، تأليف د. سعد عبدالعزيز الراشد.

مكتبة مكة المكرمة: دراسة لموقعها وأدواتها ومجموعاتها، تأليف د. عبدالوهاب إبراهيم أبو سليمان.

التدريب الميداني في برامج تعليم المكتبات والمعلومات السعودية: دراسة مسحية، تأليف د. عجلان محمد العجلان.

التوثيق الإداري في المملكة العربية السعودية، تأليف فهد إبراهيم العسكر.

دليل فحص مجموعات المكتبة: الصيانة والتخزين والاستبعاد، ترجمة د. صالح بن محمد المسلم.

الكتاب: تحريره ونشره، تأليف د. موريس أبو السعد.

إبراهيم متفرقة وجهوده في إنشاء المطبعة العربية ومطبوعاتها، تأليف د. سهيل صابات.

صدرت الكتب السبعة السابقة عن مكتبة الملك فهد الوطنية في الرياض.

سجل أنساب الخيل العربية الأصيلة في المملكة العربية السعودية، صدر الجزء الثاني من هذا الكتاب عن مركز الخيل العربية في ديراب الواقعة بالقرب من العاصمة السعودية.

الإمارات

مهرجان القدس

تبدأ نشاطات مهرجان «من أجلك يا قدس» في السادس من شهر جمادى الآخرة الجاري في المجمع الثقافي بأبو ظبي.

يستمر المهرجان أسبوعًا، وتشارك في أعماله شخصيات سياسية وفكرية وثقافية وأدبية وفنية من مختلف الأقطار العربية، من بينها الأمين العام لجامعة الدول العربية د. عصمت عبدالمجيد، ومفتي مصر د. محمد سيد طنطاوي، وبابا الأقباط الأنبا شنودة، ومسؤول ملف القدس في منظمة التحرير فيصل الحسيني، وإمام المسجد الأقصى الشيخ عكرمة صبري، والشاعر محمود درويش، وشخصيات أخرى.

يتضمن المهرجان أمسيات فكرية وتاريخية وأدبية وشعرية، وعروضًا فنية وأخرى للأزياء الفلسطينية، ويتم خلاله إصدار كتاب وثائقي عن القدس يفند ادعاءات اليهود بخصوص تاريخها.

الدورة الخامسة لجائزة البابطين


الشيخ زايد بن سلطان

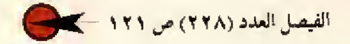
تقيم مؤسسة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري أعمال دورتها الخامسة تحت رعاية سمو رئيس دولة الإمارات العربية المتحدة الشيخ زايد بن سلطان في أبو ظبي خلال شهر أكتوبر من العام المقبل ١٩٩٦م.

تحمل الدورة اسم الشاعر الكويتي أحمد مشاري العدواني، وتصحبها ندوة نقدية وأمسيات شعرية وإصدارات خاصة، ويحضرها مجموعة من الأدباء والشعراء والنقاد العرب.

الكويت

مهرجان القرين والملتقى الأدبي لمجلس التعاون

يقام مهرجان القرين الثقافي الثاني خلال الفترة من ٢٩ جمادى الآخرة الجاري إلى ٢٩ رجب المقبل (٢٢ نوفمبر إلى ٢١ ديسمبر ١٩٩٥م).



يعد المهرجان أول ملتقى خليجي يناقش قضايا النقد الأدبي في دول الخليج، حيث يتضمن نشاطات متنوعة ما بين ندوات فكرية وأدبية ونقدية، وأمسيات شعرية وقصصية، ومعارض تشكيلية، وعروض شعبية (فلكلورية) وموسيقية.

ويقام على هامش المهرجان الملتقى الأدبي الرابع لدول مجلس التعاون تحت عنوان «النقد الأدبي في دول مجلس التعاون الخليجي».

الناشرون يحثون إقامة اتحادهم

تجرى حاليا استعدادات لتأسيس اتحاد للناشرين الكويتيين، وهي فكرة نادت بها الشاعرة الكويتية د. سعد الصباح.

من الأهداف الرئيسة لإنشاء الاتحاد رعاية مصالح الناشرين، والرفع من مستواهم المهني، وحل المشكلات التي تعترض عمليات النشر، ووضع القواعد الأساسية لهذه العملية بما يضمن حفظ حقوق أطرافها: الناشر والمؤلف والمترجم والمحقق.

كتب جديدة

فلسفات تربوية معاصرة، تأليف د. سعيد إسماعيل علي.

الأمم المتحدة في نصف قرن: دراسة في تطور التنظيم الدولي، تأليف د. حسن نافعة.

صدر الكتابان السابقان ضمن سلسلة «عالم المعرفة» عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.

الشيخ عبدالله النوري: حياته ومؤلفاته، تقديم عبدالعزيز حسين، صدر عن جمعية الشيخ عبدالله النوري الخيرية.

مصر

خطة عربية لرعاية الطفولة

قام المجلس العربي للطفولة والتنمية بوضع خطة مدتها ثلاث سنوات لتلبية احتياجات الأطفال العرب.

تتكلف الخطة ١٧,٥ مليون جنيه مصري، وبدئ في تنفيذها ابتداء من غرة أكتوبر ١٩٩٥م، وتهدف إلى حض الحكومات العربية على تبني سياسات وخططًا تضمن حقوقًا للطفولة وتبني واقتراح مشروعات مبتكرة لتنمية مدارك الطفل العربي وتوسيع آفاق التعاون بين منظمات الطفولة.

وتتضمن الخطة تنفيذ ثلاث مشروعات هي: المشروع التدريبي لنشر التوعية في مجال التربية الأسرية، ومشروع الطفولة العربية، ومشروع التدريس لرفع كفاءة الأطر التعليمية، فضلاً عن إحداث وحدة للدراسات والبحوث توفر الدراسات حول ماتحتاجه الطفولة العربية.

كما تتضمن الخطة إيجاد بنك معلومات يحتوي على بيانات ومعلومات بيليوجرافية وغيرها عن الطفولة العربية، واختيرت مصر والسعودية والبحرين وتونس لتبدأ بها شبكة معلومات عربية بالتعاون مع المركز الدولي للطفولة في باريس، على أن تمتد الشبكة لاحقًا لتشمل الدول العربية كافة.

افتتاح متحف محمود خليل

افتتح الرئيس محمد حسني مبارك متحف

محاضرات وندوات

«الشباب والمستقبل»، محاضرة ألقاها د. محمد بن أحمد الرشيد وزير المعارف في افتتاح الموسم الثقافي للنادي الأدبي بالدمام لهذا العام، بحضور صاحب السمو الملكي الأمير سعود بن نايف بن عبدالعزيز نائب أمير المنطقة الشرقية.

«مواقف تربوية من السيرة النبوية»، عنوان محاضرة ألقاها في مسجد صلاح الدين بمدينة الثقبة السعودية، د. عبدالعزيز بن عبدالله الحميدي.

«المدرسة: حقائق وتطلعات»، عنوان ندوة أقيمت في مركز اتحاد الشباب الوطني في بيروت، شارك فيها محسن يمين ومحمد قاسم، وأدارها عدنان برجي.

نظمت السفارة السعودية في لندن أمسية شعرية للشاعر البحريني عبدالرحمن رفيع.

«أزمة العرب ومستقبلهم»، عنوان محاضرة ألقاها في باريس بدعوة من جمعية أصدقاء المقاصد، الكاتب الصحافي محمد حسنين هيكل.

«دور رجال الأعمال الفلسطينيين في الشتات في وضع السياسات العامة والتحول الديموقراطي»، عنوان محاضرة ألقاها في مركز القاهرة لدراسات حقوق الإنسان، د. ساري حنفي.

نظمت مكتبة القاهرة الكبرى أمسية للشاعر عبدالرحمن الأبنودي، أعقبها لقاء مفتوح مع الجمهور.

«الإعجاز والبيان في فواصل القرآن»، عنوان محاضرة ألقاها في مسجد محمود بالقاهرة، د. أحمد محمد صبري.

«اتجاهات القصة الحديثة في مصر»، موضوع ندوة أقيمت في قصر ثقافة مدينة دمنهور المصرية، شارك فيها كل من: وديع الصبروت وسيد الوكيل وحمدي أبو جليل ومحمد رجب ومحمد حافظ صالح والسيد إمام ومحمد عقود.

«الدعوة إلى مكارم الأخلاق والتحذير من ضدها»، عنوان ندوة أقيمت في جامع الإمام تركي بن عبدالله في الرياض، شارك فيها كل من المشايخ عبدالله بن محمد القاعود وعبدالله بن عبدالرحمن الفريان وعبدالله بن راشد الغانم.

«تدمر»، عنوان محاضرة ألقتها في جامعة أكسفورد، د. نجاح العطار.



محمد محمود خليل للمقتنيات الفنية في الجيزة في الثامن من شهر جمادى الأولى الماضي.

يضم المتحف مجموعة من أندر المقتنيات الفنية العالمية تمثل إبداعات كبار الفنانين العالميين، من بينها أعمال المدرسة التأثيرية الفرنسية لأشهر فناني فرنسا في أوائل القرن التاسع عشر.

وتبلغ قيمة اللوحات التي يضمها المتحف قرابة ثمانية مليارات جنيه مصري، كما يضم المتحف بعد تطويره إلى جانب المعروضات - مركزًا للمعلومات المتحفية وقاعة محاضرات ومكتبة بها ثلاثة آلاف كتاب نادر، وتكلفت عملية التطوير نحو عشرين مليون جنيه مصري.

مؤتمر الفكر العربي: رؤية استشراقية

تعد كلية الدراسات العربية بجامعة المنيا لتنظيم مؤتمر دولي تحت شعار «الفكر العربي: رؤية استشراقية» خلال شهر شوال المقبل (النصف الأول من شهر مارس ١٩٩٦م).

يشارك في المؤتمر مجموعة من المستشرقين المهتمين بالأدب العربي، إضافة إلى مجموعة من المفكرين والأدباء العرب والمصريين، حيث يناقشون بحوثا ودراسات عن اللغة العربية والدراسات الأدبية والنقدية والفلسفية والإسلامية والتاريخية

مئة ليلة ثقافية في القرى

بدأت الهيئة العامة لقصور الثقافة في تنفيذ برنامج يتمثل في إقامة مئة ليلة ثقافية على مستوى قرى مصر.

بدأ هذا المهرجان الثقافي الشهر الماضي في ٢٥ قرية مصرية، بهدف نقل الثقافة إلى تلك القرى التي تفتقر للنشاطات الثقافية، واكتشاف المواهب والمبدعين بها من خلال العروض الفنية والندوات الأدبية، وضمها إلى أقرب موقع ثقافي.

مؤتمر عام للمثقفين المصريين

تجري حاليا استعدادات لإقامة أول مؤتمر عام للمثقفين المصريين في شهر رجب المقبل (ديسمبر ١٩٩٥م).

يناقش المؤتمر عدة قضايا مهمة تأتي في مقدمتها قضية حرية التعبير، وتنظمه «رابطة المثقفين المصريين» التي تم إشهارها في مطلع العام الميلادي الحالي، ويرأسها الكاتب سعد الدين وهبة.

وقد بدأت الرابطة التي ووفق على قيامها - مؤخرًا - في استقبال طلبات العضوية اعتبارًا من الشهر الماضي، وقررت تشكيل منتدى ثقافي ليضم الشباب الذين لاتتوافر فيهم شروط عضوية الرابطة، كما تعد لتشكيل روابط في المحافظات، لتكون إرهاصة لقيام اتحاد للمثقفين المصريين.

ندوة لتكريم د. لطيفة الزيات

أقام مركز البحوث العربية ندوة تكريمية للأديبة د. لطيفة الزيات، تحت عنوان «الأدب والوطن» خلال الفترة من ١٢ إلى ١٤ جمادى الأولى المنصرم (٦ - ٨ أكتوبر ١٩٩٥م).

شاركت في الندوة مجموعة من النقاد

«كاتبات من مصر»، عنوان أمسية ثقافية أقيمت في مكتبة القاهرة الكبرى، شارك فيها: د. صلاح فضل و إدوارد خراط ،وسحر الموجي ورسمية رمضان ومي التلمساني.

نظم نادي تبوك الأدبي أمسية شعرية للشاعرين سالم الحداد وعلي باراجي، وأدارها د. موسى العبيدان.

« لهجة شمر»، عنوان محاضرة ألقاها في نادي حائل الأدبي، الفريق يحيى المعلمي.

«هل هناك أزمة في الثقافة العربية»، عنوان محاضرة ألقاها في نادي مكة الثقافي الأدبي، عبدالله بن سليمان الحصين.

«التحديات التي تواجه إقامة وتجهيز شبكة اتصالات حديثة»، عنوان محاضرة ألقاها في كيبل كوليدج بجامعة أكسفورد، غسان حاصباني.

«التنمية في العالم الثالث»، عنوان ندوة نظمها مركز الدراسات العربية في لندن، وشارك فيها متخصصون من عدة أقطار.

«أمراض الطفولة»، موضوع ندوة أقيمت في مستشفى المطرية التعليمي بالقاهرة، تحدث فيها الدكاترة فادية محمود وفتحي لوزة وحسين ناصر.

«مصر أمس واليوم وغدا»، موضوع محاضرة ألقاها في مقر منظمة أصدقاء القارات الأربع في وارسو ببولندا، السفير عبد الرحمن موسى.

«التربية المتحفية للطفل»، موضوع ندوة نظمها بمدينة الفنون بالهرم في مصر المركز القومي لثقافة الطفل، شارك فيها د. عبدالحليم نور الدين و د. محمد صالح و أحمد عبدالعزيز ومنى رحومة.

«الملابس وسحر الدلالة»، عنوان محاضرة ألقاها في نادي الطائف الأدبي، د. جريدي المنصوري.

نظم النادي الأدبي في الباحة أمسية شعرية شارك فيها الشعراء: د. محمد بن سعد الدبل وحسن محمد الزهراني وبلغيث عبدالله العمري.

«التهاب الكبد الفيروسي»، موضوع محاضرة ألقاها في مستشفى الصحة النفسية بالأحساء، د. طاهر عبدالغفار.

«الكفاءة والتحديث في الإعلام الاقتصادي»، موضوع ندوة نظمها المركز المصري للدراسات الاقتصادية في الإسكندرية، شارك فيها عدد من المتخصصين.

«الحرب، الاحتلال، الكتابة»، عنوان أمسية نظمتها رابطة الأدباء في الكويت للأديب إسماعيل فهد إسماعيل، قدمت لها ليلى العثمان.

والأكاديميين، حيث ناقشت ثلاثة محاور، هي: نحو منظور جديد للعلاقة بين الأدب والسياسة، والوطن في الأدب العربي المعاصر، والأدب والسياسة.

متحف للتمساح ومومياواته

تمت الموافقة على خطة لتطوير معبد كوم أمبو في أسوان وإنشاء متحف جديد به يخصص لتماثيل التماسيح ومومياواتها، واعتمد لهذا الغرض ٢٥٠ ألف جنيه مصري.

وكان الفراعنة القدماء يرمزون بالتمساح النيلي لإله الشر الذي كان يدعونه الإله سبك.

الفائزون في مسابقة التوحيدي

أعلنت ـ مؤخراً ـ نتيجة المسابقتين اللتين نظمتهما لجنة الدراسات الأدبية واللغوية بالمجلس الأعلى للثقافة عن أبي حيان التوحيدي بمناسبة الاحتفال بألفيته.

فاز في المسابقة الأولى، وموضوعها «قراءة تحليلية عن أحد كتب أبي حيان التوحيدي»، سيد محمد حسن بيومي، تلاه سلامة جمعة داود، ثم صفاء فريد البيلي، فأمل عباس، وحُجبت الجائزة الخامسة.

وحجب المركز الأول في مسابقة الباحثين، وفاز بالجائزة الثانية صلاح الدين عبدالله، تلاه د. صابر عبده أبا زيد.

إدوار خراط شاعراً

بعد أربعين عاماً مع الرواية، بدأ إدوار خراط يستعيد أيام صباه، ولكن من خلال قصائده التي كتبها قبل أن تخطفه الرواية من الشعر.

خراط بدأ في إعداد ثلاثين قصيدة منثورة لينشرها في أول ديوان يصدره.

وفاة فنان النيل

فقدت الحركة الفنية التشكيلية واحداً من مبدعيها بوفاة الفنان سيد عبد رب الرسول، الذي ارتبطت أعماله بنيل القاهرة ومياهه وناسه ومراكبه، عن عمر يناهز ٧٦ عاماً.

يعد الفنان الراحل من أساتذة الفن التشكيلي، وقد برع بخاصة في مجالات التصوير والجرافيك والخزف، وترأس قسم التصوير في معهد ليوناردو دافنشي، كما عمل أستاذاً بجامعة أم القرى، وشارك في العديد من المعارض الفنية، ونال عدة جوائز من بينها جائزة الدولة التشجيعية عام ١٩٥٨م، وجائزة الأوسكار في الفنون، والجائزة الأولى لبينالي الإسكندرية عام ١٩٥٧م في التصوير، والجائزة الأولى لصالون القاهرة أعوام ٥٦، ٥٧، ٥٩، ١٩٦٠م، والجائزة الأولى لمعرض نيودلهي الأول، ووسام العلوم والفنون من الدرجة الأولى، وجوائز أخرى.

كتب جديدة

داخل نقطة هوائية، رواية لوائل رجب

خشب ونحاس، مجموعة قصصية لسمية رمضان.

صدر الكتابان عن دار شرقيات في القاهرة.

فيكتوريا، رواية للكاتب الإسرائيلي سامي ميخائيل، ترجمها إلى العربية سمير نقاش، وقدم لها وراجعها د. رشاد الشامي، صدرت ضمن سلسلة ترجمات الأدب العبري عن الدار العربية للطباعة والنشر.

السياحة في مصر خلال القرن التاسع عشر الميلادي: دراسة في تاريخ مصر الاقتصادي والاجتماعي، تأليف د. السيد سيد أحمد دياب، صدر عن دار نهضة مصر.

سقوط الغلو العلماني، تأليف د. محمد عمارة.

شمس الأصيل في أمريكا (من أدب الرحلات) تأليف د. محمد الجوادي.

صدر الكتابان السابقان عن دار الشروق.

التفكير المتجدد، تأليف إدوارد دويونو، ترجمه إلى العربية إيهاب محمد، وصدر ضمن سلسلة «الألف كتاب الثانية» عن الهيئة المصرية العامة للكتاب.

مريمة والرحيل، رواية د. رضوى عاشور، صدرت ضمن سلسلة «روايات الهلال» عن مؤسسة دار الهلال.

البيئة الطبيعية: خصائصها وتفاعل الإنسان معها، تأليف د. محمد صبري محسوب، صدر عن دار الفكر العربي.

الحياة بعد الموت، تأليف أبي الأعلى المودودي، صدر عن دار المختار الإسلامي.

أحمد بن ماجد: أسد البحار، تأليف فوزي خضر، صدر ضمن سلسلة «مشاهير العرب» عن مؤسسة دار المعارف.

التراث والتاريخ، تأليف شوقي جلال، صدر عن دار سينا للنشر.

حوار مع الأيام، ديوان جديد للشاعر د. سعد دعبيس، صدر عن دار الصدر لخدمات الطباعة والنشر.

السودان

جماعة تشكيلية جديدة

تأسست ـ مؤخراً ـ في الخرطوم جماعة فنية تشكيلية جديدة تحت اسم «جماعة السبعة». وتعد الجماعة الجديدة رابع جماعة تشكيلية تتأسس منذ عام ١٩٩٠م، وتهدف ـ كما عبر أحد أعضائها الفنان عصام عبدالحفيظ ـ إلى نشر وعرض ونقد الفن التشكيلي السوداني، وإقامة المعارض الجماعية والفردية، وتبادل الخبرات التشكيلية.



والجماعة الجديدة لاتمثل تيارًا فكريا أو مدرسة تشكيلية معينة بدليل تنوع اتجاهات أعضائها، حيث تضم كلاً من: عصام عبدالحفيظ وسيف الدين اللعوتة وأحمد عبدالعال وصلاح المر من داخل السودان، وأحمد عامر وحسان علي أحمد وراشد دياب من المقيمين خارج السودان.

لبنان

٢٠٠ صحافي في المؤتمر الثاني للصحافة العربية

شارك أكثر من مئتي صحافي وناشر صحفي عربي في أعمال المؤتمر الثاني للصحافة العربية، الذي نظمه في بيروت ـ مؤخرًا ـ الاتحاد العالمي لناشري الصحف بالتعاون مع صحيفة «النهار» اللبنانية.

بحث المؤتمر على مدى ثلاثة أيام سبعة موضوعات رئيسية تناولت قضايا تطور الصحافة في العالم العربي، ومدى الاستفادة التي تحققت لها من التقدم العالمي في مجالات تقنية الصحافة، واستقلالية الصحف، وعلاقتها بالدولة، وغير ذلك من الموضوعات.

المؤتمر الأول للشعر العامي

استضاف فندق سان دانيال أدونيس في بيروت ـ مؤخرًا ـ المؤتمر الأول للشعر العامي اللبناني.

أقيم المؤتمر برعاية وزارة الثقافة واستمر ثلاثة أيام، وتضمن محاضرات تناولت قضايا الشعر والتراث اللبناني وأمسيات شعرية عامية.

كتب جديدة

قلعة محمد الباب، رواية لحسن ناصر حسين، صدرت عن دار الكنوز الأدبية في بيروت.

إنانة والنهر، رواية لحليم بركات، صدرت عن دار الآداب.

شعر عبدالله غانم: دراسة في البيئة والمحاور، تأليف غالب غانم، صدر عن منشورات الجامعة اللبنانية.

تطور الفكر السياسي في العصور القديمة والوسطى، تأليف جورج سعد، صدر عن دار الالتزام.

سورية

مهرجان بصرى الثقافي الفني

أقيم ـ مؤخرًا ـ برعاية وزيرة الثقافة د. نجاح العطار مهرجان بصرى الثقافي والفني الدولي الثالث عشر.

شارك في المهرجان أكثر من ١٥ دولة عربية وأجنبية من بينها السعودية ومصر ولبنان وفلسطين وسورية؛ حيث قامت ٢١ فرقة فنون شعبية وأوبرا وباليه بتقديم عروضها على مدرج بصرى الأثري الذي بني في العهد الروماني، كما أقيمت أربعة معارض للكتاب والصناعات التقليدية والحرف اليدوية والفنون التشكيلية والتصوير الضوئي.

معرض الكتاب الدولي

احتل الكتاب الديني قائمة اهتمامات زوار معرض دمشق الحادي عشر للكتاب الذي نظمته ـ مؤخرًا ـ مكتبة الأسد الوطنية؛ حيث جاءت مبيعاته في مقدمة نسب المبيعات موازنة بفنون المعرفة الأخرى.

وإلى جانب ٣٣ ألفا و ٥٠٠ عنوان تفنن منظمو المعرض في عرضها عبر ١٩٣ قاعة عرض، اشتمل المعرض على أمسيات شعرية ومحاضرات وندوات أدبية وفكرية ونقدية، شارك فيها عدد من أبرز شعراء الوطن العربي وأدبائه ومفكريه، منهم سعدي يوسف، ومحمود أمين العالم، ود. يمنى العبد، وآخرون.

كتب جديدة

أسمار وأحاديث (صورة للطبيعة الثقافية للمحاضرة)، تأليف إبراهيم الكيلاني، صدر عن الندوة الثقافية النسائية.

وفيات قوم من المصريين ونفر سواهم، تأليف أبي إسحاق إبراهيم الحبّال، تحقيق إبراهيم صالح.

أخبار وحكايات، تأليف أبي الحسن محمد الفيض الغساني، تحقيق إبراهيم صالح.

صدر الكتابان السابقان عن دار البشائر للطباعة والنشر.

ليحل النور.. وقصائد أخرى، للشاعر الأرمني بارویر سيفاك، ترجمها إلى العربية مهران ميناسيان، وصدرت عن دار الحوار باللاذقية.

العراق

عودة نشاطات المربد

ينتظر أن يعاود مهرجان المربد الشعري ممارسة نشاطاته في السادس والعشرين من شهر جمادى الآخرة الجاري (١٩ نوفمبر ١٩٩٥م) بعد توقف دام خمسة أعوام نتيجة الغزو العراقي الفاشل للكويت.

ولم يُعرف بعدُ موقف الأدباء والشعراء العرب من المشاركة في المهرجان، وبخاصة أن معظمهم قد أدانوا الغزو بشدة.

الأردن

صحف جديدة

تمت الموافقة على الترخيص لثلاث مطبوعات صحافية جديدة، اثنتان يوميتان هما صحيفتا «الأنباء» و«الأعمال»، والثالثة أسبوعية باسم «الحوار».

تصدر «الأنباء» و«الأعمال» عن شركة الاستثمار الإعلامي، التي أصدرت قبل ما يزيد على عامين صحيفة «الأسواق» اليومية، فيما تعد «الحوار» التي تصدر في مدينة إربد أول صحيفة محافظات.

كشف أثري

اكتشف في موقع المزفر الأثري مقابل بلدة المزفر وسط وادي اليتم بناء مربع الشكل بني من حجارة المنطقة دون تشذيبها، أضيفت إليها طبقة من الجبس الأبيض لمنع تسرب المياه ولإضفاء الوجه الجمالي على المبنى

ويعتقد الآثاريون أن المبنى تم تشييده في فترة ما بعد القرن الأول الميلادي.

كتب جديدة

مبادئ الحرب في صدر الإسلام، تأليف غازي إسماعيل المهر، صدر عن دار الفرقان للنشر والتوزيع في عمان.

النقد والمجتمع، حوارات مع بعض كبار النقاد المعاصرين، ترجمها إلى العربية فخري صالح، وصدرت عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر في عمان وبيروت.

جمرة النص الشعري، تأليف عز الدين المناصرة، صدر عن الاتحاد العام للأدباء والكُتاب العرب.

النظم الإسلامية، تأليف د. منير حميد البياتي، صدر عن دار البشير.

ليبيا

مؤتمر الآثار والتراث الحضاري العربي

شاركت ١٥ دولة عربية في أعمال المؤتمر الثالث عشر للآثار الذي نظمته المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم بالتعاون مع أمانة اللجنة الشعبية العامة للإعلام والثقافة بالجماهيرية.

بحث المؤتمر عدة موضوعات من بينها موضوعان رئيسيان يتعلق أولهما بالمنشآت المائية التاريخية في الوطن العربي، ويتمحور الثاني حول النقوش، إضافة إلى دراسة مشروع قيام اتحاد عربي للمختصين بالآثار والتراث الحضاري للمنطقة العربية.

تونس

كتب جديدة

العلماء والمعلمون في المجتمع المغربي في القرون الإسلامية الأولى، تأليف محمد مهدي المسعودي، صدر عن مركز الدراسات والأبحاث الاقتصادية والاجتماعية بالجامعة التونسية.

دار الباشا، رواية لحسن نصر، صدرت ضمن سلسلة «عيون المعاصرة» عن دار الجنوب للنشر.

تونس.. بحثا عن أمنها، تأليف نيكول

رسائل جامعية

«نظرية الموجهات عند ابن سينا وابن رشد»، موضوع رسالة دكتوراه نوقشت في كلية الآداب في طنطا بمصر، تقدمت بها عزة مطر.

«دور المخرج في تأسيس وتطوير المسرح الغنائي في مصر»، عنوان رسالة ماجستير نوقشت في المعهد العالي للفنون المسرحية بالقاهرة، تقدم بها أشرف النعماني.

«اللجان ذات الاختصاص القضائي»، موضوع رسالة دكتوراه نوقشت في جامعة نانت بفرنسا، تقدم بها بندر رجا عادي الشمري.

«الالتزام الاجتماعي في مسرح ألفونسو سارتري»، عنوان رسالة دكتوراة نوقشت في كلية اللغات والترجمة بجامعة الأزهر، تقدم بها عبدالحميد غلاب.

«دراسة وتحقيق في البيوع من كتاب: كفاية النبيه في شرح التنبيه في الفقه الشافعي للشيخ ابن الرفعة المصري المولود سنة ٦٤٥ والمتوفى سنة ٧١٠هـ»، عنوان رسالة ماجستير نوقشت في كلية الشريعة والقانون بجامعة الأزهر، تقدم بها جمعة عبدالحميد محمد.

«فعالية أسلوب أوراق العمل في تدريس مقرر تكنولوجيا المعادن وعلاقته بالتحصيل وتنمية بعض المهارات العملية لدى طلاب التعليم الثانوي الصناعي»، عنوان رسالة ماجستير نوقشت في كلية التربية بجامعة المنوفية، تقدم بها محمد عباس البطل.

«الأسس الميتافيزيقية في منطق أرسطو»، عنوان رسالة دكتوراه نوقشت في كلية الآداب بجامعة المنوفية المصرية، تقدم بها مدحت نظيف.

«أخبار الصفحة الأولى في صحف الاتحاد والخليج والبيان بدولة الإمارات العربية المتحدة»، موضوع رسالة ماجستير نوقشت في كلية الإعلام بجامعة القاهرة، تقدم بها أحمد نفادي.

«تحقيق مخطوطة شرح المفصل لأبيات قصيدة محمد بن سليمان بن محمد الخطيب: دراسة وتحقيق الجزء الأول»، عنوان رسالة ماجستير نوقشت في كلية التربية للبنات - الأقسام الأدبية بالرياض، تقدمت بها نوال أحمد الصالح.

«لبنان في مشروعات إسرائيل الكبرى ١٩١٨ - ١٩٨٣م»، موضوع رسالة ماجستير نوقشت في كلية الإمام الأوزاعي للدراسات الإسلامية في بيروت، تقدم بها عبدالله رشيد الحلاق.

«الليزر ومقارنته بالجراحة في علاج أورام الحنجرة الحميدة»، موضوع رسالة ماجستير نوقشت في كلية الطب بجامعة القاهرة، تقدم بها محمد بهجت محمد.



جريمو، صدر عن دار نشر بيف.

المدن العربية والديموجرافيا التاريخية والبحر الأحمر خلال العهد العثماني، كتاب تجميعي لمجموعة من الأبحاث، صدر عن مركز التميمي.

المغرب

كتب جديدة

جامع القرويين والفكر السلفي: ١٨٧٣ - ١٩١٤م، تأليف محمد الفلاح العلوي، صدر عن منشورات مجلة أمل للتاريخ والثقافة والمجتمع في الدار البيضاء.

مقدمة في الدراسات القرآنية، تأليف د. محمد فاروق النبهان، صدر عن وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية.

المستقبل الثقافي للعالم الإسلامي من خلال واقعه المعاصر، تأليف مجموعة من الباحثين.

أدب الدين والدنيا، تأليف أبي الحسن الماوردي، ترجمته إلى الإنجليزية د. ثريا مهدي علام.

صدر الكتابان السابقان عن المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة.

الأربعينية، رواية لخوان جويتوسولو، ترجمها إلى العربية إبراهيم الخطيب، وصدرت عن دار الفنك.

الشعر الشعبي عند أولاد جلال: إقليم طاطا كنموذج، تأليف الحسن عبيلات، صدر عن دار النجاح الجديدة.

ماليزيا

قضايا اللغة العربية في مؤتمر دولي

نظمت الجامعة الإسلامية في ماليزيا، بالتعاون مع المعهد العالمي للفكر الإسلامي وأكاديمية أكسفورد للدراسات العليا، مؤتمرًا عالميًا حول «قضايا اللغة العربية الفصحى وتحدياتها في القرن الحادي والعشرين» بمشاركة نخبة من العلماء والمستعربين من أنحاء العالم.

تناول المؤتمر عدة موضوعات تتعلق بتعليم اللغة العربية، وتطوير مناهجها، وإشكالية نظام الكتابة العربية، وتراجع استخدام الفصحى، والنظام النحوي العربي وإشكالية الخروج عليه، وموقف اللغة العربية من ثورة المعلومات، وموضوعات أخرى.

روسيا

طباعة جديدة لترجمة قرآنية قديمة

صدرت - مؤخرًا - في مدينة بطرسبرج ترجمة لمعاني القرآن الكريم كان قد أعدها قبل نحو ١٢٤ عامًا المستشرق الروسي الجنرال ديمتري بوجوسلافسكي، ونشرتها مؤخرًا دار الاستشراق.

وتعد هذه المرة الأولى التي تنشر فيها هذه الترجمة بعد مرور كل هذه السنوات على

«سلوك الكمرات الخرسانية العميقة تحت تأثير أحمال اللي» عنوان رسالة ماجستير نوقشت في جامعة عين شمس، تقدم بها أحمد حسن أحمد غلاب.

«انحراف الأحداث وعلاقته بالخصائص العمرانية»، عنوان رسالة ماجستير نوقشت في المعهد العالي للعلوم الأمنية التابع للمركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب بالرياض، تقدم بها عبدالرحمن بن عبدالكريم السديس.

«بلاغة القص في مجموعة (المباهج والأيام) لمارسيل بروست»، موضوع رسالة ماجستير نوقشت في جامعة القاهرة، تقدمت بها مي التلمساني.

«القيمة التنبؤية للقدرة الإبداعية وعلاقتها بالتحصيل لطلاب الكلية»، موضوع رسالة دكتوراه في فلسفة التربية الموسيقية نوقشت في جامعة القاهرة، تقدمت بها نبيلة صبري.

«الإسرائيليات في تفسير الطبري»، موضوع رسالة دكتوراه نوقشت في كلية دار العلوم بجامعة القاهرة، تقدمت بها آمال محمد ربيع.

«مدن محافظة الغربية: دراسة في جغرافية الحضر»، موضوع رسالة دكتوراه نوقشت في كلية الآداب بجامعة عين شمس، تقدم بها أحمد حسن نافع.

«أثر ماريا أوجوورث في نشأة الرواية الأنجلو إيرلندية»، موضوع رسالة دكتوراه نوقشت في كلية الآداب بجامعة الإسكندرية، تقدمت بها أماني توفيق عبدالسلام.

«دور رئيس التحرير في توجيه السياسة التحريرية في الصحف القومية - دراسة تحليلية ميدانية مقارنة بين صحيفتي الأهرام والأخبار عام ١٩٩٢م»، عنوان رسالة ماجستير نوقشت في كلية الإعلام بجامعة القاهرة، تقدم بها هشام محمد عبدالغفار.

«العوامل الاجتماعية المؤدية إلى انحراف الأحداث»، موضوع رسالة ماجستير نوقشت في المعهد العالي للعلوم الأمنية التابع للمركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب بالرياض، تقدم بها ناصر بن عماش الثقيل.

«فصحى العصر في إذاعة الكويت المسموعة: دراسة لغوية أسلوبية»، عنوان رسالة دكتوراه نوقشت في كلية الآداب بجامعة عين شمس، تقدمت بها ليلى السبعان.

«د. خفاجي ناقدًا»، موضوع رسالة ماجستير نوقشت في كلية اللغة العربية في مدينة دمنهور المصرية، تقدم بها واصل حسن عبدالرحمن.

«خسرو نامه لفريد الدين العطار»، موضوع رسالة دكتوراه نوقشت في كلية الآداب بجامعة عين شمس، تقدمت بها منال اليمني.

«علي الجارم لغويًا»، عنوان رسالة ماجستير نوقشت في كلية آداب قنا في مصر، تقدمت بها نوال سعدي أمين عيد.

«نقد الوجود الصوفي في العصر الحديث»، موضوع رسالة ماجستير في كلية دار العلوم بجامعة القاهرة، تقدم بها محمد السيد المليجي.

إنجازها، حيث انتهى منها بوجوسلافسكي عام ١٨٧١م، ولم تنشـر، في حين صدرت ترجمات أخرى لمستشرقين روس آخرين.

فنزويلا

ترميم الآثار الإسلامية في أمريكا اللاتينية

أقيمت في كاراكاس ندوة ثقافية لمناقشة إسهام منظمة اليونسكو العالمية في إعادة ترميم أهم الآثار الإسلامية في بعض دول أمريكا اللاتينية.

شارك في الندوة ثلاثون من علماء التاريخ والجغرافيا واللغويات من دول عربية وأوربية وأمريكية لاتينية.

يذكر أن هناك العديد من الآثار الإسلامية في بلدان أمريكا اللاتينية، مثل شيلي والبرازيل والمكسيك وكولومبيا والأرجنتين وفنزويلا.

جنوب أفريقيا

معهد للبحوث الإسلامية

تعتزم إدارة الجامع الأزهر تأسيس معهد للبحوث الإسلامية في جنوب أفريقيا بالتعاون مع المجلس الشرعي الإسلامي.

وكانت مدرسة دار الأرقم التابعة للمجلس الإسلامي في جنوب أفريقيا قد بدأت ابتداءً من العام الدراسي الحالي في تدريس المناهج الأزهرية لطلابها.

ألمانيا

«عيون» مجلة ثقافية جديدة

انضمت إلى ركب الصحافة الثقافية العربية في المهجر مجلة ثقافية جديدة تحمل اسم «عيون» وتصدر - مؤقتًا - مرتين في العام، وترمي إلى التواصل مع ثقافات العالم، وتقديم صورة حقيقية للثقافة العربية.

صدر العدد الأول من «عيون» عن منشورات الجمل التي يشرف عليها الشاعر العراقي خالد المعالي.

حملة على مستشرقة مناصرة للإسلام

تتعرض المستشرقة أنّا ماري شيمل (٧٣ عامًا) المعروفة بتعاطفها مع قضايا المسلمين وإعجابها بالإسلام إلى حملة عاتية إثر الإعلان عن فوزها بجائزة السلام الألمانية.

مرجع الحملة إلى قيام شيمل بتوجيه انتقاد للكاتب المرتد سلمان رشدي واتهامها إياه بجرح شعور عدد كبير من المؤمنين، مما حدا بمجموعة من الكُتّاب ومنهم الكاتب الألماني المعروف جونتر جراس والكاتبة البنجلاديشية تسليمة نسرين إلى مهاجمة شيمل ودعوة الرئيس الألماني رومان هيرتزوج إلى عدم تسليمها الجائزة.

وفاة أبرز كُتّاب الأطفال

فقدت ألمانيا واحدًا من أبرز أدبائها بوفاة القاص ميخائيل أندي بعد صراع طويل مع مرض السرطان عن عمر ناهز ٦٥ عامًا.

ويعد أندي من أهم كُتّاب أدب الأطفال في ألمانيا وبخاصة في مجال قصص المغامرات، ومن أبرز أعماله: «لوكاس سائق القطار»، و«مومو» و«حكايات بلا نهاية».

قناة فضائية نسائية

أنشئت في مدينة ميونيخ أول قناة فضائية نسائية تحت اسم « تي إم ٣».

تخاطب القناة الجديدة - التي ترأسها امرأة - الفتيات والنساء من سن الثالثة عشرة إلى سن التاسعة والأربعين، من خلال برامج متنوعة مقدمة من منظور نسائي.

فرنسا

مهرجان للصور الصحافية

احتضنت مدينة بربنيان - على مسافة ٩١٥ كيلو مترًا من باريس - أعمال المهرجان السابع لصور التحقيقات الصحافية الذي أقيم تحت شعار «فيزا الصور»

تضمن المهرجان ست أمسيات عرضت خلالها الصور على شاشة كبيرة، من بينها صور ضحايا البوسنة، وحرب تحرير الكويت، وحرب فيتنام، ومذابح رواندا. واختيرت الصور المعروضة من بين ٣٢ معرضًا للصور ضمها المهرجان.

وفاة صاحب «حصان الكبرياء»

نعت وزارة الثقافة الفرنسية الأديب والصحافي بيير جاكيز هيلياس، الذي توفي - مؤخرًا - عن عمر ناهز ٨٠ عامًا.

وهيلياس روائي وشاعر وصحافي وكاتب مسرحي وأستاذ جامعي عرف بإنتاجه الغزير؛ حيث قدم نحو سبعين مؤلفًا، أشهرها «حصان الكبرياء» و«العشب الذهبي» و«تل الوحدة» و«ريح الشمس» و«الأرض».

وفاة نحات الحديد

توفي - مؤخرًا - النحات الفرنسي اليوناني الأصل كوستا كولنتياس عن عمر ناهز ٧٧ عامًا.

واشتهر كولنتياس - الذي هاجر إلى فرنسا عام ١٩٤٥م - بنحته في الحديد؛ حيث أنجز العديد من الأعمال والنصب التذكارية منه، ينتمي معظمها إلى المذهب التجريدي.



أحدث الكتب

اللغة والثقافة في الحضارة العربية، تأليف نادية إنجيليسكو، صدر بالفرنسية.

لماذا يبكي الفرات؟ تأليف ليلى بركات.

صدر الكتابان السابقان عن دار نشر لارماتان.

مصر إبان عصر هيرودوت، إعداد جاك لاكاربير، صدر عن دار نشر أمساي.

دليل (كتاب موسوعي يتضمن دراسة حول ١٦٠ ألف أديب من مائة دولة)، صدر عن منظمة اليونسكو.

حروب القفقاس، تأليف باتريك كرم وثيبوت ماركوس، صدر عن دار بيرن.

مفرد بصيغة الجمع، تأليف أدونيس، ترجمه إلى الفرنسية جاك بيرك، صدر عن دار نشر اكت سود.

صرخة، مجموعة قصصية للكاتب الصيني لو كسو ن، ترجمها إلى الفرنسية بيلاسيني وف هانجين، وصدرت عن دار نشر البين ميشيل.

الولايات المتحدة

الأمريكيون يقرؤون!

ذكرت دراسة أعدتها إحدى المؤسسات المصرفية الاستثمارية أن مبيعات الكتب في الولايات المتحدة حققت عام ١٩٤٤م أكبر قفزة لها منذ عام ١٩٨٩م؛ حيث زادت بنسبة ٣.٦ في المئة.

وأكدت الدراسة أن الأمريكيين ابتاعوا خلال عام ١٩٩٤م أكثر من ١.٦ مليار كتاب، أي مايعادل ١٧ كتابًا للأسرة الواحدة. وتوقعت الدراسة أن يرتفع حجم الإنفاق على الكتب في الولايات المتحدة من ١٥.٢ مليار دولار عام ١٩٩٤م إلى ٢١.٦ مليار دولار عام ١٩٩٩م.

النرويج

الترينالي العالمي لفن الجرافيك

شارك ٢٥٠ فنانًا تشكيليا ينتمون إلى ٦٨ دولة في ترينالي النرويج العالمي للجرافيك لعام ١٩٩٥م الذي اختتم أعماله مؤخرًا.

قدم المشاركون ٤٩٠ عملاً فنيًا؛ حيث منحت الجائزة الكبرى للفنان الياباني توشيهيرو هامانو، ونال الفنان العراقي، المقيم في السويد، مظهر أحمد الجائزة الأولى.

وأقيم على هامش الترينالي معرضان للفائزين بجوائز الدورة السابقة ١٩٩٢م، ضم أولهما أعمال الفنانة البولونية إيفا زاودكا الحائزة على الجائزة الكبرى، والفنان الأمريكي بول ستيورات الفائز بالجائزة الأولى، وضم المعرض الآخر أعمال الفائزين الآخرين.

كما أقيم معرض تكريمي لمؤسس الترينالي الفنان النرويجي هيرمان هيبلر (٨٣ عامًا) في محترفه الشخصي ضم آخر أعماله.

بريطانيا

قاعة لتاريخ النقود بالمتحف البريطاني

أضاف المتحف البريطاني إلى أجنحته قاعة لتاريخ النقود لن يقتصر دورها على عرض الأوراق المالية والقطع النقدية فحسب، وإنما سيتولى إيضاح تاريخ النقود والتقنيات المستخدمة في صناعتها وتزويرها، وفنون تصميمها. كما تشرح القاعة أيضا عمليات الصيرفة والتضخم المالي والضرائب.

وينتظر أن تفتح أبوابها أمام الجمهور في مطلع عام ١٩٩٧م.

أحدث الكتب

مصرع المشير الركن عبدالسلام عارف، تأليف فيصل حسون، صدر عن دار الحكمة في لندن.

جنرالات الشرق: دور العسكريين الأجانب في العالم العربي بين الحربين، تأليف سمير عطا الله، صدر عن دار الساقي.

هذا الجانب من السلام، تأليف د. حنان عشراوي، صدر عن دار نشر سيمون.

الضمير الحي، رواية لفرنسيس فيفليد، صدرت عن دار نشر كجورجي.

بلجيكا

معرض لرواد الفن الروماني الحديث

أقيم - مؤخرًا - في متحف بلجيكا للفن الحديث معرض بعنوان «الفن الروماني: رؤى وإبداعات».

ضم المعرض نحو مئتي عمل فني أبدعها أربعون من رواد الفن التشكيلي في رومانيا خلال الفترة من ١٨٠٠م إلى ١٩٤٠م.

وفاة الفيلسوف أبوستل

فقدت الحركة الثقافية والفكرية الأوربية واحدًا من رموزها بوفاة الفيلسوف البلجيكي ليو أبوستل عن عمر ناهز ٧٠ عامًا.

ولد أبو ستل عام ١٩٢٥م، وعُدَّ أحد العقول المنفتحة بين مثقفي جيله، وقام بالتدريس في جامعات بلجيكا؛ حيث تولى عمادة كلية الفلسفة، وأسهم بسخاء في الحياة الثقافية والفكرية في بلاده، وتناولت أعماله مجالات متنوعة، منها فلسفة الحديث، ونظرية المعرفة، وتكوين نظرية الحوار.


الجزيرة
الجزيرة
تكفيك
الـمسائية
تثري
مساءك
تصدران يوميا عن مؤسسة الجزيرة للصحافة والطباعة والنشر.. ص.ب: ٣٥٤ الرياض: ١١٤١١ هاتف: .. تلكس ٤٠١٤٧٩ جزاتي اس جي
www.ablaltareekh.com

نظام التخطيط في المملكة العربية السعودية

بحث في أسلوب التخطيط والميزانية والمتابعة، توصل المؤلف الباحث يوسف بن إبراهيم السلوم من خلاله إلى مجموعة من الاستنتاجات والتوصيات حول تجربة التخطيط في المملكة العربية السعودية.

عالج المؤلف موضوع بحثه في بابين وثمانية فصول، إضافة إلى سبعة ملاحق تشتمل على أشكال بيانية، ومصوَّرات، ومصادر الكتاب ومراجعه، ومعلومات تُعرِّف بالقطاعات لأغراض التخطيط وتصنيف القطاعات، والتصنيف الاقتصادي للميزانية العامة وفقًا لحسابات الدخل القومي المقترحة من قبل هيئة الأمم المتحدة، والملحقان السادس والسابع مخصصان لنموذج الاستبانة وجداول إحصائية.

الإصدار هو الطبعة الثالثة (مزيدة ومنقحة)، وحرص فيه الباحث على مواكبة التطورات التي مرت بتجربة التخطيط الوقتي المنتظم خلال ٢٥ سنة (١٣٩٠هـ - ١٤١٥هـ)، حيث تم اعتماد خمس خطط خمسية للتنمية، وحدثت تغييرات وتطورات في أساليب التخطيط والميزانية، وصدر العديد من الأنظمة والقرارات والأبحاث والدراسات المتعلقة بالتخطيط لتجديد المعلومات والمعارف عن نظام التخطيط والميزانية والمتابعة.

يقع الكتاب في ٤١٧ صفحة من القطع المتوسط، وقد صدر عن مكتبة العبيكان في الرياض.

التهذيب في علم الفرائض والوصايا

الكتاب أحد مصنفات الشيخ أبي الخطاب محفوظ بن أحمد بن الحسن الكلوذاني، المتوفى عام ٥١٠هـ. قام بتحقيقه والتعليق عليه محمد أحمد الخولي، ويحوي الكتاب ما يجيب القارئ عن كثير من المسائل المتعلقة بعلم الفرائض والوصايا، مع إيراد أمثلة عديدة تزيل الغموض عن المسائل العويصة، وتثبت الفكرة وتبسطها.

والكتاب يفصل مسائل الميراث ويتعمق فيها، ويفرد بابًا لكل مسألة مبينًا الأنصباء، وشارحًا ما غمض بشأنها، مستندًا في ذلك كله إلى الكتاب والسنة، والنهج العادل الذي وضعه الإسلام للمواريث بعد أن كان الناس في الجاهلية يورثون بالحلف، كما كانوا يورثون الرجال دون النساء والكبار دون الصغار.

كما أورد المحقق تعريفًا بالإمام الخطابي صاحب المصنف: مولده، وشيوخه الذين تتلمذ عليهم، وتلامذته، وآثاره العلمية، ووفاته.

يقع الكتاب في ٤٧٦ صفحة من القطع الكبير، وقد صدر عن مكتبة العبيكان في الرياض.

الإبداع الأدبي: المصادر والمخاطر

دراسة نقدية تقوم فكرتها على «ترك الأعمال الفنية تتحدث عن نفسها»، فقد ذهب المؤلف حسين عيد إلى عرض بعض التجارب الإبداعية الخاصة من خلال تقديم نموذج تطبيقي من نتاج قاص أو روائي عربي وغير عربي، ويحدد المؤلف أبعاد فكرته بأنها ترمي إلى «الاقتراب من عملية الإبداع الأدبي بشكل طبيعي، وإضاءة جوانبها، وتتبع كل خطوة.. يخطوها الكاتب، أو أي منحى يتجه إليه، في محاولة تلمس أبعاد النضج الفني، وتعرف المخاطر، التي قد تواجه المبدع فتؤدي إلى عيوب، أو خلل أو تصدع في عملية البناء الفني».

ينهج المؤلف في تناوله منهجًا تطبيقيًا، فيحلل أعمالاً أدبية لكل من نجيب محفوظ (مصر)، حميدو خان (السنغال) بهاء طاهر (مصر)، فتحي غانم (مصر)، ليلى العثمان (الكويت)، بيومي قنديل (مصر)، محمد صوف (المغرب) محمد روميش (مصر).

صدر الكتاب عن الهيئة المصرية العامة للكتاب، ويقع في ٢٤٣ صفحة من القطع الصغير.

الشخصية الناجحة

كتاب يُصنَّفُ ضمن الإصدارات الخاصة بعلم النفس، يحاول فيه المؤلف عبدالله أحمد اليوسف توضيح معايير الشخصية الناجحة، ومُقوِّمات النجاح؛ وقواعده، وأسسه، وأسراره، ومتطلباته، ولوازمه الأساسية، من منطلق أن بناء الإنسان يشكل الأساس لأية عملية حضارية ناجحة. ويؤكد المؤلف في مقدمة كتابه: «أن التخلف الحضاري الذي نعيشه اليوم كأمة إسلامية، إنما ينبع من تخلف أبنائها، ولا سبيل للتقدم الحضاري إلا ببناء الإنسان، أولاً بناءً حضاريًا محكمًا وواعيًا».

اعتمد المؤلف في معالجته موضوع الكتاب لغة سهلة، كما دَعَمَ أفكاره وآراءه التي ضمنّها فصول الكتاب الخمسة، بالآيات القرآنية الكريمة، والأحاديث النبوية الشريفة، مع إيراد شيء من الحكم، والأدب، والطرائف والقصص. يشتمل الكتاب على ما يسميه المؤلف بـ «موجبات النجاح»، كذلك يورد خمسة أفكار، يعدها «مكونات أساسية في ثقافة الفشل»، وهي فكرة السلبية في الحياة وفكرة الكسل، وفكرة اليأس والقنوط، وفكرة التمني، وفكرة التسويف.

يقع الكتاب في ٢٥٥ صفحة من القطع الكبير، وصدر عن دار البيان العربي في بيروت.

همس الشواطي،

مجموعة قصصية للقاصَّة الإماراتية أسماء الزرعوني تشمل ١٥ قصة قصيرة، محاورها الارتباط بالبيئة المحلية وتوظيف الإشكاليات أو المشكلات الاجتماعية، والأمكنة، وكذلك استغلال الذاكرة واستدعاء الماضي.

عالجت الكاتبة في مجموعتها جوانب من المشكلات الاجتماعية، التي تواجه المرأة، وأنواع الاستجابات المختلفة في كل موقف. ففي قصة «السؤال الحائر» - في سياق الموازنة بين الواقع ونتاج التفكير الخيالي - يدور حوار داخلي: «نعم هي من تكون؟ وماذا يجب أن تكون». وتسجل المؤلفة رؤيتها: «عبثًا تحاول أن تنصب خيمتها، فالحجارة تمنع ولوج الوتد». وهكذا في بقية المجموعة تؤدي الذاكرة دورًا رئيسا؛ حيث توظفها القاصة مستغلة الوقائع والأُحداث، والتفاصيل الصغيرة التي تخدم النص، وتحاول تنويع السرد لخدمة العمل.

تقع المجموعة في مئة صفحة من القطع المتوسط، وقد صدرت في الشارقة، بالامارات العربية المتحدة.

مسابقة مجلة الفيصل

١- جوائز المسابقة :

جوائز عديدة تقدمها المجلة لأصحاب الحلول الفائزة على النحو التالي:

أ - ثلاث جوائز مالية تمنح لثلاثة فائزين (٥٠٠ ريال، ٣٥٠ ريالاً، ١٥٠ ريالاً)

ب - خمس جوائز اشتراك مجاني في المجلة لمدة عامين (٢٤ عدداً).

ج - عشر جوائز اشتراك مجاني في المجلة لمدة عام واحد (١٢ عدداً).

د - خمس جوائز عبارة عن مجموعات من إصدارات مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية في الرياض، قيمة كل مجموعة في حدود مائة ريال.

٢- شروط المسابقة :

أ - الإجابة عن جميع الأسئلة، وإرفاق القسيمة الأصلية - وليس نسخة مصورة - للمسابقة مع ورقة الإجابات التي يوضح فيها الاسم ثلاثياً أو رباعياً - إن أمكن - وعنوان المراسلة.

ب - ترسل الإجابات على العنوان التالي:

مسابقة «مجلة الفيصل»
ص.ب. (٣) الرياض (١١٤١١)
المملكة العربية السعودية

(مع ضرورة ذكر رقم المسابقة على المظروف)

جـ - أية إجابات تصل بعد ٤٥ يوماً (حسب التقويم الهجري) من صدور العدد لن يلتفت إليها.

د - من حق القارئ أن يشترك باسمه في المسابقة الواحدة أكثر من مرة شرط إرفاق قسيمة المسابقة مع كل رسالة.

تنبيه: نرجو من الإخوة المشاركين عدم لصق القسيمة على ورقة الإجابات أو قص أجزاء منها، وإنما يكفي وضعها مع ورقة الإجابات داخل المظروف.

أجوبة مسابقة (العدد ٢٢٥)

ج١: من شروط الأضحية: السلامة من العيوب، فلا تجوز الأضحية بالمعيبة - والمقصود بالعيب: الظاهر الذي ينقص اللحم، فإذا كان العيب يسيراً فإنه لايضر - مثل: المريضة البيِّن مرضها، والعوراء البين عورها، والعرجاء البين ظلعها، والعجفاء التي لاتُنْقي. والعجفاء هي التي ذهب مخها من شدة الهزال. يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أربعة لاتجزئ في الأضاحي: العوراء البين عورها، والمريضة البين مرضها، والعرجاء البين ظلعها، والعجفاء التي لاتنقي» رواه الترمذي وقال: حسن صحيح. والعضباء التي ذهب أكثر أذنها أو قرنها، ويلحق بها الهتماء وهي التي ذهبت ثناياها من أصلها، والعصماء وهي ما انكسر غلاف قرنها، والعمياء، والتولاء وهي التي تدور في المرعى ولاترعى، والجرباء التي كثر جربها. ولابأس بالعجماء والبتراء والحامل وماخُلق بغير أذن أو ذهب نصف أذنه أو أليته. والأصح عند الشافعية أنه لاتجزئ مقطوعة الألية والضرع لفوات جزء مأكول، وكذا مقطوعة الذنب. قال الشافعي: لانحفظ عن النبي صلى الله عليه وسلم في الأسنان شيئاً.

* * *

ج٢: من الأحاديث الشريفة التي وردت في فضل التسبيح:

١- ما رواه الشيخان والترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «كلمتان خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان، حبيبتان إلى الرحمن: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم».

٢- ما رواه مسلم والترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لأن أقول سبحان الله، والحمد لله، ولاإله إلاالله، والله أكبر، أحب إلي مما طلعت عليه الشمس».

٣- ما رواه مسلم والترمذي عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ألا أخبرك بأحب الكلام إلى الله؟» قلت: أخبرني يارسول الله. قال: «إن أحب الكلام إلى الله: سبحان الله وبحمده»، ولفظ الترمذي: «أحب الكلام إلى الله عز وجل ما اصطفى الله لملائكته: سبحان ربي وبحمده سبحان ربي العظيم».

٤- ما رواه الترمذي وحسَّنه عن جابر رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه قال: «من قال سبحان الله العظيم وبحمده غُرست له نخلة في الجنة».

٥- ما رواه النسائي والحاكم عن أبي سعيد الخدري أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «استكثروا من الباقيات الصالحات» قيل: وما هُنَّ يارسول الله؟ قال: «التكبير، والتهليل، والتسبيح، والحمدلله، ولاحول ولاقوة إلابالله».

* * *

ج٣: عقد الهدنة والموادعة والاتفاق على ترك القتال فترة من الفترات الزمنية قد تنتهي إلى صلح يجب في حالتين:

الحالة الأولى : إذا كان العدو قد طلبها، فإنه يجاب إلى طلبه ولو كان يريد الخديعة، مع وجوب الحذر والإستعداد. يقول الله تعالى: ﴿وإن جنحوا للسَّلم فاجنح لها وتوكل على الله إنه هو السميع العليم. وإن يريدوا أن يخدعوك فإن حسبَك الله﴾ (الأنفال: ٦٠، ٦١). وفي غزوة الحديبية هادن رسول الله صلى الله عليه وسلم مشركي مكة، ووادعهم مدة عشر سنين وكان ذلك حقناًللدماء ورغبة في السلم.

الحالة الثانية: الأشهر الحرم، وهي: ذوالقعدة، وذوالحجة، والمحرم، ورجب، فإنه لايحل فيها البدء بالقتال إلاإذا بدأ العدو قتالا، فإنه يجب قتاله حينئذ دفعًا للاعتداء. وكذلك يباح فيها القتال إذا كانت الحرب قائمة، ودخلت هذه الأشهر ولم يستجب العدو لقبول الموادعة. يقول الله تعالى: ﴿إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً في كتاب الله يوم خلق السموات والأرض منها أربعةٌ حُرُمٌ ذلك الدين القيِّم فلا تظلموا فيهنَّ أنفسكم وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة واعلموا أن الله مع المتقين﴾ (التوبة: ٣٦).

* * *

ج٤: قضية العقد الماسي، فضيحة حدثت بين عامي ١٧٨٤، ١٧٨٦م في البلاط الفرنسي؛ فقد أقنعت إحدى المغامرات - التي اتخذت لها اسم الكونتس ديلاموت - الكردينال روهان بأنه يمكنه نيل حظوة الملكة ماري أنطوانيت إذا اشترى لها عقدا من الألماس يبلغ ثمنه نصف مليون جنيه تقريباً. وجمع جوهريان يهوديان ألمانيان العقد واشتراه الكردينال

للاشتراك املأ هذه القسيمة
(عنوان الاشتراك من الخلف)

الاسم: ....
العنوان: ....

بالتقسيط باسم الملكة. ولما عجز عن الدفع تقدم الجوهريان بالشكوى، فتبين أن زوج مدام ديلاموت قد اختفى في لندن، ومعه العقد، حيث جُزّئ وبيع. وفي المحاكمة (١٧٨٥م) بُرّئ الكردينال، ولكنه أقصي، وأدينت مدام ديلاموت، وعوقبت عقابًا شديدا، وسجنت ولكنها استطاعت الهرب. وبالرغم من أن الملكة لم يكن لها دخل، الا أن القضية بيّنت مدى الانحلال الخلقي في البلاط، فزاد ذلك في كراهية الشعب لها؛ مما أدى في النهاية إلى اندلاع الثورة الفرنسية عام ١٧٨٩م.

* * *

ج٥: الرَّباب: السحاب الأبيض. وقيل: هو السحاب مطلقا، واحدته ربابة. وقيل: هو السحاب المتعلق الذي تراه كأنه دون السحاب. وقد يكون أبيض وقد يكون أسود. وفي الحديث: «أنه نظر في الليلة التي أُسري به إلى قصر مثل الربابة البيضاء». وقيل: هي السحابة التي ركب بعضها بعضا. ومنه سميت المرأة: الرباب.

جعفر: الجعفر: النهر عامة. وقيل: النهر الملآن. وقيل: النهر الصغير فوق الجدول. وقيل: النهر الكبير الواسع.

جرير: الجرير حبل يُجعل للبعير في عنقه، وبه سمي الرجل جريرا. وفي الحديث: أن الصحابة نازعوا جرير بن عبدالله، زمامه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «خلُّوا بين جرير والجرير». أي دعوا له زمامه. والجرير: زمام الناقة، وحبل من أدم مفتول، والجمع: أجرّة.

الأخطل: الخطل: خفة وسرعة، خطل خطَلا، فهو خَطِل وأخطل. وقيل: الأحمق العَجِل، وقيل: السريع الطَّعن.

ومن معانيه أيضا: الفاحش في قوله (ومنه المرأة الخطالة؛ أي ذات فحش وريبة)، والرمح المضطرب، والشاة العريضة الأذنين (من مشتقات المادة اللغوية)، والتلوي والتبختر في المشية.

أسئلة مسابقة (العدد ٢٢٨)

السؤال الأول:

كان الناس في الجاهلية على أنكحة متعددة، فلما بُعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحق هدمها جميعًا إلا نكاحًا واحدًا. اذكر الأنكحة التي كانت في الجاهلية.

* * *

السؤال الثاني:

اتفق الفقهاء على وجوب حد شارب الخمر، واختلفوا في مقدار ذلك. اذكر أربعة من أقوال العلماء في مقدار حد شارب الخمر.

* * *

السؤال الثالث:

عُرفت الطباعة في جميع أنحاء العالم، ودخلت بلادنا العربية على فترات متعاقبة. من الذي أدخل المطبعة إلى تونس؟

* * *

السؤال الرابع:

يدعي الأوربيون فضل اكتشاف الدورة الدموية في جسم الإنسان، لكن هذا الفضل يعود إلى عالم عربي جليل. فمن هو؟

* * *

السؤال الخامس:

«الفرسان الثلاثة»، و«غادة الكاميليا»، و«الكونت دي مونت كريستو» من أشهر الأعمال الروائية في الأدب الفرنسي الحديث. من الذي ألفها؟

نتائج مسابقة (العدد ٢٢٥)

أ- فازت بالجائزة المالية الأولى، وقدرها ٥٠٠ريال سعودي، أمل عبدالله أحمد باز، الطائف - المملكة العربية السعودية.

وفاز بالجائزة المالية الثانية، وقدرها ٣٥٠ريالاً سعوديًا، شرف الدين محمود عبد المطلب، سوهاج - مصر.

وفازت بالجائزة المالية الثالثة، وقدرها ١٥٠ريالاً سعوديًا، روى عادل حسين عساف، دمشق - سورية.

ب - فاز بجائزة الاشتراك المجاني في المجلة لمدة عامين (٢٤عددًا)، كل من:

١- هيجر محمد خليل عيسى، عمان - الأردن.
٢- دحده ولد عبدالله ولد الجود، نواكشوط - موريتانيا.
٣- كل فقير بن شاه فقير أفغاني، إسلام آباد - الباكستان.
٤- عادل علي محمد الشرقاوي، القاهرة - مصر.
٥- محمد علي يحيى الخيري، أبها - المملكة العربية السعودية.

ج - وفاز بجائزة الاشتراك المجاني في المجلة لمدة عام واحد (١٢عددًا)، كل من:

١- سامر أحمد عبدالرزاق الحسن، الحسكة - سورية.
٢- الحاج إبراهيمي، بوسعادة - الجزائر.
٣- منير الأزمي، فاس - المغرب.
٤- أبوبكر محمد محسن جحيش، صنعاء - اليمن.
٥- فاطمة سعدي مسعود المرواني، ينبع البحر - المملكة العربية السعودية.
٦- ماتورفا دولة، الخرطوم - السودان.
٧- محمد الهادي خلفه، تطاوين - تونس.
٨- عبدالحق الأستاذ، السند - الباكستان.
٩- أحمد رامي علي القطان، الرميثية - الكويت.
١٠- إسماعيل محمد عبود الجزائري، مسقط - سلطنة عمان.

د - كما فاز بجائزة إصدارات مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية بالرياض، كل من:

١- أماني عبدالله سالم الجهني، الوجه - المملكة العربية السعودية.
٢- فايزة أحمد سالم الرماح، صنعاء - اليمن.
٣- عبدالمجيد آزر علي، الشارقة - الإمارات العربية المتحدة.
٤- بسمة سليمان سالم، الزرقاء - الأردن.
٥- عبير عباس عبدالرحمن، البديع - البحرين.

ويأتيك بالأمثال

الْهَيْدَانُ والرَّيْدَانُ

يضرب هذا المثل للمقبل والمدبر والجبان والشجاع.

يقال للجبان: «هَيْدَان» من «هدْتُهُ وهَيَّدْتُهُ» إذا زجرته، فكأن الجبان زُجر عن حضور الحرب، والرَّيْدَان من رَيْد الجبل، وهو الحرف الناتئ منه، شُبه به الشجاع.

قال أبو عمرو: «فلان يعطي الهيْدان والريْدان» أي من يعرف ومَنْ لايعرف.

الأمريكي !

سُئل أوربي يومًا عن أبرز صفات المواطن الأمريكي، فقال: الأمريكي هو الرجل الذي يبدي استعداده دائمًا لمناقشة دستور بلاده بالرغم من أنّه لم يقرأه مرّة واحدة!

مستحيل

سُئل القائد الفرنسي نابليون بونابرت عن صفات الرجل الذي يستطيع أن يصل إلى الفوز في مجالات الحياة، فقال: النية، فالرجل الذي عقد النية على الفوز لاينطق بكلمة مستحيل.

شقي وسعيد

قيل لحكيم: مَن السعيد؟ قال: من اعتبر ونظر إلى نفسه. قيل: ومَن الشقي؟ قال: مَنْ جمع لغيره وبخل على نفسه. قيل: ومَن الحازم؟ قال: مَنْ حفظ ما في يده، ولم يؤخّر شغل يومه إلى غده. قيل: فمَن المنصف؟ قال: مَنْ لم يكن إنصافه لضعف يده وقوّة خصمه. قيل: ومَن الجواد؟ قال: مَنْ لم يكن جوده لدفع الأعداء وطلب الجزاء. قيل: ومَن الحليم؟ قال: مَنْ لم يكن حلمه لفقد النصرة وعدم القدرة. قيل: فمَن الشجاع؟ قال: مَنْ لم تكن شجاعته لفوت الفرار وبعد الأنصار. قيل: فمتى يكون الأدب أضرّ؟ قال: إذا كان العقل أنقص.

من نوادر أشعب

غضبت عائشة بنت طلحة يوما من زوجها مصعب بن الزبير، فاشتد عليه ذلك، وشكا أمره إلى بعض خاصّته، فقال له أشعب: وما جائزتي عندك إن هي رضيت عليك؟ قال مصعب: أعطيك عشرة آلاف درهم.

فجاء أشعب إلى عائشة وقال: تفضّلي بكلام الأمير، فقد استشفع بي عندك، وأجزل العطية إن أنت كلّمته. فقالت: جُعلت فداك، لكن لاسبيل إلى ذلك، فاذهب إلى حيث جئت. فألحّ في طلبه مانتهرته، فقال جعلت فداك أنت يا عائشة.. كلّميه حتّى أقبض العشرة آلاف درهم، ثمّ عودي إلى ما تعودته من سوء الخلق.. فضحكت عائشة، وقامت من توها وصالحت زوجها.

خير الرجال

سئل حكيم عن خير الرجال، فقال: هو الذي إذا حاورته وجدته عليمًا، وإذا خبرته وجدته حكيمًا، وإذا غضب كان حليمًا، وإذا ظفر كان كريمًا، وإذا وعد وفى، وإن كان الوعد عظيمًا، وإذا شُكي إليه وُجد رحيمًا.

النائحة الثكلى

قال عمرو بن أبي ذر يومًا لأبيه: مالك إذا تكلمت أبكيت الناس، وإذا تكلّم غيرك لم يبكهم؟ قال: يابني ليست النائحة الثكلى كالنائحة المستأجرة.

الشكر

قيل لأبي حازم: ما شكر العينين؟ قال: إذا رأيت بهما خيرًا ذكرته، وإذا رأيت بهما شرًا سترته. قيل: وما شكر الأذنين؟ قال: إذا سمعت بهما خيرًا حفظته، وإذا سمعت بهما شرًا نسيته.

نعم الذخر

باع رجل كل ما يملك، وأنفق جانبًا كبيرًا منه في سبيل الخير، فلامته زوجته، فقال لها: إنما أجعل هذا المال ذخرًا لي عند الله. فقالت: وهل نسيت أن لك ولدًا؟ قال: ما نسيت، فقد جعلت الله ذخرًا له.

الأرواح.. والمصباح

قيل لعبد الله بن العباس رضي الله عنهما: أين تذهب الأرواح إذا فارقت الحياة؟ قال: إلى حيث يذهب ضوء المصباح بعد انطفائه.

طعام صحي

سئل أحد كبار الأطبّاء عن كيفية اختيارالطعام الصحيّ فقال: لكي تتناول طعامًا صحيًا، عليك أن تتناول إفطارك كملك، وغداءك كأمير، وعشاءك كإنسان فقير.

الدنيا

لعمرك ما الدنيا بدار إقامة
ولكنها دار انتقال لِمَنْ عقل
إذا أضحكت أبكت وإن هي أقبلت
تولّت، وأن أعطت فأيامها دُول

وصية

قال الخليفة العبّاسي أبو جعفر المنصور لولده الهادي يومًا: لاتبرم أمرًا حتى تفكر فيه، فإن فكرة العاقل مرآة تريه صفاته

استراحة العدد

وسيئاته، واعلم أن الخليفة لاتصلحه إلا التقوى، والسلطان لاتصلحه إلا الطاعة، والرعية لايصلحها إلا العدل، وأولى الناس بالعفو أقدرهم على العقوبة، وأنقص الناس عقلاً مَنْ ظلم مَنْ هو دونه.

كرم.. ووفاء

قدم رجل إلى سعيد بن العاص، وسأله معونة من فضل ماله، فأمر له بمائة ألف درهم، فبكى الرجل، فسأله سعيد: مايبكيك يا أخي؟ قال الرجل: أبكي على مثلك أن يأكله التراب!

يفكر.. ويفكر

مما يروى عن الرئيس الأمريكي الأسبق هاري ترومان، قوله: عندما انتخبت - للمرة الأولى - عضواً بمجلس الشيوخ، تصادف أن جلس بجانبي في إحدى الجلسات السيناتور هاملتون لويس، أحد أبرز أعضاء المجلس في ذلك الوقت، فقال لي: لا تبدأ تصويتك في المجلس وأنت تشعر بمركب نقص، ذلك أنك في الأشهر الستة الأولى ستظل تفكر كيف جئت إلى هنا، ثم بعد ذلك ستظل تفكر كيف أتى سائر الأعضاء؟!

سؤال معقول

بعث أحد القراء إلى صحيفة الديلي نيوز الأمريكية سؤالا يقول: إذا كان العالم يزداد صغرًا كما يقال فإنني أود أن أعرف لماذا تزداد رسوم البريد ارتفاعًا؟!

شعرة معاوية

سئل معاوية بن أبي سفيان يومًا عن سياسته في الحكم فقال: لا أضع سوطي حيث يكفيني لساني، ولا أضع لساني حيث يكفيني سوطي، ولو كانت بيني وبين الناس شعرة ما قطعتها.

الحق أبلغ

دخل إياس بن معاوية الشام يومًا وهو غلام، وتقدّم بشكوى ضد شيخ طاعن في السن، إلى قاضي عبدالملك بن مروان. فنظر إليه القاضي، وقال مستهينًا بشكواه وصغر سنّه: يا غلام أتُقاضي شيخًا كبيرًا؟ قال إياس: أجل فالحقُّ أكبر منه. ردَّ القاضي غاضبًا: اسكت. قال إياس: كنت أود أن أكون عند حسن ظنِّ القاضي ولو بالصمت، ولكن مَنْ ينطق بحجّتي؟ فقال القاضي: أشهد أن لا إله إلا الله، اشرح شكواك يابنيّ

لايفشي سره

يروى عن كسرى أنو شروان أنّه كان يتناول طعامه في أوان من الذهب الخالص، فسرق رجل من خاصّته آنية ذهبية كبيرة، وكسرى ينظر إليه دون أن ينبس بحرف. فلما رُفعت الموائد، وافتقد الطباخ الآنية، رجع يطلبها باحثًا عنها هنا وهناك، فقال له كسرى: لاتتعبن نفسك، فقد أخذها مَنْ لايردّها، ورآه مَنْ لايفشي سرّه!

كمال الإيمان

قال عمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه: ثلاث مَنْ كن فيه استكمل إيمانه: مَنْ إذا غضب لم يخرجه غضبه عن الحق، ومن إذا رضي لم يخرجه رضاه في الباطل، ومَنْ إذا قدر لم يتناول ما ليس له.

أجمل كلمة

سئل فيلسوف عن أجمل كلمة في قاموس الإنسان فقال: الكرم، لأنه يغطّي جميع العيوب، وقد يكون سببًا في إزالة الكروب.



قد تركت فصيلها مكرّما   مما غذّته غذْما فغذْما



يهدف الباب إلى تشجيع المواهب الناشئة التي تتلمس لها سبيلاً إلى الإبداع الفني والكتابة الأدبية، ولذلك تقوم تباشير باختيار عمل أدبي أو أكثر وفق معايير فنية محددة وحسب المساحة المتاحة، ومن ثم يُعرض على أحد النقاد المعروفين الذي يتناوله بالمتابعة النقدية أو التعليق أو التوجيه لتكون خطوة ثابتة لهذه المواهب في طريق الإبداع.

وهذه دعوة للمواهب الأدبية الناشئة للمشاركة في هذا الباب، علماً بأن هناك مكافأة رمزية تشجيعية للعمل الذي يحظى بالنشر.

حواء

شعر الطالب:
بدر عمر المطيري
(البدائع)

سيرةُ المرأةِ في كلِ العصور
تبعثُ السعدَ بقلب مرهف
فيغنّي.. يصف الحسن الذي
عَلّمت سقراطَ أسرار الدنى
فهو في الأفكار يبدو شامخًا
بعدها «سقراطُ» ألقى حكمةً
آزرت «طه» فكانت قصّةً
ما توانت إذ دعاها صادقًا
تركت فرعونَ يهذي بالدنى
صُلبت.. لكنها في جنة
خبأت موسى.. فلم ترهب ولم
أرسلت أختًا لها بين الورى
هي أمي.. هي أختي.. كلّما
هي زوجي حينما يصحو الهوى
يا ابنةَ الطهر وقد طال الغوى
اقرئي الماضي ففي طيّاته
لك في «أسماء» أسمى مثلاً
اتركي التقليد هيا واركبي
قالها حافظ شعرًا خالدًا
أعدد الأم شعورًا ونهى

عالم ينبض أحلامًا ونورْ
طالما أعياه حسٌّ وشعور
مرّ في دنياه كالطيف الأثير
وأذاقته عذابًا وسرور
وهو في المنزل يبدو كالأسير
يتلقّاها صغير عن كبير
للهوى الحقِّ.. وللأمر الخطير
وهبته النفس والشيء الكثير
أقبلت لله.. والله النصير
بيتها العامر يزري بالقصور
تتناس أنها أمّ الصغير
يا له من رحمة القلب النضير
ساءني الدهر.. وهمَّتني الأمور
تنثر الحب بأعماق الضمير
واحتوانا الغرب فكرًا وفجور
ما ينير القلب.. ما يجلو القشور
لك في «خولة» نهج ومسير
زورق الإيمان في دنيا الغرور
نابض الحرف مشعًا في السطور
يخرج الأبناء شعبًا مستنير

التعليق:

لقد تناولت في قصيدتك الموضوع الخالد خلود الدهر، قصّة «حوّاء»، ولكنك لم تتناول الموضوع تناول غيرك من الشباب لموضوع حواء؛ حيث يتغزّلون بها ويصفون محاسنها ويسكبون عواطفهم في ثنايا قصائدهم الغضة الطرية، وإنما نحوتَ في طَرْقِكَ لقصة حواء منحىً آخر؛ إذ سردتَ سيرتها (عبر العصور). وعلى الرغم من أن موضوعًا كهذا يحتاج إلى نَفَسٍ طويل وتجربة عميقة في مقارعة القوافي، إلا أنك اقتصرت على بعض الجوانب المضيئة من سيرة حواء استمددت شواهدك عنها من بعض الحضارات العريقة؛ كحضارة اليونان وحضارة الفراعنة وحضارة الإسلام، ووُفِّقتَ إلى إيراد بعض المواقف التي تؤيد وجهة نظرك في المرأة كما انتهى إليك من قصصها مع سقراط، ومؤازرة أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها للرسول صلى الله عليه وسلم. أردت أن تُوصل لقارئك رسالة مفادها، يُلمح من خلال السطور، أن المرأة هي أم الأنبياء. تُقَدِّم هذه المقولة لتختم القصيدة برأيك في حواء أنها هي الأم وهي الأخت وهي الزوجة، ويحلو لك أن تقف موقف الواعظ فتتوجه إلى ذوي الفكر لتحضّهم على إلزام الحجاب لأمهاتهم وأخواتهم وبناتهم، وإلى الفتيات عامة محذرًا إياهن من الانزلاق في المغريات التي تجلبها الحضارة المعاصرة، وجعلتَ مسك الختام الإشارة إلى بيت حافظ في قصيدته القافية المشهورة:

الأم مدرسة إذا أعددتها
أعددت شعبًا طيب الأعراق

ومع أن القصيدة توحي بأنها ليست باكورة نظمك، إذ تشي بأن محاولات عدّة قد سبقتها، ومع ذلك فإنك مازلت بحاجة إلى مزيد من التمكن من أدوات الشعر، وإتقان رسم الصورة الفنية، لكي تقلّل من الجانب السردي الواضح في هذه المحاولة، وهو يقرب القصيدة من القصة وينأى بها عن الساحة الشعرية، فأنت لديك استعداد، ولكنه استعداد يحتاج إلى صقل وتمرس، ونزوع إلى التجويد الشعري لبلوغ المستوى الأفضل. وفقك الله لمبتغاك.

د. الربداوي

الشعر لغتي

شعر:
حسن أحمد اسماعيل العرومي
(اليمن)

الشـعـر في لغـتي لحنٌ بلا وتر ... مـاذا يطيب وحِسُّ القـوم من حجرِ
قـال المُحقـقـون إن الشعـر في بلدي ... حـرفٌ يموت وراء الصمت كالبشر
أيأنسـون لأقـوال مُنَمَّقَـةٍ ... والجيل يرقـد تحت البؤس والكدر
أيعبـأون بأقـلام مـذهَّبـةٍ ... والكل يشـقى بآلاف من الصـور
قـوم يعيشـون لا إنصـاف بينهـمُ ... أيطربون ولا عـذر لمعتـذر

التعليق:

تلك المقطوعة من بحر البسيط، يحدثنا الشاعر فيها عن أزمة الشعر، وهي لا تخلو من بعض الصور الجيدة المعبرة، كقوله: «الشعر في لغتي لحن بلا وتر»، ووتر الشاعر الحساس هو حِسّ القوم وذوقهم، فإذا مات الحس فيهم، أو فسد الذوق، تحول الشعر إلى جماد لا روح فيه.

وكذا قوله: «حرف يموت وراء الصمت كالبشر»، فكما يموت الإنسان وراء جدار الصمت القوي يموت الشعر أيضًا. ومن صوره الجيدة قوله: «يرقد تحت البؤس والكدر»، فهي تكشف عما أصاب الجيل الشاعري من يأس.

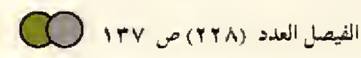
وفي الأبيات بعض الكلمات المقحمة التي فقدت الرباط بما يجاورها، كقوله في البيت الأخير:

قوم يعيشون لا إنصاف بينهم
أيطربون ولا عذر لمعتذر

فلا علاقة بين الطرب والإنصاف نفيًا أو إثباتًا، كما أنه لا علاقة بينه وبين نفي العذر أو قبوله؛ ومن ثم تراها تحدث فجوة في السياق.

ورغم ذلك أقول: أيها الشاعر اليائس، لا تبتئس بما صنع القوم، وأظهر «لحنك» واعزف به على أوتار شاعريتك الفياضة، ومشاعرك الجياشة وستجد من يطرب له، وينصف في تقويمه.

د. حسني محمد حسن





الأخ وحيد خيون ـ هينجلو ـ هولندا:

نرحب بأي إسهامات كتابية وصحافية ترى أنها مناسبة لـ «الفيصل»، وسوف نبلغك برأينا فور الاطلاع على نتاجك.

الأخ محمود حسن سعد ـ الحديدة ـ اليمن:

أبلغنا القسم المختص ملاحظتك الخاصة بالتوزيع، ونأمل تلافيها في أسرع وقت ممكن، مع شكرنا لاهتمامك.

الأخ محمد قاسم زيد ـ صعدة ـ اليمن:

كان بودنا التجاوب مع طلباتك لولا أن كل ما تسأل عنه خارج عن نطاق إمكاناتنا واختصاصنا، ونأمل منك ملاحظة ركن «الإيضاحات» المنشورفي هذا الباب.

الأخ محمد قاسم علوش ـ دير الزور ـ سورية:

يمكنك ـ وكذلك القراء الآخرون ـ إرسال بطاقات الاشتراك التي سبق نشرها في الأعداد الماضية مادامت غير مستعملة من قبل. وأعلام التاريخ الإسلامي تهتم بهم المجلة وتنشر عنهم بشكل دوري كما يلاحظ القارئ المتابع. أما تخصيص باب ثابت يتناولهم فهذا يرتبط بالمخطط العام لتحرير المجلة وتبويب صفحاتها. وأما قلة الموضوعات العلمية نسبة إلى الموضوعات الأدبية فهذا صحيح، والمسألة ترتبط بها عوامل عدة من بينها قلة الكتاب العلميين الجيدين. فلعلك ـ والقراء الآخرون مرة أخرى ـ تقترحون علينا أسماء جديدة لم يسبق لنا التعامل معها، وهذه فرصة لتجديد الدعوة للكتاب الأفاضل الذين انقطعوا عنا، والمهم لنا وللقراء عموما جودة الموضوعات وجدّتها!

الأخ سمير إبراهيم كشك ـ الإسكندرية ـ مصر:

الرد الذي قرأته في أحد الأعداد الماضية دليل على أنك تلقيت ردا منا، ومعلوم أننا لا نعد قراءنا الكرام بردود بريدية خاصة، أما طلبك الذي أشرت إليه في رسالتك فهو مجاب، وأهلا بك.

الأخت مليكة باهرة ـ الشلالة القبلية ـ البيض ـ الجزائر:

نعتذر من عدم إرسال كتابي «تاج العروس» و «لسان العرب» لأنهما غير متوافرين لدينا، وبحكم عدم اختصاص المجلة بذلك. واسمحي لنا بتعليق على موضوع المراسلة الذي أشرت إليه في رسالتك : ذكرنا مراراً أننا لا نشجع التعارف من طريق المراسلة ولا نشر ما يسمى «ركن التعارف» أو «هواة المراسلة» لعدم جدية الفكرة، ولأن سلبياتها ـ في تقديرنا ـ أكثر من إيجابياتها.

الأخ بنعلي أحمد ناه ـ الداخلة ـ المغرب:

شكرك وتحياتك للأستاذ الدكتور حسن ظاظا أبلغناها إياه، وعنوانه هو عنوان المجلة نفسه. أما أن نبعث لك «بكل» عناوين الجمعيات والمؤسسات الخيرية داخل المملكة العربية السعودية وخارجها ـ على حد طلبك ـ فهذا مستحيل، والسبب واضح.

نرجو منك ومن بقية القراء التحديد عند طلب العناوين أو أي معلومات أخرى من هذا القبيل.

بين القارئ والقارئ

أطلب من الإخوة العرب الذين لديهم أعداد فائضة من مجلات «الفيصل» و«العربي» و«الكويت» وسلسلة «عالم المعرفة» أن يتكرموا بتزويدي بأعداد منها، حرصا مني على اقتنائها والاستفادة منها.

جمال عبدالله

ص.ب ١٤ بنان ٥٠٢٥ المنستير ـ تونس

أرجو من قراء مجلة «الفيصل» الأكارم تزويدي بالأعداد من العدد الأول إلى العدد الستين، وسأكون شاكرا لكل من يساعدني، مع تعهدي بجائزة في مستوى الخدمة لمن يسديها إليّ.

عبدالله جدي

ص.ب ٨٥٤ المسيلة ٢٨٠٠٠ ـ الجزائر

أتمنى الحصول على كتاب يبحث في تاريخ المملكة العربية السعودية من نواحيه كافة أو في جانب منه، وآمل أن يكون ذلك على سبيل الإهداء إن أمكن.

محمد الحمادي بن علي

ص.ب ٣١٠٥ حلب ـ سورية

الأخ با بكر مختار علي عيسى - الخرطوم - السودان:

شكرا على رسالتك ومشاعرك الكريمة تجاه مجلتك، كما نقدر لك تفهمك لعدم نشر موضوعك في باب «تباشير»، مع تمنياتنا لك بالتوفيق لتحقيق طموحاتك الأدبية والصحافية.

الأخ عمر بن عمار - العامرة - تونس:

نشكرك على ثنائك وحسن ظنك بـ «الفيصل» وبالصحافة الثقافية السعودية بعامة.

الأخ محمد الحمادي بن علي - حلب - سورية:

بنَشْرنَا طلبك في زاوية «بين القارئ والقارئ» نأمل أن تجد من يتجاوب معه، أما العدد المطلوب فهو في طريقه إليك.

الأخ بندر ماطر ناشي المغذوي - المدينة المنورة:

د. حسني محمد حسن ليس محرراً في المجلة، ولكنه أسهم - مشكوراً - في تقديم قراءة نقدية لبعض المشاركات التي نُشرت في باب «تباشير». مشاعرك تجاه مجلتك نعتز بها.

الأخ عبد الرحمن صالح الهصيصي - البيضاء - اليمن:

تحديد كمية النسخ المرسلة إلى أي بلد أو زيادتها يخضع لعوامل عديدة يطول شرحها في هذا المجال الضيق، ولكن نعدك بزيادة الكمية المخصصة لليمن الشقيق في أقرب فرصة ممكنة.

الأخ عبد المقصود السعيد عبد المقصود - المنصورة - مصر:

نشكرك كثيرا على حسن متابعتك، أما الكاتب الذي لم يلتزم النهج الذي سارت عليه «الفيصل» منذ عددها الأول وهو تجنب نشر ما ينشر في دوريات أخرى - على صعوبة التحكم في ذلك كما يعلم الجميع - فقد كتبنا إليه منبهين بعدم إرسال الموضوع المراد نشره في هذه المجلة إلى أي مطبوعة أخرى. والمسألة تتطلب تعاونا تاما من كتابنا الأفاضل، مع ترحيبنا بمعاونة الإخوة القراء إيانا في المتابعة.

الأخ عليان محمد - البويرة - الجزائر:

نرحب بكتاباتك في مجال القصة القصيرة، والمجال مفتوح في باب «تباشير» لنشر كل ماهو مناسب من إبداعات الأقلام الناشئة والمواهب الواعدة.

عناوين

الأخ حسن باكور - مراكش - المغرب:

عنوان القاص الدكتور عصام خوقير:

ص.ب ١٢٧٢ جدة ٢١٤٣١

المملكة العربية السعودية

الأخت عائدة معروف - جدة:

نرجو إمهالنا حتى العدد المقبل للعثور على عناوين المجلات المطلوبة، إذ لم نجدها في المراجع المتخصصة المتوافرة لدينا، ويبدو أن تلك المجلات إما أنها حديثة فلم تدرج في تلك المراجع، أو أنها شديدة المحلية أو التخصص فلم تحقق انتشارا أدى إلى التعريف بها على نحو كاف.

الأخ عبداللطيف تمنكاني - جدة:

عنوان الدكتور فاروق الباز في الولايات المتحدة:

DR. FAROUK EL- BAZ
BOSTON UNIVERSITY
CENTER FOR REMOTE SENSING
725 COMMONWEALTH AVENUE
BOSTON, MASSACHUSETTS
02215 - 1401, USA

الأخ حسن بودرقة - أيت وادريم - المغرب:

معهد العلوم الإسلامية والعربية في نواكشوط تابع لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية السعودية، ويديره الأستاذ هزاع عبدالله الغامدي، وعنوانه:

معهد العلوم الإسلامية والعربية في موريتانيا

ص.ب ٢٣٦ نواكشوط ، موريتانيا.

لديّ أعداد قديمة من مجلة «الفيصل»، من العدد الأول وحتى العدد التسعين، وأرغب في مبادلة أعداد قديمة من مجلة «الحكمة» اليمنية ومجلة «الظفرة» الإماراتية بتلك الأعداد من مجلة «الفيصل». وشكرا لتعاونكم.

أحمد الحجر

ص.ب ٨٩٥٦ حلب - سورية

ملحوظة:

تهدف هذه الزاوية «بين القارئ والقارئ» إلى إيجاد قناة مباشرة بين القراء أنفسهم لتبادل المعلومات عن الكتب النادرة أو المجلات التي توقفت عن الصدور أو نفدت أعدادها.

إيضاحات

تعتذر المجلة سلفا من عدم تقديم اشتراكات مجانية، ومن عدم التجاوب مع طلبات للحصول على إصدارات أخرى (كتب ومجلات) لاعلاقة لها بها.

المسائل الشخصية كطلب وظائف أو مساعدات مالية أو إعانة على زواج، أو ماشابه ذلك والتعارف بين هواة المراسلة، ليست من اختصاصات المجلة ولا اهتماماتها، ومن حقها عدم الالتفات إلى رسائل تختص بهذه الأمور أو الرد عليها.

يتعذر على المجلة الرد الشخصي البريدي على جميع القراء الذين يراسلونها وذلك لكثرة الرسائل، وتكتفي بالرد عليهم من خلال «ردود خاصة»، أو بنشر مشاركاتهم في الصفحات المخصصة لذلك.

الرسائل ذات العلاقة بمركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية أو بأي نوع من خدماته، يُرجى توجيهها إليه مباشرة على عنوانه: ص.ب ٥١٠٤٩ الرياض ١١٥٤٣ المملكة العربية السعودية.

عند مراسلة الصفحات المخصصة للقراء (مناقشات وتعليقات، بريد، المسابقة، تباشير، ردود خاصة - بما في ذلك زواياها الجديدة: بين القارئ والقارئ، عناوين) يرجى ذكر اسم الباب أو الزاوية على المظروف، مع شكرنا للجميع.

الانزياح : ماذا يحمل من فضاء دلالي ؟



اطلعت على ماكتبه الزميل القديم والصديق العزيز د. نعيم اليافي في العدد ٢٢٦ من مجلة الفيصل الغراء تحت عنوان: الانزياح والدلالة. وأرجو أن يسمح لي الصديق الكريم أن أبدي بعض الملاحظات حول مقالته:

- طرح د. اليافي تحت عنوان: كلمة في المصطلح أربعة أسطر بينت أن الانزياح ظاهرة أسلوبية تستمد أهميتها من علاقة النص باللغة، وذكر أنه اختار هذه الكلمة من خمس عشرة كلمة مشابهة لحرصه على حيادية النص.

ولم يبين الدكتور أن هذا المصطلح من وَضْعه أو اختياره. والعادة في المصطلح أنه يعطي حدوداً تحصر ضمنها مجموعة العناصر والمحدودات التي تتعلق بهذا المصطلح. والمصطلح الذي طرحه الدكتور ينطبق على كل نص صيغ في اللغة العربية؛ لأن القاعدة تقول: الألفاظ قوالب المعاني، وليس من كلام يطرح إلا وتقوم فيه علاقة بين الخطاب الأصغر والخطاب الأكبر. ومنه يتضح أن ماذكره الدكتور من مصطلح للانزياح لا يقدم أية خصوصية اصطلاحية أو نقدية.

وكأني بالكاتب الكريم قد شعر أن هذا المصطلح لا يقدم شيئاً ذا فائدة في شرح معنى الانحياز فيحاول إزاحة ذلك بتعريف آخر للانزياح فيقول: الانزياح: إنه بكل بساطة خروج التعبير عن السائد أو المتعارف عليه قياساً في الاستعمال رؤية ولغة وصياغة وتركيباً...الخ.

- ذكر د. اليافي أنه اختار كلمة الانزياح من خمس عشرة كلمة لأنها بعيدة من المعنى الأخلاقي. وقد رجعنا إلى الكلمات التي نقلها عن الأستاذ المسدّي فوجدنا أن بعضاً منها بعيد من المعنى الأخلاقي، مثل الانتظار والتجاوز، ولم ندر لِمَ وقع اختيار د. اليافي على كلمة الانزياح دون سواها علماً أن الكلمات التي أوردها الأستاذ المسدّي ليس بينها ترادف ولا يمكن أن تقدم معنى الانزياح نفسه.

- ذكر د. اليافي أنه رغب عن كلمة «العدول» المستعملة في النقد العربي القديم متهماً اللفظ العربي القديم - وبشكل تعسفي - بأنه لا يحمل مايحمل لفظ الانزياح من فضاء دلالي.

وإذا رجعنا إلى المعنى الذي أقام عليه الدكتور نعيم الانزياح والذي شقق الحديث عنه لوجدنا أنه في حقيقته المجاز الذي عرفه علم البلاغة العربية الأصيل والذي أكثر علماؤنا الحديث عنه، ويعترف الدكتور نفسه به في لاحق مقالته حيث قال: «وعندنا أن الانزياح يصيب سائر المكونات الشعرية/الأدبية ولذا لابد من توسيع مفهومه أو دلالته، إنه يتمثل أول مايتمثل بالانزياح المجازي وهو أمر يكاد يكون مفروغاً منه، فجميع أنماط الصورة الفنية البيانية بدءاً بالتشبيه وانتهاء بالمجاز العقلي هي انزياحات ولا حاجة للتدليل».

ولنا أن نسأل لماذا عدل د. اليافي عن كلمتي العدول والمجاز العربيتين الأصيلتين إلى كلمة الانزياح وراح يتعب نفسه في شرحها وتحديد الدلالات تبعًا لها؟

قد يقول قائل: إن القضية بسيطة سواء استعملنا كلمة الانزياح أو المجاز. ولكن القضية في نظرنا أخطر من ذلك بكثير؛ فإن الأدب العربي الحديث يعاني اليوم من هجمة شرسة تهدف إلى القضاء على أصالته وهدم قواعده وأسسه، وتشويه هويته وبنائه، وطمس معالمه وتغريب عروبته وجعله عالة على الآداب الغربية. ومن المعروف أن الأمة التي تفقد ماضيها لن يكون لها حاضر أو مستقبل. وهذه الهجمة لم يسلم منها ماضٍ ولا حاضر وهي تسعى لهدم المستقبل. ومن مظاهر هذه الهجمة ما يقوم به أصحابها من تسفيه الأدب العربي القديم وموازينه وأسسه النقدية والجمالية، ومحاولة بناء الأدب العربي الحاضر على أسس وقواعد فكرية ونقدية غربية بحت محاولين إثارة الرهبة في نفوس أصحاب الأصالة بما يطرحونه من مصطلحاتٍ فكرية أو مذاهب نقدية أو مدارس أدبية غربية، مستعينين بأسماء أدباء ونقاد غربيين وبأقوالهم، وكأن كلام هؤلاء الحق الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

ومن المؤسف أن أقول: إن الصديق اليافي قد نحا في مقالته هذه - من حيث يشعر أو لايشعر - منحى التغريب الفكري والنقدي، وكان داعية لهذه الهجمة بإعراضه عن الأصالة العربية وإلقاء نفسه في أحضان الفكر الغربي. وأكبر الظن أنه اعتمد في مقالته على ترجمات نقلها من النقد الغربي، ويدل على غلبة هذا الظن تلك الأساليب الغربية في

الصياغة والبنية الغربية عن الأساليب العربية كقوله: «ثلاث وجهات نظر يمكن دمجها في مقولة واحدة». وكقوله: «وفي الشعر كما في النثر الفني يبدو الانزياح واضحًا وبينًا ولكنه في الشعر أوضح». وكقوله: «وفي رأيي أن نتوسع في مفهوم الانزياح كما نتوسع في مفهوم الأدبية/الشعرية قرينته في التمظهر والتجلي. فكما أنّا لا نكتفي في مجاليهما بملاحظتهما في ميدان الأدب أو الشعر بل نلاحظهما في السرد الحكائي والرسم والنحت ولوحات الطبيعة». ويكفي أن نمعن النظر في هذه الجملة الأخيرة لنرى كيف طبعت الترجمة الأسلوب فجاء متراكبًا سقيمًا.

- من المعروف أنه حينما يستشهد كاتب بقول أديب أو مفكر أو ناقد ولم يرد عليه قوله أو بعضه فمعنى ذلك أنه يوافقه الرأي. وحين يورد د. اليافي تفريق دو سوسير بين اللغة والكلام فمعنى ذلك اعتماده هذا القول. وهو أمر في نظرنا لا ينطبق على اللغة العربية بشكل خاص، فإن هذه اللغة تختص بخاصة عظيمة هي خاصة الترادف والقدرة على الخروج من الحقيقة إلى المجاز، حيث تبقى العلاقة بين اللفظ والمعنى قائمة مهما أبعد المعنى أو ركب أجنحة المجاز. ويبقى اللفظ معبرًا عن المعنى سواء كان مفردًا أو انتظم على صيغة الكلام وتبقى العلاقة متداخلة متينة بين الطرفين. فاللفظ لا يمكن أن ينفصل عن معنى يؤديه، والمعنى يظل معبرًا عن اللفظ، والكلام هو مجموعة الألفاظ. فالعلاقة بين اللفظ والكلام علاقة أجزاء لكل جزء دلالته، فإذا انتظمت كان لها دلالة قد تكون حقيقية وقد تكون مجازية. والقول بثبات اللغة مطلقًا غير صحيح؛ إذ لو كانت الألفاظ التي هي عناصر اللغة ثابتة لما وُجدت المشتقات ولا عُرف النحت ولامْتَنَعَ الترادف. صحيح أن اللغة العربية تميزت بقواعد أوزان الكلمات، ولكن هل نستطيع أن نقول إن هذه الأوزان قد وجدت منذ وجدت اللغة العربية كما هي ولم تتطور بتطور الأيام.

إن اللغة العربية تحمل صفتي الثبات والتطور معًا؛ فالثبات تأكد من قواعد الصرف التي تأصلت مع الزمن، والتطور نشأ مع الزمن ونراه اليوم في هذه المصطلحات الجديدة والمفردات المستحدثة والتي نضرب عنها مثلاً من مقالة الدكتور مثل «الشكلانيين - الألسنيين - العلائقية الشعرية».

- إن المقالة أوردت علينا بعض التقسيمات الغامضة التي يصعب على القارئ فهم المقصود منها، والسر في ذلك - كما أرجح - ترجمة هذه التقسيمات التي التزم الدكتور حرفيتها دون أن يضيف إليها شيئًا موضحًا. ولنقرأ ماكتب حتى نرى البرهان الأكيد على ذلك: «وهو يتمثل ثانيًا بالانزياح الإيقاعي ولذلك ثلاث صور (أولاها) الانحراف في الموازاة بين موسيقى الأداء وتوزيع المفردات بحيث يخضع هذا التوزيع لأسلوب الصياغة الموسيقية وليس العكس. (ثانيتهما) الانحراف فيما يسمى بالنغمة النشاز التي تخرج على الإيقاع الأصيل في تماثله وتناغمه وتوافقه».

- يورد علينا د. اليافي تقريرات غير مسلمة فهو يقسم عملية التلقي قسمين: «سكونية سلبية تتلقى القصيدة في سطحها الظاهر وتفهمها وتفسرها وفق مرجعيتها القابعة مسبقًا في الذهن» وقراءة فاعلة متحركة نشطة «لأنها تعمل عملها في النص تتأمله وتنعم النظر فيه أو تجول تفككه وتحلله وتنقده وتعيد إنتاجه وتأليفه من جديد، وربما تتبنى أطروحاته أو تعارضها، وليس هذا هو الآخر بالمهم بقدر مايهم أنها تحاوره قياسًا إلى عناصر بنيته ومكوناته الأساسية في الرؤية والتصور والأداء ولعلها تتسرب إلى مفاصله ودهاليزه الجوانبية لترينا مبلغ مافيها من علاقات متشابكة وأسرار، ولن يتسنى لهذه القراءة النشطة أن تحقق ذلك إلا إذا كابدت نوعًا من التأويل».

ونحب أن نذكّر د. اليافي أن اللغة تلقٍ وتعلم يبدأ منذ الطفولة وينمو، وهي عملية اقتران بين لفظ ومعنى تبقى ثابتة في النفس والذهن، وفي حالتي التلقي السكونية والفاعلة اللتين يوردهما د. اليافي يكون الانطلاق بدءًا من مسلمات معاني الألفاظ القائمة في الذهن، ومهما كانت حالة التلقي الفاعلة فإن ذهن القارئ لا يستطيع أن يتخلى عن المعنى المتأصل للفظ، فهو قد يخرج به إلى صورة مولدة أو معنى شبه مستحدث، ولا نقول إنه مستحدث؛ إذ لو كان مستحدثًا لكنا اليوم أمام آلاف المعاني التي تولد وتموت في لحظة واحدة، والتي يوردها علينا شعر الحداثة، ولا أصل لها فكأن الشاعر قد أوجد معنى جديدًا.

ونضطر أن نسأل: هل رُفِد معجمنا اللغوي بألفاظ قديمة ذات معانٍ مستحدثة تعد بعشرات الآلاف تبعًا لهذا السيل الدافق من الحضور؟ وهل نستطيع أن نقول إن كل شاعر من شعراء الحداثة له لغة خاصة بمعان جديدة متغيرة وكيف يمكن أن تسجل هذه اللغة؟! أظن أن النهاية تنبئ عن فساد البداية.

لقد كنت آمل من الصديق د. نعيم اليافي - وقد قطع ماقطع من مسيرة التدريس والكتابة والتأليف متأثرًا بالفكر الغربي ومناهجه وداعيًا إليه ولو كان ذلك على حساب التزام حدود الشريعة الإسلامية كما

فعل في كتاباته عن المرأة ـ أن يعود إلى الأصالة العربية الإسلامية، وأن يسهم في تأصيل دراسة نقدية عربية أصيلة تقف في وجه «الانزياح» الذي نراه في كتابات بعض المحدثين، والذي وصل بالصياغة الشعرية إلى الهذر والكلام الفارغ الذي لا معنى له ولا طعم ولا تطريب. ونذكره بما أورده من نقد في مقاله عن المستوى الرابع أي المستوى الأبعد في الانزياح، ونقول له: إن كلامه في نقد هذا المستوى هو بداية السير في طريق الأصالة.

محمد سعيد المولوي
ص ب ٣٥٢٨٩
دمشق ـ سورية

وللتبعية مظاهر أخرى



أكتب لكم هذه الكلمات، وقد فرغت للتو من قراءة إطلالة رئيس التحرير: «التبعية وأزمة المصطلح» في العدد ٢٢٥، ذلك أنني اعتدت قراءة اطلالته غرة كل شهر، وللإنصاف لا أنكر ما فيها من جلاء الفكر، ووضوح المقصد، وعظيم الفائدة.

ولقد أثار ماكتبه ـ في الموضوع المشار إليه ـ في ذهني مظاهر أخرى للتبعية غير تبعية المصطلح، ولاغرابة في ذلك، مادام أن التبعية منتشرة ـ شكلا وممارسة ـ في مناحي حياتنا جميعا، ولو حاول أي منا أن يتتبع آثارها في حقل عمله لوجدها واضحة بينة. ولنأخذ ـ على سبيل المثال لا الحصر ـ مجال عملنا (الإعلام)، فكم من تبعية وتبعية في هذا الحقل! فمن طرائق التحرير والإخراج، إلى مدارس صناعة الخبر، مرورًا بالنظريات الإعلامية المختلفة، وهذه الأخيرة هي الأخطر.

فالإعلام العربي ـ منذ عقود خلت ـ تتجاذبه النظريات الإعلامية المختلفة، وهو منقسم على نفسه بين دول عربية تريد تبني النظرية الغربية، وأخرى تريد تبني النظرية الشرقية، وثالثة ترغب في التلفيق بين الأولى والثانية بحيث تخرج بنظرية جديدة!!

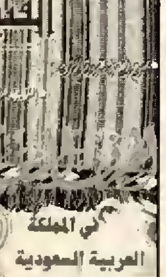
غريب هذا الركض اللاهث وراء الغربيين والشرقيين! وكأن هؤلاء الإعلاميين العرب تخيلوا أنفسهم أنهم سيموتون إن هم خرجوا من بحار هذه النظريات، ناسين أو متناسين أن كلاً يفصِّل نظرياته بما ينسجم ومقاسه، بحيث يتسنى له أن يحرك يديه وأكتافه وأعضاءه كافة دون أدنى حرج، ومتناسين أيضا أن لكل نبات تربة، فتربة نبات الجبل تختلف اختلافا بينا عن تربة نبات السهل والساحل وغيرها. فكيف يريد لنا هؤلاء ـ أي المنظرين العرب ـ أن نزرع في الصحراء العربية نباتًا مستوردًا من العالم الجديد تارة، ومن ضفاف المانش تارة أخرى، ومن مجاهل سيبيريا تارة ثالثة؟!

وأنا أسأل هؤلاء، الذين يدعون أنهم حملة الرسالة، وسدنة «صاحبة الجلالة»، هل نضب تراثنا وفكرنا، وعجز عن إيجاد نظرية إعلامية تكون لأمراضنا بلسمًا وشفاء؟ وهل عجز العرب، الذين جعلوا من الشعر ديوانًا لهم، أن يحسنوا صناعة الإعلام؟

والغريب حقًا، أنه حتى عندما تموت نظرية من النظريات، أو ترفض من أبناء جلدتها، يستمر متبنوها يدافعون ويدفعون التهم عنها، ويدَّعون أنها لم ولن تموت!! وهذا يذكرنا بالأفعى التي إذا دُقَّ رأسها وماتت بقي سمها المخزون فيها يحرك الذيل يمنة ويسرة!!.

أحمد يوسف العمّار ـ صحفي
ص ب ١٢٦٩٦ ـ دمشق ـ سورية

مسرح الطفل والحاجة إلى التأصيل



طرح الأستاذ عبدالتواب يوسف موضوعا بعنوان «مسرح طفل ما قبل المدرسة» في العدد (٢٢٤)، مما جعلني أتساءل: أين المسرح العربي الجاد بأصالة

وتأصيل، سواء للطفل أو لأي مرحلة سنية؟ فالمسرح يشكل نمطًا إبداعيًا وفكريًا، خاصة أنه يعبر عن لغة أدبية، تترجم في فعل ثقافي. وللمسرح أهداف اجتماعية وثقافية وسياسية، لأنه فن مركب ومتداخل. ولو نظرنا إلى الطفل العربي خاصة، نجده يهوى مسرح الدمى، التي تشكل إحدى الوسائل التعليمية والترفيهية، بالإضافة إلى الرسوم المتحركة. فالأبناء ينشدون التزود بالمعلومات والحقائق المفيدة، في مختلف جوانب الثقافة، وبخاصة من التلفاز أو المسرح. لكننا ـ نحن العرب ـ هل نظرنا إلى إعلام الطفل بوصفه صناعة لها جدواها وفاعليتها وتأثيرها؟ فمعرفة الطفل بالمادة الإعلامية الغربية المملوءة بالمتعة والتشويق (السوبرمان وتوم وجيري...الخ) لاتبني جيلاً عربيا مسلما لغياب الزاد الثقافي الإسلامي. فالهدف ليس إشاعة الغبطة في نفس الطفل فقط، وإنما المسرح ضرورة عصرية، فهو يغري الطفل ليسعى من أجل القراءة والتثقيف. لكننا نجد أن كبار المفكرين وصفوة المثقفين العرب لايكتبون للطفل العربي أو الإسلامي.

ونحن بحاجة إلى تبسيط لغة المسرح الموجهة للطفل بكلمات مدعمة يظنها البعض عامية، لكنها من صميم اللغة الفصحى. فالمواد الإعلامية وبرامج الطفل ـ ومنها مسرح الطفل ـ يجب أن تحكمها ضوابط تحول دون الاعتماد على المستورد، بهدف الحفاظ على الشخصية الإسلامية وقيمها وسلوكها في المستقبل، وللحد من التغريب الثقافي الموجه للطفل.. فنحن نرى الأطفال مبهورين بتوم وجيري وسلاحف النينجا على الرغم من اختلاف بيئة الطفل العربي عن البيئة التي تصدر هذه الأفلام التي تعتمد على العنف والإبهار. فمن حق الطفل العربي المسلم أن يمارس طفولته، وأن يتمتع باللعب والرعاية الأسرية، لكن في ظل تنشئة اجتماعية إسلامية. وإذا كان المسرح أو التلفاز يشكلان عنصر جذب بالصوت والصورة والحركة والمؤثرات والحيل، فان الجلوس أمامها طويلاً يؤثر في حركة الجسم ويجعله يصاب بالخمول مثلما نرى في ألعاب الحاسوب التي غزت البيوت العربية، وأسرت عقل الصغير. فالطفل ينشد من الحاسوب اللعب فقط، بالرغم من أن الحاسوب يحوي أساليب تعليمية متعددة.

إذن موضوع مسرح طفل ماقبل المدرسة يفتح قضايا أخرى، لأن الفن أو الأدب نتاج ثقافي، ورؤى فكرية، ولكن يجب أن يقدم ذلك بمسؤولية وتحسُّب.

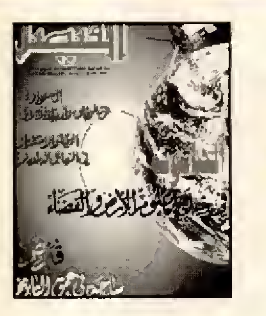
إن حياة الانسان المسلم لاتعرف الفراغ، وإذا كان العمل المسرحي يعتمد على محاور القيم والمهارات والعلوم والفنون والآداب مسترشدًا بالتراث الإسلامي، فإننا نرحب به. وقد قال توفيق الحكيم: «لو علم رجل الفن خطر مهمته لفكر دهرًا قبل أن يكتب سطرًا».

وإذا كان مسرح طفل ما قبل المدرسة ضرورة ثقافية، فإن الهدف تهيئة مناخ المسرح الموجه للطفل ليجد الطفل العربي ذاته بحوار إسلامي، وآداب ومناقشات موضوعية، بهدف إكساب الشخصية الإسلامية للنشء العربي مع تبسيط العلوم واستخدام تنمية الخيال العلمي.. فالخيال العلمي مهم لأنه يشكل الطفل ليصبح عالما ومبتكرًا. يقول إسحاق عظيموف أحد رواد أدب الخيال العلمي: «لو أن مئة طفل قرؤوا خيالاً علميًا، فإن ٥٠ منهم سيحبون العلم، و٢٥ منهم سيتخصصون في العلوم، و واحد من الخمسة والعشرين الباقين سيصبح عالمًا». ولننظر إلى عالمنا الإسلامي وعدد سكانه الذي بلغ مليارا ومائتي مليون مسلم.. فلو أن هناك عالمًا واحدًا من كل ألف مسلم، لحققت الأمة نقلة حضارية واسعة. فالخيال العلمي للطفل يسهم في تنمية الذهن العقلي، وتلك المرحلة ضرورة لطفل ما قبل المدرسة، لتتحول مرحلة المدرسة وتعلم القراءة نحو تشكيل الفكر، وتكون حافزًا للطفل لحب القراءة.

ومجال ثقافة الطفل متشعب الجوانب، والأمة العربية العريقة تحتاج إلى مضاعفة الجهود العلمية التي تساعد أبناءنا على فهم مجتمعهم وسلوكه وأخلاقه. وكم نحن بحاجة إلى العلم الذي ينهض بالمجتمع في مجالات الحياة كافة.

يحيى السيد النجار
رمز بريدي ٣٤٥١١
دمياط ـ مصر

تراثنا في مواجهة التحديات



قرأت مقالة الدكتور حسن الوراكلي بعنوان: «التراث ووحدة الهوية الثقافية» المنشورة في مجلتكم القيمة في العدد (٢٢٣). وقد تناول فيها بعض القضايا المهمة التي تبرز أهمية التراث الإسلامي من أجل وحدة هويتنا الثقافية.

إلا أنني أود أن أضيف بعض القضايا المهمة التي تسهم في صيانة التراث الإسلامي

وحفظه من محاولات العبث والجهل أو محاولات الدسّ والتجهيل:

إنّ مهمتنا - عربًا ومسلمين - الدفاعُ عن قدسية تراثنا والمحافظة عليه من الضياع والعبث والطمس، ولا يمكننا أن نحقق ذواتنا ونصوغ هويتنا الأصيلة دون الاستمداد من تراث سلفنا، كما لا يمكننا النهوض من كبوتنا لمواكبة الركب الحضاري المتسارع دون الانطلاق من تراثنا الحضاري الذي جسّد في الماضي كل القيم والمثل الإنسانية، وحوى كل الطاقات الإبداعية في مختلف ميادين الثقافة والفنون والمعرفة والعلوم. لذلك ينبغي لنا أن ننطلق من تراثنا وأن ننهل من الحضارات الحديثة دون أيّ طمس لمعالم هويتنا، وعلينا أن نسمح لرياح الثقافات الأخرى بالمرور عبر نوافذنا دون أن ندعها تقتلعنا من الجذور.

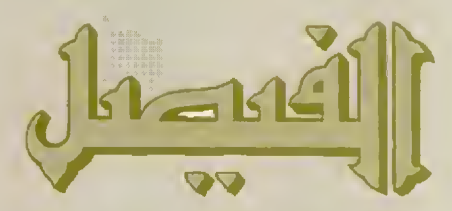
وثمة محاولات للهجوم على العروبة والإسلام، فقد كثر المغالون للنيل من الحقيقة الخالدة: أن الإسلام دين إنساني، وأنه لا فرق بين عربي وعجمي إلا بالتقوى، فثمة من يقول: إن الحضارة العربية لم تكن من نتاج العرب، وإنما كانت من نتاج الشعوب الخاضعة للإسلام، فينكرون بذلك فضل العرب عليهم قبل كل شيء، وينسون أن العرب كانوا يمثلون حركة الزمان التي فجّرت عبقرية المكان، وأعني أن العرب بعد أن فتحوا البلاد الأخرى، ونشروا فيها تعاليم الدين الحنيف ولغتهم الجميلة، استطاعوا أن يمزجوا تلك الثقافات في بوتقة الثقافة الإسلامية، وأن يشحنوها بطاقات من تراثهم وقدراتهم الإبداعية، وانطلقوا يحملون راية العلم والدين وكانوا خير أمة أُخرجت للناس.

ولقد سجل التاريخ الإسلامي أروع صفحات المجد والكبرياء وأنبل معاني البطولة والفداء، واستطاع عظماء المسلمين أن يبهروا العالم بأسره بما حققوه من إنجازات عظيمة مازالت آثارهم شاهدًا حيًا على تلك الحقيقة... وعلينا - نحن المسلمين - أن نتمثل تلك المعاني البطولية والخصائص الإنسانية الحميدة، وأن نأخذ كل ماهو إيجابي من سيرتهم، وندع الهفوات والهنات جانبًا، ويجب علينا أن نردّ كل محاولات النيل من سِيَر عظماء تاريخنا الإسلامي، وأن نقدّس فيهم كل قيم الحق والعدل والخير، بعيدًا من التعصب، محاولين السير على خطاهم، دون الوقوف والبكاء على أطلالهم الدارسة، مجنّدين كل مالدينا من طاقات من أجل بناء حضارة إنسانية مثلى.

وقد كثرت الدعوات المشبوهة للنيل من عظمة لغتنا العربية التي تمثّل لغة القرآن الكريم ولغة الحضارة الإسلامية المجيدة، وجاءت تلك المحاولات عبر مخططات تُرسم في الغرب وتدعو إلى اللغات العامية، فيحققون بذلك مآربهم في تفتيت الهوية العربية الإسلامية، ويسهمون في قطع وشائج القربى بين قلوب المسلمين وكتاب الله المبين.

وقد كثرت أيضا الاتهامات الباطلة في حق اللغة العربية، فوصفوها بالعقم والجمود وعدم القدرة على مسايرة الحضارات الحديثة، ونسوا أن العربية بعبقريتها الفذة حملت خلال عصور الانحطاط في أوربا، لواء حضارة إنسانية عظيمة، وأمدّتهم بكلمات ومصطلحات مازالت ألسنتهم تردّدها وكأنها جزء من ميراثهم اللغوي المعجمي.

وليس عيبًا أن نستعين ببعض المصطلحات العلمية من اللغات الأُجنبية، كما استعانت هي ذاتها بالعربية حين كانت لغة الحضارة الإنسانية، ولاعيب في أن نتعلّم لغات أخرى تسعفنا في ترجمة مختلف العلوم من أجل النهوض بما لدينا من تراث حضاري دفين، ولكن يجب علينا أن نتنبّه إلى خطورة تلك اللغات في المراحل الدراسية الأولى، كما يجب أن ننبّه إلى خطورة التبجُّح بالكلمات



مجلة ثقافية شهرية
تصدر عن دار الفيصل الثقافية

ملاحظات عامة

مع تقديرنا لكل من يسهم في الكتابة في المجلة، فإننا نرجو من كتّابنا الكرام أن يضعوا في حسبانهم الملاحظات التالية:

١- أن يتسم الموضوع المقدم للنشر بالجدّة والموضوعية، مع توثيق المراجع إذا اقتضى الأمر ذلك.

٢- ألا يكون الموضوع منشورًا من قبل، أو مرسلاً إلى أي جهة أخرى ناشرة.

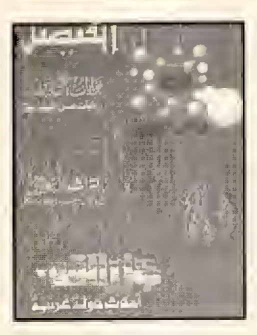
٣- حين تردّ المجلة على كاتب ما بأن موضوعه «غير مناسب للنشر» فإن هذا لا يعني أنه «غير صالح للنشر» في غيرها، وإنما يعني عدم مناسبته لسياسة النشر فيها.

٤- أن يرفق الكاتب (الذي لم يسبق له الكتابة في المجلة) مع موضوعه: الاسم والمؤهلات العلمية والإنتاج الفكري - إن وجد - وعنوان المراسلة، في ورقة مستقلة.

٥- الموضوعات المنشورة في هذه المجلة تعبّر عن آراء أصحابها، ولا تعبّر بالضرورة عن رأي المجلة.

الأجنبية التي نراها عند بعض الناس الذين يريدون أن يبرهنوا على تحضّرهم من خلال استعمال تلك الكلمات فيما بينهم، ناسين أو متناسين أن مرادفاتها العربية تفوق تلك الألفاظ رقة وعذوبة وجمالاً، لذلك ينبغي لنا أن ندفع كلّ أذى عن لغتنا الأم التي هي عنوان وحدتنا ونبراس حضارتنا.

رامز محيي الدين علي
مصياف ـ سورية



معنى كلمة «الفتوة»

أثناء مطالعتي العدد ٢٠٣ استوقفني مقال الأستاذ عبدالتواب يوسف «نحو رواية عربية للفتيان والفتيات»، وحين قرأت تعريفه لكلمة «الفتوة» وجدته اقتصر على مرجع واحد فقط هو المعجم الوسيط، فذكر أن الفتى أول شبابه بين الرجولة والمراهقة، والفتوة: الشباب بين طَوْرَي المراهقة والرجولة، و«فتيت» البنت أعطيت حكم الفتاة وجاوزت حالات الطفولة.

واسمحوا لي أن أقف عند كلمة «الفتوة» أوضح ما خفي من معناها حيث تشمل هذه الكلمة عدة معان:

فأصل كلمة فتى ومصدرها فتِيَ فَتىً كمرح مرحًا وفرح فرحًا، وفَتُوَ فَتاءً ثم جعلت وصفًا فقالوا: «هو فتى» أي شاب، وجمعها فتيان وفُتُوّ وفِتية، والاسم من ذلك كله «الفتوة».

والفتوة في الأصل معناها الشباب، قالوا: فَتِيَ يفتى أي صار شابا، ويقولون: هو فتيٌّ السن بَيِّنُ الفتاء، ويطلق على الشاب فتى وعلى الشابة فتاة.

واستعملت الكلمة دلالة على القوة، يقول ابن قتيبة: «ليس الفتى بمعنى الشاب والحدث، إنما هو بمعنى الكامل الجزل من الرجال. يدل على ذلك قول الشاعر:

إن الفتى حمّال كلّ ملمة
ليس الفتى بمنعّم الشبّان».

واستعملت الكلمة أيضا للدلالة على الكرم والسخاء، وفي هذه الحالة لم تتقيد بالشباب، يقول الزمخشري: «الفتوة هي الحرية والكرم»، ويقول الشاعر:

إن الفتى لفتى المكارم والعلا
ليس الفتى بِمُكَمْلَج الصبيان

وكذلك اختلف معنى الكلمة من بيئة إلى أخرى ومن موقف لآخر، حيث أصبحت الكلمة خاضعة للبيئات المختلفة، فتلبسها كل بيئة ماتراه المثل الأعلى للفتوة، فنرى زهيراً ـ وهو العاقل ـ يجعل أهم صفات الفتى الفصاحة في اللسان والحكمة في الجنان إذ يقول:

لسان الفتى نصف ونصف فؤاده
فلم يبق إلا صورة اللحم والدم

وفي مطولات اللغة تفصيلات كثيرة وممتعة حول هذه المادة اللغوية الواسعة.

صلاح عبد الستار الشهاوي
دمشيت ـ طنطا ـ مصر

العنوان
ص.ب (٣) الرياض ١١٤١١ ـ
المملكة العربية السعودية
هاتف ٤٦٥٣٠٢٦ ـ ٤٦٥٣٠٢٧ ـ
ـ ٤٦٤٧٨٨٤
فاكسملي: ٤٦٤٧٨٥١
ردمد ١١٤٠ ـ ٠٢٥٨ رقم الإيداع ١٤/٠٥٤٢

الأسعار:
السعودية ٨ريالات ـ الكويت ٦٥٠ فلسا ـ الإمارات ٧دراهم ـ قطر ٧ريالات ـ البحرين ٧٥٠ فلسًا ـ عُمان ٧٥٠بيسة ـ الأردن ٥٠٠فلس ـ اليمن ٤٠ريالاً ـ مصر جنيهان ـ السودان ١٥٠ جنيهًا ـ المغرب ٨دراهم ـ تونس ٦٠٠مليم ـ الجزائر ١٠دنانير ـ العراق ٤٠٠فلس ـ سورية ٣٠ليرة ـ ليبيا ٨٠٠درهم ـ موريتانيا ١٠٠أوقية ـ الصومال ٢٠٠٠شلن ـ جيبوتي ١٥٠فرنكا ـ لبنان مايعادل ٤ريالات سعودية ـ الباكستان ٢٠ روبية ـ المملكة المتحدة جنيه استرليني واحد.

الاشتراكات السنوية:
للأفراد ١٥٠ريالاً سعوديًا، للمؤسسات ٢٥٠ ريالاً سعوديًا.

الإعلانات:
يتم الاتفاق عليها مع إدارة المجلة.

إنكم عاتبون.. وأنا خائف!



زهدي الفاتح

أعرف عربا في هذا العصر يبتكرون، كلّ يوم، أسلوبا جديدا، لقتل الروح والجسد في الإنسان العربي.

قليل من السريالية ربما ينفع لهضم ما يجري اليوم في دنيا العرب!.

إنني أخاف. أخاف حقًا، أن يكون القرن الحادي والعشرون، هو القبرَ العربيَّ الحادي والعشرين!.

التعرّي الثقافي، التعرية العقدية، الخواء الروحي، ذبول الشعور بالانتماء، أفول الإحساس بالمسؤولية، استخدام الأصوات العالية لتضليل أولئك الذين لايملكون لغةً أخرى غير الأنين، السباحة فوق الكلام، سيادة منطق الذين يظنّون أن حكمهم على الأمور كلها هو حكم الله، استخدام وسائل الاعلام لممارسة الإفقار العقلي وتكريس التخلّف، الدمُ العربي يسابق الوقت العربي، أهواءٌ تُتبع وأحكام تُبتدع، يُخالَف بها كتاب الله، ويتولى رجالٌ رجالاً، على غير دين الله.

الفتنة تغشي ظلمتُها الأبصارَ، الإصرار على الاعتقاد أن مكاننا هو حيث الآخر، وحيثُ يُفترض أن لايكون الآخر، عالمٌ مُلجَم وجاهل مُكرم، القول بغير علم، والغفلة من غير ورع، والطمع في غير حق.

مواجهة المشكلات على أنها مواقف تمليها الدقائق الأخيرة. امتلاء الأرض العربية بتكبيرات لا يُراد بها - أحيانًا - وجه الله تعالى، إنما يراد بها الشيطان.

مَنْ وَهَبَهُ الله، عز وجل، بصرا جديدا، وهو يتابع الواقع العربي، بمجمله، يُلاحظ أن ثمة أشياء تُصطنع، تُشغل، تُنتج، تُجمَع، تُرفع، ولا يرى ولادةً من داخل الفطرة العربية الإسلامية.

يرى في هذه الأشياء، بمعظمها، لمًا وتراكمًا، ولا يرى نموًا عضويا لحياة.

يَرى ركونا إلى التلقُف والنقل والتقليد، وإلى الانسياق المرغوب فيه، والمُتعارف عليه من الرجراج العائم الذي يسيل اللعاب، ويثير فلسفة الأمعاء وتوابعها، والذي يمكن أن يباع، ولايرى جسارةَ العربي المسلم على شق طريق جديدة - أصيلة، وفتح كُوى أخرى من جدار تراثنا العظيم.

يرى نزعةً، صيّروها متأصلةً في نفوس المغرمين بحضارة هذا العصر، إلى الغرام الجامح بأطراف الحقيقة الصغرى، المُتنازع عليها في عالم اليوم المادي، إلى الفكرة المُدجَّنة، التي يمكن أن تعيش في الصالونات، كما يعيش البساط، وتعيش السجادة والثياب والمأكولات، ولا يَرى الفكرة المتخطية المستقلة المتوحدة المتوهجة، المستوحاة من الحقيقة الكبرى، من عقيدتنا، التي لا تُزين مُحاضرا سطحيا في الصالونات ولا قوالاً استعراضيا في المجالس.

يَرى الفكرة المائعة المحلولة، ولايَرى الفكرة التي تعيدنا إلى حقيقتنا، عربا مسلمين، فتهز، وتواجه الإنسان بأغوار وحقائق داخلية، يجهلها أغلب جيل اليوم، في الأبعاد المتاهية لإنسان غار حراء وطيبة الطيِّبة.

يرى الفكرة «المكياج»، ولايرى الفكرة الحقيقة الصريحة العارية، التي أهَّل الإنسانُ نفسه لحَمْلِ أمانتها - وأعرضت عنها كل الكائنات - بعدما نَفَخَ الله تعالى فيه من روحه، وعلَّمه الأسماءَ كلّها، وأمر الملائكة بالسجود له.

يَرى الفكرة المُتبرجة، الملفوفة المعروضة، الفكرة السلعة، ولا يرى الفكرة المُتجسمة برسالة «اقرأ».

يرى الفكرة المنقولة عن فكرٍ مستورد، يرى الفكرة البِركَة، التي تعكس وتفضح الاستنقاع في حياتنا، ولايرى نهرَ الحياة العربي الإسلامي.

في بعض لغات العالم كلمة «أضاء»، تعني «أحْرَقَ»!.. أجل إنهم يحرقون العالم.

عندما لا تستطيع أن تفعل شيئا. وعندما يقال لك إن اللغة هي.. العواء. وعندما يُفرض عليك شكلك الخارجي، ومعه شكلك الداخلي، لاتستطيع إلا أن تهرب.

ليس صحيحا أنّ الوطن العربي شاسع، كما تقول كتب الجغرافيا ومنظِّرو القومية العربية.

إنه بحجم علبة الدبابيس.

المواطن العربي ربما هو المواطن الوحيد، في العالم، الذي يولد، منذ هرب من الأندلس، وفمه مملوء بالدبابيس.

ولهذا كان المقعد هو مؤخرة.. الزمن. ولهذا لايشعر المقعد بالضيق، عندما يستخدمه الطاعنون في.. السن!!

منذ انسحابنا من التاريخ في الأندلس، حصل الطلاق بين التاريخ والجغرافيا في الوطن العربي، في بقايا الوطن العربي. التاريخ العربي يجلس على «مقعد» الطاعنين في.. التخلف، يأكل الهمبرجر والبيتزا، ويرتدي الجينز، منذ غرناطة، والجغرافيا هرعت ترتدي ثوبَ النوم الرقيق، لتتمدد على فراش من.. الإسفنج.

وكان أن رأينا الدمَ يتسلل من تحت الثوب باتجاه.. التاريخ. أعرف أنكم عاتبون: لقد مللنا صوتَ الدموع الذي ينهمر في آذاننا، فاعطنا شيئا آخر.

عبثا تعطي ذلك الشيء الآخر، عندما تكتشف أن الجثث العربية ترتفع في وجه المستقبل، وتظل ترتفع، حتى لم يعد هناك وقت للعشق، للحب، للأخوة، للوعي، للقصيدة، للأمل. لم يعد هناك وقت للوقت.

إنكم عاتبون. وأنا خائف. خائف كأنني طفل يلبس رداء المشنقة.